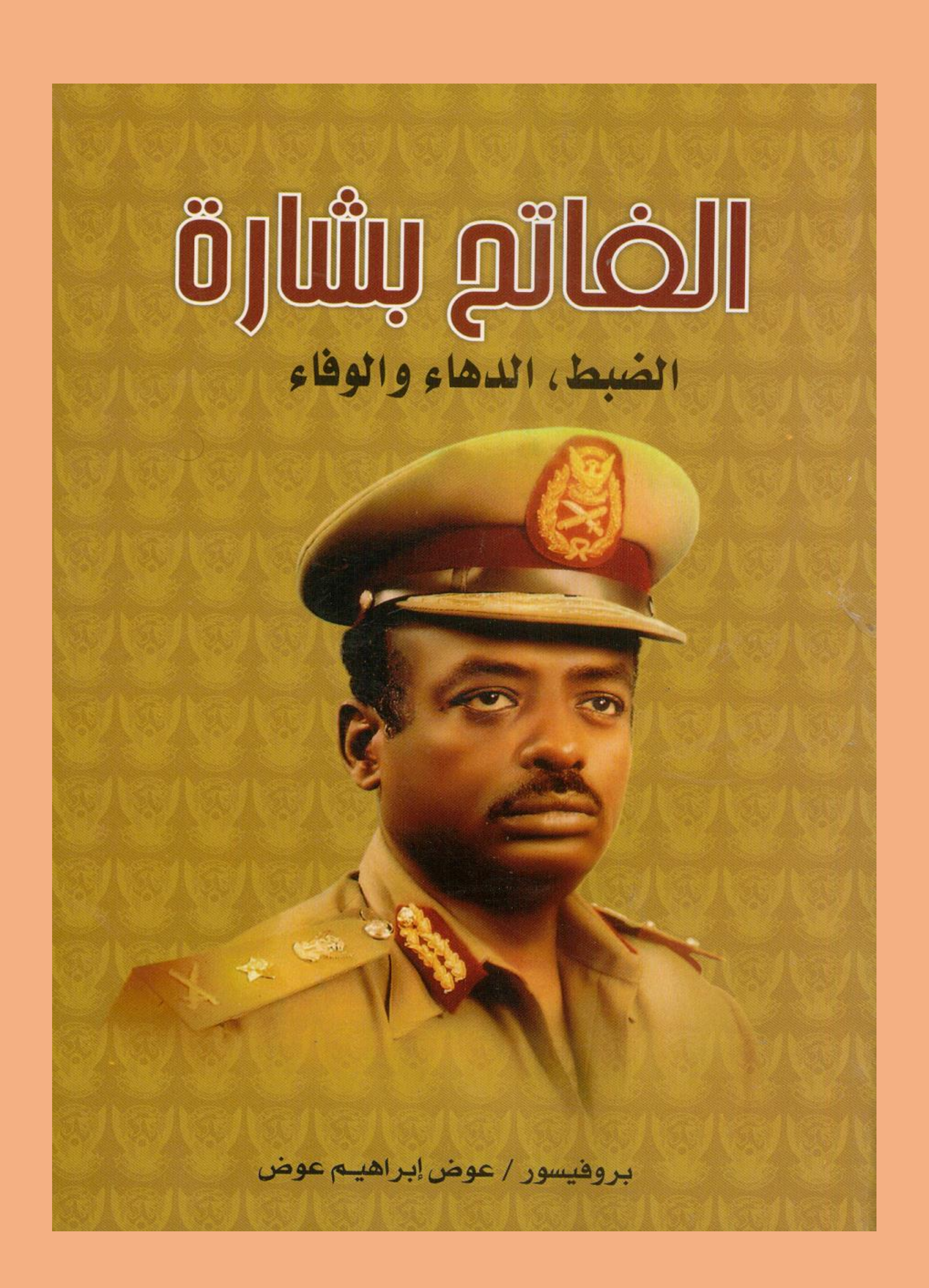

الفاتح بشارة
الضبط، الدهاء والوفاء
بروفيسور / عوض إبراهيم عوض

الفاتح بشارة الضبط، الدهاء، والوفاء

دار المؤتمن للنشر والطباعة والتأليف
2014م
فهرسة مكتبة المؤتمن، بدار الإحسان
عوض إبراهيم عوض

الفاتح بشارة الضبط والدهاء والوفاء
474 ص؛ 17×24 سم

الطبعة الأولى
يونيو 2014م

دار المؤتمن للنشر والطباعة والتأليف **مكتبة دار المؤتمن**	

الفاتح بشارة
الضبط، الدهاء، والوفاء

◆◆◆

بروفيسور عوض إبراهيم عوض

دار المؤتمن للنشر والطباعة والتأليف



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم

مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم

مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلاً

الأحزاب، 23

صدَقَ اللهُ العظيم



إهـداء:

إلى كل أهل السودان الذين عايشوا أو سمعوا عن العبقرية العسكرية والانضباط اللا متناهي لرجل الدولةِ العظيم الراحل المقيم الفريق الفاتح محمد بشير بشارة. إلى كل الذين عرفوا عن ذكائه الدبلوماسي عندما رفع شأنَ أمته في كل المحافل والمناسبات الدبلوماسية التي عمل بها حتى نالَ الوطنُ شرفاً وتقديراً فاض صداهُ على أرجائه الواسعات عبر السنين. إلى كل الذين عرفوا حنكة الحاكم الذي ضحى من أجل وطنه الصغير بقدر ما ضحى من أجل وطنه الكبير، فسمقت منجزاتُه فوقَ حدودِ إمكانيات الإقليم الذي كان بحجم دولة. إلى كل الذين أحبوه وأحبهم عبر مسيرة عطائه الطويلة حتى لاقى ربه راضياً مرضياً بإذن الله وهو في قمة العطاء. إلى كل أبناء وأحفاد الراحل المقيم الفاتح بشارة، وكل أصدقائه الذي كانوا في مصافِ الملوك، وكل الذين تقاطروا من بقاع العالم المختلفة لِيُشيعوهُ أو يؤبنوه أو يَذرفوا دُموعَ الرجالِ على فقدِ الرجال. إلى كل هؤلاء وأولئك أُهدي هذه السطورَ مُفعماتٍ بالعرفان بالجميل للراحل العظيم الصديق الصدوق الفريق الفاتح محمد بشير بشارة.

غَشِيتْ قَبرَهُ شَآبيبُ الرَّحْمَة

كلمة الناشر

❄❄❄❄❄

لقد درجت دار المؤتمن منذ البدء على تمحيص الإرث الثقافي والتوثيقي في كل البلاد العربية وانتقاءٍ ما تجود به قرائح أدبائنا لإعطائه للناس في قالبٍ جميلٍ وميسور يتمثل في كتاب يخلد على مر الدهور. ولم يزل هذا هو ديدننا وأسلوبنا الذي جعل من كثيرٍ من فكر كُتّابنا وأدبائنا مادةً ملموسةً وخالدةً فوق أوراق الكتب. وامتلأتْ ساحاتُ المعرفة بعطائنا الذي ما قصدنا من ورائه إلا تعريف العالم بفكر وعطاء أهل السودان العلمي والثقافي.

ونحسبُ أننا قد نجحنا نجاحاً كبيراً بحمد الله، حيثُ فتحنا آفاقاً جديدةً من المعرفة والعلم شهد لنا بها كُلُّ قرائنا على امتداد وطننا العربي الكبير. ومن خلال بحثنا الدَؤوب عن مكنونات الكُتّابِ والمؤلفين رأينا أن نضع بين يدي القارئ هذا الكتاب الجديد بعنوان: ﴿**الفاتح بشارة الضبط، الدهاء والوفاء**﴾ للكاتب ﴿**بروفيسور عوض إبراهيم عوض**﴾. لقد عرف أهل السودان شخصية الفريق الفاتح محمد بشير بشارة قائداً وسياسياً وتنفيذياً وعسكرياً لا يُشق له غبار. واعترف الجميع بعطائه السخي لأهله وعشيرته ليس في كردفان فحسب وإنما في كل بقاع السودان. وعرف القراء أيضاً شخصية الكاتب عوض إبراهيم عوض من خلال الاستماع للإذاعة ومشاهدة التلفزيون ووقفوا على عطائه منذ سنوات طويلة بدأت بمنتصف عقد السبعينيات واستمرت بلا انقطاعٍ حتى لحظة تأليف هذا

الكتاب الذي بين يدي القارئ. ونحنُ إذ نقدم هذا الكتاب الجديد لقرائنا إنما نعتبره واحداً من الثمراتِ الطيبة التي نقدمها لقرائنا عبر مسيرتنا الطويلة. حيث إنَّ أول ما لفتَ انتباهنا وسيلفت انتباه القارئ لهذا الكتاب هو اهتمامه بكثير من الأمور التي أغفلها الكُتّابُ الأخرون وهي التوثيقُ لشخصيةٍ وطنيةٍ فذة كانت مثارَ جدلٍ عبر سنواتِ عطائها الطويل الممتد.

ودارت بخلدنا عشراتُ الأسئلة عن الزوايا التي يتناول منها هذا الكتاب شخصية **(الفاتح بشارة)** الذي كان جندياً، وكان دبلوماسياً، وكان سياسياً، وكان سفيراً، وكان إدارياً، وكان حاكماً. وعندما تصفحنا مخطوطة الكتاب أدركنا أنه لم يترك شاردةً ولا واردة تصبُ في نهر هذا الرجل العظيم. وعلى الفورِ قررنا أن نُشرك معنا قراءنا الأجلاء في الاستمتاعِ بهذا الكتابِ الذي لا نشك في أنه سيفيد كلَّ قارئ يتصفحه سواءٌ كان عسكرياً أو سياسياً أو إدارياً لأنه يتناولُ الكثيرَ من التجارب الجديرة بالاطلاعِ عليها من أبناء هذا الجيل.

ودار المؤتمن عندما تقدم هذا الكتابَ لقرائها إنما تَطمحُ أن تُضيف جديداً للحصيلة المعرفية في مجالين مهمين ومختلفين هما: مجالُ العملِ العسكري الذي برز قبل وبعد استقلال جمهورية السودان الذي تمَّ في عام 1956م، ومجال العمل الإداري التنفيذي الذي أبلى فيه الفريق **(الفاتح بشارة)** بلاءاً منقطع النظير يشير إليه هذا الكتاب باستفاضةٍ من خلال فصوله المتعددة. ومن خلال تصفح هذا الكتاب سيجد القارئُ سرداً دقيقاً لما دار بين أروقة الجيشِ السوداني إبَّان تولي **(الفاتح بشارة)** لأهم المناصب فيه، كما يجد تجوالاً دقيقاً بين أروقة القصر الجمهوري عندما كان **(الفاتح بشارة)** أحد دهاقنة العملِ فيه، وحديثاً عن إقليم

كردفان عندما كان **(الفاتح بشارة)** حاكمه وقائده السياسي لسنواتٍ عديدة هي من أهم سنواتِ تاريخ كردفان الإداري والسياسي. كما يجدُ القارئ حديثاً ذا أهمية خاصة عن العمل الدبلوماسي الذي لعبَ فيه **(الفاتح بشارة)** دوراً مُقدراً طوال عمله كسفيرٍ وكممثلٍ للسودان في أهم الدول والمنظمات التي سَيَرِدُ تفصيلُها بين ثنايا الكتاب.

وفي الختام نرجو أن يثير هذا الكتاب ما يستحقه من الاهتمام والتقدير والنقاشٍ بين القراء والأصدقاء ورفقاء السلاح وكل المهتمين بشأن السياسة والتأريخ لصناع الحياة فضلاً عن أصدقاء وتلاميذ وأهل الراحل العظيم (الفاتح بشارة) المنتشرين في كل ربوع الدنيا. وحتماً سيجدون فيه حديثاً ممتعاً ومرجعاً مفيداً بإذن الله تعالى.

دار المؤتمن

للنشر والطباعة والتأليف

❖

كلمة الأسرة

❄❄❄❄❄

عزيزي القارئ قبل أن ندلف إلى ثنايا هذا السفر الكبير المتعدد المجالات لا بد أن نجيب على السؤال المهم وهو لماذا هذا الكتاب؟ لقد طلب الأستاذ د. عوض إبراهيم عوض من الراحل المقيم قبل وفاته بأسبوع واحد أن يسمح له بتأليف كتاب يوثق لحياته ومسيرته الطويلة الحافلة بالإنجازات الوطنية. ووافق الفقيد الراحل بقوله: «**يا دكتور عوض أنت مني وإليَّ، وأنت مثل إبني محمد هذا تماماً. وأنا أعتز وأفخر بك لطموحك المدروس وعصاميتك ووفائك النبيل. ولهذا فأنا موافق على طلبك يا دكتور بكل سرور. وسوف تجد ما يعينك وما تطلبه من وثائق محفوظة عند إبني محمد، وهذا أمرٌ وتوجيهٌ مباشرٌ مني له بأن يكون سنداً لك في كل ما تحتاجه من معلومات ووثائق تخصني لتساعدك في هذا الكتاب حتى يرى النور**».

وهنا تدخل د. عوض قائلاً: «**يا سيادة الفريق أنا أرغب أيضاً في حديث مباشر من فاهكم**»، فرد الفريق بإيمائةٍ وابتسامة كأنه يقول: «**وهل ترى أن في العمر بقية!؟**». قالها الوالد العزيز وكأنه كان يستشعر دنو الأجل المحتوم. وبالفعل لم يَمُرْ سوى أسبوع واحد من تلك الجلسة حتى فارق الحياة ورحل إلى رحاب ربه الرحيم. وكان ذلك في صبيحة يوم الجمعة الموافق 14 يوليو عام 2006م بمركز القلب التابع للسلاح الطبي بالخرطوم. وشُيع تشييعاً مهيباً إلى مقابر

فاروق، حيث خف أهل السودان زُرافاتٍ ووحداناً، شيباً وشباباً، رجالاً ونساءاً، يبكون واحداً من أعظم قادة هذه الأمة عبر تاريخها. ومن الأسباب التي دفعتنا لهذا الكتاب قرار وتوصية اللجنة العليا للتأبين التي كلفت بدورها د. عوض بعمل هذا الكتاب.

كما كان هناك أيضاً توجيهٌ من الرئيس الأسبق المشير جعفر محمد نميري بضرورة عمل كتاب يخلد مآثر الفقيد، ويتضمن تلك الكلمات العظيمة التي قالتها النخبة من أصدقائه ومعارفه والقيادات المختلفة التي شاركت في احتفال تأبينه بنادي الضباط الذي يُعتبر أحد منجزاته. وكان الرئيس نميري قد شرف حفل التأبين وسط رهطٍ من قادة السودان على مر الحقب. وكان بحق يوماً مشهوداً وعظيماً كما يتضح من خلال صفحات هذا الكتاب.

وقبل كل هذا وذاك فإن الإنجازات الكبرى والأعمال الجليلة والمواقف الوطنية الشجاعة التي أنجزها الراحل المقيم تقف شاهداً يفرض أن نعطيه حقه ليبرز للأجيال القادمة عبر هذا الكتاب ليكون عرفاناً لما قدمه من إنجاز. حيث كان الراحل قد ترك بصماتٍ واضحة في المجالات العسكرية والدبلوماسية والحكم الإقليمي. كما وضعَ لبناتٍ للوفاء لقادة الوطن الذين سبقوه، حيث وثق لهم وعدد مآثرهم في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

ولكل ما سبق وجدت أسرة الراحل المقيم أنها ملتزمة تماماً بإنفاذ الوصية بالتمهيد والإعداد وتقديم المعلومات من أجل التوثيق لشخصيته الفذة عبر هذا الكتاب. ونحن كلنا ثقة في أن الفريق قد ترك مدرسةً للأجيال في فن الإدارة والقيادة قوامها الوطنية الحقة وتراكم الخبرات والانضباط التام والشفافية والنزاهة. ولذا فإننا

كأسرة قد باركنا هذا الكتاب وننتظر بروزه ليُعرف الأجيال عن واحدٍ من أهم قيادات هذا الوطن الشامخ بإذن الله، والله ولي التوفيق.

أسرة الراحل الفريق الفاتح بشارة

عنهم ابنه محمد الفاتح بشارة [1]

ᘯ❖ᘯ

[1] محمد الفاتح بشارة النجل الثالث لوالده حاصل على بكالريوس حقوق تخصص علاقات دولية من المغرب وماجستير علوم سياسية من مصر ويعمل بتجارة الأدوات المكتبية. وتربطه علاقة مصاهرة مع أسرة الرئيس نميري، وقد أطلق على ابنته اسم بثينة تيمنا بالسيدة الفضلى بثينة خليل حرم الرئيس نميري لأنها تُعتبر بمثابة حفيدتها. وهو من شباب تحالف قوى الشعب العاملة الذين عملوا مع الرئيس نميري بعد عودته من المنفى. وقد عينه الرئيس الراحل نميري عضوا باللجنة المركزية بحكم أنه كان من المقربين جداً منه إلى أن توفى الرئيس الراحل جعفر نميري رحمه الله.

مقدمة

بقلم محمد يوسف الدقير

وزير الثقافة والإعلام والسياحة بولاية الخرطوم

❋❋❋❋❋

ما كنتُ أحسب أن اليراع لن يطاوعني، ولا يسيل مداده تقريظاً لهذا الِسفر القيم الذي أعتبره إضافةً حقيقيةً إلى علم التراجم وسير النبلاء عن شخصية تستحقُ بالفعل أن نقرأ عنها. وقد علمتنا الحياةُ أن كل إنسانٍ يأتي إلى هذه الدنيا صارخاً ويغادرها مبكياً عليه. وكثير من الناس تنقضي حياتهم ما بين الصرخة والبكاء فيغادرون الدنيا ولا تسمع لهم همساً ولا رِكزا. ومنهم من يملؤها حركةً ونشاطاً ويضع فيها بصماتٍ يذكرها معاصروه. وتبقى مجردَ ذكرياتٍ في أكناف ذكرى تتناقلها الأجيال فتعتبر عصارة تجارب رجالٍ أفذاذٍ وخبراتٍ لا يجدونها في قاعات الدرس ولا بين أوراق المناهج، ومنهم الشخصيةُ التي هي موضوع هذا الكتاب العظيم.

ولا شك أن الكتابة عن رجل في قامة الفريق **(الفاتح بشارة)** ليست أمراً سَهلاً. وليس من السهل أن تتناول سيرة إنسان تماهت فيه عدة شخصيات ليصبح أمة من الناس. الفريق **(الفاتح بشارة)** كان بحكم تكوينه ومهنته التي نشأ فيها عسكرياً ذا مواهب متعددة في فنون القيادة والإداراة بمستوى من الكفاءة العالية عُرفت عنه. وقد تحدث عنها ووثق لها عدد من زملائه وأقرانه في مناسبات عديدة.

وكان سفيراً جعل من الدبلوماسية صلةً إنسانيةً وتواصلاً اجتماعياً لا ينقطع. وجاد ذلك كلُه بالخير والنفع على البلاد والعباد. ثم أصبح حاكماً لإقليم كردفان فتجلت إبداعاته الإدارية، وجعل للحكم هيبةً، وخلَّف من المآثر والإنجازات ما يذكره أهل الفضل إلى يوم الناس هذا ويجده القارئ موثقاً بين صفحات هذا الكتاب.

الفريق **(الفاتح بشارة)** كان رجلاً موسوعي المعرفة، وقارئاً من الطراز الأول، يحفظ عيون الشعر العربي الفصيح، ويُجيد الحديث باللغتين العربية والإنجليزية. وكان لا يستنكف أن يسأل عن أية معلومة تغيب عنه. بل وفي الخطابات الجماهيرية التي كُنا نُعدها له ومعي الزميلان العزيزان **(عبد الله إدريس)** و**(علي جمَّاع عبد الله)** كان يجلس ويقرأ الخطاب ونُراجعه سوياً من حيث اللغة والصياغة والمفردات ثم يخرج لقراءته على الملأ. ولم يكن ذلك إلا لأنه يحب الإتقان والانضباط في كل شئ.

ومن أول ما استهل به عمله كحاكمٍ لكردفان كان التركيز على مسألة المواعيد وعدم إهدار الوقت، حيث استفاد من خبراته السابقة. واعتمد أسلوب العمل وفق منهجية المراسم التي استحدث لها إدارةً قائمةً بذاتها. وعرف الناسُ لأول مرة كشف المراسم (أ) و (ب)، وعرفوا كيف يصطفون لاستقبال ضيوفهم، ثم عرفوا طريقة الإجلاس وغيرها مما لم يتآلف معه بعضهم في البداية ولكنهم سرعان ما أدركوا فوائده فأستحسنوه وواظبوا عليه بكل العشق والمحبة. وكانت حكمته الراتبة هي: **(أعقِلها وتوكل)**. فلم يكن يترك شيئاً للصدفة على الإطلاق. كان يراجع كل البرامج والخُطط مراجعه دقيقة من الزاويتين النظرية والعملية، ويضبطها بالدقيقة والثانية. وكنا معه ذات يوم في جولة تفقدية حول أرياف مدينة الأبيض قادته إلى

منطقة غابة شيكان حيث موقعة شيكان التاريخية الخالدة، ولاحظ أن التصحر قد أصاب المنطقة وكادت آثارها التاريخيةُ أن تندثر، فتفتقت قريحته اللماحة عن فكرةٍ عظيمة هي إقامة احتفال بالذكرى المئوية لمعركة شيكان التي ستمر عليها مئة سنة كاملة في عام 1983م.

وبالفعل فقد حشد كل الطاقات وأقام احتفالاً أسطورياً لذكرى معركة شيكان. وأصبح ذلك اليوم مشهوداً ومحسوباً من أيام كردفان الخالدة على مر التاريخ. لقد جاء الرئيس المشير (**جعفر محمد نميري**) لحضور ذلك الاحتفال في مقر الموقعة ذاته وفي معيته مئاتٌ من الشخصيات المرموقة من السودان وخارجه بينهم العلماء، والوزراء، والقادة، والسفراء، والإعلاميون، والمؤرخون، وغيرهم وغيرهم. وقد كُرِّمَ في ذلك اليوم أحفادُ أبطال معركة شيكان من الأحياء والأموات. كما أقيمت الأسوار والنُصب في أرض المعركة ومنها علي سبيل المثال: (**فولة أم مصارين**)، و(**تبلدية البروجي**)، و(**مواقع هجوم الرايات**). ورغم أن التصحر قد أشتد في غابة شيكان إلا أن تلك الآثار التاريخية ظلت محفوظة وواضحة المعالم إلى يومنا هذا يؤمها السُواح والدارسون من كل مكان بفضل ما قام به الراحل العظيم الفاتح بشارة.

ولعل القارئ يجد في صفحات هذا الكتاب معلومات دقيقة عن كل هذه الأحداث، وكيف أن الفريق (**الفاتح بشارة**) قد أعاد للإدارة الأهلية هيبتها وفاعليتها بعد طول غياب. إلا أنه أعادها في ثوبٍ جديد يختلف عما كانت عليه في الماضي، وذلك من خلال قانون سد الفراغ الإداري، والإدارة الذاتية المحلية. وجعل لها مسمياتٍ وقوانينَ ساعدتها على إعانة السلطات التنفيذية المحلية في أداء

مهامها في حفظ الأمن بين القبائل، وفض النزاعات حال حدوثها، ووأد الفتن وفق الأعراف والتقاليد المرعية حتى لا تتجدد مرةً أخرى. ومن زاوية أخرى كانت الطرق في السودان عموماً وعرةً ويصعب معها الاتصال بين أطراف المدن لاسيما في كردفان التي أصبح (**الفاتح بشارة**) حاكماً لها. وعلى الفور استجلبَ بحنكته أربعين محطة لاسلكي ربط بها كل أطراف الإقليم من أبيي جنوباً حتى سودرى شمالاً، ومن المجلد غرباً حتى مدينة رشاد شرقاً.

ثم إنه كان أول من أنشأ إذاعة إقليمية بالسودان استخدم فيها جهاز إرسال محمول على سيارة كومر أخذها من سلاح الإشارة بالخرطوم وأجرى عليها بعض التعديلات، فكان بثها يُغطي مدينة الأبيض وما حولها. وسيجد القارئ تفصيلاً وافياً لنشأة هذه الإذاعة بين سطور هذا الكتاب. وعندما مرت مدينةُ الأبيض بأزمة خانقة في الكهرباء أشار إليه وزير الطاقة وقتها الدكتور (شريف التهامي) بأن لديهم وابوراً ضخماً في بورتسودان يمكن أن يُخصص للأبيض شريطة أن تتكفل حكومة الإقليم بترحيله.

وما كان من الفاتح إلا أن أمر بترحيله بعملية عسكرية أوكل أمرها للعميد (**محمد المأمون**) الشهير بود المأمون. وكانت الجرارات الثقيلة والبلدوزرات تتقدم الوابور لتفتح أمامه الطريق وتزيل الأشجار حتى وصل إلى مدينة الأبيض. وبما يُشبه الإعجاز أنشأ مسرح عروس الرمال في زمن لم يتجاوز الشهرين بإشراف مباشر منه. حيث تم تنفيذ المشروع بواسطة فريق عمل قاده المهندس المرحوم (**عوض عابدين**). وفي واقع الأمر سيجد القارئ كثيراً من الإنجازات التي تحققت في عهد الفريق بشارة وتنوعت خاصه في مجال القوانين واللوائح وإدارة القرارات والمتابعة التي

تساعد على ضبط الإيقاع وتماسك الأداء. وفوق هذا كله فقد كان **(الفاتح بشارة)** إنساناً بكل ماتحمل هذه الكلمة من معاني. وكان وفياً لأبعد الحدود، حيث رأينا دموعه الغزار مراتٍ ومرات وهي تسيل لموقف مؤثر قبل أن يسارع إلى تضميد جراح صاحبه، ولكثرة هذه المواقف فليس من السهل ذكرها في هذا المقام.

وطوال سنوات عملي معه كمدير لمكتبه التنفيذي لم أقرأ في تعليقاته كلمة (تصدق) لأي شخص، بل كان يُحيل كل الطلبات التي تأتي إليه إلى جهات الاختصاص. وحقاً لقد كانت قيم العدالة والمساواة والنزاهة راسخة في وجدان الفريق الفاتح بشارة، وقد تجلت بشكلٍ واضح في واقعتين أولاهما عندما حَظَرَ اسم أخيه رجل الأعمال من الدخول في أى عطاء أو مناقصة داخل إقليم كردفان طالما هو حاكمٌ له. والثانية توبيخه الشديد وإبعاده في ظرف 12 ساعة لأحد مُديري أمن الإقليم من إقليم كردفان بسبب اعتدائه على أحد موظفي شركة سودانير للخطوط الجوية.

لقد كان **(الفاتح بشارة)** معجباً لأبعد الحدود بشخصية الرئيس الراحل الفريق **(إبراهيم عبود)** رحمه الله، حيث كان مديراً لمكتبه. وذكر لي ذات يومٍ بأنه تعلم منه الإتقان والانضباط والدقة والالتزام الصارم بالقوانين والمواعيد. وفي إحدى زياراتي له قبل وفاته رحمه الله ذكر لي أن أحد الولاة الذين تم تعيينهم بولاية شمال كردفان قد جاءه زائراً إثر نصيحةٍ تلقاها من الرئيس المشير **(عمر حسن أحمد البشير)** بعد أدائه للقسم مباشرةً حيث طلب منه الرئيس أن يبحث عن **(الفاتح بشارة)** في أي مكان ويجلس معه ليتعلم من تجربته في إدارة إقليم كردفان ويستعين

بها. والحديث عن الفريق **(الفاتح بشارة)** ذو شجون، ولكن أرجو أن يكون في هذا الكتاب (القيم) شذراتٍ من حديقته الوارفة، ومعالم من تجاربه الثرة وخبراته المتراكمة في شتى مجالات الحياة الواسعة. فأمثاله لا يغادرون الحياة ولكن تمتد بأعمالهم وإنجازاتهم حياةٌ أخرى تكون عنواناً لهذا العطاء النبيل. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

محمد يوسف الدقير

جمادي الثانية 1435هـ

12 أبريل 2014م

بسم ا لله الرحمن الرحيم

❄❄❄❄❄

استهلال

مـرت الأيام مُـثقلاتٍ بالفـرحِ تارةً وبالأتـراحِ تارةً أخـرى. واسـتدعاني صديقُ قديمٌ لزيارته بمنزله العامر بمدينة الخرطوم بحري فركبتُ سيارتي وتوجهتُ نحو منزله لأتناولَ طعام الغداء. كان الحرُ شديداً والطريقُ مزدحماً. وبينما أنا في الطريق إذا بهاتف السيارةِ يرن. وسمعتُ من الطرف الآخر صوت زميلي وصديقي عبد العظيم عوض نائب مدير الإذاعة ليقول لي: «**يا عوض ياخي البركة فيكم ولله ما أعطى ولله ما أخذ في فقيدنا العظيم**». وسألته وأنا في غاية الانزعاج مَنْ الذي تُوفي يا عبد العظيم؟ وأجابني والدهشة تعقدُ لسانه: «**ألم تسمع بوفاة (الفاتح بشارة) يا عوض؟؟!!**»

أظلمت الدنيا في ناظري، ولم يطاوعني لساني حتى لمجرد أن أسأله عن حقيقة هذا النبأ الفاجعة الذي ما تهيأتُ لسماعه يوماً في حياتي. وبدون أي تفكيرٍ أو تدبير وجدتُ الدموعَ تنهمرُ في وجهي، ووجدتني أغير اتجاه السيارة من مسارها الذي كنتُ فيه نحو المجهول. لقد سابقت الريحَ رغم طبيعة الشوارع المكتظة في مثل هذه الساعات.

ودلفتُ نحو المنزل الذي عايشتُ فيه معاني السمو ومعاني الحياة ومعاني النبل والأصالة والمحبة على مر السنين. عشقته لأنني عشتُ به أنبل وأجمل الذكريات مع مَنْ رحلَ دونَ سابقِ إنذار. ولم أتمالك النفسَ وأنا أجترُ عشراتِ الذكرياتِ مع

واحدٍ من أعز رجال السودان وأفضل المربين وأعز الأصدقاء الذين عرفتهم طوال سنوات عمري. لم أجد منه طَوالَ سنواتِ صداقتنا غيرَ الوفاء، والدهاء، وعزة النفس، وصلابة المواقف، ورجاحة العقل، وحب الوطن. وبعد لحظاتٍ وجدتُ نفسي وسط مئاتِ المعزين الذي فُجعوا كما فُجعتُ. وانهمرَ المطرُ دونَ سابقِ إنذار وكأنما أرادت السماء أن تُعزي مثلنا أولئك المئاتِ الذين تقاطروا إلى سرادق العزاء من كل بقاع الوطن شمالِه وجنوبه وشرقه وغربه.

وسط ذلك المطر الكثيف والحُزن الأليم وقفت سيارةٌ أمام السرادق وكنتُ أقربَ الناسِ إليها بحكم مجلسي في بداية سرادق العزاء الطويل، وتفحصتُ في الذي ينزل منها فإذا هو المشير (**عمر حسن البشير**) رئيس الجمهورية. جاء حزيناً ومفطور القلب ليعزي في أحد أساتذته الذين نهل من فيضهم علم العسكرية والانضباط والوطنية التي كانت أبسطَ سماته في ذلك الزمان الجميل.

ورفضَ الرئيسُ رفضَاً باتاً أن يرحلَ إلى صالون المنزل الداخلي أو أن يجلس داخل الغرف الوثيرة الكثيرة لتحميه من المطر، بل ظلَّ جالساً في ذلك السرادق الحزين يجترُ مع المعزين المكلومين مآثر الراحل العظيم.

ازداد المطر عنفواناً ليزداد معه سيلُ القادمين للعزاء والرئيسُ في مكانه يتقبلُ العزاء مثل الآخرين. امتلأ السرادقُ بكل طوائفِ الوطنِ الكبير، سياسيين، ودبلوماسيين، ووطنيين، وقياداتٍ عسكرية، قُدامى ومحدثين، كباراً وصغاراً، ضُباطاً وجنود. كثيرون منهم عايشوا الفقيد كزملاء مهنة أو تلاميذ، وكثيرون منهم سمعوا عنه من أفواه الآخرين. ولكنهم جميعاً جاءوا ليقدموا واجب الولاء والعرفانِ والوفاء لرجلٍ يستحقُ العزاء. جاء الوزراءُ، والحكامُ، والولاةُ، والسفراءُ، والسياسيون،

والتنفيذيون، والأكاديميون، والتجارُ، والموظفون، والعُمال والكلُ يداري حُزنه خلفَ الثياب والجلابيب والعمائم وربطات العُنُقْ. تحدثوا بمختلف اللغات التي عرفتها رقعة السودانِ الواسعة لأن الفقيد كان بحجم الوطن. كان المشهدُ حزيناً وعظيماً، حيثُ لا يعرفُ أقدار الرجالِ إلا الرجال.

وأثناء تلك اللحظات المؤلماتِ دارتْ بخلدي عَشراتُ الصور والمواقف التي عايشتها مع الفقيد منذُ أن تعارفنا وتآلفنا في زمانٍ أخضر القسماتِ وضَّاء الملامح عندما كان حاكماً لإقليم كردفان. ولكنَّ خيالي توقف عند يومٍ محدد هو أسبوع واحدٌ فقط من هذا اليومِ الذي شهدَ رحيله الأليم.

جئتُ إليه في ذلك اليوم واستقبلني في داخل صالةِ الغُرَفْ الداخلية للمنزل وليس في الصالون الخارجي كما يستقبلُ بقية الضيوف. كان معي صديقي العزيز إبنُه الوفي (**محمد الفاتح بشارة**) الذي ظلَّ يَكِنُ له حباً خاصاً وتقديراً أشدَّ يعرفه كلُ أفرادِ الأسرة.

كان (**الفاتح بشارة**) يجلسُ في ذلك اليوم على كرسي متحرك لم أره يجلسُ عليه في حياتي إلا في ذلك اليوم بحكم أنه قد عادَ لتوه من رحلةِ الاستشفاءِ التي قضاها خارج السودان، وقد طالت هذه المرة بحكم استفحالِ داء القلب اللعين الذي داهمه في سنواته الأخيرة.

جلسَ في قوة الإنسان المؤمن الذي لا يجزع للمرض ولا للملماتِ مهما تكاثرت ومهما كان شكلها. وظل باسماً يرسلُ النكتةَ تلو النكتة وهو يحكي كعادته عن أشياء كثيرة لم يكن بينها على الإطلاق معاناة المرض ولا حدة الألم الذي عايشه لفتراتٍ طويلة، وذلك لأنه لم يضعف في حياته يوماً ولم يَتَحدث عن ذاتِهِ

يوماً. كان يجلسُ على يمينه صديقي العزيز محمد (الفاتح بشارة) وعلى يساره صهرُهُ **(الفريق أول مكي حسن أبو)** مدير عام بوليس السودان الأسبق زوج شقيقته وشقيق د. أبو الذي يُعتبرُ أحد أشهر الأطباء في تاريخ السودان. وقد ظل الفريق أول مكي حسن أبو ملازماً لبيت **(الفاتح بشارة)** طوالَ أيام مرضه الأخير بحكم القرابة والصداقة. جلستُ قبالته أستأنسُ بحديثه العذب الجميل الذي أخذني مع الحاضرين لفترةٍ طويلة كما تعودنا منه ذلك في كل ليالي الأنس الجميلة.

وبعد أن طاف بنا في سماوات الوطن والسياسة ورابطة خريجي خورطقت الثانوية والعديد من شؤون الحياة بادرته بطلبٍ لم أطرحه عليه في يومٍ من الأيام، وقلتُ له: «**سيدي الفاتح أنا أريدُ أن أطرح عليك فكرةٍ ظلتْ تشغلُ عقلي طوال السنوات حتى قبل أن أهاجر إلى بلاد الملايو وهي أنني أريدُ أن أكتبَ كتاباً عن حياتك أسرد فيه كل ما أعرفه وما لا أعرفه عن تاريخك المشحون بالأحداث اسميه (الفاتح بشارة) فما رأيك؟**».

لم أتصور أنه سيرد على بتلك السرعة، وقال لي على الفور: «**يا عوض أنتَ مني وأنا منكَ، إفعل ما تشاء دون أي تردد**». ولم أصدق نفسي لأنني أعلم أنه قد رفضَ هذا الأمر لكثيرٍ من الكُتابِ الذين طلبوا منه نفس الطلب منذُ أن كانَ حاكماً لكردفان الكبرى. وعلى الفور أردفته بعبارةٍ أخرى قائلاً: «**إذن يمكنني أن أبدأ من الآن؟!**»، فقال لي دون تردد مرةً ثانية: «**ما عندك أي مانع يا عوض، والشيء الذي يجب أن تطمئن عليه هو أن صديقك محمد الفاتح هذا يعرف كل أسراري ويدرك كل صغيرة وكبيرة عني وعنده جميع المستندات التي**

آمره الآن أن يضعها بين يديك كاملة». والتفتَ إلى إبنِه محمد قائلاً: «**يا محمد أنت تعرف مكانة عوض عندي، وأنا الآن موافق دون أي تردد أن يكتب عني كتاباً يستعرض فيه ما يشاء. وما عليك إلا أن تساعده بأي معلومات أو صور أو تقارير. وأنتَ تعرف أين تجد كل هذه الأشياء سواءٌ في البيت هنا أو في شقتي بالقاهرة. وهذا مني بمثابة الموافقة النهائية»**.

وأردفت الحديث بقولي: «**طيب سعادتك أنا أريد أن أبدأ على الفور وذلك بإجراء حوارات معك أستوثق فيها عن بعض المعلومات والبقية تأتي من المراجع والاجتهاد والمعلومات التي نستقيها من أفواه الآخرين، فما رأيك؟»**
وهنا فاجأني بابتسامةٍ حزينة تكلمتْ بدل اللسان، وكأنها كانت تقول لي: «**وهل تحسب يا عوض أن في العمرِ بقية؟»**.

حزنت على تلك الإجابة الصامتة التي ما توقعتها ولا تمنيتُها في يومٍ من الأيام. وقبلتُ مرارةَ ذلك الرد الصامت الذي تمنيتُ أن يكونَ لمجرد الدُعابة. واتفقنا أن أجيء إليه في الأسبوع القادم بالمنزل لكي نبدأ العمل الفعلي في تأليف الكتاب. ولكنْ كانتْ مشيئةُ القدر أسرعَ من الموعدِ الذي حددنا له أن يكون في اليومِ التالي لرحيله.

كان النبأ الفاجعة الذي غير ملامحَ الأشياء كلها، ولكنه لم يغير عزيمتينا أنا ومحمد الفاتح في أن ننفذ وصيته التي وعدناه بها قَبْلَ الرحيل. وكان إبنه محمد الفاتح قد أعلن هذا الأمر على الملأ في احتفال التأبين الحاشد الذي جمع كل الأسرة والمعارف والأصدقاء والوطنيين بنادي ضباط قوات الشعب المسلحة حيثُ

قال أمام الجميع ضمن كلمته الضافية: «**إن الوالد العزيز لم يترك غير وصيةٍ واحدةٍ فقط هي موافقته للدكتور عوض إبراهيم عوض أن يكتب عنه كتاباً. وكلفني بالمساعدة في تقديم كل ما يحتاجه من مستنداتٍ ومعلومات تفي بحاجة تأليف هذا الكتاب**».

وهنا لا بد أن اعترف بأن هذا الشرف قد زادني يقيناً بأن أجتهد ما استطعتُ في إخراج هذا الكتاب الذي أعتبره بمثابة التحدي عن شخصٍ أحببتُه وقياديٍّ خَبِرْتُهُ وعرفتُ شخصيته عن قرب. ثم لا بد من الاعتراف بأن اختياري كعضوٍ في اللجنة القومية لتأبينه قد أعطاني دفعةً أكبر في سبيل تأليف هذا الكتاب. وكانت اللجنة قد قررت منذُ البدايةِ أن يكونَ احتفالُ التأبين تحت شعار: **(الوفاء لأهل العطاء)**.

وكانت لجنةُ التأبين قد تكونت من كبار رجالات السودان، حيثُ حرصَ الجميعُ أن تكونَ ذاتَ بُعدٍ قومي حتى تحملَ قيم الراحل الكبير ولا تتسم بأيِ شكلٍ من أشكالِ الجهويةِ أو الحزبيةِ أو الطائفية. ولذا جاء تكوينُها على النحو التالي:

[كمال حمزة الحسن رئيساً، اللواء التجاني آدم الطاهر نائباً للرئيس، وعضوية كل من: نائب رئيس هيئة الأركان إدارة الفريق أول محمد إسماعيل عبد القادر، اللواء جوزيف لاقو، الفريق أول مكي حسن أبو، اللواء مهندس بابكر عبد الرحيم، اللواء الشيخ مصطفى، العميد إبراهيم محجوب، العقيد عمر النور، المقدم ركن عثمان صالح، السيد ميرغني عبد الرحمن الحاج سليمان،

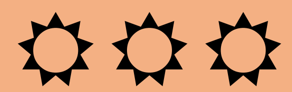
اللواء مهندس بابكر علي التوم، السيد محمد يوسف الدقير، السيد محمد شمينا، السفير الدكتور على يوسف، السيد محمد الفاتح بشارة، السيد طارق مصطفى نوري، السيد الحاج أحمد عبد الحليم، السيد مدثر محمد بشير بشارة، الأستاذة سارة حسن أبو، السيد مدير مكتب متابعة ولاية شمال كردفان، ود. عوض إبراهيم عوض مقرراً للجنة].

وعقدت اللجنة اجتماعاتٍ عديدة قررت من خلالها أن يكون التأبين في أمسية السبت الثاني من شهر سبتمبر 2006م عقب صلاة المغرب مباشرةً، وذلك بالصالة الكبرى بنادي ضباط قوات الشعب المسلحة الذي هو أحد إنجازاتِ الراحل المقيم.

وقامَ حفلُ التأبين الذي كانَ آيةً في الروعة والجمالِ لِيُناسِبَ حقيقةَ وعظمةَ الراحلِ العزيز. كان احتفالاً أشبه بليلة العرس التي تداعى لها الأهل والأصدقاء والمريدون والذين عايشوا عطاء الراحل في مراحله المختلفة. وقد علق كثير من الحاضرين بأن هذا الكرنفال لم يتم من قبل لتأبين أحد سواء في هذا النادي أو في غيره من الأندية التي شهدت الكثير من المناسبات الشبيهة عبر السنوات.

وكان الحفلُ قد اشتمل على معرضٍ عن الفقيد ضم العشرات من الصور بأحجامها المختلفة وتواريخها المختلفة التي حكت عن مسيرة حياته ومنجزاته العديدة. وكذلك كان الاحتفالُ ساحةً للكلمات والقصائد الشعرية التي تضمنت في مجملها سرداً وافياً لتاريخه الحافل بالمنجزات تبارى في تقديمها كوكبةٌ من زُملائه وأصدقائه وتلاميذه والمقربين من الأهل والعشيرة. وفي ذلك التأبين أيضاً أعلنَتْ

اللجنـةُ موافقتَهـا علـى إصـدار هـذا الكتـاب الـذي آلَ الجميـعُ علـى أنفسـهم أن يدعموه بكلِ ما لديهم من معلوماتٍ وجُهدٍ وغيرِ ذلك مما قد يحتاجُ إليه. ومن ضمنِ الـذين ركزوا بشـدة على أهمية هـذا الكتـاب (**المشـير جعفر نميري**) رئيس الجمهورية الأسبق الذي حضرَ الاحتفال من بدايته.



الفصل الأول

❄❄❄❄❄

هذا هو
الفاتح بشارة

الفصل الأول

﴿هذا هو الفاتح بشارة﴾

◆◆◆

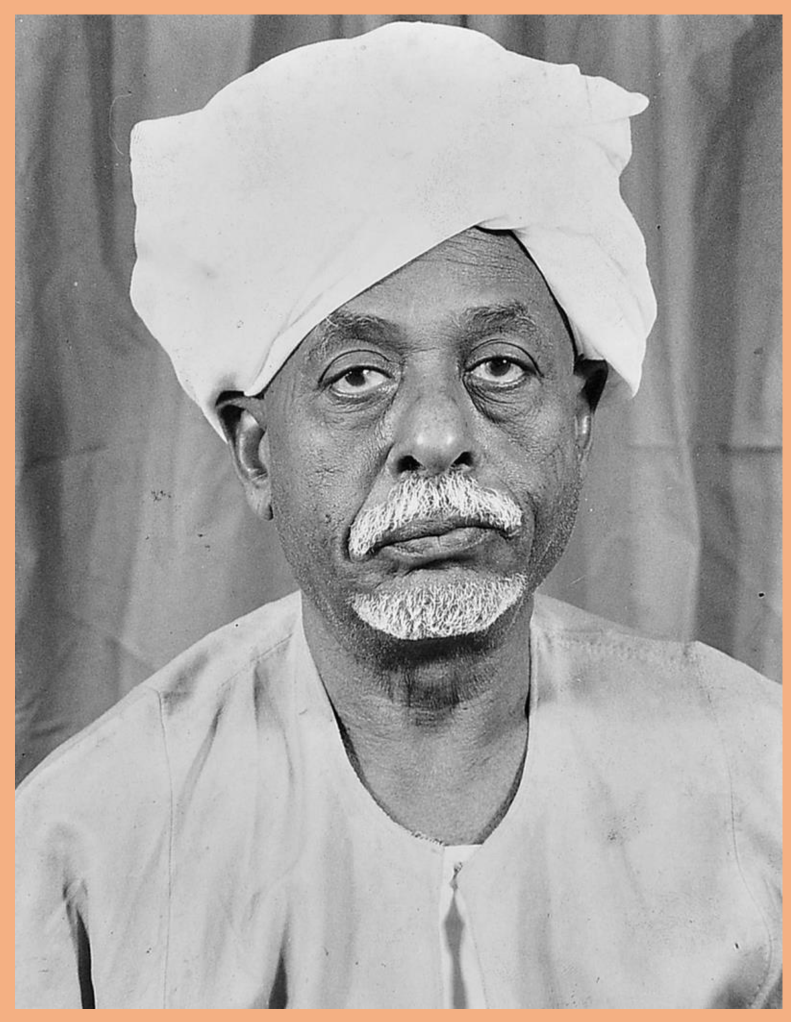
النشأة، والصبا، والتكوين

قد يسأل سائلٌ لماذا كل هذا الاهتمام بشخصية الفريق (**الفاتح بشارة**) دون أقرانه الآخرين من العسكريين والقادة السياسيين والدبلوماسيين الذين أعطوا كثيراً لهذا الوطن ولم يبخلوا؟! والإجابة بالطبع تأتي بتفاصيل دقيقة وكثيرة ضمن صفحات هذا الكتاب المختلفة، ولكن رأينا في هذا الفصل أن نعطي إشاراتٍ سريعة عن هذه الشخصية قبل الخوض في التفاصيل

وُلد (الفاتح بشارة) في مدينة (**الأبيض**) حاضرة (**مديرية كردفان**) الكبرى لوالده الشيخ الوقور (**محمد بشير بشارة**) الذي ينحدر من أسرة بسيطة تنتمي إلى قبيلة (**البديرية الدهمشية**). وقد سماه والده (**الفاتح**) تيمنا بقريبه رجل الدين الورع وصاحب المآثر المعروفة فضيلة الشيخ (**الفاتح البدوي**) [2]

---

[2] هذه المعلومات مأخوذة من كلمة الأستاذة (**سارة مكي حسن أبو**) التي ألقتها ضمن احتفال التأبين الذي أقيم للراحل المقيم بنادي ضباط قوات الشعب المسلحة في يوم 2006/9/2م. وسترد تفاصيل هذا الاحتفال كاملةً في الفصل الأخير من هذا الكتاب. وسارة هي بنت أخت الفريق الفاتح بشارة، وهي من الناشطات في العمل النسوي والاجتماعي والفكري بالسودان. ولها العديد من الإسهامات الراسخة في كل قنوات الإعلام السوداني.



صورة والد الفاتح بشارة الحاج محمد بشير بشارة

وأمه هي الحاجة (**خديجة بت عبد المجيد**)، وهي محسية الأصل. وكان يحلو لها دائماً أن تقول: «**أنا بت عبد المجيد عبد الكريم علي إدريس الأرباب المحسي الما كضاب وحات سيدي الحسن راجل كسلا**». وشاءت الصدف أن

يولد الفاتح في اليوم الأول من شهر يناير عام 1932م (1932/1/1م) وهي شهادة ميلاد أصلية وليست شهادة تسنين كالتي عُرف بها السودانيون والتي تُعطي كل سوداني تاريخ ميلاد هو يوم واحد شهر واحد.

والفاتح بشارة وحيدٌ لدى أمه، وله شقيقتان هما: **(نفيسة بشارة)** التي تزوجها **(مكي حسن أبو)**، و**(روضة بشارة)** التي أصبحت وزيرةً في عهد مايو. ولما كان ديدن الأسر السودانية كثرة الأهل والعشيرة فقد حباه الله بإخوة وأخوات لأب منهم: الأستاذة **(مريم بشارة)** ناظرة مدرسة الحميراء المتوسطة للبنات بالأبيض الأولى على جميع مدارس كردفان. وكذلك الأخوات **(لولا)**، و**(سمية)**، و**(نعمات)**. أما الذكور فهم ستة إلى جانب سابعهم الفاتح، وهم: **(أحمد)**، و**(إسماعيل)**، و**(بشير)**، و**(فيصل)**، و**(تجاني)**، و**(مدثر)**. والفاتح هو واسطة العقد بينهم. وظل كذلك طوال حياته العامرة يحب الوسطية.

وجدته لأمه هي المرحومة الحاجة **(عائشة أحمد ود خيري)**. وهي مزيجٌ من قبائل دار حامد والمغاربة سكان الصحراء البدو. وقد كانت صاحبة متجر معروف بسوق العوين بالأبيض الذي يُسمى **(سوق أبو جهل)**. ولها مزارع حيثُ كان الناسُ يُطلقون على الزرع اسم **(البلاد)** فيقولُ الإنسان أنا ذاهبٌ إلى بلادي يقصد مزرعتي. وعمةُ والده هي الحاجة **(الجنة بت بشارة)** جدة الزعيم **(إسماعيل الأزهري)** لأبيه. وله صلة قرابةٍ بالشيخ **(إسماعيل الولي)** ذلك الشيخ الصالح والمشهور بكردفان. ولعبت الأقدار أن يكون مسؤولاً وهوة في ميعة الصبا، وذلك عندما نجحت شقيقاته في المدارس الأولية وحصلن على البندرية في الدراسة، ولما لم

تكن إذ ذاك مدرسة وسطى للبنات في الأبيض أبى والده المرحوم محمد بشير بشارة إلا أن يواصل تعليم بناته، فأرسلهن في طلب العلم إلى مدينة أمدرمان. وقاد الفاتح سربهن من نجاحٍ إلى نجاح.

وكانت شقيقته (**نفيسة بشارة**) هي أول كردفانية تدخل مدرسة ثانوية للبنات، حيثُ تلتها زميلاتها (**أم الحسين عمر**)، و(**خديجه حسين**)، و(**مريم بشارة**)، و(**روضة بشارة**). وكان (**الفاتح بشارة**) يرافق كل هذه المجموعة جيئةً وذهاباً من الأبيض إلى أمدرمان ويوزعهن على داخلياتهن واحدةً واحدة. ويأخذهنَ في عُطلةِ نهاية الأسبوع إلى بيوتِ الأهل والأقارب، مراعياً في ذلك تقاليد الأسر وقوانينها الصارمة تجاه البنات. وهي مسؤوليةٌ جسيمة وليست بالسهلة. ولذلك السبب درسَ الفاتح بمدارس الخرطوم مُستصحباً معه طوال تلك الفترة فكرة تعليم البنات.

وعندما تم ترشيح شقيقته (**روضة بشارة**) للدراسة بالجامعة الأمريكية في بيروت لم يتوانَ قط في الوقوف معها داعماً ومؤازراً لها حتى أتته بما أثلج صدره لأنه كان يحب الصدارة والتميز. وصارت فيما بعد أول أمينةٍ للمرأة بالاتحاد الاشتراكي السوداني إبَّان فترة الرئيس جعفر محمد نميري. وكان (**الفاتح بشارة**) باراً بوالديه، ولم يفارقهما حتى واراهما الثرى. كما كان باراً ببقيةِ أفراد أسرته الذين شملهم بعطفه وحنانه. وكان مخلصاً لكل من ينتمي إليه بصلة الرحم. وفي صباه الباكر أدخله والده إلى الخلوة وهي تُسمى (**خلوة مكي شنتوت**) بمدينة الأبيض. وحفظ القرآن الكريم بخلوة الشيخ مكي شنتوت بحي القبة بالأبيض. وبعد الخلوة بدأ تعليمه النظامي فانتقل إلى مدرسة الخرطوم الأميرية الوسطى، وبعدها التحق بمدرسة حنتوب الثانوية

فدرس بها السنة الأولى ثانوي وكان ذلك في عام 1949م، ثم انتقل لمدرسة خورطقت الثانوية.

الفاتح في خورطقت الثانوية

انتقل (**الفاتح بشارة**) إلى مدرسة خورطقت الثانوية من حنتوب ليدرس بها السنة الثانية والسنة الثالثة ثانوي، وكان ذلك عام 1950-1952م. وقد اختصر السنة الرابعة لأنه قُبل في الكلية الحربية من السنة الثالثة الدفعة الخامسة، وذلك في عام 1952م. كان (**الفاتح بشارة**) متميزاً ومتفوقاً في جميع مراحله الدراسية، ولذلك اختصر تلك السنة الدراسية الكاملة بمدرسة خورطقت الثانوية. حيث أنه قُبِلَ بالكلية الحربية قَبْلَ أن يُكملَ الدراسة الثانوية التي كانت مدتها القانونية أربع سنوات. وعمل (**الفاتح بشارة**) رئيساً لرابطة خريجي خورطقت الثانوية لأكثر من خمسين عاماً متصلة.

وكانت له علاقاتٌ واسعةٌ قلَّ أن يتحلى بها شابٌ في مثل سنه. وقد لازمته هذه السمة لسنوات طويلة بدأت مع أيام دراسته الأولى في خور طقت واستمرت معه عبر السنوات. وكلما سأله إنسان عن سر هذه الغزارة في الأصدقاء كان يرد بأن الإنسان هو أغلى ما في الوجود، ولذلك فالغني هو من ادخر لنفسه حب الناس، والفقير هو الذي يعيش هائماً لوحده بدون رصيدٍ من المحبة أو رصيدٍ من العطاء أو رصيدٍ من الصداقة. ولعل هذا هو السر في أن أصدقاءه هم الذين تداعوا لتأبينه بعد الرحيل. وفي مجال التعريف بالفاتح بشارة أيام خورطقت وما

تلاها نفرد المساحة التالية من هذا الكتاب لما كتبه صديقه الدكتور (**موسى عبد الله حامد**)، في كتابه: (**ثلاثية خورطقت**) حينما وصف الطالب (الفاتح بشارة) أيام الدراسة وهو يتجاوز طور الطفولة إلى سن الشباب عندما كان تلميذاً في مدرسة خورطقت الثانوية. ونحسب أنه وصفٌ دقيقٌ وبديعٌ طغت عليه روح الفن والأدب والبلاغة، حتى أن (**الفاتح بشارة**) نفسه قد كان فخوراً بهذه الجزئية عنه في كتاب الثلاثية. وقد أهدى لي منه نسخةً أيام احتفالات اليوبيل. ولذلك رأيتُ أن أقتطف هذا الجزء من الكتاب عن الطالب (الفاتح بشارة) أيام خورطقت [3].

كان (**الفاتح بشارة**) أحد تلاميذ الدفعة الأولى، قوى البنية، مفتول الساعدين، لعله كان أحسن من كثير من أقرانه. أوتي بسطة في الجسم موفورة، ونبرة في الصوت آمرة، وشيئاً من المهابة يستتبع التقدير دون أن يبعده عن وجدان رفاقه بحال. فيه وداعة أصيلة أدركها كل أقرانه بعد حين. وإن جالت بخواطر كثير منهم بادئ ذي بدء أنها لم تكن سوي مهر زهيد لبسط الهيمنة على الناس. غير أنه أبان عن حقيقة أصالة هذه الوداعة في ما ظل يطرأ على تلك البقعة من أحداث.

كان (**الفاتح بشارة**) إذا ما نشب عراكٌ بين ثلة وثلة من التلاميذ في خورطقت فهو الوحيد الذي يُطلبُ لاحتواء الفتنة وتتبع آثارها بالمحو والإذهاب. ولو أنه انحاز إلى فئة دون أخرى لتفاقمت الأمور ولعز المجيء إلى كلمة سواء بين المتدابرين. فهو صقر من عتاة البوازي دون ريب، وإن كان من بين الفتية بواز أخرى ونسور. وقد منحته أسراب الحمائم هذه المكانة (الصقرية) العالية عن قناعة

[3] د. موسى عبد الله حامد، ثلاثية خورطقت.

أوحت لها بها بسطة جسمه وظاهر قواه. ولو ضنت عليه بها الحمائم لما غير ذلك من حقائق الأمور، فالحق أبلج وإنْ تعامى عنه المتعامون، والبأس ماثل وإن تراخت قبضته فأنكر حقيقته المنكرون.

ولما كانت الوداعة بعض خلائقه وهي أصيلةٌ فيه فقد بوأه شبه الإجماع الحمائمي ذروة طليعة الصقور. فقرت عينه بذلك، رغم علمه بخروج البعض من كلا المعسكرين عن هذا الجماع خروجا يمكن إن لم يعالجه بالحكمة والكلمة الطيبة أن يحدث آثاراً بعيدة المدى في موازين القوى ومن ثم السلام. فمن **(الصقور)** الموازية من كان يغبطه على هذه المكانة الرفيعة، لا حسدا من عند أنفسهم، ولكن انسياقا مع رؤية النفس القائلة لصاحبها **(يا دنيا ما فيك إلا أنا)** واعتدادا من المقدرات الجسمانية الذاتية التي قد تورث البطر والأشر والغرور.

ومن الحمائم من كان يستنكر هذا التقسيم القائم على معايير البنية الجسدية (Seniority by weight)، ويرى في أثوابه أسداً هصوراً فلا يحفل بما يوحيه مظهر الرجل الطرير إلى الناس. وعلى كل حال فقد تمكنت مواهب الفاتح الدبلوماسية المبكرة من أرضاء هؤلاء وأولئك، وما هي إلا فترة وجيزة حتى انعقد له لواء الريادة بين الصقور والحمائم على السواء. ومع أنه كان يتميز من بين جميع الصقور بوداعة مطبوعة إلا أنه أبان أيضاً حيلة واسعة ودهاء خبير بعواقب الأمور. وهو قد أحسن استخدام هذه الملكات في فض اغلب النزاعات التي كانت تنشب بين الفتية الصغار. وساعده انتماؤه المزدوج – فهو من أبناء كردفان والبحر أيضاً – على الظفر بهذا القبول العريض الذي وطأ له الأكناف في نفوس زملائه على اختلاف منابتهم وأصولهم وأماكن إقامتهم الأسرية، وعزز من هذا القبول الذي تهيأ

له في قلوب زملائه ذلك العزوف الصادق الذي كان يبديه في الخوض في النزاعات انتصاراً لفئة على غريمتها أو ممالأة لمجموعة دون غيرها. فقد كان حياده خالصا وهادفا، تمليه عليه رغبته في بسط الأمن الشامل بين الناس، وتلهمه إياه خلائقه التي من بعضها المسالمة ومن أغلاها وأعلاها كف اللسان وسائر الجوارح عن السوء والأذى.

إنَّ الشُجَاعَ هو الجبانُ عنِ الأذى　　　وأرى الجريءَ على الشُرورِ جَباناً

ولذلك أحبه زملاؤه، لأنه كان صقراً في ما بدت عليه هيئة الجسم، وحمامة سلام في ما انطوى الضمير. ولذات السبب أطلق عليه بعض أولاد كردفان لقب (راجل الرجال) بمعنى بطل الأبطال امتداحا فيما يظهر لقوة الخلقة الظاهرة، ونماءً مستترا يلوح من خلف العبارة على خلائقه السمحة التي تسعفه دوما بالقدرة على إنهاء المنازعات وتقريب المسافات بين الرفقاء، وإحلال السلام والوئام بينهم مكان الملاحاة والخصام.

وعلى الرغم من التغيير الذي يدل على الإعجاب والتقدير، والذي هو أيضاً دالٌ على بداوة من أطلقوه عليه ومنبئٌ عن طائفة من القيم والمعاني التي شكلت طرفا من ثقافتهم الوصفية فقد كان فريقٌ من الأولاد يطلقون عليه اسم التدليل (**تُوحة**)، في إشارة بينة إلى تلك الوداعة التي كانت بعضَ خلائقه. وفي إعلان صريح لتلك البيئة المتنوعة المتآلفة من أن الثقافات المتباينة يمكنها التعايش في وفاق وتواد وإن تباعدت أطرافها وتأرجحت بين خشونة الكلمة ورث المحتوى

من جهة، وبين نعومة الكلمة وجدية المقصد من جهة أخرى. وقد بلغ من شعبية الفاتح بين زملائه أنهم كانوا يأتمنونه على إصدار الفتاوى في ما يشكل عليهم من أمور التعامل مع المنازعات، ويرتضونه قاضيا يحكم بين الفرقاء، وحَكماً عدلاً يمهد الطريق لمسيرة التصالح والوفاق بعد النظر في القضية وإصدار القرار. وزاد من شعبيته أنه كان قادراً على أرضاء الفريقين، ونافذاً في بيانه وتعاطفه إلى قرارة أنفس المتخاصمين.

قَاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عَنَّ لهُ   رَأىٌ يُخَلِّصُ بينَ الماءِ واللبَنِ

فإذا أفتى في أمرٍ ووجد القبول أسعده ذلك سعادة ظاهرة وأرضاهُ، وطفق من شدة فرحه يقهقه قهقهته المعهودة بذلك الصوت الرعدي الذي يجلجل بقوة لا تخفى بين طياتها حقيقة مشاعره السمحة. لكنَّ الفاتح كان يبدو في أول الأمر مهموما مثقل الخواطر وهو يهيئ الظروف لكي يقضي بين الفرقاء، فإذا قلب الأمور من كل جوانبها هدى في نهاية الأمر إلى الصواب.

ثم صَدَعَ به في ثقةٍ ورباطةِ جأش. فإذا آنَس من مستمعيه رضا وقبولا لما قضى به تمتلكه الغبطة الظاهرة، وطفقتْ تتمشى على جبينه بِشراً وانشراحاً، واستدعى ضحكاته القوية المجلجلة فواتته تِباعا مثلَ قرعِ الطبول، حتى يخنس من يُفاجأ بذلك من مستمعيه حتى إذا كان شارد اللبِ قليلا. لقد امتاز الفاتح بهذه الضحكات المفرقعة التي تفاجئ الغافل عنها فتربكه أو تخلعه، لكن سرعان ما يلامس مشاعره من وراء تلك الفرقعات المدوية سَلسالٌ من الوداد الصافي والمودات

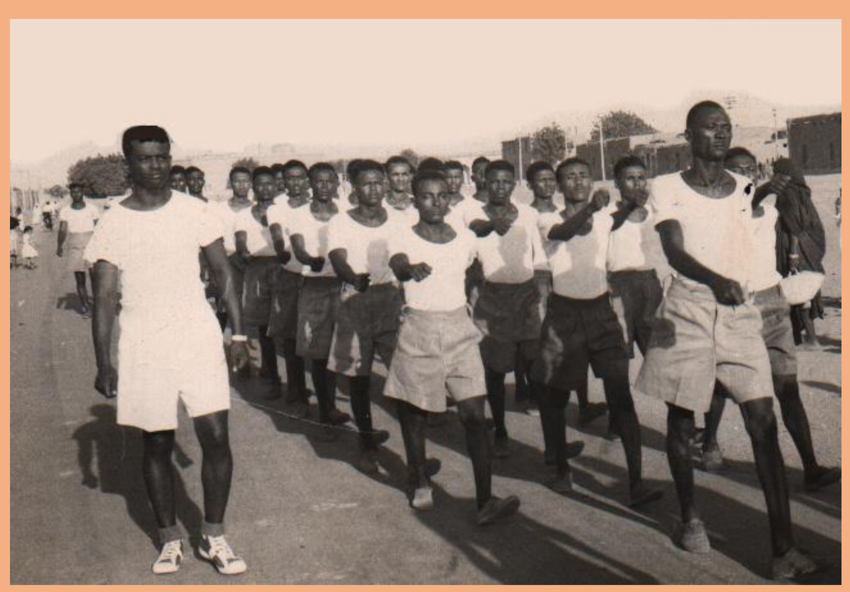
الوفية. قالوا – ولله المثل الأعلى– إن عمر ابن عبد العزيز كان يجالس الخليفة سليمان ابن عبد الملك، وبينما هما كذلك إذ أرعدت السماء وأرزمت دون سابق إنذار فانتفض سليمان مذعوراً من قصف الرعد وهول المفاجأة، فقال عمر الذي كان يجلس مطمئناً يتبسم في رضاءٍ وهدوء: ﴿**يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمته، فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟!**﴾. لقد كان **(الفاتح بشارة)** من التلاميذ الذين ينطوون على وضوح في الرؤيا وعلي نضج مبكر في النظر إلى الأمور.

كان منضبطاً في المداومة على دروسه انضباطا لا يخل بحقه في التمتع بحرية الفرار من بعض الحصص التي تشق على النفس، وكان يطلق لنفسه العنان يملأ صدره من هواء تلك الأمكنة والأزمنة الطلق النقي المعافى، يجوب مع رفقائه الرحباء الواسعة التي تحيط بالعمارة، مشيا في مناكب الرضا وسياحة بين أحضان الطبيعة الآسرة ومحاولة لاستكشاف ما يتفق الوقوف عليه من الأسرار الكونية المستكنة في ذرات الرمال نداوة العشب وحفاوة النسمات، لا تحيف انطلاقاته على قواعد الانضباط ولا يغلو به حبه للانضباط فيحول بينه وبين مناجاة ذلك الفضاء الساكن الرحب، الذي ترقد العمارة في صدره وبين أذرعه المنبسطة الحانية، تنشد أحاسيسه في توارد خواطر مع شوقي دون أن يعلم:

هذا فضاءٌ تلم الريح خاشعةً　　به ويمشي عليهِ الدهرُ محتشما

لم يكن الفاتح يقبل على دروسه إقبال غيره من الحاذقين، ولم يكن يشيح بوجهه عنها إشاحة من عداه من المشيحين، إنما كان قسطا في مسعاه. بل هو لم

يكن يحفل كثيراً بلعب كرة القدم، وإن كان كثير الحضور في ميادين الكرة الطائرة يمارس لعبها بقدر غير قليل من الشغف. كان معلق القلب بالتدريبات العسكرية، فهو صديق الصول يوسف مدرب الكديت (CADET)، وهو الرفيق بل والمنافس لصديقه (**التاج حمد**) في رفع الأثقال، وألعاب القوى، ورمى الجلة، ورياضة جر الحبل TUG OF WAR. كان الفاتح عسكري النزعة منذ تلك السنوات الغضة، فكان هدفه الذي كان يبغى الوصول إليه واضحاً أمامه وضوح الشمس في كبد سماء صافية خلت من وخط السحب وبقع الغيوم.



الفاتح بشارة طالب الكديت الذي عشق العسكرية

يقود زملاءه في الدفعة أثناء التدريب العسكري

وهو من القلائل الذين تحددت في خواطرهم منذ ذلك الحين المبكر طرائق مسيرتهم في أيام الحياة المقبلة. ولعل في هذا تكمن أسرار نجاحه المرموق الذي

أفضى به إلى أعلى مراتب الرفعة في القوات المسلحة السودانية. ولكاتب هذه السطور وبعض أهله وقفات مع الضابط العظيم والصديق القديم **(الفاتح بشارة)** لا تنسى في عقابيل أحداث الجزيرة أبا الشهيرة حينما كان قاضيا عدلا له إرث قديم من القضاء العدل منذ أيام خورطقت. ولعل في هذا أيضاً يكمن سر نجاحه يوم أن صار سفيراً يمثل البلاد ويوم أن أصبح حاكماً على ذات الأرض التي تشتمل على أحلى ذكريات صباه. ليته يكتب وليت أمثاله يكتبون حتى يتصل الحاضر بالماضي وصلة تفتح أبواب المستقبل لأجيال جاءت بعد تلك الحقب بأزمان. أن في الصدور لأسفاراً من أحاديث الذكريات، وإن في الخواطر لألواناً من غزار التجارب والمعرفة من حق الوفاء لها أن تبذل للناس، ومن حقها على الأنفس التي تختزنها وأن تجود بها ولا تضن. قال أبو فراس:

إني أغارُ على مَكانِي أن أَرَى   فِيهِ رِجَالاً لا تَسُدُ مَكانِي

الزواج والأسرة

تزوج **(الفاتح بشارة)** في عام 1957م من السيدة الفضلى **(ستيتة عثمان الجزلي)** فأنجبت له على التوالي أبناءه: **(منى)**، و**(عبود)**، و**(مرتضى)**، و**(هويدا)**، و**(محمد)**، و**(هند)**، و**(أماني)**. وعاشوا جميعاً في كنفه فأحسن تربيتهم وتعليمهم حتى تخرجوا في الجامعات داخل وخارج السودان، وزوجهم من أكرم الأسر.



صورة أسرية تجمع الفاتح بشارة وأسرته في عام 1960م بمنزله بحي المطار
من اليمين: حرمه السيدة المبرورة ستيتة عثمان الجزلي، وأمامها طفلتها ابنته منى الفاتح بشارة،
ثم على يمينه والدته الحاجة خديجة بت عبد المجيد، ثم شقيته روضة بشارة

الفاتح بشارة ورواد الفن الأصيل

لما كان الفريق (**الفاتح بشارة**) يعشق الفن الأصيل فقد ربطته صداقات وعلاقات عميقة مع رواد الفن منذ أن كان مديراً لمكتب الرئيس عبود. يقول الأستاذ (**السر أحمد قدور**): «**إن الفاتح بشارة كان حلقة الوصل بين الفنانين ووزارة الاستعلامات والعمل. وكانت أياديه عليهم بيضاء. فقد جمعته صداقة مع الشاعر الكبير ابن الأبيض محمد عوض الكريم القرشي**». وكان الفنان

الأستاذ (**عبد الكريم الكابلي**) قد قال ذات مرة في أحد لقاءاته الفنية: «**إن أول مرة أتشرف فيها بمعرفة الشاعر القرشي والفنان القامة عثمان الشفيع كان ذلك في أول الستينيات بمنزل (الفاتح بشارة) بحي المطار**». وطبعاً كان معروفاً بأن الفنان الكابلي والفريق (**الفاتح بشارة**) عُدلاء حيث تزوج الاثنان من أسرة آل الجزلي هذه الأسرة الأمدرمانية الشهيرة والعريقة التي ينتمي لها زميلنا وصديقنا العزيز الدكتور (**عمر الجزلي**) صاحب أهم برنامج توثيقي في تلفزيون السودان (**أسماء في حياتنا**).

وأكبر دلالة على حب (**الفاتح بشارة**) للفن والفنانين دوره في الرقي بالمجتمعات حيث أنشأ (**مسرح عروس الرمال**) في الأبيض في 55 يوماً أيام الدورة المدرسية 1983م وهي تُعتبر أم الدورات كما أجمع المراقبون عليها. وكان أصدقاء الفريق من الفنانين: عميد الفن (**أحمد المصطفى**)، و(**عبد العزيز محمد داؤد**)، و(**التاج مصطفى**)، و(**سيد خليفة**)، و(**عبد القادر سالم**)، و(**عبد العزيز العميري**).

أما الفنان (**عبد العزيز محمد داؤد**) فقد ربطته به صداقة قوية استمرت لسنواتٍ طويلة. وعندما زار أبو داؤد الأبيض في آخر مرة قبل وفاته أخبر صديقه (**الفاتح بشارة**) بأنه يعاني من مرض القلب. وعلى الفور تبرع له صديقه (**الفاتح بشارة**) بتذاكر السفر للعلاج خارج السودان ومبلغ 5000 جنيه كانت في وقتها مالاً ضخماً يقضي كل حاجات الإنسان. وأمر مكتب متابعة إقليم كرفان بالخرطوم بتسهيل كل إجراءات سفره. وفي تلك الأثناء زارت الفنانة الكبيرة (**حوا الطقطاقة**)

الفنان أبو داؤد بمنزله، وهي الأخرى كانت تربطها علاقة وطيدة مع الفريق (**الفاتح بشارة**) وأسرته. ولما وجد أبو داؤد أن الطقطاقة كانت تشكو من ضائقة مالية في تلك الأيام قال لها: «**أخوي (الفاتح بشارة) أداني خمسة ألف جنيه للعلاج بمصر، وعلي الطلاق تاخدي منها الألف جنيه دي وأنا تكفيني الأربعة الباقية لأنو تبرع لي بالتذاكر كمان**».

وخرجت (**حوا الطقطاقة**) ولسان حالها يلهج بالثناء والفرح ولسان حال أبو داؤد يقول: (**ليس لي مالٌ ولا خيلٌ أجودُ بها ولكني بمال الأكرمين أجود**). وحجز أبو داؤد للسفر للقاهرة، إلا أن المنيةَ قد عاجلته قبل يومين من سفره. وفاضت روحُه العذبة الطاهرة إلى بارئها مأسوفاً عليه ومبكياً عليه من كل أهل السودان. ونعاه صديقه (**الفاتح بشارة**) نعياً رسمياً باسم حكومة كردفان التي كان يقف على رأسها.

أما شاعرة كردفان الشهيرة (**ستنا**) فقد كتبت قصائدة في غاية الجمال في مدح (**الفاتح بشارة**)، وقد غنى الفنان الكبير (**التاج مصطفى**) أغنية في اليوبيل الذهبي لمدرسة خورطقت أسماها (**الفاتح بشارة**) ويقول في مطلعها: (**طقت ليك منارة يا الفاتح بشارة**). وغنت الفنانة الشعبية (**نصرة**) أغنية للفاتح بشارة تقول في مطلعها: (**وقفت في السفارة وأنا في الصالة فقدت الفاتح بشارة، هنا في عدالة؟ في الفاتح بشارة، كردفان ماله، بركب لوري هينو بزور الفاتح بشارة**). ويوم أن فاز (**الفاتح بشارة**) في انتخابات حاكم كردفان أنشده شاعر الجوامعة قائلاً: (**كردفان الواسعة مغارة من الليري لي بارا الفاتح ود بشارة الصقر الأربد**

الخطف الحبارة الداره داره والما داره يفارق دياره). وهكذا تأكد أن الحاكم الذي يغني له شعبه جديرٌ بالاحترام لأن الناسَ لا تُعطي عواطفها شعراً إلا لمن أحبته بالصدق والحقيقة.

خطاب الفاتح بشارة في اليوبيل الذهبي لخورطقت

قدم الفريق **(الفاتح بشارة)** الخطاب التالي بمناسبة اليوبيل الذهبي لمدرسة خورطقت بوصفه رئيساً لرابطة الخرجين. وقد أقيم احتفال هذا اليوبيل في يوم 2003/1/28م بالنادي العائلي بالخرطوم. وقد جاء في الخطاب ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين. في مستهل هذا الحديث التاريخي أرجو من السادة الحضور أن يترحموا على من رحلوا إلى دار الخلود من معلمين، وعاملين، وطلبه وأصدقاء لطقت الفيحاء. وأرجو أن نقرأ الفاتحة على أرواحهم الطاهرة جميعاً. (الفاتحة).

السادة أساتذتنا الأجلاء وأسرهم، السادة العاملون الأحباء، والسادة الزملاء الخريجون الأوفياء، سيداتي وسادتي، ضيوفنا الكرام، التحية لكم جميعاً حاضرين وغائبين. والشكر والعرفان أجزله باسم رابطة خورطقت المركزية وفروعها لتشريفكم لنا حفلنا هذا الذي نقيمُهُ بمناسبة مرور ثلاثة وخمسين عاما على إنشاء معهدنا الخالد أبداً في أفئدتنا ووجداننا، باقيا في نفوسنا ما بقيت الحياة، خالداً في تاريخ هذه الأجيال المتعاقبة من أبناء امتنا الحبيبة إنها خورطقت الفيحاء التي تطل من بعد تسعة كيلو مترات من ربوة خضراء على عروس الرمال (الأبيض) حاضرة كردفان. وكأني بذلك الصباح الأبلج وكأنه بالأمس، ففي الثامن والعشرين من

شتاء يناير عام 1950م وفي حفل بهيج ضم علية القوم مناهل السودان عامة وزعماء كردفان ودارفور خاصة، كنا نحن الطلبة قد جئنا، فصلان من وادي سيدنا ومثلهما من حنتوب، وأربعة فصول من الناجحين في امتحان الدخول للمدراس الثلاثة لنكون الصف الأول. وكان وزير المعارف في عهد الجمعية التشريعة العبقري الفذ المرحوم (**عبد الرحمن على طه**) مع أستاذ الأجيال أول ناظر سوداني في عهد الإنجليز المربي الكبير (**النصري حمزة**) تسلم مقص الافتتاح قائلاً: «**باسم الله وباسم العلم أقص رقبة الجهل في غرب السودان**».

ولاحقاً ما قاله أبو المعارف، فقد ظلت الفيحاء رافداً أساسياً لكلية جامعة الخرطوم الوحيدة في زمانها ولجامعات مصر الشقيقة التي احتضنت شباب جنوب الوادي مع اشقائهم من شماله، فأنجبت للسودان خيرة علمائه وأطبائه ومهندسيه واقتصادييه ورجالات أمنه وعدله وسفرائه وفي كل مجال للعلم والمعرفة، فشمخت منارة سامقة في سماء السودان كله، وبوتقة انصهرت فيها الجهويات السودانية جميعها.

هُرعوا إليها من الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، والوسط، والخرطوم ومن كل فج عميق. إذ ضمت بين ضلوعها رموزاً جهوية من أمثال: [**مختار التوم ومصباح الصادق من أمدرمان، وطيب الذكر الاقتصادي العالمي المرحوم الوليد طه الملك من دنقلا، والراحل المقيم درة الإبداع الفريق إبراهيم أحمد عبد الكريم من الوسط كوستي، والقانوني الضليع حسين خرطوم ومكدو كوكو من جبال النوبة، والفريق أول عبد الماجد حامد خليل، والفريق أحمد وادي من كردفان، وفرانسيس دينق مجوك الذي جاء من أبيي ولحقه شقيقاه دكتور زكريا**

وحسن]، ومن أقصى الشرق جاء (**عواض ومحمد أوهاج**)، ومن أقصى الغرب دارفور انصهر معهم (**إبراهيم آدم الدين والزبير إبراهيم الزبير**). فإن ذكرناهم بالاسم فهم طليعة السيل الذي تدفق على مر السنين في خورطقت الفيحاء في قومية سودانية واحدة موحدة لينهلوا جميعاً من ينبوع أساتذتها الأجلاء الذاخر بالعلوم والوطنية ومنهم: [**النصري حمزة، ومحمد أحمد عبد القادر، وعبد الحليم علي طه، وفزع، وعز الدين الحافظ، وتلودي، خالد موسى، وعقارب والطيب شبيكة، وكمال البكري وإدريس البنا، وعلي محمد خير، وسليمان لجنيد والضرير وجمال المبارك وتوفيق سليمان وصالح ضرار**]،

فلمن رحل منهم الرحمة وجنان الخلود وللأحياء منهم الصحة والعافية. وإن ذكرناهم بالاسم فهم الكوكبة الأولى والمؤسسة لهذا الصرح العظيم مع رصفائهم من الإنجليز والمصريين.

سيداتي وسادتي، تلك المدارس الثلاث (**وادي سيدنا**)، و(**حنتوب**)، و(**خورطقت**) إنما هي في واقع الأمر كليات شامخة يعيش المنتسب إليها الحياة الأكاديمية في أروع صورها طوال اليوم صباحاً ومساءً. وحولهم الأساتذة الأجلاء بين الفصول، والملاعب، والمسارح، والجمعيات، والداخليات. وهي جميعاً تقع خارج المدن وملفتات الفكر. وهذا ما كان يميزها عن مدارس اليوم التي انتظمت السودان كله حيث ينتهي دوامها في الساعه الثانية بعد الظهر.

والشاب في هذه السن إذا وجد حياهً أكاديميةً كاملة فإنه يشب كامل الشخصية، سليم الوجدان، ذاخراً بالعلم والمعرفه، يجيد الحوار والمنطق، ويتقبل الرأي الآخر لأنه يكون قد تدرب على ذلك في معهده منذ الصبا الباكر. ونحن نحمد الله

أن جاء جيلنا في زمان لم تكن المادة هي المسيطرة على كل شيء، حيث لم يكن إنشاء وتكلفة تلك المدارس ضربًا من المستحيل. ونحن الجيل الذي تواعده القدر أن يشهد اندلاع الكفاح الوطني ضد المستعمر البريطاني، فهب الشعب بكل قطاعاته من مثقفين، وتجار، وعمال، ومزراعين في مسيرة وطنية واحدة تنادي بالاستقلال. وكان الطلبة هم طليعة تلك المسيرة. وكانت طقت الفيحاء في قلب المعركه. ولولا وقفة اتحاد نقابات عمال السودان، واتحاد طلبة كلية الخرطوم الجامعية لما أجبر الحاكم العام (**روبرت هاو**) على نقض قرار الجمعية التشريعية وأمر بفتح خورطقت. ومن هنا نحيي اتحاد نقابات عمال السودان، ونترحم على رئيسه وقتها (**السيد سلام**)، ونحيي اتحاد كلية الخرطوم الجامعية ورئيسه وقتها السيد (**محمد عبد الحليم محجوب**) وسكرتيره المرحوم (**سيد أحمد نقد الله**).

ولا ننسى من ذاكرة التاريخ الوقفة الوطنية لمؤتمر الخرجين العام والذي أنشأ مدرسة ثانوية عليا في الحال لتضم شتات المبعدين الذين أبعدهم المستعمر من طقت ومن الوادي ومن حنتوب. فقامت شامخةً بالجهود الأهلي تحمل اسم (**مدرسة المؤتمر الثانوية**)، ومقرها العاصمة القومية أمدرمان. وفي ليلة الوفاء والعرفان نسترجع ذكرى المؤتمر ونترحم على رئيسه أبو الكفاح الوطني والمربي الكبير الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) وسكرتيره العام القانوني الضليع والمحامي (مبارك زروق) وعلى أول ناظر لها ومؤسسها المربي المعروف (**صالح بحيري**).

وبالصدق كله نحي (**مدرسة الأحفاد**) التي احتضنت 119 من المفصولين نهائيا من طقت. والمجد لمؤسسها العظيم الشيخ (**بابكر بدري**) الذي يُعتبرُ أب التعليم الأهلي وتعليم البنات في السودان. وفي ليلة العرفان لا بد أن أشيد

برمز من أصدقاء الفيحاء، ألا وهو الأميرآلاي **(الزين حسن)** الذي كان حاكماً عسكرياً لكردفان في عهد عبود والذي أحزنته كثرة حوادث شارع طقت—الأبيض لكثرة خيرانه فقام بتعبيده مستنفراً القوات المسلحة وطلبة المدارس، يعاونه الوجيه المرحوم **(أحمد نور)**. وكان ذلك في عام 1961م.

سيداتي سادتي لقد أتى حين من الدهر وجففت هذه المدارس، فضمت خورطقت أخيراً إلى جامعة كردفان الفتية بمجهودات لجنتكم يساندها ابن طقت البار دكتور **(التاج فضل الله)** مدير جامعه كردفان وقتها. ثم واصلت وبذلت لجنتكم جهداً مكثفاً مع المسؤولين بكل من جامعة كردفان، وولاية شمال كردفان، والتعليم العالي الاتحادي لتعيد لطقت سيرتها الأولى، ولتكون مختبراً لكليات الجامعة، ويكون القبول فيها قومياً أي من جميع مدارس السودان كما كانت في عهدها الأول.

وحصلنا على موافقة كتابية بذلك، ولكن الاجراءات تعثرت مرةً أخرى.
ونحن نهدف من حفلنا هذا أن نناشد كل مسؤول وخريج أن يعمل على إعادة الفيحاء لسيرتها الأولى. ونحنُ أبناءَها على استعداد أن نستنفر كل جهد ذاتي لتوفير المال اللازم لأمنا الرؤوم، وسوف نسعى ما حيينا لتحقيق هذا الهدف. وباحتفائنا هذا نريد أن تبقى خورطقت حيةً في ذاكرة التاريخ، باقيةً في ضمير أبنائها وعارفي فضلها، منارة لم ولن تنطفئ جذوتها مهما طال الزمن. فهي تراث لهذه الأمة ينبغي الحفاظ عليه.

كما أننا نهدف إلى رد الجميل لكل من علمنا وأنشأنا وبنى شخصياتنا من أساتذتنا الأجلاء الذين طوقوا أعناقنا بقلائد المعرفة والعلم، يعاونهم موظفون

وعمال. وقد ضمتنا جميعاً الفيحاء العظيمة كأسرة واحدة، ولذلك فإننا نعتبر هذه الليله ليلة الوفاء والعرفان للأحياء منهم ولمن رحلوا إلى دار الخلود ممثلين في ذويهم، حيث سيبدأ تكريمهم بعد قليل إن شاء الله. ولن نحصر التكريم على القياديين وبعض رموز طقت فقط بل سيشمل التكريم كل من أعطى للفيحاء. وستقوم به اللجنة في وقتٍ لاحق بإذن الله، فمعذرةً لضيق الوقت.

وفي الختام لايفوتنى أن أشكر بالفخر كله والإعتزاز كله جميع من تبرعوا للرابطة بالمال، أو الفكر، أو الجهد، أو بأي إمكانات أتاحت للجنة القيام بهذا العمل. وهي مشكورة أيضاً على عقد عشرات الاجتماعات لترتيب هذا العيد، ولفرعيتها بالأبيض الذين أصروا أن يشاركوا بمندوبين عنهم.

والشكر موصول لأسرة نادي الرياض الاجتماعى، ولهذا النادي العائلي أيضاً، ولنادي الشرطة، ولبنك الغرب الإسلامي سابقاً، ولشركة كنانة العملاقة، ولشركة الكوكاكولا. ولا بد أن نذكر هنا للتاريخ الذين كان لهم الفضل الأكبر في إحياء مشاريع اليوبيل الفضي من أمثال ابن طقت البار الوجيه (**كمال حمزة**) الذي زارها في عام 1982م ومعه السفير (**الطيب حميده**) وشخصي وقام بدعمها مرةً أخرى دعماً مقدراً وملموساً.

وفي ذاكرة اليوبيل الفضي كان طيب الذكر المرحوم (**خليل عثمان**)، ومولانا (**دفع الله الحاج يوسف**) المدير العام لمؤسسات الخليج حينها، وللوجيه (**فتح الرحمن البشير**) متعه الله بالعافية، وكذلك الزميل (**صلاح عبد العال مبروك**) وزير شئون مصر بالسودان. ولا بد أن يشهد التاريخ كل من ركب قطار الوفاء من معلمين وخريجين والذي سيرناه خصيصاً من الخرطوم إلى الأبيض كما كنا نفعل في

أيام الشباب. وعلى طول المحطات يلحق به ذوو الوفاء لمعهدهم العريق خورطقت. وكان الاستقبال من جانب طلبة الفيحاء وأصدقائها من رجالات الأبيض يتقدمهم سكرتير الرابطة الزميل **(مختار التوم)**. كان استقبالا تاريخياً مشهوداً، وقد نقلت الإذاعة في بث مباشر كل نشاط يومي العيد بإشراف أحد أبنائها المقتدرين الأستاذ **(عمر الجزلي)**. ولايفوتني أن أسجل بالعرفان كله مشاركة الرئيس السابق المشير **(جعفر محمد نميري)** ومعلم الأجيال **(سر الختم الخليفة)** وزير التربية والتعليم في هذا المهرجان التاريخي العظيم في سنة 1975م الذي أقيمت فعالياته بمدينة الأبيض وخورطقت.

ولا بد أن أشيد هنا بنسور الجو ضباط سلاح الطيران السوداني الذين أدوا استعراضاً جوياً هزَّ الحضور جميعاً. ولعلم الناس أن الغالبية من النسور تخرجوا من خورطقت الفيحاء يقودهم قائد السلاح إبن طقت الفريق طيار **(محمد ميرغني)**، فالتحية والإشادة لهم من ذاكرة التاريخ.

أما الدكتور موسى عبد الله حامد فلقد تفتقت عبقريته وهو الجراح المتميز بتأليف ثلاثية هي موسوعة من ثلاثة أجزاء وثقت بالكلمة والوصف الدقيق لقبيلة طقت الفيحاء من المدرسين والطلبة والعاملين وللبيئة حولها. فهي في حكم الاعجاز البشري. ولمن يرغب في اقتنائها فقد وضعها الناشر مشكوراً أمامكم بثمن التكلفة. ولهيئة الإذاعة والتلفزيون ممثلةً في شخص نجلها الدكتور **(عوض إبراهيم عوض)**، ولدار الوثائق القومية ومديرها الدكتور **(علي صالح كرار)** ومعاونيه الكرام، ولكل رجالات الصحافه وكل من كتب عن خورطقت الفيحاء في عموده. ولكم أيها الحضور الكريم رجالاً ونساءاً الشكر الجزيل على تشريفكم لنا. وأخيراً وليس

آخراً أرجو أن أعلن لخريجي طقت الخالدة تقاعد لجنتي لتختاروا لجنةً جديدةً من شباب الخريجين، ويمكن تطعيمها ببعض شباب هذه اللجنة تحقيقاً للتواصل. أما نحن الشيوخ فقد أدينا الأمانه، ولن نبخل على من ينشد الخبره منا في أي وقت وفي أي لحظة. ولا بد لي أن أعبر باسمكم عن شكركم وتقديركم الحار لأعضاء لجنتكم النشطاء من أمثال (**مختار التوم**) و(**مصباح الصادق**) والبروفسير (**هاشم محمد الهادي**) والفريق (**الزبير إبراهيم**) و(**مختار عبيد**) والمهندس (**سيد أحمد محمد ياسين**)، واللواء (**بابكر عبد الرحيم**) والسفير (**عز الدين حامد**) و(**محمد يونس**). ومن المبدعين (**السر دوليب**) والبروفيسور (**محمد عبد الله الريح**) و(**عبد المجيد حاج الأمين**). والشكر لمعلمنا الفنان الأديب (**عبد الله محي الدين الجنيد**) الذي دعم لجنتكم بالمال وبفنه الرفيع. والشكر والتقدير للأستاذ الفنان (**عبد القادر سالم**) الذي أبى إلا أن يشاركنا البهجة والسرور.

كما شاركنا في اليوبيل الفضي أول فنان يصدح صوته في الفيحاء عام 1950م وهو الفنان الأستاذ (**التاج مصطفى**)، والتحية للفرقة الموسيقيه المصاحبة له وللفنان الأستاذ (**صديق عباس**).

والتحية لعبقري الرابطه الأستاذ الحوري وأول خريج لمسرح طقت فكفاه تقديراً افتخارُ الرابطة بعبقريته التي أهلته ليكون أول مدير للفن المسرحي بوزارة التربية والتعليم. ولضيق الوقت فالشكر موصول للكوكبة الباقية من الذين شاركوا وأنجزوا مع من ذكرنا سابقاً.

وستصدر اللجنة لاحقاً كتيبا وفلما توثيقيا يضم كل أعمالنا وأسماء كل أعضاء اللجنة الكرام. كما فعلنا في عيدنا الفضي ونودعها دار الوثائق القومية عل

الأجيال القادمة تجد فيها قبسا من نور. وستظل الفيحاء العروة الوثقى التي تشد أبناءها في كل الأجيال. وشكراً جزيلاً على ثقتكم وحسن ظنكم بنا في العيدين الفضي والذهبي. ونسأل الله أن يمتعنا بالصحة والعافية لنشهد معكم اليوبيل الماسي بإذنه تعالى. ودمتم في رعاية الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمه الله تعالى وبركاته.

الفاتح بشارة ينعي الأميرآلاي الزين حسن

رحم الله المؤرخ العسكري المتفرد الأميرآلاي **(الزين حسن)**. ولما كنت أكثر الضباط معايشة له والتصاقاً به وخدمة تحت إمرته أجد نفسي اليوم عاجزا أن أرثي قائدي المباشر الأول ومعلمي وقدوتي لأن الراحل المقيم كان صاحب مواهب عديدة، وكان مدرسة متميزة في الجندية وفي الإنسانية وفي الخلق الرفيع وهو ينحدر من قبيلة الهاشماب ذات التاريخ المجيد في السودان وتمتد من بربر إلى شندي إلى الجريفات وإلى البراري وأمدرمان.

وانعقد لها لواء العلم والإفتاء والقضاء منذ فجر الفتح، فجده فضيلة الشيخ **(أبو القاسم هاشم)** كان شيخ الإسلام، وجده الآخر **(أحمد الطيب هاشم)** كان مفتي الديار السودانية وقد أسس الأول رحمه الله **(المعهد العلمي)** بالتعاون مع الشيخ **(أحمد البدوي)** وهو ثالث منارة بإفريقيا للفقه وأصول الدين ولغة القرآن بعد **(الأزهر الشريف)** بمصر **(والقرويين والقيروان بالمغرب وتونس)**. التحق الراحل المقيم بقوة دفاع السودان (البراءة) عام 1936م. وكان من زملائه

المرحوم (**مهدي حامد**)، والمرحوم (**عثمان حسين**)، والمرحوم (**حسن الصادق**).
وإبَّان الحرب الطليانية – الحبشية اشترك في تحرير كسلا والقلابات من الطليان، وترفع في الحرب إلى رتبة الملازم ثاني، وأبلى بلاءً حسناً في كل من إريتريا والحبشة مما أهله للترقي استثنائيا لرتبة اليوزباشا ونال العديد من الأوسمة وذكره قائده البريطاني (**البكباشا هولي**) في كتابه المشهور عن السودان، علماً بأنه كان أصغر الضباط سناً في الحرب. وإن توثيقه الدقيق في تلفزيون السودان في برنامج (**أسماء في حياتنا**) ينهض دليلاً على إمكاناته وذاكرته. ومعلوماتُ فقيدنا العزيز تُعتبرُ بحق أفضلَ توثيقٍ لبطولات قوة دفاع السودان وبطولات الجندي السوداني في حرب فلسطين. ولعل الدارسين لسيرة السلف سيجدون فيها ضالتهم من العلم والمعلومات.

وأرجو أن أقترح على هيئة التوجيه المعنوي بقواتنا المسلحة أن تكون لجنة من ضباطها ليقوموا بتوثيق وترتيب مذكرات هذا القائد المؤرخ المتفرد فداره بالهاشماب تضم الكثير مما خطه بيده والكثير من الوثائق والصور والأفلام. في أيام شبابه كان يتمتع بمواهب رياضية عالية فهو من مؤسسي نادي الموردة العتيق، وشقيقه الذي يليه من ألمع نجومه ولاعبيه. ووالده الشيخ (**حسن الطيب**) كان من الفريق الأول في (**كلية غردون التذكارية**) ومن مؤسسي (**نادي الهلال**). وكان الزين من مؤسسي فريق الدفاع (الغلب الري) أيام (**طلعت فريد**)، و(**حمد النيل ضيف الله**)، والطالب الحربي (**جعفر محمد نميري**) و(**عبد القيوم**).

عند بداية تخرجي من الكلية الحربية في فبراير عام 1954م تمَّ نقلي إلى سلاح المدفعية بمدينة عطبرة، وتحديدا تعينت بالبطارية الثانية التي يقودها الصاغ (**الزين حسن**) ومعه الملازم أول (**مصطفى جيش**) عليه رحمة الله ورضوانه، والملازم

ثاني (**سيد أحمد عثمان**) أطال الله عمره. وفي أول مارس صدرت التعليمات لبطاريتنا لتحضر للخرطوم لحماية قائد الثورة المصرية الرئيس (**محمد نجيب**)، فكانت (**حوادث مارس**) المشؤومة. ولاحت بوادر الحرب الأهلية وبدأ الناس يتحدثون عن تطبيق مادة الانهيار الدستوري والتي ستبدد حلمهم الذي انتظروه طَوالَ السنين، وهو الاستقلال. غير أن تصرفات قائدي الصاغ (**الزين حسن**) وشجاعته ورباطة جأشه ونحن معه نأتمر بأوامره صان للبلاد أمنها وأزاح عنها كابوس الحرب الأهلية وتهديدات الانهيار الدستوري رغم ما حدث من حوادث.

وفي حلقاته المنشورة بالصحف عن تلك الفترة الحاسمة من تاريخ بلادنا يجد الباحثون توثيقا تاريخيا دقيقا، لعل دار الوثائق تكون قد احتفظت به. لقد كان رحمه الله قائداً وموجهاً ومرشدا من الطراز الأول وكان مدرسة تعلمت فيها الكثير من الصفات. وتعلمت كيف تكون القيادة وإدارة الرجال. وتعلمت منه الانضباط، وحسن النظام. ورأيتُ كيف تطيعه الرجال دون أن يرفع عصاه. وتعلمت منه كيف يتلاحم الضباط في المجتمع المدني سواء في الرياضة أو الثقافة أو الفنون. ولاحقاً كان قدوةً، وكان كريماً بلا حدود. وكانت داره تلاصق ميز الضباط فهي دارنا ودار ضيوفنا نحن شباب الضباط. وقد مات فقيراً ليصدق فيه قول الشاعر:

لولا المشقة سادَ الناسَ كُلَّهمُ ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ

لقد كان أبو فيصل فنانا ومبدعا يهوى الرسم والخط، ويعزف على الكثير من الآلات الموسيقية، ويشترك مع المدنيين في أندية الخرجين، ويقيم للجنود الحفلات الدينية والوطنية والترفيهية. كانت تلك محطات أذكرها في أيام السلم، وقد عايشته في أيام الشدة والحرب أيضاً حيثُ كنت نائبه في حوادث التمرد الأولى

بالجنوب، فوجدت فيه الخبير العارف لدروب الجنوب وغاباته وجغرافيته وقبائله وعاداته وسلاطينه. وقد كان ضمن القلة القليلة جداً من الضباط الشماليين الذين أسعدهم القدر للعمل في الجنوب بفرقة خط الاستواء أيام حكم الإنجليز وتطبيق قانون المناطق المقفولة. ولولا تلك الخبرة الباكرة لكمنداني لكنا قد هلكنا في أحراش الجنوب.

ثم جمعنا قدرنا في حوادث حلايب المشهودة، حيث كان رحمه الله قائداً للقطاع الشرقي لحلايب وشلاتين، وكنتُ أنا قائداً للقطاع الشمالي حلفا وفرس. وكنا ندرك منذ أن حركنا السياسيون للمواجهة أنها مظاهرة سياسية وليست مواجهة عسكرية. فلم نسمح بإطلاق طلقة واحدة، حيثُ لم يكن هناك صِدامٌ مُسلحٌ بيننا وبين أشقائنا المصريين والحمد لله.

وفي عهد عبود 17 نوفمبر كان أقدر حاكم عسكري وممثل للحكومة، حيث لم يكن لحكومة 17 نوفمبر تنظيم أو حزب. وكانت قاعدته الشعبية تعتمد على تأييد القبائل وزعمائها. ولهذا اختاروا المرحوم قائداً وحاكماً عسكرياً لمديرية كردفان حيث ملتقي جميع قبائل السودان. وقد لعب دورا مهماً في استقطاب رموز القبائل للنظام. وكان الرئيس عبود يقدره حق تقدير ويشير باصطحابه له في الكثير من زياراته الخارجية. كما كانت مديريته كردفان جاذبة لزيارات رؤوساء الدول أمثال (**جمال عبد الناصر**)، و(**ليونيد برزنيف**)، و(**جوزيف بروز تيتو**) مما مكنه من تطوير (**عروس الرمال**) حتى صارت ثاني أحدث مدينة بعد الخرطوم. ولاهتمامه العظيم بمعهد خورطقت أعلى منارة سمقت في سماء الغرب كله وتعبيده للشارع الخطير (**طقت–الأبيض**) لذلك كرمته رابطة خورطقت بشهادة تقدير يوبيلها

الذهبي. ولم يعش الزين لنفسه أو لأسرته فحسب بل كان رحمه الله وهو في هذا العمر يتفقد زملاءه المحاربين القُدامى ويزور أرامل من توفاهم الله. وكان يترحل بسيارات التاكسي لأنه لا يملك سيارةً خاصة. وكان ينقل لهيئة القيادة معاناتهم وأحوالهم. وكان يجد أذناً صاغيةً لدي قادة اليوم لمعرفتهم بنبل مقصده فكم من مريض ساعده ليجد العلاج، وكم من محتاج فرج كُربته، وكم من أسرة فقيرة أدخل عليها فرحة الأعياد. وما من زميل توفاه الله إلا وكان الزين ناعياً له وذاكراً مآثره للناس.

وبالصدق كله لم أر أحداً يعرف الضباط ورتبهم ووحداتهم وتواريخ تخرجهم وتقاعدهم مثل الراحل العظيم، فقد كان بحق كمبيوتراً بشرياً. فهؤلاء وأولئك كلهم يترحمون عليه، ويسألون الله أن يجزيه خير الجزاء لما قدمه في حياته، فلك الرحمة يا أبا (**فيصل والفاتح**).

وقد شاء لي القدر مرة أخرى أن أعايشه بالسعودية حيث تعينت سفيراً لبلادي بالمملكة. وكان الزين منتسبا بالخطوط السعودية بعد أن برأه القضاء السوداني العادل من تلك الفرية التي دبرها له بليل أعداء نوفمبر، وكيف يفعل ذلك وهو سليل بيت العلم والعدل والقضاء منذ المهدية. وكنت أعتبره أحد أركان السفارة لإلمامه التام بالسعودية ورموزها وأسلوب حكمها. و

كان من أبرز العاملين بمجلس الشورى للجالية الذي كونته بمشورته.

وأسعدني الله أن نترافق لخمس مرات لأداء فريضة الحج فكانت داره وهي بحي الشرفية بيتاً كاملاً وليس شقة، يستضيف فيها ذوي القربى وما أكثرهم. ورأيت كيف يتنقلُ بهم ذَهابا وإياباً بالمناسك. وكانت زوجته (**أم فيصل**) تسهر على

راحتهم رغم مرضها بداء السكر حتى لاقت ربها راضية مرضية في الأراضي المقدسة عليها رحمة الله وغفرانه. وعندما كنتُ حاكماً لكردفان الكبري في أول حكومة إقليمية وعبر افتتاح برلمان كردفان الأول دعوت الأميرالي (**زين العابدين حسن الطيب**) وجميع من تقلدوا منصب قيادة إدارة كردفان منذ الاستقلال لهذا الحدث التاريخي الكبير. فما أن رآه جمهرة الناس وأعيان كردفان حتى دوى المكان بالتهليل والتصفيق والترحيب بمقدمه الكريم. وقد مكث معي أسبوعاً كان محل حفاوة وكرم أعيان ورجالات كردفان وفرقة الهجانة الذين لا ينسون من خدمهم وأخلص لهم.

وأهم ما يميز (**الزين حسن**) اهتمامُه الفائق بهندامه عسكرياً ومدنيا بلا تكلف أو كلفة وبراعة نكتة وسرعة بديهة، وقوة ذاكرة. وأرى بحق الزمالة والمعايشة أن أقترح على المسؤولين الآن من أبنائنا الذين بيدهم الأمر والذين يعلمون شخصية الراحل المقيم كما أعلم اقترح عليهم أن يخصصوا قاعة عسكرية باسمه (**قاعة الأميرالي الزين حسن**)، ويجمعوا بها ذلك الإرث العظيم الذي خلفه من تاريخ ومذكرات وصور. كما أقترحُ أن يسمى الشارع الذي يمر بداره شارع الأميرالي الزين حسن. وأنا ياقائدي الأول الذي لم أره يوماً واحداً عابساً أو غاضباً أو ثائراً أو زاجراً لأحد. تجدني حزيناً ثم حزيناً لفراقك المفاجئ، ولكني أقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

الخرطوم 2003/8/16م

حديث الديلي تلغراف عن الفاتح بشارة:

من خلال النعي السابق الذي كتبه (الفاتح بشارة) عن صديقه الزين حسن ورد حديثٌ عن الدور الذي قام به الفاتح إبَّان أزمة حلايب. ولدى خوضنا في أضابير الكتب والصحف والمراجع التي تحدثت عن ذلك الدور عثرنا على صحيفة (**الديلي تلغراف**) Daily Telegraph البريطانية التي علقت على (**أزمة حلايب**) في تلك المرحلة مشيدةً بالفاتح بشارة، حيث قالت:

[هناك ضابطٌ سودانيٌ صغيرٌ في السن اسمه كابتن الفاتح بشارة وهو في رتبة صغيرة تصرف بحكمة ومسؤولية، حتى جنب البلدين مصر والسودان مواجهةً كانت وشيكة الحدوث. حيث تلقى النقيب الفاتح بشارة صوت شكر من القائد العام للجيش السوداني. وكان النقيب الفاتح بشارة قد تلقى اتصالاً تلفونياً من وزير الدفاع ورئيس الوزراء السيد عبد الله خليل بك بضرب كل من تطأ قدمه أرض السودان في إشارة للجنود المصريين].

لقد كانت أزمة حلايب الأولى بين مصر والسودان في شهر فبراير عام 1958م. وقد بزغ فيها نجم النقيب (**الفاتح بشارة**) قائد القطاع الشمالي لنهر النيل آنذاك داخلياً وخارجياً. وهذه الصورة نشرتها صحيفة (**الديلي تلغراف**) البريطانية في يوم 24 فبراير عام 1958م عن المؤتمر الصحفي الذي عقده النقيب (**الفاتح بشارة**) بعد انقشاع الأزمة. ويظهر بجواره في المؤتمر الصحفي الضابط المصري قائد السرية المحتجز.

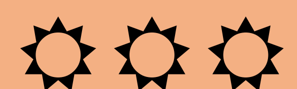


The Daily Teleg

3 LONDON, MONDAY, FEBRUARY 24, 1958 and Morning Post Printed in LO

EGYPTIAN OFFICERS
These pictures, taken
TELEGRAPH, show Eg
under house ar
on Friday.
The Egyptians w
to stop at a Sudan

صورة صحيفة الديلي تلغراف يظهر فيها النقيب الفاتح بشارة وبجواره
في المؤتمر الصحفي الضابط المصري قائد السرية المحتجز



الفصل الثاني

❄❄❄❄❄

الفاتح بشارة يحكي
القصة الكاملة
لتمرد 1955م

الفصل الثاني

﴿الفاتح بشارة يحكي القصة الكاملة لتمرد 1955م﴾

◆◆◆

حكى الفريق (**الفاتح بشارة**) القصة الكاملة للتمرد الأول بجنوب السودان، والذي اندلع في عام 1955م. حيث كان قلمه لماحاً وقوياً سطر به الكثير من الأحداث التي عاشها والمذكرات التي فصل فيها الكثير مما عايشه عبر السنوات. وقد خصصنا هذا الفصل من الكتاب لبعض ما خطه قلمه من مذكرات للأحداث التي عايشها إبّان تمرد توريت الأول بجنوب السودان. وقد خص بها صحيفة (**أخبار اليوم**) التي نشرتها تباعاً في عشر حلقات.

ولأهمية هذه المعلومات التي وردت بها من قلم أسهم في صنع التاريخ رأينا أن نضعها كاملةً كما خطها قلمه المبدع وبنفس الترتيب الذي جاءت به. وقد قدم رئيس تحرير صحيفة أخبار اليوم الأستاذ (**أحمد البلال الطيب**) لهذه السلسلة من المذكرات بكلمات مقتضبة في عمود (**كلمتنا**) تحت عنوان (**قبل أن ينتهي الكثير**) جاء فيها ما يلي:

اضطرتنا الحلاوة في السرد والغزارة في المعلومات الكامنة في المذكرات القيمة حول اندلاع حرب التمرد بالجنوب المخطوطة بيد واحد من صناع وشهود الأحداث التي يروي منها وعنها الكثير والمثير أن نفسح لها (**كلمتنا**) مرة أخرى. إنه الفريق ركن (**الفاتح محمد بشير بشارة**). وهي مذكراته التي توالي أخبار اليوم

نشرها. وقد سبق أن أشرنا إليها وإلى أهميتها وما فيها من كل سمات ما عرف اصطلاحاً بالخبطة الصحفية. والقارئ المتأمل لهذه المذكرات لاشك تستوقفه أشياء عديدة لعل أولها اهتمام الفريق **(الفاتح بشارة)** وهو في خضم بحر الجندية المتلاطم الأمواج والأحداث بتدوين مثل هذه المعلومات الوثائقية المهمة وبصورة لم يترك معها شاردة أو واردة إلا وأحصاها عدداً.

وهذه بلا شك ميزة ليست بالسهلة وقلَّ أن يتمتع بها الآخرون. وهي تدل على حصافة مطلوبة في كل من يتقلد مواقع مهمة وارتبطت فترته بأحداث مهمة. والعظات والعبر لا تخرج إلا من أمثال هذه المذكرات المهمة التي تحكي عن تاريخ حرب الجنوب المؤلمة.

وقد لاحظنا أن الفريق **(الفاتح بشارة)** لم تفت عليه الإشارة للعديد من أبطال هذا الوطن الذين استشهدوا من أجل أن يظل السودان موحداً وسالماً وغانماً. وكأن كاتب هذه المذكرات أراد أن يلفت انتباهنا إلى ما تقود إليه الحروب من خراب ودمار يشمل الحرثَ والنسل. وأي حرثٍ ونسل ذاك الذي دمرته حرب الجنوب؟! إن هذه الحرب بدأت بمؤامرات المستعمر الدخيل كما حكاها قلم الفريق الفاتح بشارة. وهذه المذكرات تُعتبرُ سانحةً للتدبر والتأمل في أسباب حرب الجنوب بغية إيجاد المنتهى قبل أن تنتهي هذه الحرب، واللهُ من وراء القصد.

الحلقة (1)

تفاصيل أخطر اجتماع لمجلس أمن المديرية يوم 7/8/ 1955م بعد اندلا ع التمرد.

أحد القادة الإنجليز المستعمرين قال لنا قبل السودنة: (الجنوب سيكون مقبرتكم).

الأخ الزميل المؤرخ العسكري العميد أ. ح (**عبد الوهاب محمد البكري**)، لك التحية والتقدير. في البداية لا بد لي أن أهنئكم على ما بذلت من جهد ودراسة صادقة وعميقة في أهم أحداث يشهدها السودان الحديث. وكنتَ متجرداً في سردك لتفاصيل الأحداث بالمديريات الجنوبية الثلاث وفرقة خط الاستواء وقيادتها العليا بتوريت ومراكزها، علماً بأنك في بداية شرارتها لم تلتحق بالكلية الحربية وبالتالي لم تشهد قوة دفاع السودان قبل اندثارها.

وفي الحلقة الثالثة من بحثكم الممتاز الذي سميته التقصير والمسؤولية من أحداث الجنوب في جريدة الرأي العام الغراء العدد 725 طلبت من شيخنا والزميل الأكبر (**مزمل سليمان غندور**) أن يعلق على هذا الأمر، وحقيقة هو الأجدر والأكفأ وشاهد العيان قبل وأثناء 18 أغسطس 1955م وتوابعها ومعالجتها، إذ عمل كأركان حرب مع سعادة القائد العام (**أحمد باشا محمد**) في زياراته المكوكية للجنوب بكل محطاته العسكرية في مديرياته الثلاث. ومزمل حامل فكر وقلم من الطراز الأول من أهل الجندية. وأنا أضم صوتي لصوتك لنطالبه بأن يقولَ شهادته للتاريخ وللأجيال الحاضرة واللاحقة. ففى حياة الشعوب أجيال يعدها القدر لتشهد أحداثاً تاريخية لها الأثر والتأثير في مسيرة شعوبها. وكان الأخ مزمل

وشخصي وبقية الزملاء من الأجيال التي عاصرت وشهدت وشاركت فيما ذكرته بكل دقة وأمانة من أحداث جسام. أما عن أول صلة لي بالجنوب فقد كنتُ بالكلية الحربية ضمن الدفعة الخامسة في فبراير 1954م، وكانت الدفعة التي أعقبتنا تضم أول طالب حربى جنوبي اسمه (**صمويل أبو جون**) من أبناء قبيلة الزاندي، وبالتالي فقد كان أول ضابط جنوبي يتخرج من الكلية الحربية. وأصبح فيما بعد وزيراً للمواصلات في عهد السلام الأول أيام رئاسة نميري. وبوصفه حكمداراً لبلتون طلب مني بعد شهر واحدٍ من دخوله الكلية أن اسمح له بالذهاب للكنيسة الإنجليزية بقصر الحاكم العام في كل يوم أحد من كل أسبوع لأداء الصلاة فرفضت طلبه على الفور لأنه يخالف لوائح الكلية الحربية.

فذهب وتظلم مني لدى قمندان الكلية رأساً وهو رجلٌ بريطاني مسيحيٌ مُتشددٌ ومُتعنتٌ ومُتعجرفٌ وقاسي إلى أبعد الحدود. وعندما نظر في القضية بمكتبه واستدعاني دافعتُ عن قراري بقولي: «**إذا سمحتُ له بذلك وجاءني جميعُ طلبة الكلية وهم مسلمون ليخرجوا للمسجد لصلاة الجمعة خارج المعسكر فهل أسمح لهم بذلك؟**» وهنا وجم القمندان، إلا أنه أدانني مما كدرني طوال الوقت. وقال لي إنه سيضع علامة سوداء في فن قيادتي. وبمرور الأيام جاءني (**صمويل أبو جون**) ليعترف لي بأن القمندان هو الذي دفع به لاصطناع هذه القضية معي وحرضه كي يتظلم مني.

وأذكر قبل تخرجنا بيومين فقط كنتُ قد عُينتُ لأقوم بدور الطالب الأول في البروفات لطابور التخرج حاملاً سيف البرنجية. وفي نهاية اليوم دخل علينا هذا القمندان وخطب فينا خُطبة في منتهى التشاؤم عن مستقبل السودان قائلاً بالحرف

الواحد: **«علماً بأني دربتكم إلا أنني لا أستطيع أن أهنئكم لأني أكاد أجزم أنكم ستواجهون أهوالاً ومخاطر ومتاعب لا قِبَل لكم بها خصوصاً في الجنوب. والجنوب سيكون مقبرتكم لأنكم تسرعتم في السودنة. وقد تسلمنا اليوم إنذاراً بالسودنة وإقامة الحكم الذاتي والاستقلال بسبب التهريج السياسي الذي انتظم السودان. وأبناء بريطانيا المدللون من أمثال مستر إيدن لا يدركون كم من الأرواح دفعها أجدادهم مهراً لنشر الحضارة والمسيحية في إفريقيا المتخلفة»**.

واستطرد قائلاً: **«إن أحد مهراجات الهند سأل الملكة فكتوريا قائلاً: ما سر عظمة بريطانيا؟ فردت عليه أن سرها يكمن في هذا الكتاب، فإن حادَ أبناؤها عن تعاليمه ما عادت بريطانيا عظيمةً، ولهذا جئتكم أنا بأعز هدية لمن دربتهم وهو هذا الكتاب المقدس»**، وأخرج من حقيبته 14 نسخةً من الإنجيل وطلب من كلِ واحدٍ منا أن يأخذ نُسخةً منها.

وإن نسيتُ فلن أنسى مبادرة ووقفة الأخ الزميل الشجاع ابن الدفعة (**بشير محمد علي**) قبل 45 عاماً مضت الذي انبرى له قائلاً بصوت عال: **«نحنُ المسلمين لا نحتاج إلى الإنجيل لأن القرآن هو كتابُنا ولأن الدين عند الله الإسلام»**. فازداد وجه القمندان احمراراً على احمراره حتى صار (كالفشفاش)، وردَّ على الفور قائلاً: **«مَنْ كان يؤيد كلام بشير هذا فليقف»** فوقفنا جميعاً دون تردد. وهنا ازدادَ غيظه وخرج على الفور حاملاً نسخ الأناجيل بعد أن غضب وتفاقم حنقه علينا. ولكن هيهات أن يفعل شيئاً إذ أصبح الرجل المهاب والصارم القسمات السيد (**خلف الله خالد**) أول وزيرٍ وطني للدفاع، وهو شخصيةٌ سياسيةٌ

ووطنيةٌ صادقةٌ وأمينة، ويهابه الكل. وقبل اليوم الأخير لاحتفالات التخرج وفي الصباح الباكر أثناء تدربنا على طابور التخرج جاء هذا القمندان مسرعاً وأمر صول التعليم الإنجليزي واسمه (**همر**) Hammer أن يجردني فوراً وينزع مني سيف البرنجية لأني لستُ أول الدفعة. وكانت للقمندان تسع نمر يعطيها على مزاجه لمن يريد ولا يراجعه أحد في ذلك حسب تقاليد الكلية منذ إنشائها في عمرها الثاني عام 1948م.

لقد كان هذا الذي سردته قليلاً من كثير مما كان يحدث في الكلية الحربية في عهد الاستعمار. ومن هنا جاءتني قناعة راسخة بأن الإنجليز قد وضعوا لنا ألغاماً موقوتة وزرعوا لنا شتى المتاعب التي ستنفجر جميعاً حسب التوقيت الذي وضعوه لها. ونحن الذين هبت علينا رياح الحرية والاستقلال نتطلع لمولد دولتنا الواعدة التي ظلوا يعملون على وأدها في مهدها أو على الأقل لشطر جنوبها الحبيب عن شمالها.

وفى اليوم المشؤوم وبالضبط في الساعة السابعة والربع انطلقت أول رصاصةٍ للتمرد من مدينة توريت مقر قيادة الفرقة. ولا أحد يستطيع أن يسرد تفاصيلها بتلك الدقة التي سردها بها زميلي (**عبد الوهاب**) فلا داعى للتكرار. ولكنني سأحاول قدر المستطاع أن أدلي بدلوي فيما طلبته من اللواء مزمل. تم اختيار الأميرآلاي (**إسماعيل بك سالم**) من قبل القيادة العسكرية والقيادة السياسية إبَّان فترة الحكم الذاتي للرئيس الخالد (**إسماعيل الأزهري**) ووزير دفاعه المهاب (**خلف خالد**) ليسودن القائد البريطاني. وكان معيارهم في الاختيار هو المقدرة العسكرية والأقدمية وصفات القيادة والإلمام بالجنوب وقبائله. وقد أصابوا في هذا كبد الحقيقة بلا شك، حيث كان (**إسماعيل بك**) يتمتع بهذه الصفات جميعاً.

وكان معيارهم الثاني هو أن ينحدر من أصولٍ جنوبية حيث كان هو من قبيلة الدينكا. وهنا يكمن الخطأ الحقيقي حيث لا الجنوبيين كانوا يعترفون به ولا هو كان يحبذ أن يُقال عنه إنه من أصلٍ جنوبي. غير أن ثقته في الجنوبيين كانت لا حدود لها، وكان له اعقاد جازم بأن الشماليين يُسيئون الظن بالجنوبيين بلا مبررات عقلانية. وأرجو أن لا يُفهم من حديثي وتقويمي لشخصية الأميرآلاي (**إسماعيل بك سالم**) أنه ينطلق من زاوية عنصرية، بل العكس تماماً حيث إنه ظل مؤمناً بوحدة تراب السودان كله جنوبه وشماله.

ولمعرفتي الوثيقة بالرجل رحمه الله وصداقتي الشخصية لابنه (**عثمان إسماعيل سالم**) أستطيع أن أؤكد بأنه من أولئك القادة الممتازين في الميدان إلا أنه لا يصلح لقيادة تتشابك فيها الأحوال العسكرية والإدارية والاجتماعية والسياسية. وأثناء دراستي بكلية الأركان البريطانية قام الطلبةُ بدراسة شخصية الفيلد مارشال (**مونت جومري**) وقوَّموا قيادته العسكرية بأنه أميز قائدٍ بريطاني أنجبته إنجلترا في وقت الحرب ولكنه لا يصلح أصلاً إذا تم اختياره اليوم ليرأس قواتهم لحفظ السلام في قبرص، وذلك لأنه يفتقر حسب تقديرهم للمرونة وتقدير المواقف، حيث إنَّ العوامل الأخرى خلاف العسكرية تماماً.

وحوادث مثل (**حادثة أنزارا**) و(**حادثة النشاب**) التي ظهر فيها وكيل البوستة وما ينقله الضباط إليه في كل يوم وساعة لم تزعزع ثقته في الجنوبيين على الإطلاق حتى عندما ضبط خطتهم مكتوبة في منزل وكيل البلك (**أمين سترلينو**). لقد كان ذا شخصية طاغية ومهابة، وكانت كلمته مسموعة في الخرطوم. وقد رفض العديد من الخطط التي تم وضعها. وكانت أول طلقة قاتلة قد صوبت على صدره

ففداه الشهيد (**بانقا**) أول شهيدٍ في التمرد. وهنا أدرك القائد نصائح ضباطه لكنَّ الأمن والضبط والربط قد انفلت تماماً. كان أخطرُ اجتماع لمجلس أمن المديرية قد انعقد في يوم 1955/8/7م بحضور المدير، ونائبِه، وقمندان البوليس، وبعضِ المفتشين، وقائدِ الفرقة الجنوبية، ومديرِ العمليات الحربية (**حسن بك بشير**)، والبكباشا (**حسن فحل**) الذي يعتبر من أذكى الضباط، والقائمقام (الطاهر بك عبد الرحمن)، والسيد (إبراهيم الطاهر)، وكثيرين من كبار المدنيين على رأسهم نائب مدير المعارف (**عبد الحليم علي طه**). وقد أجمعوا كلُهم على أن التمرد واقعٌ في يوم 8/18 لا محالة فماذا يفعلون؟ فقدمت الاقتراحات الآتية لعلاج الموقف:

1/ أن نسحب الذخيرة من توريت إلى جوبا.

2/ أن تُحرَس مخازن الذخيرة بقوات شمالية ترسل خصيصاً لهذا الغرض.

3/ أن تُرسَل قواتٌ شمالية مسلحة بمدافع الفكرز والبرينات الشيء الذي ليس لدى الجنوبيين، وتعسكر هذه القوات خارج مدينة توريت لتشكل قوات التدخل السريع إذا وقع التمردُ فعلاً.

4/ أن ينسف الضباط الشماليون كل الذخيرة بتوريت خصوصاً واليوزباشا مزمل غندور مهندس مقتدر في أعمال النسف وكان وقتها يعمل بالفرقة في توريت.

بعد طرح هذه المقترحات الأربعة اعترض القائد بشدة عليها جميعاً، وقال إنها ستثير الجنوبيين وتدفعهم للتمرد، وهم لم يفكروا فيه أصلاً. وتلك مجرد تشويشات من قلة قليلة لا تذكر. وفي مقابل هذه المقترحات أقر سفر البلوك الثاني في يوم 8/18 إلى الشمال، ولم يقترح أحد إلغاء أو تأجيل السفر بحجة كرامة وهيبة

القيادة، ناسين ما يسببه السفر من انزعاج لعوائل جنود الاستوائية. وكل واحد منهم يكون له على الأقل خمس زوجات، فأين يسكن في الشمال؟ وهل يستطيعون ممارسة الرقص عراة في الشمال كما يفعلون في الجنوب؟

لم تزل قضية البكباشا طيب الذكر (**إبراهيم عمر**) والبتجاويش ماثلة في الأذهان. وهم يجهلون عادات وطبائع أهل الشمال، ويا هول ما سمعوا عن الشماليين من الإنجليز، وكتابُ الكنيسةِ الشهير (**كاكا وكوكو**) ما يزالُ محفوراً في ذاكرتهم، وللحقيقة والتاريخ لا بد لي أن أقول: «**كان هناك عددٌ من الموظفين والتجار الجلابة القاطنين في الجنوب يعاملون الجنوبيين أسوأ معاملة مما زرع في نفوسهم انطباعا سيئاً عن إخوانهم الشماليين إذا آلت إليهم مقاليد الأمور**».

سفرى إلى الجنوب:

كنت في عطلتي الرسمية من السلاح الذي أنتمي إليه في مدينة عطبرة وهو سلاح المدفعية فتم استدعائي وأنا بملابس ملكية أتجول في سوق الخرطوم وحضرتُ إلى القيادة العامة (وزارة الداخلية حالياً) ومنها رأساً إلى مطار الخرطوم حيث ركبت أول طائرة بعد سعادة اللواء (**أحمد باشا عبد الوهاب**) المعين حديثاً لقيادة جميع القوات بالجنوب [G.O.C] وهبطت بنا الطائرة في مطار جوبا في نهار يوم التمرد نفسه 1955/8/18م. وكان صوت الطلقات النارية مدوياً في تلك اللحظات بمدينة جوبا. وعند منتصف الليل وصل إلى جوبا الفرسان السبعة الذين نجوا من مجزرة توريت بقيادة البكباشا (**الفحل**). وكُنتُ قد أُمرتُ من هيئة العمليات

بجوبا أن أكون ضمن القوة التي تؤمن لهم المعدية بعد أن وصلوا إلى منقلا واتصلوا منها هاتفياً. ومن حسن حظهم لم تصل إلى الهاتف يد التخريب. والسبعةُ الذين كانوا بقيادة الفحل يليه مزمل انسحبوا بعربة كومر بعد أن ساد الهرج والمرج متجهين صوب مدينة جوبا فطاردهم المتمردون بعربة، وعندما سمعوا صوتها أمسكوا عن الحديث ودخلوا الغابة في صمت سائرين بالأقدام لمسافات طويلة وسط الأحراش. وفي أثناء سيرهم اعترضهم بعض أبناء القبائل الذين كانوا مسلحين بالحراب والنشاب لأن المتمردين كانوا قد أخطروهم بما حدث في توريت وطلبوا منهم أن يقتلوهم بمجرد أن يروهم. ولذلك قاموا بوضع الكثير من الموانع في طريقهم.

وهنا أصدر لهم كبيرهم تعليماتٍ بأن يسيروا في تشكيل منتشر كتفاً بكتف، وعندما يصرف الأوامر يُشهر كل واحدٍ منهم طبنجته ولكن لا يطلق النار إلا إذا التحم بالعدو مباشرةً. وهنا على كل ضابط أن يضرب في المليان 6 طلقات. هذا المشهد الذي لم يره أهل الجنوب من قبل أثار فيهم الرعب فولوا هاربين، وكانت صورة من الشجاعة والإقدام لا مثيل لها.

وفي تقديري في ذلك الزمان وأنا صغير السن والرتبة والخبرة أستطيعُ أن أقوم الأمور بأن لا تقصير من الضباط على الإطلاق، بل إنني أعتبرها تصرفاتِ الشِجعان في مواجهة الموقف لا الفرار منه إن كان لا بُدَّ من ذلك. وبالطبعِ فإنَّ قائداً بلا جنود كسلاحٍ بلا ذخيرة. وبعد أن تحدثتُ عن اختيار الأميرآلاي (**إسماعيل بك سالم**) سأتحدث عن تقصير القيادة العسكرية والسياسية بالخرطوم.

حيث كان السباق نحو السودنة والحكم الذاتي والاستقلال قد تم دون التحضير لمستلزمات وضروريات المرحلة التي تتمثل فيما يلي:

1/ تشكيل قوات ومواصلات وحركة وأجهزة اتصال وطائرات وطرق وناقلات الخ.

2/ وسائل الإعلام والصحف لمواجهة حرب الإشاعات التي غمرت الجنوب ومنها (رسالة الأزهري المزعومة).

3/ انعدام أجهزة المخابرات والاستخبارات والتوجيه المعنوي.

4/ دور مصر الشقيقة والجفوة بين مصر والسودان ونشاط الصاغ صلاح سالم ووعده للجنوبيين.

5/ اتفاقية الحكم الذاتي، وبند الانهيار الدستوري فيها، وخطب سعادة القائد العام عشية ليلة التقدم المرتقب.

6/ سلاح الطيران الملكي البريطاني ودوره في المرحلة.

7/ نقل المفتشين للمستعمرات المجاورة وأخطرهم مستر ديوك مفتش ييي الشهير.

8/ تفتيش دار مفتش الري المصري بجوبا وانعكاساتها بالقاهرة.

9/ وعود الأحزاب الشمالية للجنوبيين بالسودنة، وخيبة أملهم، وفصل وزرائهم من أول حكومة وطنية.

* * *

الحلقة (2)

نعم تأخرت قوات الحكومة في الخروج من جوبا

* * *

هل كان من الضروري نقل البلوك الثاني من القيادة الجنوبية للشمال في ذلك الزمان الباكر من الحكم الذاتي؟ وهل كان ممكنا إلغاء النقل عند بوادر العصيان بواسطة قيادة الجيش؟ بالطبع نعم، فلماذا لم تفعل القيادة ذلك؟ السبب أن سعادة القائد العام (**أحمد باشا محمد**) ومعالي البكباشا (**خلف الله خالد**) هما من الصقور ومن نفس مدرسة (**إسماعيل بك سالم**)، وهما اللذان اختاراه لقيادة القيادة الجنوبية، ولهذا كانت كلمته مسموعة لديهما وهما من طاقم الجيل الأول الذي سودن الإنجليز وآلت إليهم القيادة العليا ورئاسة الفرق.

وأحمد باشا عمل بالجنوب في سنواتٍ سابقة كان فيها المواطنون الجنوبيون مسالمين للغاية ولا يمكن أن يعتقد من عايشهم في ذلك الزمان أن يتحولوا في هذا الزمن الوجيز من الدهر ويُصبحوا بهذه الشراسة ويقتلون الأطفال والنساء والمدنيين العزل ناهيك عن السلب والنهب والحرق. وكان رجال الجيش والشرطة والسجون في منتهى الانضباط ولا علاقة لهم بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد. وكذلك الأهالي البسطاء.

أما طبقة الموظفين فقد كانوا يتطلعون إلى أربعين وظيفة عليا في السودنة حسب ما وعدتهم به الأحزاب الشمالية في زياراتهم السياسية لهم، وكذلك فعل الصاغ (**صلاح سالم**) الذي رقص معهم عارياً، واستطاع أن يكسب ودهم،

فجاءت السودنة ولم يُعَيَّنْ منهم مديرٌ واحد أو نائبُ مدير أو كُمندان بوليس لا في الجنوب ولا في الشمال. وكانت أعلى وظيفتين نالهما جنوبيون هما وظيفتا نائبي مفتشين تحت إمرة مفتشين شماليين. وهنا بدأ المتعلمون منهم يتصلون بالجنود ويملأونهم كراهيةً وحِقداً على إخوانهم الشماليين. وبدأت الحرب النفسية وحرب الإشاعات تعم الجنوب بأكمله خصوصاً أبناء المديرية الاستوائية بجميع مراكزها. أما الدينكا في مديرية بحر الغزال والشلك والنوير في أعالي النيل فلم يشتركوا في هذا التمرد. وكان لبرقية الزعيم الأزهري المزعومة وهو رئيس وزراء أول حكومة وطنية في ظل الحكم الذاتي والمملوءة بالإفك والبهتان أكبر الأثر في تعبئة الجنوبيين ليشعلوها ثورة عارمة. وكانت البرقية المختلقة تقول:

[إلى كل رجال إدارتي، وإلى ضُباطي الشماليين في الفرقة الجنوبية، لقد وقعت الآن على وثيقةٍ لتقرير المصير، فلا تستمعوا لشكوى الجنوبيين الصبيانية، اضطهدوهم وضايقوهم وعاملوهم معاملة سيئة بِناءً على تعليماتي. وكل إداري أو ضابط يفشل في تنفيذ أوامري سيكون عُرضةً للمحاكمة. وبعد ثلاثة أشهر ستأتون وتجنون ثمار ما قمتم به من أعمال].

تم اختلاق وتلفيق هذه البرقية في اليوم الأول من شهر يوليو عام 1955م وطبعها الموظفون والكتبة على أوراق حكومية ووزعوها كمنشور على جميع المراكز والمحطات، وعلم بها الجنود والأهالي البسطاء. ولم يكن هناك أي مجهود بُذِلَ من الإداريين أو الضباط لتعريتها وكشف زيفها وتوضيح أنها مُختلقة. إذ لا يعقل أن يحرر الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) ذو الحكمة والصبر والمرونة والدهاء السياسي برقيةً مثل هذه تجلب عليه الوبال ولا تمثل إرادته السياسية بأي حالٍ من

الأحوال. ولم يكن للحكومة جهاز مخابرات ولا للجيش فرع استخبارات له كوادر وإمكانات يمكنها أن تفند مثل هذه البرقية المختلقة وتمتص غضبة الشارع، وتبدد مثل هذه الإشاعات وتحلل أغراضها ومراميها، وتستدل على الذين فبركوها وروجوا لها وتفضح أهدافهم وما يرمون إليه. ولذلك انتشرت تلك البرقية واستفحلت حرب الإشاعات وعمت كل أرجاء الجنوب بالأخص منطقة الاستوائية. وتمكن الذين تضرروا من السودنة والحكم الذاتي من صغار وكبار الموظفين والسياسيين أن يغسلوا أدمغة الجنود والأهالي البسطاء ويحولوهم إلى أعداء ضد الشماليين الذين يسمونهم **(المندكورو)**.

مولد حزب الأحرار الجنوبي:

لم يكن بالجنوب أحزاب سياسية، وكان نوابهم ينضمون إلى الأحزاب الشمالية. ولكنهم كانوا كثيري التنقل من حزبٍ إلى حزب، تارةً مع حزب **(الأمة)** وتارةً مع الحزب **(الاتحادي الديموقراطي)** وهكذا. ولكن عندما جاء عام 1953م شكل السياسيون الجنوبيين أول حزبٍ لهم سموه **(الحزب الجنوبي)**. ثم تغير اسمه في عام 1955م إلى حزب **(الأحرار الجنوبي)**. وكان لهم في البرلمان 22 مقعداً، وعندما رفض الرئيس الأزهري وزيريهم الاثنين **(بولن ألير)** و**(السير داك دي)** نشط حزب **(الأحرار الجنوبي)** وأصبحت له شعبية طاغية وسط الجنوبيين الذين عقدوا اجتماعاً تاريخياً في شهر يونيو عام 1955م بمدينة جوبا هاجموا فيه الحكومة والشماليين هجوما عنيفاً، وطالبوا بالاتحاد الفيدارالي. وكانوا بذلك التصرف قد

تجاوزوا حدود النقد المشروع وقاموا بإلقاء خطب شديدة الآثارة وصفوا فيها الشماليين بأنهم ظَلَمة ومتسيطرون وتجار رقيق!! فنتيجة السودنة جعلتهم يتكتلون في جبهة واحدة هي: **(حزب الأحرار الجنوبي)** وخيبت آمالهم. وتبوأ الشماليون وظائف الإنجليز الذين كانوا قد انفردوا بحكم الجنوب دون المصريين الذين كانوا يمثلون الشريك الغائب رغم أن الحكم قد كان ثنائياً كما هو معلن حسب اتفاقية الحكم الثاني. ولم يرفع بجنوب السودان طوال فترة الاستعمار إلا العلم البريطاني دون العلم المصري. وكان البرلمان في الخرطوم قد ذهب في عطلته الصيفية، فما كان من الأعضاء الجنوبيين إلا أن سافروا إلى الجنوب وانضموا لحزب الأحرار الجنوبي.

بعد ذلك وقعت أحداث أنزارا الشهيرة في مصنع النسيج في يوم 1955/7/26م. وكانت الجبهة المعادية للاستعمار التي اعتُبِرت نصيرةَ الطبقة العاملة قد وصلت إلى أسماعها تلك الأحداث فكونوا أول نقابة عمالية لمصنع أنزارا، وعمت الاضطرابات أنزارا فقُتل مدير المصنع المرحوم **(الطاهر سراج)** وآخرون. وقد بدأت الأحداث بالنهب والحرق لمتاجر الشماليين مما جعل التجار الشماليين مضطرين لحماية أنفسهم. وفي تلك الأثناء وصل صنف **(11 عسكري)** برفقة ضابطٍ شاب هو الملازم **(معتصم عبد الرحمن)** ومفتش يامبيو السيد **(محمود حسين)**. ولما كانت أعداد الجنوبيين تفوق قوة الحكومة بكثير وعزموا الهجوم على هؤلاء الجنود كان لا بد من فتح النار عليهم فسقط منهم عدد من القتلى وفر الباقون إلى الغابة. وهذه القوة نفسها انضمت بعد أسبوعين إلى التمرد مستغلةً هذه الحادثة أبشع استغلال من خلال حرب الإشاعات التي أشعلوها بضراوة وصورها السياسيون والمتعلمون الجنوبيون بأنها البداية لإبادة الجنوبيين جميعهم، وأن الشماليين

سيأتون بأعداد ضخمة من الجيوش لهذا الغرض. وتأثر الكثيرُ من أبناء الجنوب بتلك الفرية التي ضخمها الأهالي والجنود بشكل بشع، وفسروها بأنها بيانٌ عملي لما سيصيبهم من الشماليين إذا لم يبادروا بإبادتهم سريعاً.

ولم يكن هناك إعلامٌ يقوم بتوضيح الحقائق للجماهير ويضحد هذه الإشاعات ويحاربها في مهدها. ولا وجود لصحافة أو برامج تخاطب الناس بلهجاتهم ليتفهموا واقع الأمور. وكان في إمكان السلطة السياسية أن ترسل وزيراً من وزرائها الكبار تكون له صلاحياتُ رئيس الحكومة إلى جوبا ليتعامل مع المواقف حسب مقتضياتها. فهل هذا هو الأجدى أم أن تُترَكَ الأمور للموظفين الإداريين الذين تقيدهم قوانين الخدمة المدنية بألا يتعاطوا السياسة؟ وهل كان بالإمكان للقيادة العسكرية أن تستبدل قائد توريت بقائدٍ جديد من المدرسة الجديدة من قادة الجيل الثاني؟ على كلِ حالٍ فإنني أود في المساحة التالية أن أصنف ضباط قوة دفاع السودان ثم الجيش وأخيراً قوات الشعب المسلحة إلى ثلاثة أجيال، وهذا التصنيف من بنات أفكاري الشخصية:

1/ الجيل الأول هو جيل المؤسسين منذ عهد الكلية الحربية التي كانت فرعاً من فروع الكلية الحربية بمصر التي خرجت ضباطاً منذ عام 1903م ومن نجوم دفعتها البارزين اللواء (**حامد باشا صالح المك**) 1907م والأميرآلاي مهندس (**عبد الله بك خليل**)، والفريق مهندس (**أحمد باشا محمد**)، والفريق مهندس (**إبراهيم باشا عبود**)، وقبلهم (**خلف خالد**)، و(**عبد الوهاب بحيري**)، و(**زين العابدين صالح**)، و(**أدهم عدلان**)، والأميرآلاي (**سليمان بك الخليفة**)، والأميرآلاي (**حسن بك الزين**)، و(**فضل المولى التوم**).

2/ الجيل الثاني ويسمى جيل ضباط البراءة وهم الذين اختارهم الإنجليز؛ بعضُهم من طلبة كلية غردون والبعضُ الآخر من الموظفين من حملة شهادة (C.S) الخدمة المدنية. وقد تم تدريبهم بنفس مناهج أية كلية حربية في ذلك الزمان 1936م لأجل قيادة وحدات قوة دفاع السودان بمناهج ومقررات مضغوطة تسمى دورات الحرب. وكان السبب هو أنه بعد تمرد الكلية في عام 1942م تقرر إغلاقها ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية واحتلت إيطاليا الحبشة خشيت الإمبراطورية البريطانية من أن يزحف الطليان على السودان الذي يعتبرُ سلة غذاء إفريقيا والشرق الأوسط وهو منطقة نفوذهم ولما يعلن هتلر الحرب عليهم. ولذلك قررت رفع قوة دفاع السودان (ق.د.س) من 5 آلاف جندي إلى 50 ألفاً. وكان لا بد من خلق كادر قيادي لقيادة الجنوب فكانت البراءة والتسمية لا تحمل أي فارق علمي غير أن كلمة الكلية الحربية صارت بعبعا مخيفاً لهم.

والدليل على كفاءة ومقدرة ضباط البراءة ما قام به الملازم (**محمد نصر الدين عثمان**) والملازم (**طلعت فريد**) والملازم (**بحاري**) و(**عبد الله محمد مصطفى**) في كسلا والقلابات من دحرهم لفرق الطليان برغم عددهم وعتادهم، حتى وجد الإنجليز أنفسهم مجبرين على الإنعام عليهم بنيشان الشجاعة (M.C). وجاءت سيرتهم في الذكرى الحسنة. وضم الفيلد مارشال (**مونت جومري**) قودة دفاع السودان ضمن جيشه الثامن، ودعاهم لحضور احتفالات النصر بلندن. ومن نجوم ذلك الجيل أيضاً (**أحمد عبد الوهاب**) الذي كان من أكفأ وأقدر وأذكى مَنْ أنجبتهم قوة دفاع السودان ومن بعدها القواتُ المسلحة. ومنهم (**حسن بشير**)،

و(**حمد الله**)، و(**أحمد رضا**)، و(**عروة**)، و(**الطاهر عبد الرحمن**)، و(**حمد النيل**)، و(**الزين حسن**)، و(**إبراهيم عمر**)، و(**شنان**)، و(**عوض عبد الرحمن**)، و(**التجاني**)، و(**أحمد الشريف**)، و(**صديق محمد طه**)، و(**عبد الحميد خير السيد**)، و(**حسن فحل**)، و(**عمر الحاج موسى**)، و(**يوسف الجاك**)، و(**عبد المنعم عبد السلام**)، إلى آخر القائمة. فهل كان يمكن للقيادة العسكرية أن تعين واحداً منهم لأنهم جيل المتغيرات في تاريخ السودان كما فعلت بعد التمرد وبعد أن وقع الفأس في الرأس؟ حيثُ تَعين اللواء (**أحمد باشا عبد الوهاب**) ليقود كل القوات في مسرح العمليات لإخماد التمرد وإعادة الأمن والنظام وسلطة الحكومة في كل بقعة من بقاع الجنوب.

3/ أما الجيل الثالث والأخير فهو جيل الكلية الحربية التي فتحها الإنجليز عام 1948م في عهدها الثاني. وكان أولهم (**مزمل سليمان غندور**). وقد سُميت دفعته بالدفعة الأولى، ولكن في تقديري أن هذه التسمية تخالف حقائق التاريخ لأن الدفعة الأولى هي دفعة 1903م، حيثُ لا يجوز محو كل الدُفعات لأن الكلية أُغلِقت في عام 1924م، ولأن الترقيم يجب أن يستمر من عام 1936م مرورا بعام 1948م. أما عن وسائل الاتصال فقد كانت الأجهزة من طراز (CII)، وكان جميع عمال اللاسلكي الذين يتلقون ويرسلون البرقيات هم جنوبيون سواء في الوحدات العسكرية أو المراكز أو برئاسة المديريات عدا قائد وحدة الإشارة بتوريت الشهيد البطل الملازم (**عبد القادر محمد عباس**) أول الدفعة 4. ولو كان قد عاش لربما وصل إلى منصب القائد العام لأنه كان مبرزاً في كل شئ. وكان الحاكم العام

قد انتدب ياوره لتقديم واجب العزاء لأسرته في الخرطوم 3 ومعه خطاب عزاء رقيق ممهمور بإمضائه (**سير نكس هلم**) لأنه كان في رحلة الوداع الأخيرة. وقبل التمرد بثلاثة أشهر زار برفقة عقيلته وكريمته مدينة توريت وبقية مدن الجنوب وكان المرحوم عبد القادر مرافقاً لهم فأعجب به كثيراً ووقف على مواهبه المبكرة عن قُرب.

عمال اللاسلكي THE OPERATORS

لعب عُمال اللاسلكي The Operators دورا مهماً وخطيراً في نقل الرسائل المفبركة لجميع المحطات قُبيلَ وأثناءَ التمرد. وقاموا بنقل الأخبار فيما بين المحطات، وأبرقوا الدول المجاورة (كينيا ويوغندا) بضرورة التدخل طالبين المساعدة منهم ومن بريطانيا ومصر. وعندما وصل خبر التمرد بواسطة اليوزباشا (**صلاح عبد الماجد**) والملازم (**النوراني**) أرسلت السلطة الإدارية العليا بجوبا برقيةً لجميع مراكزها تنصح المفتشين أن ينجوا بأنفسهم وعوائلهم ومَنْ حَولهم من التجار إلى الأقطار المجاورة لأن الفِرقة الجنوبية قد تمردت في توريت وفي جميع المراكز، وحتى مدينة جوبا قد أصبحت مهددة.

قام جميع العاملين على أجهزة اللاسلكي بتسليم هذه الإشارة إلى زعماء المتآمرين كل في منطقته دون يُخبروا بها من أرسلتْ إليهم على عناوينهم أو أي واحدٍ من الشماليين حتى يتسنى لهم تجميعهم جميعاً إداريين وضباط وتجار وعوائل وأطفال في السجون ثم يتم حرقهم والقضاء عليهم جميعاً ويتم بعد ذلك نهب منازلهم. وقد كان لهم ما أرادوا فمات الكثيرون إلا قلة كتب الله لها البقاءَ وطُولَ العمر فحكوا لنا بأفواهِهِم ما حدث بالتفصيل عندما عاد الأمن والنظام مرةً

أخرى بعد اثني عشر يوماً. وفي مدينة جوبا التي كانت منطقة تجميع القوات الشمالية ومنطقة الحشد للتقدم الذي تأخر 12يوماً جرت أبشع مجزرةٍ بشرية شهدها تاريخ العالم الحديث، حيثُ لم ينجُ منها حتى الأطفال الرُضع. وكان اليوزباشا (**أحمد البشير شداد**) الذي اختاره قائدُ القوات (**أحمد باشا عبد الوهاب**) بحكم كفاءته العالية في سلاح الإشارة وإلمامه بلهجات وعادات قبائل الاستوائية إذ خدم بها في عهد الإنجليز بعد تخرجه في الكلية في عام 1950م كان يعمل بنفسه لمدة 18 ساعة في اليوم يتصنت خلالها لرسائلهم التي يبثونها عبر الأجهزة.

وفي تلك الفترة كانت كل المكاتبات والرسائل باللغة الإنجليزية التي يجيدها أحمد عبد الوهاب وشداد إجادة أهلها. وكان لأحمد خاصية أخرى إذ كان يكتب بيديه الاثنتين اليمنى واليسرى ويترجم ويحلل ويكتب التقارير الاستخبارية. وأعتبر بذلك واحداً من أهم المصادر للقائد ولهيئة العمليات بجوبا. وكنا نستكشف منه حالاً أخبارَ مَنْ استشهد من الزملاء وكيف كان المتمردون يتحدثون لبعضهم البعض بلهجاتهم المحلية التي كان يجيدها أيضاً. كما كان يعرف أسماء جميع جنود الإشارة الجنوبيين الذين يناديهم في الأجهزة بأسمائهم.

تواريخ محفورة في الذاكرة:

لا بد أن يلم القارئ الكريم بهذه التواريخ المهمة في مسيرة أحداث جنوب السودان ويقارن بين الأزمنة، حيث إنَّ الزمن كان عُنصراً سالباً في انصهار القومية السودانية، ومن هذه التواريخ:

- (1930م) الذي شهد قانون المناطق المقفولة وسياسة الإنجليز في الجنوب.
- (1944م) قيام المجلس الاستشاري لشمال السودان.
- (1948م) تاريخ انعقاد مؤتمر جوبا وترك سياسة الجنوب.
- (1948/12/15م) يوم افتتاح الجمعية التشريعية لكل السودان.
- (1953/2/12م) توقيع الاتفاقية المصرية الإنجليزية الخاصة بالسودان. وقد نجح الصاغ (**صلاح سالم**) في توحيد الجنوبين ليوقعوا تلك الاتفاقية وهي محمدة تاريخية لا بُد أن تُذكر لصلاح سالم.
- (1954/1/1م) تاريخ افتتاح أول برلمان لكل السودان.
- (20 فبراير 1954م) تاريخ السودنة التي تسلم فيها السودانيون المناصب التي كان يشغلها المستعمرون الإنجليز.
- (مايو /1955م) الجفوة مع مصر بسبب إلغاء سياسة الاتحاد.
- (1955/7/7م) يوم انعقاد مؤتمر حزب الأحرار الجنوبي بجوبا.
- (1955/7/26م) حوادث العمال والأهالي في أنزارا.
- (1955/8/7م) حادث النشاب وضبط وثائق خطة التمرد في منزل القس سترلينو بتوريت.
- (1955/8/9م) اندلاع المظاهرات الصاخبة في جوبا.
- (1955/8/10م) وصول بلتونين من الهجانة بالطائرات إلى جوبا.
- (1955/8/14م) إصدار الأمر الإنذاري للبلوك الثاني من الفرقة الجنوبية بالسفر إلى الخرطوم في يوم 1955/8/18م ولم يخبرهم أحد بطول المدة التي سيغيبون فيها عن عوائلهم.

- (1955/8/18م) يوم اندلاع التمرد المشؤوم بتوريت.
- (1955/8/30م) اندلاع التمرد في كل مراكز ومحطات المديرية الاستوائية.
- (8/30/ 1955م- 1955/9/6م) التحرك لاحتلال القوات الشمالية لكل الاستوائية وإعادة حكم القانون والنظام وهيبة الدولة إليها.

التقدم لإنقاذ ما تبقى وإعادة السلطة الشرعية:

إن السؤال المهم الذي لا بد من طرحه هو: هل تأخرت قواتُ الحكومة في الخروج من جوبا إلى المراكز الخارجية؟ بالطبع فإن الإجابة هي (نعم)، حيث إنه وفي أثناء هذه المدة تمت أغلب المجازر التي راح ضحيتها نفرٌ عزيز من أبناء السودان من الضباط والإداريين والخبراء في مجالات البيطرة والتجارة وغيرها. ولكن لم يمسوا بسوء أي واحدٍ من الإغريق أو الطليان والشوام والمصريين والبريطانيين الذين بقي منهم آنذاك ثلاثة أشخاص. وفي نفس الوقت لم يمسوا بسوء ممتلكات هؤلاء الأجانب ولا أحداً من المبشرين أو كنائسهم التي كانت منتشرة بكثرة في تلك الفترة.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنه كانت لبعض هؤلاء الأجانب مواقف إنسانية عظيمة حيث قاموا بتأمين كل من تمكن من اللجوء إليهم من الشماليين وقدموا العلاج الفوري للجرحى منهم. وإن شاء الله في الحلقة القادمة سنسرد كيف تم تجميع وحشد القوات؟ ولماذا مكثوا 12يوماً حتى صُرفت الأوامر للتحرك في الساعة الثانية عشرة منتصف الليل من اليوم المحدد وكيف تم العبور للضفة الشرقية؟ وما هي خطة سعادة القائد العام في الليلة التي سبقت التحرك؟ ولماذا أصر سير

وليم لوس مستشار الحاكم العام للشؤون السياسية والخارجية والسيد مبارك زروق على مرافقة القوات عند التقدم من جوبا إلى توريت؟ وكنتُ أنا أول من عبرتُ بقوتي إلى الضفة الشرقية. وماذا تم قبل دخول توريت؟ وكيف انهمرت دموع الرجل الكبير الفريق أحمد باشا محمد عندما احتضن طفلةً وهو يعلم أن جميع أهلها قد استشهدوا وعددهم 54 وهم عائلة الشهيد وعميد الأسرة الشيخ الفزاري من أبناء أم دوم نسأل الله أن يتقبلهم جميعاً في جنات الخلد أنه سميعٌ مجيب.

* * *

الحلقة (3)

سببان حالا دون سقوط جوبا في أيدي المتمردين

عبقرية الأزهري وحكمته وثاقب فكره منعته من تقديم هذا الطلب:

أهم وثيقة وجدها المصريون في عهد الرئيس مبارك:

كان أهم ناقل وطني للسودان في ذلك الزمان هو السكة الحديد. وهي أكثر السكك الحديدية طولاً في قارة إفريقيا والشرق الأوسط، حيث تمتد من حلفا إلى الخرطوم، ومن الخرطوم إلى الأبيض، ومن الخرطوم إلى بورتسودان. ورغم ذلك لم تصل في تلك المرحلة إلى عمق غرب السودان ولا إلى جنوبه إلا بعد الاستقلال في عهد الرئيس الفريق إبراهيم عبود رحمه الله. وكانت السكة حديد مثالاً للكفاءة والانضباط حتى أصبح الناسُ يضربون بها المثل في دقة المواعيد فيقولون: (فلان

مواعيده مواعيد سكة حديد). لقد كان ذلك عصرها الذهبي، وكانت البواخر النيلية هي الوسيلة الأولى للنقل بين كوستي وجنوب السودان رغم أنها كانت بطيئة الحركة. حيث كانت الرحلة من كوستي إلى جوبا تستغرق زُهاء الأسبوعين. كما أن البواخر كانت قليلة العدد وقديمة الصنع. وبالمقابل كانت الخطوط الجوية السودانية أسرع الوسائل حركةً، إلا أنها كانت في طور الإنشاء، إذ تملك الشركة ثلاث طائراتٍ فقط من طراز (داكوتا) التي لا تزيد حمولتها عن 27 راكباً.

وتستغرق الرحلة من الخرطوم إلى جوبا أكثر من ثلاث ساعات بحكم أن الداكوتا من الطائرات المروحية البطيئة. وكان جميع أفراد طاقمها من كباتن ومهندسين من البريطانيين يساعدهم اثنان فقط من الشباب السودانيين في ذلك الوقت هما كابتن شيخ الدين وكابتن زمراوي. وكان مديرها في تلك الفترة بريطاني الجنسية. ولم تظهر للوجود في تلك المرحلة الطائرات العملاقة ذات المدى البعيد والحمولة الكبيرة. ولهذا كان لزاماً على طائرات الداكوتا أن تهبط في مطار ملكال للتزود بالوقود قبل أن تواصل إلى جوبا. ولم يكن العالم يعرف غير الطائرات العمودية (الهليكوبتر) آنذاك. وكانت شركة شل هي المحتكرة لاستيراد الوقود لقوة دفاع السودان في قياداته المختلفة وكذلك كانت تمد كل قطاعات الحكومة بالوقود. ولذلك كان لها في كل مركز ومدينة مخازن للوقود.

وكان العاملون بها يتمتعون بكفاءة عالية، وكانت أجورهم عالية قياساً بغيرهم من المؤسسات. أما الشاحنات فقد كانت جميعها بريطانية الصنع من طراز (كومر نصف وواحد ونصف طن و3 طن و7 طن). وقد تم ترحيل القوات عبر الجو بدون ناقلاتها البرية. وكانت الخدمات الطبية الميدانية المتمثلة في السلاح الطبي

في طور النشأة. وقد تطوع الأطباء الشباب من وزارة الصحة لسد النقص ومنهم الدكتور (**حسن كشكش**)، والدكتور (**عمر حسن أمين**)، والدكتور (**حسبو**). وقد تم منحهم رتبة اليوزباشا ليرافقوا القوات في جولات التقدم شرق وغرب الاستوائية ولاحقاً إلى واو في 1955/8/30م. وقد حازوا جميعاً على إعجاب العسكريين وتقدير كل الضباط.

هذه المقدمة توضح لمن لم يعايش تلك المرحلة أن يلم بوضع السودان ويتصوره بمساحته الشاسعة الواسعة (مليون ميل مربع) والتي تعادل حجم قارة وليس به طريق مُعبدٌ واحد في تلك المرحلة رغم أن قواته موزعة في شتى الأماكن. والملاحظ أن مدينة الخرطوم بها القيادة والأسلحة الفنية، وفرقة الهجانة في الأبيض، وفرقة العرب الشرقية بالقضارف، وفرقة العرب الغربية بالفاشر، وفرقة خط الاستواء بتوريت، وكل هذه التسميات فرضها المستعمرون ليزرعوا من خلالها العنصرية والقبلية بين أبناء السودان.

وكما ذكر الزميل العميد ركن (**عبد الوهاب البكري**) في سلسلة حلقاته بصحيفة الرأي العام فقد وصل إلى مكتب إشارة القيادة العامة نبأ التمرد في توريت صباح يوم 1955/8/18م من القائمقام (**حسن بك بشير**). ووضعت القوات في جميع محطاتها في حالة استعداد قصوى، وصدرت الأوامر للوحدات من كل القيادات التي خصصت للحضور للخرطوم بأقصى ما يمكن وبأسرع وسيلة وبكامل الإعداد وبالسرعة التي يتطلبها الموقف. وكانت تلك الأيام تشهد دخول موسم الحج لبيت الله الحرام وكان لا بد لطائرات الدول الأجنبية أن تهبط بالخرطوم لتتزود بالوقود قبل أن تواصل إلى الأراضي المقدسة. وهنا قررت الحكومة أن تلتزم

أي طائرة تريد وقوداً أن تُنْزِل جميع الحجاج الذين على متنها بمطار الخرطوم وتنفذ طلعةً إلى جوبا بالجنود ثم تعود بدونهم إلى الخرطوم لتحمل حجاجها. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يُسمح لها معها بالتزود بالوقود. وحتى الطائرات الأجنبية كانت من (**الداكوتا**) أو من فصيلتها أو أكبر قليلاً منها. وبتلك الطريقة تم تجميع وحشد القوات في اثني عشر يوماً بدأت يوم 1950/8/18م وانتهت في يوم 1950/8/30م. فهل كان بالإمكان اللجوء لطريقة أخرى غير هذه؟ في الواقع لم يكن العالم يعرف الطائرات العملاقة في ذلك الزمان، والمستعمر لم يورث السودان أكثر من ثلاث طائرات داكوتا تستخدم جميعها لتوطيد أركان الحكم الذاتي. ومبدأ حشد الجنود في الزمان والمكان المناسبين من مبادئ الحرب العشرة منذ عهد هانيبال.

تم وضع الخطط البديلة لمواجهة مستجدات المعركة. وخلاصة القول إنَّ عِلْمَ تقدير الموقف ليس حِكْراً على العسكريين بل لا بد أن يلم به كل ذو شأن ومسؤولية حتى التاجر في تجارته، فهل كان بالإمكان تجميع القوات بالخرطوم كخطوةٍ أولى؟ خصوصاً وأن التمرد كانت له سوابقه ودلالاته القاطعة! ثم هل كان بالإمكان دفع هذه القوات أو حتى نصفها إلى جوبا بدلاً من دفع بلوك واحد من الهجانة المهابة؟ والحمد لله أن ذلك الأمر قد تمَّ قُبيلَ اندلاع التمرد، ولولا هذا البلوك ووجود الأميرآلاي (**حسن بك بشير**) مدير هيئة العمليات بجوبا لسقطت جوبا.

وإذا سقطت جوبا كان الموقف العسكري والإداري حتما سيدخلان في أزمة حقيقية وكانت القوات ستفقد مبدأ الحركة بالسرعة المطلوبة، وكان الموقف

سيصبحُ في غاية الخطورة وهو ما كان يرمي إليه الإنجليز المسودنون حديثاً ومن ورائهم الكنائس. وهنا يبرزُ سؤال يفرضُ نفسه وهو: **(هل كان بالإمكان الاستعانة بسلاح الجو المصري وسلاح الجو البريطاني الذي له جناحٌ بالخرطوم؟)** علماً بأن هذا الفرع قد رحلَ قُبيلَ التمرد إلى عدن حيث إنضم للقاعدة البريطانية في الشرق الأوسط.

في الواقع إن اتفاقية الحكم الذاتي التي نصت على السودنة وضعت في طليعتها الجيوش الأجنبية لأجل خلق ما عُرِفَ بالجو الحر المحايد. وقد كان البريطانيون العاملون بالسودان ضد التوقيت الذي حُدد للسودنة والحكم الذاتي وعارضوه بشدة. وكان كبيرهم السكرتير الإداري **(السير جيمس روبرتسون)** والقائد العام **(الجنرال سكونز باشا)** من أكثر المعارضين للسودنة. وقد رفض الأول حفلات الوداع التي تقرر أن تُقامَ له وسافر قبل شهرين تقريباً من انتهاء مدة خدمته، إلا أن الإمبراطورية عينته حاكماً عاماً لنيجريا أرضاءً له.

أما الحاكم العام السيد **(روبرت هاو)** فقد عُين خصيصاً بعد الحرب بواسطة **(مستر إيدن)** رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت وخليفة **(ونستون تشرشل)** ليقود السودان نحو تدابير الاستقلال تحقيقاً للوعد الذي قطعوه أثناء الحرب للشعوب التي تحالفهم واحتراماً وتقديراً لمذكرة الخريجين الشهيرة وبسالة وتضحيات قوة دفاع السودان في الحرب ولتزويد السودان لهم باللحوم والبقوليات الخ.. ووضع مستشفى النهر ليكون مستشفى القاعدة للجيش الثامن، ووادي سيدنا لتكون قاعدة لحلفائهم الأمريكيين. وأصبحت الخرطوم منطقة الحشد للجنود الهنود والإفريقيين التابعين للجيش الثامن.

كما كانت بها معسكراتُ تجمع الأسرى الطليان في إفريقيا والشرق الأوسط ومصر التي لم تحالفهم حتى وصول ثعلب الصحراء **(روميل)** إلى العلمين وقبيل انتهاء الحرب بأشهر قليلة مما تسبب في اغتيال رئيس وزرائها النقراشى باشا عليه رحمة الله. والزعيم إسماعيل الأزهري بحكمته وثاقب فكره لم يطلب المساعدة من دولتي الحكم الثنائي حتى لا يُستغل هذا الطلب في إعمال المادة 100 من دستور الحكم الذاتي التي تُعرف بمادة حالة الانهيار الدستوري. ووفقاً لذلك الدستور فإنه إذا وقعت كارثة مالية أو حدث انهيار للقانون والنظام فإن ذلك يستدعي تدخل الإنجليز مباشرةً لمصلحة الإدارة الحسنة للسودان مما يجوز معه إعلان حالة الطوارئ الدستورية. وعندئذٍ يتم تعطيل البرلمان ويتخلى رئيس الوزراء والوزراء عن مناصبهم، وعلى الحاكم العام إن كان ذلك عملياً أن يُعين مجلساً للدولة بالعضوية التي يراها مناسبة ويعهد إلى ذلك المجلس بواجب إيجاد الوسائل لإعادة الحكومة البرلمانية الفعالة في اقرب فرصة ممكنة.

وفي الوقت ذاته يعاون مجلس الدولة الحاكم العام للحفاظ على إدارة حسنة للسودان. وكان آخر حاكم عام لأشهر معدودة وهو **(سير نكس هلم)** Sir Nox Helm قد قطع إجازته وعاد في 1955/8/20م إلى الخرطوم وحرر منشوراً وزع من الجو بطائرتين يقول فيه للمتمردين: «**أنا قائدكم الأعلى بهذا آمركم أن توقفوا أعمال القتل والنهب والحرق وأن تسلموا أسلحتكم وأنفسكم. وعندها سأضمن لكم تحقيقاً ومحاكمة عادلة**».

وكان قد سبقه لهذا الإعلان الرئيس **(إسماعيل الأزهري)** فرفضوه. وقامت طائرتان بعدة طلعات شملت كل المناطق لعدة أيام، وأغلب الظن أن الحاكم

العام كان قد طلبهما من القاعدة البريطانية بعدن، وقد ردوا بالموافقة على ندائه. وكانت القطيعة بين مصر والسودان قد وصلت إلى أقصى مدىً لها وتطورت إلى حد الشتائم العلنية في وسائل الإعلام في كِلا البلدين.

ولعل ما أجج ذلك الصراع غضب السودانيين لاعتقال الثورة المصرية لقائدها الرئيس (**محمد نجيب**). حيث كان لهذا الإقصاء والاعتقال وقعٌ سيء في نفوسِ السودانيين بحكم شخصيته المحبوبة والمطبوعة في وجدان الشعب السوداني والذي كان ممتناً له حين قدم استقلال السودان على استقلال مصر من الاستعمار الإنجليزي. واجتمعت الأمة السودانية بكل أحزابها من اتحاديين واستقلاليين وجمهوريين وجنوبيين على تغليب استقلال السودان على كل شيء. وأعلن الزعيم (**إسماعيل الأزهري**) ذلك الاستقلال من داخل البرلمان مختصراً الزمن. وترك الاستفتاء الذي نصت عليه الاتفاقية، مما خلق إشكالاً قانونيا مثيراً للجدل.

ولكل هذه الأسباب وغيرها تفاقمت الجفوة بين الدولتين الشقيقتين مصر والسودان. ولعله ليس من المعقول والحالة هذه أن تطلب القيادة السياسية عوناً من مصر لترحيل الجنود بطائراتها إلى جوبا كما فعلوا فيما بعد أيام الرئيس نميري وقاموا بترحيل لواءٍ سوداني كامل بطائرات السى 130 العملاقة من قنال السويس إلى الخرطوم في ظرف ساعتين فقط.

ولم تكن اتفاقية الدفاع المشترك قد أبرمت وقتها، إلا أن جو الوئام الصافي بين الدولتين قد كان سبباً في ذلك. وقد كنتُ مسؤولاً عن تأمين مطار الخرطوم لأكبر جسر جوي في تاريخ السودان. وهذه المواقف العصيبة في تاريخ الشعوب والحكومات علمتنا درساً مهماً للغاية وهو ضرورة أن يكون لك جار

حليف في كل الظروف. ولما كان السودان غريباً في قاموس الاستعمار إذ لم يدرج ضمن مستعمرات التاج البريطاني وبالتالي ليس لوزارة المستعمرات بلندن شأن به. وكانت ثنائية الحكم وسياسته فيه مصدر متاعب جمة للدولتين المتعاقدتين بمعاهدة الفتح ثم بمعاهدة عام 1936م.

كما كان لتوحيد الشعب لكلمته من جنوبه إلى شماله وجميع سكانه مسلمين ومسيحيين وغيرهم، عرباً وأفارقة مما وحد زعماءه ليترجموا أمانيه نحو مدارج الاستقلال بكلمة رجلٍ واحد ويسابقوا الزمن للحاق برياح الحرية التي هَبَّتْ على الهند وغيرها من دول العالم الناهضة، فكان لا بد أن يستجيب القدر. ولأن زعماء تلك المرحلة قد أدركوا بحكمتهم أهمية أن يستغلوا التناقضات بين الشريكين، فإنَّ للقارئ أن يحكم على موقف القيادة في ذلك الزمن وفق تلك المعطيات ثم يحدد ما إذا كانت قرارتها قد تأخرت بالفعل أو كان لا بد مما ليس منه بد. وخطة المعركة كما يقول العسكريون تُقاس دائماً بظروفها وبنتائجها سواءٌ كانت نصراً أو هزيمة.

نماذج من شجاعة القادة:

لا زلنا في مدينة جوبا التي صارت فيما بعد قيادة الفرقة الجنوبية في عهد ما بعد التمرد إذ انحلت فرقة خط الاستواء بكاملها من التمرد. وعند الفتح كان اللواء قائد القيادة هو المدير والقائد، وكان حاكم عام السودان وهو سردار الجيش المصري كذلك أي القائد العام لكل الجيوش في مصر والسودان إنجليزية ومصرية وسودانية. وكانت الأُرَطُ السودانيةُ تسمى الجيش المصري. وشروط الخدمة هي نفسها شروطُ الانخراط في الجيش المصري. ويؤدي الجنودُ قسم الولاء للتاج المصري.

وكان المبرزون من الضباط السودانيين ينتدبون كمآمير للخدمة في حكومة السودان. ولم تزل بعض أسر الضباط السودانيين القدامى تتمتع بمعاشاتٍ كبيرة من الجيش المصري مقارنة بمعاشات السودان.

كما كانت رتبة البكباشا في ذلك الوقت أقصى رتبة عظيمة لا يصل إليها إلا النابغون الذين يُمضون فتراتٍ طويلة في الخدمة العسكرية. وكان من يصل إلى رتبة القائمقام والأميرآلاي ينعم عليه ملك مصر والسودان لقب (**الباكوية**)، أما من يصل إلى رتبة اللواء فيمنح لقب (**الباشوية**) تلقائياً، شأنهم شأن أشقائهم من الضباط المصريين. وكانت الأقدمية من الكلية وامتحان الترقي واحدة. وقد استمر هذا الحال حتى ألغاه المرحوم الفريق (**إبراهيم عبود**) في 17 نوفمبر 1958م. ولهذا السبب وجد المصريون في عهد الرئيس (**حسني مبارك**) أهم وثيقة هي وثيقة الحدود المصرية التي كانت تشمل طابا في دار الوثائق السودانية في عهد الأستاذ الراحل البروفيسور (**محمد إبراهيم أبو سليم**) لأن رئاسة السردار (**القائد العام**) والمسؤول العسكري الأول عن الدفاع عن مصر والسودان بكامل حدودهما كانت بالخرطوم.

سار الحال على ذلك المنوال حتى لحظة اغتيال آخر سردار وحاكم عام للسودان بمصر الجنرال (**سير لي استاك**) في عام 1924م. وبعدها صار جميع مديري المديريات من غير العسكريين وكذا الحاكم العام. وهنا تخاصم مدير المديرية مع قائدها العسكري، فأخذ الأخير جنوده وسار بهم حتى وصل إلى توريت فاستقر بها وجعلها رئاسة فرقة خط الاستواء وجل جنودها من قبائل اللاتوكا والتبوسا والباريا والمورو والزاندي. أما القبائل ذات البأس والقوة كالدينكا والنوير والشلك

فقد كانوا في مناوشات وصراعاتٍ متصلة مع الإنجليز، ولذلك لم يرغب الإنجليز في تجنيدهم ولا هم كانوا يرغبون في الجندية. وكان العداء بينهم وبين قبائل الاستوائية فظيعاً، وربما كان ذلك من أسباب تمردهم ومحاولتهم لاغتيال قائدهم الأميرآلاي (**إسماعيل بك سالم**) لأنه ينحدر من أصل دينكاوى أما وأباً.

ما زال مطار جوبا يستقبل في كل ساعة طائرة محملة بالجنود من الخرطوم. ولا يزال يصل إلى جوبا مَنْ كُتِبَتْ لهم النجاةُ من الموت من عوائل الضباط من النساء والرجال والأطفال. وكان مفتش مركز مريدي المرحوم (**الأمير محمد عمر**) ابن (**الأمير يعقوب**) سليل عائلة (**الخليفة عبد الله**). وكانت مريدي تعج بالكثيرين من الشماليين من الموظفين والتجار. و

كان بها معهد تدريب المعلمين على نسق بخت الرضا. كما كان بها أكثر من ثلاثين من خيرة المعلمين الشماليين. وبها أيضاً قوة من الشرطة والسجون على رأسها الصول المخلص (**مهليلي**). وكان مخلصاً ووفياً لرئيسه المفتش الذي كان من أميز الإداريين بالجنوب. ولما علم هذا الصول بالتمرد وعرف نوايا الجنود جهز عربةً ووقوداً وسلاحاً وأخبر سعادة المفتش أن يغادر ليلاً إلى جوبا مع أسرته، وسيكون هو في حراستهم حتى الوصول إلى جوبا. فشكره المفتش وقال له: «**خذ زوجتي وأطفالي، أما أنا فلن أغادرها إلى أن يغادرها آخر شمالي لأنني أنا المسؤولُ عنهم جميعاً. وخيرٌ لي أن أموت من أن أتركهم يموتون دون أن أقومَ بحمايتهم**». لقد كان بحق أميراً وابن أمير.

وصورةٌ أخرى من صور الشجاعة ظهرت في مريدي، حيثُ جمع المتمردون مُدرسي معهد مريدي وكان فصيلٌ من القوات المتمردة بتوريت قد وصل

إليهم إذ لم تكن مريدي محطة للجيش. فأمروهم أن يقفوا صفا واحداً ليقتلوهم رميا بالرصاص. وهنا لمح قائدهم مدرساً فاتح اللون فظنه مصرياً فقال له: «**أخرج من بينهم لأنك مصري ونحن لا نقتل المصريين ولا الإنجليز، نحن نقتل الشماليين المندكورو فقط**». فقال له المدرس بكل شجاعة ورباطة جأش: «**أنا شمالي من ود مدني فإن قتلت زملائي فلتقتلني معهم**». إنه الأستاذ (**جاد كريم**) أطال الله عمره. وقد تم إنقاذه بواسطة القوات المتقدمة بقيادة قائدها الشجاع البكباشا أ.ح (**المقبول الأمين الحاج**).

كان سبب التأخير في تنفيذ القتل حتى دخول القوات هو منشورات الحاكم العام التي تسقط عليهم كل يوم. كما لا يمكن أبداً إنكار دور واحدٍ من خيرة الأساتذة البريطانيين من زملائه ويسمى (**المستر وودال**) Mr. Woodal والذي صنع صورة أخرى للبطولة في توريت. وهناك صورة أخرى للبطولة ظهرت عندما جمع الملازم الجنوبي (**تافنج**) أسراه الشماليين وكان بينهم اليوزباشا العائد للخدمة (**حسين أحمد خليفة**) فوجه له الكلام دون الآخرين قائلاً: «**إنني سأقتلكم الآن فماذا تريد؟**» وكان يظنه سيستجديه بعد أن طال حبسهم أياماً بلا ماء ولا طعام فكان رده: «**أضرب، ولكنك لست جندياً ولست شجاعاً. وإن كنت شجاعاً فكيف تقتل أسراك العزل؟**» ففتح عليه نيران مدفعه الرشاش وأرداهُ قتيلاً بوابل من الرصاص. وقتل الحاج الصاغ (**إسماعيل خير الله**) رغم أن جذوره جنوبية وعاش معهم أكثر من عشرين عاماً وتزوج منهم وقد كان شيخاً كبيراً في السن.

الهجانة المهابة:

كانت فرقة الهجانة أول فرقة تشكل عند الفتح ومقر رئاستها مدينة الأبيض. وقد أخذت اسمها من الجِمال (الهِجِن) التي تُعتبر الناقل الأول قبل ظهور العربات في حوالي عام 1934م. ومن أشهر قادتها البكباشا **(هدلستون)** Hudleston قاتل السلطان **(علي دينار)** في عام 1916م، والذي أصبح قائداً للهجانة ثم وضع أول لبنة لقوة دفاع السودان في عام 1924م، ثم أصبح حاكماً عاماً للسودان من عام 1936م حتى عام 1945م. وهو صاحب المقولة الشهيرة: **(السودان ليسَ أهلاً للحكم الذاتي أو الاستقلال إلا بعد عشرين عاماً)** يعني يجبُ إلا ينال السودانُ استقلاله قبل عام 1965م.

وكان جنود الهجانة يطلقون على البكباشا الإنجليزي **(هدلستون)** **(المرفعين أبو حِجِل)**. وجنود الهجانة كانوا مشهورين بالطول الفارع وبالريشة السوداء التي يضعونها فوق رووسهم. وأغلبهم من أبناء المسيرية والحَمَر والنوبة الطوال والجوامعة ودار حامد. وكان تدريبهم عالياً وممتازاً.

وفي الحرب العالمية الثانية اشتهروا بين الفرق بمعرفتهم الفائقة لفنون القتال. وكانت قوة دفاع السودان تُقيم مهرجاناً سنوياً بأمدرمان لمسابقة الرماية فتدفع الفرق بأمهر رماتها **(أنس عمر، والبجشاويش علي جبريل، وجودة أبو البشر)** الذين كانوا يحصدون الجوائز الفردية والجماعية حصداً. وكان كأسُ البطولةِ دائماً من نصيبهم. من هنا أدرك الجنوبيون بأس رجال الهجانة، فكانوا يهابونهم بشدة. وكان للحجبات التي يلبسونها أثر نفسي كبير جعل الآخرين يظنون بأن

الرصاص لا يخترق أجسامهم. وكنا نحن صغار الضباط لا نحارب هذا الاعتقاد مطلقاً طالما أنه يساعد المقاتل إيجاباً لا سلباً.

تفتيش منزل مفتش الري المصري:

لا بد لي أن أذكر للتاريخ والعظة واقعة مهمة حصلت بجوبا قبل التحرك بمقر مفتش الري المصري بجوبا ثاني أكبر دارٍ بعد دار المدير. ولما كانت العلاقات السياسية في أقصى الدرجات من التوتر بين دولتي مصر والسودان، ولما أراد الجنوبيون المتمردون أن ينتهزوا الموقف ويورطوا المصريين بالتدخل مستغلين الوعود التي قالها الصاغ (**صلاح سالم**) الذي أطلق عليه الإنجليز لقب الجنرال الراقص The dancing Major فأبرقوهم كثيراً مناشدين لهم بالتدخل ولكن لم يحصل من جانبهم أي تدخل. غير أن الجو السياسي كان مكفهراً.

وفي هذا الجو طلبت مني هيئة العمليات بجوبا أن أكون مستعداً لعملية عسكرية بقوة بلتون (فصيل) وسأتلقى بقية الأوامر من ضابط عظيم ذي رتبة عالية قبل الفجر، ولا داعي للعربات وسأقابله بقوتي في نقطة معينة وفي ساعة معينة. فسرت بقوتي على الأقدام حتى إذا وصلنا إلى نقطة الالتقاء R.V أحاصر بقوتي منزل مفتش الري المصري ثم أفتشه بغرض العثور على سلاح وذخيرة وأجهزة لاسلكي ومستندات وشخصيات متمردة ذُكرت لي بالاسم، على أن يتم كل هذا الأمر في سريةٍ ومفاجأة تامة، وأن تتم كل العملية وأسحب قوتي قبل طلوع الفجر. فعلت ذلك على مضض وقد دخلت على المفتش بعدد بسيط وتركت أكثر القوة للكردون الخارجي فأيقظته من نومه وأعطيته التحية العسكرية للاطمئنان ذاكرا له

أن بعض المتمردين قد دخلوا داركم فهل يسمح سعادة الباشا بالتفتيش؟ فكان الرجل كبيراً ولم يظهر أي اندهاشٍ أو اعتراض. وكانت النتيجة أنه لا يوجد سلاح ولا ذخيرة ولا أجهزة ولا أفراد ولا مستندات، مما سبب حرجاً شديداً وخيبة أملٍ لذلك الضابط الكبير، وغادرتُ الموقع مع جنودي قبل أن يصحو الناس.

وفي اعتقادي أن هذه الحادثة كان لها مردودٌ سلبي على العلاقات بين مصر والسودان التي كانت أصلاً قد وصلت إلى أسوأ حالاتها. وتدور السنين دورتها وأذهب بدعوة رسمية إلى القاهرة مترئساً وفد الاتحاد الاشتراكي السوداني إبَّان فترة حكم الرئيس نميري للمشاركة في مؤتمر الحزب الوطني الحاكم في مصر، وكان وفدنا يضم السيد (**كامل محجوب**)، والأستاذة (**آمال عباس العجب**)، وقد انضم إلينا بناء على رغبته المرحوم (**نصر الدين السيد**)، فوافقتُ على ضمه للوفد دون إخطار الخرطوم. وكنا آخر مسؤولين سودانيين يتشرفون بلقاء الرئيس الراحل (**محمد أنور السادات**).

وتبادلنا الخطب والهدايا وكان مضيفنا المرافق هو وزير الري المصري والمسؤول عن شؤون السودان بالحكومة المصرية، وهنا صرح لنا الرئيس السادات بأنه أهدانا موقعاً على البحر الأبيض ليكون ميناء ثانياً للسودان. وبالرغم عما خطته السنون في شعره وجبينه استطعت أن أتذكر الرجل ولكنه لم يتذكرني. وطلب مني صديقي وزميلي المشير (**أبو غزالة**) أن أحضر أكبر عرضٍ عسكريٍ بعد يومين فاعتذرت رغم إلحاحه وكأنما الأقدار شاءت ذلك الاعتذار.

و(**أبو غزالة**) من الأصدقاء العزيزين على شخصي حيث لي معه صداقة حميمة وزمالة تعود إلى عام 1956م حين تم ابتعاثنا أنا و(**مصطفى جيش**)،

و(**عبد الواحد**) لدورة مدفعية ميدان بألماظه. وكان طيارونا الأوائل في نفس الوقت يدرسون الطيران في بلبيس ومدربهم اليوزباشا (**محمد حسنى مبارك**)، وكان هناك 14 زميلاً لنا يدرسون في معاهد الجيش المختلفة ومن ضمنهم: (**جعفر نميري**)، و(**شداد**)، و(**عوض أحمد خليفة**)، و(**بشير محمد علي**). ومن الكبار (**محمد إدريس**)، و(**التجاني**)، و(**محي الدين**)، و(**حسين علي كرار**).

وكانت أول هدية من السلاح والمدرعات الخفيفة وأربع طائرات تدريب من مصر الشقيقة كان يقودها من ألماظة حتى الخرطوم مروراً بعطبرة نسورنا الأوئل: (**عوض**)، (**الكدرو**)، (**إسماعيل**)، (**كمال**)، (**عزالدين**)، (الجميل)، (**الصادق**)، و(**زلفو**). وهم مؤسسو سلاح الطيران السوداني الذي لعب دوراً عظيماً ومقدراً لاحقاً في مسيرة حرب الجنوب عندما صار يملك ناقلات القوات المحمولة جواً والقاذفات وجميع عناصر سلاح الجو.

وكان لاستشهاد أربعة منهم في استعراضٍ جوي في سماء توريت في عهد قائدها اللواء (**طلعت فريد**) وقعٌ مؤلم في نفوس الجميع، وعم الحزن والأسى نفوسنا جميعاً. وبعد ذلك بسنوات فقدنا الطيار الكدرو ومساعده بشارة في زيارة (**ملتون أبوتي**) رئيس جمهورية يوغندا للسودان. وبفقد (**الطيار الكدرو**) فقد السودان خيرة طياريه الذي كان بحق معلماً في مجال الطيران. وقد تخرج في بريطانيا بدرجة الامتياز. ولم تكن حادثة استشاهده بسبب خطأ بشري على الإطلاق. ولعل أفضل مَنْ يَكتب عن سلاح الطيران العملاق في طور نشأته وتطوره هو الصديق الفريق أول ركن طيار (**عوض خلف الله**) فأرجو أن يفعل لأنه أول قائد طيار لهذا

السلاح، وقد عمل على تطويره عندما تولى منصب القائد العام في عهد الرئيس المشير (**جعفر محمد نميري**). والخلاصةُ هي أننا عندما تتأزم مواقف الذخيرة لدينا كانت مصر هي ملجأنا الأساسي للإمداد بالذخيرة. وفي الحلقة القادمة سنسرد تقدم القوات في 8/30 لإعادة النظام والسلطة وماواجهها عند التقدم ثم عند القبض والتحقيق والمحاكمات.

الحلقة (4)

كانت قصة استشهاد الطيار الكدرو صاحب الشارع الشهير ببحري على النحو التالي:

اكتملت القوات الشمالية، وتمت عملية الحشد بجوبا ووضع الجيش يده على كل مركبة حكومية وتجارية بحكم قانون الطوارئ. وتم تشوين المركبات بالذخائر والوقود والتعيينات والمعدات الطبية. وفي ليلة 29–30 جمع سعادة القائد العام (**أحمد باشا محمد**) الضباط كباراً وصغاراً في غرفة كبيرة مغلقة وخطب فيهم خطبة تاريخية جاء فيها:

(إن مستقبل البلاد يتوقف على تصرفاتنا إما استقلال أو لا استقلال. وقد عين الحاكم العام سير وليم لوس ليكون عينه وليراقب تصرفاتكم إ*ن كنتم ستطبقون القانون والنظام أم تلجأون للانتقام والعواطف. لقد انتهى العهد الذي كنا نحميكم فيه من الإنجليز وبطشهم. أما وقد آلت مقاليدُ القيادة لنا فلن أرحم أي مخالف للقانون مهما كانت رتبته أو أهله. والقدامى منكم

يعلمون أني إذا ضربت سأوجع. والجنوب الآن في حالة طوارئ فلن أتردد في وضع أي مخالف في مجلسٍ عسكري ميداني والجزاءُ هو الإعدام بالرصاص في الميدان، وإياكم ودخول حدود بلاد الجوار. وغداً سيكون التحرك على محورين: المحور الأول بقيادة أحمد باشا عبد الوهاب، وسأرافقه بمعية سير وليم لوس الذي خدم طويلاً كنائبٍ لمدير الاستوائية سابقاً. وهو يتكلم لهجات قبائلها المختلفة. والمحور الثاني بقيادة البكباشا أ.ح المقبول الأمين الحاج للضفة الغربية. وسيكون التقدم في المحورين في وقت واحد. غير أن المحور الأول سيواجه مانعاً طبيعياً هو اجتياز النهر للضفة الشرقية والهدف حتى توريت. وسيقوم أحمد باشا بصرف أوامر التقدم لجماعة الأوامر وهم بدورهم سيصرفون الأوامر التفصيلية لكم، وفقكم الله) انتهى.

كان سعادة القائد العام قصير القامة غير أنه مهاب للغاية لحزمه وصرامة جنديته. والكل يهابه حتى الضباط الإنجليز الذين طرد منهم اثنين أحدهما أميرآلاي من خدمة قوة الدفاع عندما كان كبير الضباط السودانيين برتبة لواء وهو أول سوداني يتقلدها. وكُنتُ قد تعينت ضمن قوات المحور الأول وقائداً للنقطة المكونة بلوتونين من الهجانة ويعاونني الملازم (**النوراني**). وكان أول من وصل إلى جوبا بعربته من توريت هو اليوزباشا الجريح (**صلاح عبد الماجد**) فتم تأمين الشاطئ الشرقي وبدأت قوات الحرس الأمامي والقوة الرئيسية والحرس الخلفي تعبر النهر في حركة نشطة ومتواصلة حتى تم عبور كل القوات. وفي حوالي الساعة الثانيةَ عشرةَ ظهر يوم 8/30 بدأنا التقدم وقوتي في الطليعة (النقطة)، وعند مرتفع منقلا المشرف على

طريق جوبا توريت رأينا على البعد شخصاً يحمل علماً أبيض، فأرسلت المعلومة إلى القوة الرئيسية. وجاءني الأمر بأن أتوقف وأذهب بمفردي لحامل العلم الأبيض وسيعطيني رسالةً مكتوبة وعليَّ أن أعود بها إليهم، وفعلاً تم ذلك.

كانت الرسالة تُقرأ: (**إلى سعادة قائد الهجانة المحترم،سيدي، سمعنا لتونا أمر قائدنا الأعلى معالي الحاكم العام وحسب أوامره نريد** أن **نذهب لتوريت فوراً. فأرجو إعطاءنا فُسحة من الزمن لنسبقكم ونسلم أنفسنا وأسلحتنا وذخيرتنا وجهازنا. نرجو الموافقة، وفي انتظار ردكم. خادمكم المطيع صول.**!)

رجعتُ بالرسالة للقيادة وكان ردها: (**أمامكم ساعتين وبعدها سنواصل التقدم**). وهنا في منقلا تسلمت أمر عمليات أن أنفصل بقوتي وأسلم النقطة لقوة من الحرس الأمامي. وعليَّ أن أتحرك إلى منقلا ومعي (**النوراني**) وجهاز يديره عريف إشارات وهي ليست بها قوات متمردة وأنتظر تعليمات لاحقة. ومنقلا هذه تقع على النهر وتقف بها البواخر قبل دخولها لجوبا، وبها التلفون الذي استعمله الناجون من توريت ليلة 18/8/ 1955م، وبها مَزارع تجريبية لقصب السكر، مما يحول دون الرؤية أكثر من عشرين ياردة. وكانت في السابق إحدى مديريات الاستوائية.

كنتُ حزيناً جداً لهذا الأمر لأني كنت أتطلع لدخول توريت التي لم أرها من قبل. وهي معقل التمرد ومقبرة أول شهداء لنا، والذين دفعوا أول مهر للاستقلال من دمائهم الزكية. وسنظل نذكرهم لأننا لن ننساهم أبد الدهر. ولن أنسَ أيامي بمنقلا رغم أنه لم تكن بها عمليات عسكرية. حيث إنها كانتْ فُرصةً للتأمل فيما جرى وسيجرى من أحداث، متذكراً تصريحات قائدنا في الكلية الحربية.

كما كانت فرصة ذهبية لي علمتُ وخبرتُ فيها الكثير من معلومات وخبرات ملازم الصف (**النواري**) الذي خدم كثيراً كجاويش ثم كضابط بالاستوائية، وله إلمامٌ تام بجغرافيتها. كما تعرفتُ على عادات قبائلها وتوزيعات جنودها وضعف تدريبهم العسكري، إذ كانوا لا ينالون تدريباً عسكرياً صرفاً (100%) كما في الشمال بل كانوا يسخرونهم لحملات صيد الأفيال ووحيد القرن والجاموس وخلافها من الحيوانات لإشباع هواياتهم ورغباتهم المفضلة في ذلك الوقت.
كان البلوك الواحد يضم حوالي 9 ضباط من الإنجليز وأقلهم رتبةً بكباشا، بينما ترتيب البلوك حسب التنظيمات العسكرية (قائد ونائبه + ثلاثة ضباط برتبة ملازم).

وفي فترة قانون المناطق المقفولة لم يكونوا يسمحون بنقل أي ضباط شماليين لفرقة خط الاستواء إلا بعض الأفراد القلائل الذين كان منهم اليوزباشي (**الزين حسن**) وقتذاك، وقد نجا من التمرد بأعجوبة، إذا كان في إجازة بمنطقة ياي مع صديقه المفتش (**الفاضل الشفيع**). وقفل عائداً إلى جوبا حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم 18/ 8/ 1955م فرأي تجمعاً غير مفهوم من الجنود فأوقفوه وطلبوا منة الرجوع إلى دار المفتش، فرفض برغم رجاء نائب المفتش (**مايكل واطا**) وكان معه مفتش الزراعة، فأسرعا بعربتهما إلى جوبا وفتحوا عليهما النيران.

ووضع أهالي القرى الواقعة على الطريق الموانع في طريقهما، إلا أنهما كانا أول الناجين من الضفة الغربية، وكانا مصدراً لأخبار التمرد بالضفة الغربية. رجع (**الزين حسن**) إلى عطبرة حيث سلاحه وسلاحي المدفعية. ثم عاد مع قوات الحشد إلى جوبا قائداً بطاريته الثانية بأسلحة المشاة بدون مدافع ومعه الملازم

(مصطفى عثمان) والملازم **(محمود عبد الرحمن الفكي)**. وسلاحُ المدفعية وكان يُسمى **(طوبجية السودان)** هو السلاح الذي نُقلتُ إليه يوم تخرجنا من الكلية الحربية. والبطاريةُ الثانية هي الوحدة التي عينني فيها قائد المدفعية الأميرآلاي **(الطاهر بك إبراهيم العبد)** وقائدها الصاغ **(الزين حسن)**. وهذه البطارية هي الوحدة التي تَعينتْ لِتُؤدِيَ طابورَ قرقولِ الشرف للرئيس **(محمد نجيب)** في مارس 1955م، فوقعت فجأةً حوادث مارس المعروفة، وجاءتني الأوامر بالانضمام إليها فوراً لأن الهدف قد انقلب إلى عملياتِ أمنٍ داخلي، وكان علينا حماية العاصمة لمدة شهر بعده عدنا إلى مدينة عطبرة. كما هي نفس الوحدة التي استُدعِيَ منها تيمُ المدفعية ليقومَ بضرب 21 طلقة مدفعية فجر بزوغ شمس الاستقلال 1956/1/1م، وقد حضروا من عطبرة بقيادة الملازم ميرغني أبو الحسن لأداء هذه المهمة.

ولما كان الزعيم **(إسماعيل الأزهري)** قد أُطيح به ديمقراطياً في البرلمان ولما كان الأميرآلاي دار صليح كاتم أسرار الحربية قد حزن كثيراً من سحب الثقة عن الأزهري الذي يعتبره قُدوتَه فقد أمر الضابط **(ميرغني)** ألا يضرب أي طلقةٍ وأن يذهب لحاله!! ولكنْ بعد ثلاثةِ أيام عاد **(الزعيم الأزهري)** مرة أخرى رئيساً للحكومة. وهنا بحث **(دار صليح)** عن الملازم **(ميرغني)** فلم يجده، غير أن الصديق المرحوم الملازم **(تاج حمد)** أخرجه من الورطة إذ كان يعلم أنني بالخرطوم وأين أسكن، فاتصل بي وكان التيم لا يزال في سلاح الأسلحة فجئتُ على عجل. وفي الفجر ضربتُ 21 طلقة في اتجاه **(جزيرة توتي)** تحية للمولود الجديد وهو استقلال

السودان العظيم. وما أن سمع **(دار صليح)** الطلقة الخامسة حتى حضر إليَّ مُهنئاً ومرتاحاً للغاية. وعند الطلقة العاشرة حضر إليَّ الملازم **(ميرغني)** إذ سمع صوت المدفع وهو يسكن في حي السجانة. وليته لم يحضر حيث كَدَّره **(دار صليح)** بإعطائه أمر الانصراف فوراً لأنه كان لا يُخفي اتحاديته وحبه الشديد للأزهري**!!** ويحق لي أن أفخر بأني كُنتُ أول من بَشَّرَ بالمولود الجديد **(الاستقلال)** لكل أهل السودان وسكان العاصمة ب21 طلقة مدفع. وبعدها رفع الرئيس **(إسماعيل الأزهري)** ومعه زعيم المعارضة **(محمد أحمد محجوب)** علم السودان الجديد رمز الدولة المستقلة الوليدة، وأنزلا علم الاستعمار من قصر الحاكم العام بمعاونة الصاغ **(الجاك بخيت)** والملازم **(حمدنا الله طه الطويل)**. وأدَّى تحية العلم، وكان في حراسته بدلاً عن الإنجليز سلاحُ المهندسيين بمرافقة سلاح الموسيقى.

وعندها انهمرت الدموع تلقائياً من جميع الحضور على رأسهم الزعيمين الخالدين **(عبد الرحمن المهدي)** و **(علي الميرغني)**، إذ عاشا حتى بزوغ فجر الحرية التي عملا من أجلها كثيراً. وعندها أنشئت أول وزارة للخارجية السودانية وطار وزيرها العبقري **(مبارك زروق)** إلى الجامعة العربية بمصر ورفع علم السودان كعضوٍ جديد. كما طار **(محمد أحمد محجوب)** إلى نيويورك ليرفع ذات العلم بعد أن انتهى عهدُ حكومة **(الأزهري ومبارك زروق)** ديمقراطياً، وبالله التوفيق.

* * *

الحلقة (5)

لولا هذا لبدأت شرارة الحرب الأهلية بالشمال

* * *

جوزيف أدهو من أهم الشخصيات العقلية والمفكرة للتمرد وداعية انفصال

هذا هو الدور الذي قمتُ به وقائدي في أزمة حلايب الشهيرة 1958م

اعتذار لقائدي المباشر بعد تخرجي

أرجو أن أتقدم بخالص اعتذاري لقائدي المباشر حال تخرجي من الكلية الحربية عام 1954م. إذ جاء اسمه الأمين حسن بدلاً عن **(الزين حسن)**. وبالطبع هذا خطأ مطبعي فمن منا لا يعرف اليوزباشا فالصاغ فالبكباشا فالقائمقام وأخيراً الأميرآلاي والحاكم العسكري في عهد عبود وهو الضابط الراسم الفنان ولاعب الكرة الماهر (الدفاع الغلب الري).

وهو رمز بارز من الجيل الثاني من ضباط البراءة. وهو أقدم مؤرخ لتاريخ جيشنا الباسل، ويتمتع بذاكرة حديدية، وداره غنية بالوثائق والصور والأفلام. وهو مرجع لمتحفنا الحربي ومرجعٌ لحلقاتِ تلفزيوننا العسكرية. وهو القائد الذي عملتُ تحت إمرته في حوادث أول مارس ثم المرحلة الثانية في الضفة الغربية بالاستوائية مرحلة القبض والمحاكمات، ثم بشندي عندما لم تكن بها قوات في حادثة المعرض الزراعي الذي تصارع في افتتاحه الرئيسان **(الدرديري محمد عثمان)** رئيس مجلس السيادة وقتذاك و**(إسماعيل الأزهري)** رئيس الوزراء حيث برز الصراع بين الختمية

والاتحاديين في أبشع صورة بالتجمع والتظاهر والهتافات والشتائم. ولولا حضور البطارية الثانية من عطبرة بقيادة البكباشا **(الزين حسن)** و**(مصطفى جيش)** وشخصي لحدث ما حدث بمدن الجنوب ولبدأت شرارة الحرب الأهلية بالشمال، ولكنَّ الله لطف فمرت العاصفة بسلام، ونامت مدينة شندي بعد ذلك ملء جفونها بعد أن قال لنا أهلها ساعة قدومنا بالعربات في الطريق **(باكر الكتلة الجاية)** إذ لم ينسوا كتلة **(محمود ود أحمد)** أيام المهدية.

أزمة حلايب عام 1958م

كان للقائم مقام **(الزين حسن)** وشخصي دورٌ تاريخي في احتواء أزمة حلايب الشهيرة في عام 1958م في عهد رئيس الوزراء ووزير الدفاع **(عبد الله بك خليل)**، حيث أمرت القيادة العسكرية حينذاك البكباشا **(الزين حسن)** أن يتحرك بكتيبة من القيادة الشمالية بشندي والتي نقل إليها لحماية حلايب في شرق البلاد، وقد اختارني قائد المدفعية المشهور **(بخاري)** لقيادة قوة لحماية النيل من حدودنا الشمالية فرس—وادي حلفا من أي تدخل أجنبي.

وكادت هذه الأزمةُ السياسية أن تُسبِبَ أزمةً عسكريةً بين الشقيقتين المتجاورتين مصر والسودان لولا حكمة الرئيس **(جمال عبد الناصر)** وانحنائه للعاصفة بعد أن حملها السيد **(محمد أحمد محجوب)** وزير الخارجية إلى مجلس الأمن ولكن تم تجميدها. والحمد لله أن أدرك القائمقام **(الزين حسن)** وأدركتُ أنا كذلك أن الأمر كله مناوراتٌ سياسية !!! وأن علاقات الشعوب الشقيقة فوق السلاح،

فلم تُطلق رصاصةٌ واحدة في المحورين. بعد هذه المقدمة نعود إلى جنوب السودان حيث تركت زميلي (**النوراني**) يعيش في منقلا والتي يكثر في نهرها القرنتي (فرس النهر). ولأول مرة أشاهد هذا المخلوق الضخم الذي يخرج من النهر فجأة في ظلام الليل. فهو غير معروف للكردفانيين ولولا النورانى وخبرته لفتحت عليه نيران مدفعي الرشاش والذي سوف لا يشعر برصاصه. وهو لا يهاجم إلا إذا هُوجم. وجاءت وحدتي (البطارية الثانية) من عطبرة ثم الخرطوم ومنها جواً إلى جوبا بقيادة البكباشا (**الزين**) ومعه (**مصطفى**) و(**محمود**) بعد خروج القوات لتأمين الضفتين، فطلب منها التحرك إلى ياي لتأمين مركزها الواسع والمجاور ليوغندا. وعندما أُمِرتُ من هيئةِ العمليات أن أتحرك لتأمين إحدى مراكزها وهو مركز أمادي قائداً لقوةٍ قِوامُها تروب (أى حوالي 40) وجاويشها اسمه (**السر**).

وبالمناسبة فإن ضباط الصف (جاويش وبتجاويش وصول) هم المدرسة التي تعلمنا منها نحن الملازمين الخبرة العملية والتطبيقية لعمليات الميدان الصغرى وتكتيكات الصف، والبلتون، وفن الكمين، وحرب البيوت والشوارع، وأعمال القناصة، واستعمال السونكي. فهم خيرُ مَنْ يجيدون هذا النوع من القتال ويُعلمونه لصغار الضباط، وهم قطعاً يحمون قائدهم ويفدونه بالروح والدم إذا استشعروا فيه صفات القيادة. وكم من مرةٍ أنقذني الجاويش (**السر**) من الموت بعد قدرة الله سبحانه وتعالى.

تحركنا بثلاث عربات وأمرنا بأخذ تعيين لأسبوع هو مدة المهلة ومعنا عريف إشارة بدون جهاز، إذ كانت الأوامر تقتضي أن نستعمل جهاز المركز (212)، كما كانت الأوامر أن نحترم قوة الشرطة بقيادة بتجاويش وكلهم من قبيلة

المورو التي ليست بها قوة عسكرية، وسنستلم أوامر عملياتٍ لاحقة بالجهاز. وصلنا إلى مركز أمادي عصراً وهو مركز أعطته الطبيعة سحراً وجَمالاً أخاذاً من الخضرة وأشجار الفواكه بأنواعها المختلفة والماء الزلال الذي يجري به نهرُ ياي أحد أسرع الروافد التي تصب مبكراً لتنضم مع آخرين ليكونوا النيل الكبير. وعلى بعد ميلين توجد أكبر مدرسة اسمها **(مدرسة مندري)** على الطريق الذي يجمع ياي بمريدي.

جمع البجاويش قوته حوالي صنف وأعطاني التحية العسكرية والتمام، ثم قمتُ بتفتيشهم وتهنئتهم بعدم اشتراكهم في التمرد. أمرت الجاويش السر بعمل دفاع حولي وحفر الخنادق وتعيين الديدبانات بكل اتجاه وهذا إجراء عسكري روتيني يقتضيه التحوط. وفي الصباح الباكر قمتُ والجاويش السر بالتفتيش على إمكانات المركز فوجدت به مخزناً كبيراً لشركة شل به العديد من صفائح البنزين كما وجدتُ مخزناً آخر مليئاً بأسنان الفيل الكبيرة مما يشكل ثروة ضخمة. ولعدة أيام لم يزرنا سوى القساوسة الذين كانت لهم عربات وأجهزة بل وطائرت سيسنا. وكنتُ أخشى من زياراتهم وهداياهم خوفا من أعمال التجسس فهم يُظهرون ما لا يبطنون. وفي كل يوم نهاراً وليلاً يحاول عريف الإشارة توليف الجهاز بالرئاسة أو بأي محطة أخرى فلم ينجح، وكان الظاهر أن الموجة قد تغيرت دون أن يُخبرونا بذلك.

كيف انعزلنا عن العالم:

زادت الأيام عن أسبوع وانتهى تعيين الميدان وبدأنا نعيش على خيرات الطبيعة وما أكثرها، فلم يكن ذلك محبطاً للروح المعنوية، إلا أن المحبط لاحقاً هو انعزالنا عن العالم. ولولا راديو الترانزستور الصغير الذي أملكه لانعزلنا تماماً عن

العالم. وفي ذات يومٍ وكانت الشمسُ تميلُ نحو الغروب وما أجمل الغروب في تلك البقاع إذا بي أسمع صوتَ عربات كثيرة تقترب منا، فأمرتُ الجاويش السر بضرب صفارة الكبسة لتأخذ القوة كُلَّ مواقع الدفاع مع تركيز المجهود الرئيسي على الطريق.

وعند وصول العربات أمرتُ **(السر)** أن يأمرهم بالتوقف وإبطال الماكينات وعدم التحرك وأن يتقدم قائدهم لمقابلة قائد البلوك الثاني هجانة لعلمي التام بتهيبهم وخوفهم من الهجانة ولبس البلتون تضليلاً لحجم القوة. وبالفعل تقدم نحوي الضابط الذي يقودهم وهو ملازم ثاني اسمه **(منديري أوزاكي)** وأدى التحية العسكرية وقال لي: **«أنا مكلف بأمر سعادة القائد العام أن أجمع المتمردين من أبناء قبيلتي المورو وهم بهذا المركز»**. وسلمني خطاباً بخط القائد **(أحمد باشا محمد)** الذي أعرفه تماماً، وفيه أمر من سيادته لجميع قادة الحاميات بتسهيل مهمة هذا الضابط.

مائة متمرد بمعسكرنا

كُنتُ قد سمعت من إذاعة أمدرمان قبل ثلاثة أيام إعلاناً بهذا فصدقته في الحال، وعلمت أنه يريد مني أن أستضيف الليلة حوالي مائة من المتمردين بسلاحهم وثلاث عربات وأن أمدهم بالتعيينات، على أن يغادروا فجر غد إلى جوبا. فأعطيته وطلبتُ منه أن يسلموا أسلحتهم حتى المغادرة، فقال لي إنهم لا يسلمون أسلحتهم إلا للقائد العام، وإلا فإنهم سيهربون بها إلى الغابة. وأخيراً تراجعتُ عن هذا الطلب وأخذنا الحذر والتحوط ونمنا متجاوري الأسرة، غير أني لم أنم حتى الصباح موعد مغادرتهم. وأمددتهم بالوقود الذي كان عندي بكثرة، أما عن التعيينات فقلت لهم:

«إنَّ هناكَ قُوةً قادمة من جوبا بها التعيينات أرجو أن تصل قبل مغادرتكم وإلا فإنكم ستجدونها في جوبا». وطبعاً كانت هذه خطةً مني للتمويه، وغادرونا في الموعد المحدد وحمدنا الله كثيراً. وفعلا تم التسليم في جوبا.

سعادة القائد العام يصرف لي الأوامر بنفسه:

في أحد الأيام، وبعد أن أصابني وجنودي الملل والاستياء من الإهمال الذي قارب الشهر وصل إلينا الرجل الكبير (**أحمد باشا محمد**) يرافقه أركان حربه اليوزباشا مهندس (**مزمل سليمان غندور**) تحرسهما قوةُ الهجانة فصرف لي القائد العام أمر عمليات يقضي بالقبض على مَنْ تمردوا وقَتلوا الناس أو تسببوا في كل ما حدث ثم السفر بهم إلى مريدي حيث ستَجرِي محاكمتُهم مُحاكمةً عادلة بواسطة القاضي المعروف (**عثمان الطيب**) الذي صار فيما بعد رئيساً للقضاء، وأن يتم ذلك في سريةٍ تامة في التوقيت المحدد وهو الساعة الخامسة فجراً وفي جميع محطات ومراكز الاستوائية. ولا تُفتح النيران إلا لمن يقاوم أو يحاول الهرب.

وكانت أول مرة أسمع فيها كلمات شكرٍ مباشرة وإشادة بشخصي من هذا الرجل العظيم القائد (**أحمد محمد**). وكان كشفُ الأسماء يحوي عدداً من المدنيين والموظفين ورجال الشرطة. وبه تفاصيل كل كبيرة وصغيرة ارتكبها المطلوب القبض عليهم. وما أسهل جمع المعلومات في ذلك الوقت من أهالى الجنوب البسطاء الذين لا يعرفون الكذب حتى على أنفسهم ويشهدون على بعضهم البعض بدقة متناهية بلغة عربى جوبا. كما أن من نجوا من الشماليين رجالاً ونساءاً

كانوا مصدراً مهماً للمعلومات لأن كل تلك الفظائع قد تمت أمام أعينهم، وكان القتل يتم على دفعات فيدفنون بعضهم بعضهم البعض. وشهادة شاهد العيان أهم شهادة كما كان لضابط الإشارة الكفوء (**شداد**) لتصنته ومعرفته لهجاتهم وهم يتفاخرون ويحكون لبعضهم البعض عبر الأجهزة ما حصل للمندكرو الشماليين كل في منطقته. وعموماً كانت أحسن تقارير استخبارات تستفيد من هيئة المعلومات في وضع الخطط المطلوبة.

القبض على جوزيف أدوهو:

كان من أهم بل أهم الشخصيات السياسية والعقلية المفكرة للتمرد هو السياسي وأستاذ المهنة وداعية الانفصال الأول بالجنوب (**جوزيف أدوهو**). وكان مدرساً بمدرسة مندري التي تضم ثلاثة من زملائه المدرسين الشماليين وبها تاجران. ولما لم تكن بها قوة جيش أو شرطة فقد سمع (**جوزيف**) صوت عربة آتية على الطريق فخرج لها طالباً منهم أن يحضروا لمكتبه ليقتلوا الشماليين بمندري وهو سيقوم بجمعهم في مكتبٍ آخر مُدعيا أن زواراً شماليين أتوا لزيارتهم، وذلك حتى لا يستطيع أحدٌ منهم أن ينجو. وفعلاً سارت الخطة كما رسمها ثم ألقى بالجثث في (**نهر ياي**) الثائر. وظن بذلك أن لا أحدَ سيعرف بجريمته تلك النكراء. وفي اليوم المحدد وقبل ساعة الصفر سِرْتُ بنفسي ومعي الجاويش (**السر**) وصنف ودليل بالأرجل من (**مدرسة مندري**) إلى قرية جوزيف أدوهو التي تبعد حوالي خمسة أميال من المدرسة، وحاصرت بيته. وعند حلول ساعة الصفر داهمتُه، فأبى الجاويش السر إلا أن يكون

أمامي للحماية. وناديته باسمه وطلبت منه أن يخرج رافعاً يديه لأن البيت كُلَّه محاصرٌ بالجيش ففعل. ووضعنا الكلبشات بيده وفتشنا البيت، وعدنا به إلى أمادي. وهنا تفرس في وجهي وخاطبني باللغة الإنجليزية التي يجيدها تماماً:

«أرجو أن تنقذ حياتي يا أخي وزميلي (الفاتح بشارة) !!» ودُهشتُ جداً كيف عرف اسمي؟ فقال لي: **«ألا تتذكر زيارة طلبة رومبيك الثانوية لكم بخورطقت الثانوية في عام 1951م »** فتفرست في وجهه ملياً وقلت له: **«نعم لقد تذكرت الآن، إنك ذلك الرجل الذي قلت تلك الخطبةَ اللئيمةَ فيَّ حقنا»** فأحنى راسه خجلاً. وكانت القصة قد حدثت في عام 1951م عندما كنا طلبةً في مدرسة خورطقت الثانوية، حيث زارنا في أحد الأيام طلبة الجيل الأول لمدرسة رومبيك الثانوية الحكومية التي أنشأها الإنجليز بعد إلغاء قانون المناطق المقفولة وتولت وزارة المعارف بحكومة السودان مسؤولية التعليم بدلاً عن الكنائس.

وكان يرافق أولئك الطلاب ناظر مدرستهم البريطاني وعدد من المدرسين البريطانيين. ومكثوا معنا حوالي الأسبوع فقمنا بإكرامهم والاحتفاء بهم خير احتفاء. حيث قررنا أن نقيم لهم حفلاً ساهراً في كل مساء ترعاه وتنظمه يومياً إحدى الداخليات. وأسكناهم معنا في غرفنا بالداخليات، كما أهديناهم الجلاليب والعمم. وظلوا طوال الأسبوع يذهبون معنا للفصول ويتقاسمون معنا كل وجبات الطعام داخل غرف الطعام (السفرة).

وجمعنا من مصاريفنا الخاصة أموالاً ساهم فيها كل الطلاب لأجل تحسين وجبات الطعام رغم أنها كانت جيدة من أصلها. ولما كنتُ رئيسَ رُؤساءِ المدرسة عند زيارتهم فقد كُلِفْتُ بتقديم أكبر كأس فضي أحضرناه من الأبيض منقوشاً عليه

عبارة: [**من طلبة خورطقت لأشقائنا طلبة رومبيك بمناسبة زيارتهم التاريخية لنا**].
وقدمنا لهم ذلك الكأس في اجتماع المدرسة (ASSMBELLY) الذي يحضره عادةً جميع الإنجليز والسودانيين. فوقف طالبٌ منهم ليستلم الهدية وقال كلماتٍ باللغة الإنجليزية الرصينة:

«لقد تحركنا من رومبيك صوب الشمال وأول زيارة لنا كانت إلى بخت الرضا حيث تم تكريمنا، ثم وادي سيدنا حيث احترمونا وكرمونا كثيراً، ثم جئنا إلى حنتوب وكانت كسابقتيها، وأخيراً جئنا إلى خورطقت حيث بلغ الكرم والاحترام بنا منتهاه، ولكن نشكر الحكومة الحالية (حكومة المستر روبرتسون) فلولاها لما جئنا من الجنوب إلى الشمال مواطنيين أحرار محترمين بل كنا سنأتي عبيداً مكبلين بالسلاسل للبيع في أسواق النخاسة».

كان هذا الطالب هو جوزيف أدوهو أكبر عقلية انفصالية بالجنوب ومن الرؤوس المدبرة لكل الحركات فيه وكاتب أول كتاب للعالم عن قضية الجنوب. وقد ذهب إلى أديس أبابا عند مولد منظمة الوحدة الإفريقية لإدراج القضية في جدول أعمالها. ولولا نشاط رجال أمننا في ذلك الحين (**عبد الوهاب إبراهيم**)، و(**محمود صادق فريد**) لما أجهضت خطته حيثُ أقنعوا السلطات الإثيوبية بوضعه ووفده في السجن حتى مغادرة الرئيس (**عبود**) وكنت مديراً لمكتبه آنذاك.

ونعود للاجتماع الصباحي بمدرسة خورطقت الثانوية، حيث كانت الصدمة عنيفةً لنا ولأساتذتنا، وكان الحزن بادياً في وجوه الجميع حتى طلبة رومبيك الثانوية فيما عدا (**جوزيف أدوهو**) ومن معه من الأساتذة البريطانيين الذين كانت

كانت أساريرهم منفرجة وابتساماتهم عريضة لذلك الحديث. وكسر توتر ذلك الجو المكفهر صوت مربي الأجيال العظيم وأبي الوطنية الصادقة الناظر المعروف في التاريخ الأستاذ (**النصري حمزة**) عليه رحمة الله إذا قال بالإنجليزية في صوتٍ غاضب: «THE METTING IS OVER» وهي تعني: «**انتهى الاجتماع**».

ذهبنا للفطور وتشاورنا نحن الرؤساء واستقر رأينا ألا نفعل شيئاً لأنهم كان من المفروض أن يغادروا بعد استلام الهدية مباشرةً بالسيارات إلى الأبيض وكانت أغراضهم قد وضعت على السيارات بالفعل. ولما خرجنا من غرفة الطعام (السفرة) وجدناهم لا يزالون مجتمعين في فناء المدرسة. ثم جئنا إلى الغداء ووجدناهم أيضاً مجتمعين. وفي العصر جاءني أحدهم واسمه (**أمبروز وول**) وقد أصبح وزيراً في فترة لاحقة مثله مثل جوزيف أدوهو الذي أصبح وزيراً أيضاً بعد توقيع اتفاقية السلام بين الرئيس (**جعفر نميري**) و(**جوزيف لاقو**)، وقال لي:

«إن جوزيف أدوهو لا يمثلنا، بل يمثل أسياده الإنجليز. ونحن لم نفوضه ليقول ذلك، بل أخذ زمام المبادرة من تلقاء نفسه وقال ما قال. وهذا الاجتماع الطويل كان تعنيفاً وانتقاداً لما قاله. وقد فُوضت أنا من جميع الزملاء لأتكلم عن رومبيك. وقد قررنا أن يحضر كلُ من كان موجوداً من طلبة ومدرسيين عندما تكلم أدوهو. فقلت له أنا لست مخولاً بأن أجمع المدرسة».

واستطرد قائلاً: «**إنهم قرروا إلا يبارحوا خورطقت إلا بعد أن يُسمعوها لسان رومبيك الحقيقي**». واستجابةً لهذا الإصرار صحبته إلى منزل الناظر الأستاذ (**النصري حمزة**)، ولأول مرة أرى النصري ثائراً، وطلب مني أن أقرع جرس المدرسة

وأدعوا لاجتماع فوري. وهنا أدركتُ خطأنا الشنيع عندما هتفنا ضده في بعض المظاهرات: (**Down Down the Black English Man فليسقط الإنجليزي الأسود!!**) حيث أدركت عظمة وطنيته وأنه سودانيٌ صميم وابنُ بلدٍ أصيل. اجتمعتْ كل المدرسة في أول اجتماع طارئ فوق العادة حضره عددٌ من المدرسين الشماليين، ولكن للأسف تغيب عنه الأساتذة البريطانيون حتى أساتذة مدرسة رومبيك. وهنا وقف (**أمبروز وول**) فصفق له طلبة رومبيك تصفيقاً حاداً دلالةً على تفويضهم إياه للتحدث باسمهم. وكان (**جوزيف أدوهو**) حاضراً فطأطأ رأسه نحو الأرض وظلّ منكس الرأس طيلة فترة ذلك الاجتماع.

استهل (**أمبروز وول**) كلمته المرتجلة بقوله: «**إن جوزيف أدوهو لا يمثل إلا نفسه والناظر البريطاني And the British headmaster، والآن اسمعوا صوت رومبيك فأنتم أشقاؤنا، والسودان وطننا نحن وأنتم. وكل ما وجدناه عندكم وفي حنتوب ووادي سيدنا وبخت الرضا نابع من قلوبكم ومشاعركم نحونا نحن أشقائكم أبناءِ الجنوب**».

وهتف ثلاث مراتٍ بحياة خورطقت وبحياة السودان الواحد الموحد. وكرر أسفه واعتذاره مرةً أخرى مما قاله (**جوزيف أدوهو**). وطلب منا جميعاً أن ننسى هذا الكلام غير المسؤول وغير المحترم. وهنا دوّى التصفيقُ الحاد من جميع الطلاب وسادَ جوٌ مخالفٌ تماماً لما كان قبل الاجتماع. وخرج جميعُ الطلاب يودعون أشقاءهم أبناء مدرسة رمبيك حيث كان وداعاً حاراً احتضن فيه كلُ طالب رفيقه من الجنوبيين. وظل الجميعُ يلوحون لهم والابتسامة تعلو وجوه الطرفين حتى اكتمل

ركوبهم للعربات. وظل طلبة خورطقت يركضون خلف العربات حتى قرية (**الداجو**) التي تبعد مسافة ميلين كاملين من خورطقت. وكان الهتافُ مستمراً طوال تلك الرحلة بحياة الجنوب والشمال كوطنٍ واحد، مرددين عبارة: **{لا شمال بلا جنوب ولا جنوب بلا شمال}**، و**{ولا استعمار بعد اليوم}**. وهكذا حتى غابت سياراتهم عن الأنظار. استعدتُ كل هذا الشريط الطويل في مخيلتي و(**جوزيف أدوهو**) يقف أمامي مستجدياً أن أعفو عنه، وعندها نظرتُ إليه ملياً وأمرتُ الجنود أن يفكوا قيده ويعاملوه معاملةً حسنة. وطمأنته بأننا سنأخذه إلى مريدي حيث سيجدُ محاكمةً عادلة من قاضٍ عادلٍ ونزيه هو (**عثمان الطيب**).

* * *

الحلقة (6)

انطفاء نيران التمرد، وإصدار حكومة نوفمبر العفو

* * *

انطفأت نيران التمرد، ولكن لست أدري لماذا أصدرت حكومة نوفمبر العفو؟
الحكم على أدوهو بالإعدام والحاكم الإنجليزي يخفف الحكم للمؤبد.
محكمة عسكرية بجوبا برئاسة عبود لمحاكمة العسكريين وأخرى مدنية في ياي.
عبود رفض بقاء آخر قائد عسكري بريطاني واختلف مع صهره وطالب بذهاب رأس الحية.

بعد أن تم القبض على داعية الانفصال (**جوزيف أدوهو**) رجعنا به من مدرسة مندري إلى أمادي ووضعناه في سجنها تحت حراستنا. بعد ذلك شرعنا في تنفيذ بقية أمر العمليات الصادر لي مباشرة من سعادة القائد العام والقاضي بالقبض على مرتكبي الجرائم من قوة الشرطة وبها جاويش و15 رتبةً أخرى وبعض المدنيين. ولما كانت جرائمهم غير جسيمة فلم يهربوا ولم يتخلصوا عن بنادقهم وذخيرتها التي كانت في المخازن تحت حراستهم حيث يقف أمامها ديدبان منهم طوال اليوم. ولم أحاول تجريدهم من سلاحهم ولا تغيير نمط طابورهم حتى أزرع الثقة فيهم إلى حين ساعة الصفر وذلك انصياعاً لتعليمات سعادة القائد العام. وبعد القبض على (**أدوهو**) وهو الهدف الأهم عند سعادة القائد العام طلبتُ من الجاويش (**رقيب السر**) تنفيذ المرحلة الثانية وهي إخطار جاويشهم ليقودهم جميعاً في شكل طابور ويدخلهم في مكتبي للاستماعِ لتنويرٍ مهم. وبمجرد أن دخلوا نشر السر كردوناً خارجياً من كل الاتجاهات وعملَ كردوناً داخلياً آخر. وما أن بدأت في التنوير حتى بدأوا يفرون كالطير بدون أي سلاح.

كانت أوامري ألا تُفتح النيران إلا على مَن يهرب وتحت الركبة فقط. وبالفعل فتح عليهم الكردون الخارجي النار عندما تعدوا النطاق لمدة بسيطة ثم أوقفتُ الضرب. وبعد برهةٍ وجيزة حضرَ إلى عددٌ من القساوسة إذ كانت المنطقة تعج بعددٍ كبير من الكنائس، وكان بينهم عدد من الأطباء وأستاذنوني ليدخلوا الغابة لإسعاف الجرحى فسمحت لهم شريطة أن يقنعوهم بالعودة وأن يشرحوا لهم أن هذه العملية أي عملية القبض تنتظم كل أرجاء الجنوب، ولا خوف عليهم إذا رجعوا إلى أماكنهم حيث ستأخذ العدالةُ مجراها. وقلتُ للقساوسة: «**إذا أنتم**

صدَّقتم ما أقولُ لكم فإنهم سيُصدقون ما تقولون لهم. ونحنُ حكومة مسؤولة وسنقبض عليهم عاجلاً أم آجلاً». وقُبيل الغروب عاد القساوسة من الغابة وأتو بهم جميعاً حتى الجرحى إلى مكتبي. وعلى الفور أمرتُ أكبرَ صف ضابط لهم أن يتولى هو التحفظ على المطلوبين للعدالة منهم في أحد العنابر ولا حراسة منا عليهم. غير لأني غَيَّرتُ ديدبانهم وسلمت مخازن السلاح والذخيرة لقوتي في تلك اللحظة. وبمساعدتهم قبضنا على الأهالي الذين اشتركوا في عمليات النهب والسلب. وعندما اكتمل تنفيذ الأمر بعد حوالي خمسة أيام تحركتُ بهم وعلى رأسهم جوزيف أدوهو والجرحى بحراسة قليلة قوامها صنف (11عسكري) إلى مريدي. وكانت أول

مرة أرى فيها مدينة (**مريدي**)، إنها سويسرا السودان بحق وحقيقة من حيث الطبيعة والخضرة والنسيم العليل. وبمجرد أن وصلنا إليها قمتُ بتسليمهم جميعاً لسعادة القائمقام (**محمد أحمد عروة**) الذي تم تعيينه حديثاً لقيادة الضفة الغربية كلها. وبإذنٍ منه قضيتُ الليل في ضيافتهم مع الكثير من الزملاء من الضباط وضباط الصف من الشرطة الشمالية، وكان بينهم سعادة مدير عام الشرطة السيد (**أمين أحمد حسين**) أول سوداني يسودن المدير البريطاني ومعه مدير مكتبه الحكمدار (**مكي حسن أبو**) اللذين مسحا المديرية الاستوائية بضفتيها وأعادا تنظيم قوات الشرطة وأتيا بأتيام للتحقيق من أكفأ رجال شرطة الشمال ضباطاً ورُتباً أخرى حيث توزعوا على كل المديريات والمراكز.

وفي ذلك الزمان الباكر كانت كوادر الخدمة المدنية والشرطة والجيش عُملةً نادرة، إذ كانت الشرطة هي التي تتولى التحقيق ثم الاتهام الذي يُجيدونه حتى

ظهرت النيابة في مقبل الأيام. كان الإداريون الإنجليز مديرين ومفتشين يتمتعون بكل السلطات: قضائية وتشريعية وإدارية وبوليسية. وكان ال D.C في عقيدتهم هو الحكومة وكل الحكومة وخوفهم وانصياعهم له أكثر من قادتهم العسكريين، ولا يزاحمهم في هذا الوضع المتميز غير القساوسة فقط. مما دفع الأستاذ الكبير (**أحمد يوسف هاشم**) الذي يُسمى (**أبو الصحف**) أن يفتح عليهم نيراناً حامية من خلال صحيفته بجرأته المعروفة، فحلقات مقالاته (**حكومة المفتشين**) فعلت في إمبراطوريتهم بالسودان قُبَيلَ وأثناءَ الحكم الذاتي ما لم تفعله قنابل (**أدولف هتلر**) في معركة بريطانيا.

وكان كبيرهم وأخطرهم (**سير دوغلاس نيوبولد**) الذي مات ودفن بالخرطوم، وخليفته (**سير جيمس روبرتسون**) قد جن جنونهما وفقدا أعصابهما من مقالات الأستاذ (**أحمد يوسف هاشم**). ولأول مرة أتشرف بلقاء القاضي المشهور (**عثمان الطيب**) الذي صار إبَّان فترة مايو رئيساً للقضاء. فهو الذي قام بمحاكمة (**جوزيف أدوهو**)، وحَكَم عليه بالإعدام غير أن الحاكم العام وهو ما زال رأس الدولة قد خفف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد. وتم إرسال (**أدوهو**) مع مئات المتمردين من الجنود والمحكومين لمدد طويلة إلى سجن بورتسودان.

وكان مدير السجن يأمرهم بالعمل في ملاحة السجن مع غيرهم من سجناء الشمال والملح في الجنوب لا يوجد وهي بضاعة نادرة وغالية يتاجر لهم فيها التجار الجلابة. فلما ذاقوا ماء البحر الأحمر علقوا بالآتي: (**شوف حسادة بتاع مندكرو ده ملح ده كله كشحو في موية بتاع بحر عشان ما يجي للجنوب**). إنها

الظنون وانعدام الثقة والجهل بخيرات الشمال والجنوب. إذن كيف انطفأت نيران التمرد؟ لقد جاء حين من الدهر كادت فيه جمرة التمرد أن تتحول إلى رماد، إذ صار أكثرهم في السجون محاكمين بمدد طويلة، والباقون كانوا مشردين في الغابات والدول المجاورة هائمين على وجوههم ومعظمهم مطلوبون للعدالة. ولم يكن لهم من عمل غير السلب والنهب وقتل الحيوانات كي يعيشوا على لحومها. وما كانوا يجرأون على مهاجمة أي عربة تجارية ناهيك عن قوات الجيش! وبذلك عادت المبادأة لقوات الجيش مائة في المائة إلى أن جاءت حركة 17 نوفمبر 1958م واستهلت أعمالها بعفوٍ عام وأطلقت سراحهم جميعاً بما فيهم (**جوزيف أدوهو**)، ولا أدري لماذا؟! وفي تقديري كانت هذه كبوة كما أن لكلِ حصانٍ كبوة.

وربما كان دافعهم لذلك تسليحهم للقوات بالبندقية الألمانية الآلية (ج3) سريعة الطلقات وتوفيرهم للقوات خفة الحركة بدعم سلاح الطيران بطائرات مقاتلة والخطوط السودانية بالطائرات العملاقة التي ظهرت حديثاً آنذاك (**الفايكونت**) والناقلات، ودعم سلاح النقل بأسطول ضخم من عربات المرسيدس، وإنشاء سلاح البحرية والأسطول البحري التجاري، ومد خط السكة الحديد إلى واو، وجلب أجهزة السيطرة والاتصال، وإنشاء مصنع للذخيرة بالشجرة، وتشكيل مدفعية ميدان المدفع 25 رطل.

وبتوفير آليات النيران الكثيفة والمتحركة المتمثلة في: دبابات (**صلاح الدين**) و(**الفرات**)، و(**عربات الكوماندوز**)، و(**ناقلات الجنود المدرعة**)، وإنشاء قسم فعال للمخابرات والاستخبارات، وتدعيم سفاراتنا خصوصاً بالدول المجاورة بقناصل هم في الأصل لمخابرات الدولة، وكذلك ملحقين عسكريين، وتدريب

شباب ضباط بجميع معاهد الدول الصديقة مثل بريطانيا وأمريكا وألمانيا ومصر في جميع المستويات، والاهتمام بالتدريب الداخلي، وإنشاء معاهد عسكرية حتى مدرسة الأركان.

وفي مجال الإعلام بإنشاء إذاعة بمدينة جوبا تذيع لهم بجميع لهجاتهم. وفي الجانب الآخر لم يكن للمتمردين أجهزة سيطرة ولا حركة، ولا أجهزة دعم، ولا قيادة متمرسة بأعمال القتال غير بندقيتهم ماركة أربعة (ذات الترباس- طلقة- طلقة)، ولا دعم لهم من الخارج. وقد صَدِئَ سلاحهم وفسدت ذخيرتهم من الرطوبة، فهل استمر ميزان القوى على هذا الحال؟ كلا فقد سقطت حكومة الفريق (**إبراهيم عبود**) بقيام ثورة أكتوبر 1964م وتبدلت كثير من المعطيات السياسية والعسكرية.

الانضام إلى وحدتي الأم بياي

عدتُ إلى (**أمادي**) حاملاً لقوتي تعييناتٍ تكفي للالتحاق قريباً بوحدتنا الأم بمدينة (**ياي**). وفعلاً بعد خمسة أيام تقريباً حضر لنا في الصباح القائمقام (**العقيد عروة بك**) تحيط به قوة الهجانة المهابة. وبعد أن تفقد معي المعسكر والمركز تسلمت منه الأمر بتسليم المحطة للغيار الذي حضر معه. وأذِنَ لي بالعودة مع جنودي إلى وحدتي في ياي. وكانت لحظة فرح كبرى للجنود ولي، وفي الحال ضربت (الكبسة) وتحركنا صوب ياي التي وصلنا إليها قبل المغيب. وقد استقبلنا القائد وبقية الضباط والوحدة بترحابٍ شديد، وأمرنا أن نرتاح في هذا المساء على أن نتسلم غداً قطاعنا في الدفاع ونكون مستعدين لعمل الدوريات وعمليات

القبض والمطاردة والحراسات وتنفيذ الإعدامات بعد الأحكام. وجدت بياي بالإضافة للبكباشا (**الزين حسن**) الزميل (**مصطفى عثمان**) الشهير باسم (**مصطفى جيش**) والملازم (**محمود الفكي**) والملازم (**أحمد النعيم**).

وبعد انتداب (**مصطفى جيش**) للانضمام إلى مجالس التحقيق العسكرية بجوبا تسلمت منه مهام القائد الثاني حسب أقدميتي. وجدتُ مفتش مركز ياي الإداري القوي (**يوسف محمد سعيد**) وكان ضابطاً بقوة دفاع السودان إبَّان الحرب العالمية وشقيق زميلنا في المدفعية (**صلاح محمد سعيد**)، كما وجدتُ حكمدار البوليس (**الزين بدوي**) ومعه آخرين، ووجدت معهم القاضي مولانا (**حسن عبد الرحيم**)، وكلهم يعيشون في ميز واحد وكان التعاون والاحترام شعارهم جميعاً. وانضم إلينا من شباب الإداريين الأخ (**الطيب عبد الله**) رئيس (**نادي الهلال**) العظيم، وكان نائباً للمرحوم (**الفاضل الشفيع**)، وسافر للشمال في إجازته السنوية أطال الله عمره.

وحتى إشكال الإدارة والبوليس الذي أطل برأسه في آخر أيام الإنجليز قد ذاب بحرارة الصراع في الجنوب الذي خطط له الإنجليز المتضررون من السودنة وقساوستهم المتدثرون بعباءة الرحمة الإنسانية الخداعة حتى جاء الرئيس (**إبراهيم عبود**) فانكشفت أفعالهم، مما دفع حكومته أن تتخذ قراراً بتجميعهم جميعاً من جنوبنا الحبيب في جوبا ثم ترحيلهم رأسا بطائرة الفايكونت إلى (**بابا الفاتيكان**) في مقره بروما. وكان المشرف على هذه العملية وزير داخليته (**محمد أحمد عروة**). ولم يكن هذا الإجراء بقصد محاربة الديانة المسيحية حاشا لله، فقد سبق لحكومة

الرئيس عبود أن طلبت منهم منذ فترة أن يعملوا على تدريب قساوسة سودانيين ليسودنوهم، وأعقبه بالطلب والإلحاح مدير الاستوائية (**السيد علي بلدو**). ولكنْ أكد عدمُ اكتراثِ البابا أنْ لا حياة لمن تُنادي.

مرحلة التفتيش والقبض والتحقيق والمحاكمات

وصلنا إلى ياي ووجدنا وحدتنا بالتعاون مع الشرطة قد أكملوا تقريبا القبض على كل المطلوبين في حدود المنطقة ذات المسؤولية والمجاورة لثلاث مستعمرات هي يوغندا وكينيا والكنونغو. وكانت الحدود في شكل مثلث رأسه في كايا السودانية.

وبدأت أتيام التحقيق النشطة تعمل ليل نهار وكانت جرائم القتل والحرق المدنية الجسيمة يحكم فيها القاضي (**حسن عبد الرحيم**)، أما البسيطة مثل جرائم (**جمقو**) وهو النهب والسرقة فتقدم إلى (**محكمة سلطان ياي**)، أما العسكريون فكانوا يُقدَمون إلى (**المجلس العسكري العالي**) في مدينة جوبا والذي يرأسه اللواء (**إبراهيم باشا عبود**) نائب القائد العام، وعضو اليمين القائمقام (**أحمد بك عبد الله حامد**). وقد عينت الحكومة على نفقتها مجلس دفاع للمتهمين برئاسة القانوني الضليع والدبلوماسي والسفير المعروف الأستاذ (**الدرديري أحمد إسماعيل**) أول وكيل لحكومة السودان بمصر وأول سوداني ينتخب نائباً لأمين الجامعة العربية ليدافع عنهم. والذي استهل مرافعته بأن استشهد بقول المسيح عليه السلام عندما ظن أعداؤه أنهم صالبوه وقاتلوه:

رد عليه ممثل مجلس الاتهام حكمدار الشرطة العصامي والحاصل على أرفع شهادات القانون من بريطانيا وسفيرنا لاحقاً بالأمم المتحدة ثم مندوبها في العراق وأول من تسلم مكتب الشؤون الخارجية قبيل الاستقلال من **(سير وليالوس)** مع السياسي **(الدكتور عقيل)** المحامي وانضم إليهم السيد **(خليفة عباس)** من أكبر رجال الخدمة المدنية بالسكة الحديد، وثلاثتهم كانوا بناة الأساس القوي المتين لوزارة خارجيتنا أول وزارة من رحم الاستقلال. ورضعت لبنا طاهرا من ثديه فانجبت دبلوماسيين سودانيين نفخر بهم في سفاراتنا الناشئة وفي كل المحافل الإقليمية والدولية رد عليه قائلاً: **(لكنَّ هؤلاء القوم كانوا يعلمون ما يفعلون، وكانوا يدبرون ويخططون لأبشع مجازر في تاريخ البشرية الحديث لم تترك المرأة الحبلى ولا الطفل الرضيع ولا الإنسان الأعزل الخ..)**

وكنا نحن معشر صغار الضباط كلما نأتي بالأطواف إلى جوبا لأخذ التعيينات أو المواهي أو لنشهد جلسات هذا المجلس التاريخي والذي ضم أكبر عدد من المهتمين في تاريخ المجالس العسكرية بالسودان والذي ترأسه اللواء **(عبود)** رجل المهام الصعبة وقبله ترأس لجنة السودنة لضباط قوة الدفاع حيث اشتبك مع آخر قائد بريطاني جنرال اسكونز الذي طلب أن يبقي سنة أخرى ووافق على طلبه **(أحمد باشا محمد)**، لكنَّ صهره **(عبود)** رفض الطلب وقال: «**إن أول من يذهب هو رأس الحية**». وعندما زار الرئيس **(عبود)** بريطانيا لاحقاً رفض هذا الحاقد أن يقابله، ثم ترأس لجنة تسليح الجيش السوداني، وكان معه قائد المدفعية المعروف **(البحاري بك)**، ومعهم **(عمر الحاج موسى)** عن سلاح الإشارة الذي كان

سكرتيراً للجنة وهو من شباب الضباط المثقفين ومن أميز أبناء جيله الثاني، وهو أخو الدكتور (**عبد الله الحاج موسى**) والدكتور (**إسماعيل الحاج موسى**). ووالدهم هو القائمقام (**الحاج بك موسى**) كان من أكبر مشاهير الجيل الأول من القوات المسلحة وقد نزل المعاش قبل السودنة.

سير وليم لوس يعود للسرايا بالخرطوم:

عاد (**سير وليم لوس**) من الجنوب وقدم تقريره للحاكم العام والذي أشاد فيه كثيراً بانضباط قوة دفاع السودان وحسن قيادتها وتدريبها مما حال دون إعمال المادة (**100 الانهيار الدستوري**). يشاركهم في هذه الإشادة الإداريون وضباط الشرطة ورجالها. وكرمته الإمبراطورية العجوز فعينته مندوبها السامي لكل دول الخليج العربي ومقره عدن. وأنعمت عليه بلقب (**سير**) وهو من أرفع الألقاب الملكية في بريطانيا. وفي عهد رئيسة الوزراء البريطانية (**مارجريت تاتشر**) اختير ابنُه وزيراً في حكومتها.

وقد عمل لوس على توظيف الكثير من البريطانيين المسودنين في دول الخليج. وكان خيرةُ السودانيين الأوائل قد انتدبوه لمساعدتهم في الإدارة والتعليم وتسجيل الأراضي أمثال: (**السني بانقا**) و(**كمال حمزة**)، و(**مختار التوم**)، والأستاذ (**بانقا الأمين**)، والمرحوم (**محمد أحمد التجاني**) وغيرهم مما شرف السودان في تلك البلدان العربية الشقيقة، وساعد في نهضتها الحديثة. وفي مطلع عام 1967م جمعتني الأقدار ب (**سير وليم لوس**) في حفل استقبال أقامه تكريماً له بقصره حاكم

دبي المرحوم (**الشيخ راشد المكتوم**) بوصفه المندوب السامي البريطاني. وما أن قدمتُ نفسي إليه حتى بدأ يكيل عبارات الثناء والإشادة بانضباط وكفاءة وحسن نظام وقيادة (**قوة دفاع السودان**). وعادت به الذكريات إلى مرافقته للجاموس كما كان يسميه الجنود اللواء (**أحمد باشا عبد الوهاب**)، فقال لي: «**إن السيد أحمد باشا عبد الوهاب لا يقل عن أرقى الجنرالات البريطانيين**». وكان البكباشا أي المقدم (**أحمد باشا عبد الوهاب**) والصاغ أي الرائد (**حسين على كرار**) هما أول ضابطين سودانيين يبعثهما الإنجليز لتلقي دورات تدريبية راقية ببريطانيا بعد الحرب مباشرة.

وعند عودتهما قاما بأكبر نقلة في التدريب العسكري الحديث بمركز تعليم الشمالي بأمدرمان والذي حولاه لمدرسة المشاة على نسق مدرسة المشاة البريطانية، وعربّا كتيبات التعليم إلى العربية، ثم ساعدا مع زملائهم في إنشاء الكلية الحربية الحديثة في عهدها الثاني عام 1948، وقاما بتدريب أمهر التعلمجية الذين قاموا بتدريب كل الدفعات مثل الجاويش (**أمين نمر أبو المورتر**) والملازم صاحب الذكرى الحسنة في حوادث الجنوب حامل ودافن جثمان البطل البكباشا (**حسن محمود**)، وسنحكي عن قصته بالتفصيل في حلقة واو. وفي الحلقة القادمة نتحدث بإذن الله عن داعية الانفصال الثاني (**مايكل واطا**)، والاستشهاد البطولي للمفتش (**الفاضل الشفيع**)، والملازم (**عصمت بحيري**)، و(**لجنة قطران**)، وضيافة المحسن (**حجار**) لهم، وكذلك عن الدفعة السادسة والسابعة ودعمهما لرصيد الملازمين، والسلام.

* * *

الحلقة (7)

داعية الانفصال مايكل واطا يخطط لجزرة ياي

* * *

الفاضل الشفيع والملازم عصمت بحيري أول الشهداء رغم الادراك بالمؤامرة

لماذا حقق معي الأزهري بعد اتهام مايكل وبرأتني المحكمة؟

عبد الماجد حامد خليل أول من خطط وأشرف عملياً على مناورة بمستوى فرقة المشاة بالذخيرة الحية.

لست بحاجة لأن أسمي حكمدار ونابغة شرطة السودان العصامي السفير **(عمر عديل)** فإن فاتني كتابة اسمه في متن سيرته العظيمة فهو علم على رأسه نار منذ نشأته في دوائر الشرطة وفي مكتب الشؤون الخارجية بالسراي وفي وزارة الخارجية الفتية، بل وفي دوائر الأمم المتحدة، لأن إنجازاته في كل هذه الدوائر تشير إليه بالبنان. ولثقتي في إدراك القارئ الكريم بسيرة عظماء بلاده فإنه معلوم لديه. **(مايكل واطا)** داعية الانفصال رقم اثنين ومن كبار مهندسي التمرد تم ترفيعه في السودنة إلى نائب مفتش مركز ياي، إلا أنه أعتبر كل ذلك دون طموحه.

ومنذ بداية التحاقه بالإدارة عمل وتمرن وتربى على يد أخطر مفتش (D.C) بريطاني هو **(المستر ديوك)** الذي خدم ستة عشر عاما بمركز ياي واقترن بعشرات النساء من قبائلها بالرغم من أن تعاليم الدين المسيحي الذي يعتنقه لا تسمح له إلا بواحدةٍ فقط. ويتكلم جميع لهجات قبائلها ويجيد العربية قراءة وكتابة إذ كانت حكومة السودان في ذلك الزمان تصرف ما تُسمى **(علاوة اللغات)** لمن

يجيد لغات منطقته ويجتاز الامتحان اللغوي الخاص بذلك. ولشدة تعلقه بمركزه أي مركز ياي كان لا يعتقد أنه سيغادره في يوم من الأيام!! وكان حريصاً على مشاركهم في رقصاتهم في النقارة عاريا مثلهم حتى أطلقوا عليه اسم (**Duke of Yei**). وقد كتب عشرات الملفات عن مركزه. وكتب عن زراعة البُن والشاي والتبغ في منطقة ياي التي تُعتبَرُ تُربتُها أصلحَ تربة لتلك المزروعات. ولنا لقاء خطير معه وسنسرده لاحقا.

في صبيحة يوم 18 أغسطس 1955 وعندما جاءت إشارة اللاسلكي بالواضح لم يسلمها العامل للمعنون له أي المفتش، ولكنه سلمها إلى (**مايكل واطا**) مفكر المتآمرين الذي رسم خطة جمع كل الشماليين من تجار وموظفين بنسائهم وأطفالهم وأمر بوضعهم جميعاً في السجن على أساس حمايتهم من أي مكروه. وكما يُقال فإنَّ المؤمن صِدِّيقْ. وقبل ذلك كان قد جمع بلتون الجيش والشرطة والسجون وقال لهم: «**إن الوقت قد حان وبدأت شرارة التمرد في توريت وجوبا وانتظمت كل المراكز وعلينا الآن أن ننقذ ونحرر بلادنا من الاستعمار الشمالي**».

وأرسل لاستدعاء صديقه وموضع ثقته الإداري المقتدر المفتش (**الفاضل الشفيع**)، وطلب أن يحضر معه الملازم المتميز (**عصمت بحيري**) وكل من معهم من الشماليين والعوائل بدعوى أن دشمانا كبيراً قد وقع بين رجالات الجيش والشرطة مناشداً إياهما أن يتعجلا الحضور لفك الاشتباك الذي كاد أن يقع، وهو مسيطر عليه حتى الآن. ولولا أن ألهم الله البكباشا (**الزين حسن**) ورفيقه مفتش الزراعة المشهور عالمياً (**خالد حمد**) لكانا معهم. وأدرك المرحوم (**الفاضل الشفيع**)،

والمرحوم (**عصمت بحيري**) بحسهما وخبرتهما ومتابعتهما لمجريات الأمور بالجنوب أن هذه مؤامرة دُبرت بليل. وبالرغم من ذلك أصرا على الوصول للمركز وطلبا من المرحوم (**علي البكري الكيلاني**) أن يأخذ عائلة المفتش وطفليه وأى شمالي إن هو سمع صوت الرصاص إلى يوغندا المجاورة بعربة أعدت لذلك.

وبمجرد وصولهما للمركز وفي إشارة متفق عليها مسبقا أصدر (**مايكل واطا**) إشارة الضرب لجميع الجنود فانهالوا عليهم جميعاً بوابل من الرصاص. فأخرج (**عصمت بحيري**) طبنجته وكان قد أصيب وزحف حتى وصل إلى المكتب ومعه المفتش. ولجبن الجنود من طبنجية عصمت صبوا على المكتب من الخارج صفيحة من البنزين وأشعلوا النيران فيه. فكانا هما والتجار أول شهداء بياي. ويقال إن المستر ديوك دخل بعربته من (**مركز موية**) أول مركز ليوغندا على الحدود القريبة من (**مركز ياي**)، معللاً دخوله لإنقاذ صديقه وخلفه (**الفاضل الشفيع**)، واجتمع مع (**مايكل واطا**) اجتماعاً طويلاً.

مايكل يرسل أول برقية سياسية:

بعد ذلك سافر (**مايكل واطا**) بعربته إلى يوغندا وأرسل أخطر برقية للحكومة البريطانية وأخرى للحكومة المصرية زاعما فيها أن جنوب السودان كله الآن تحت سيطرة أبنائه الجنوبيين. ولذلك فهو يطلب من الحكومتين الاعتراف والعون والتدخل العاجل. وفي تقديري كان هذا أول وأخطر عمل سياسي كبير، ولكن هل استجابت بريطانيا أو مصر لهذه البرقية؟! بدأ تفكك الشراكة غير

المتكافئة، وأصبح عمرها في عَداد المنتهِي. ولم تلحق قبائل (**الدينكا**)، و(**النوير**)، و(**الشلك**) بالتمرد الأول كما زعم (**مايكل واطا**) وهم بتعدادهم يشكلون أكبر القبائل ليس في السودان فحسب بل وفي قارة إفريقيا بأكملها. وحل الحكومة سيكون سودانياً بحتاً بلا شك، فحَكَّمت الدولتان صوت العقل، وقررتا التريث لمقبل الأيام. وبلا شك فإنَّ الليالي من الزمانِ حُبالَى مُثقلاتٍ يَلِدْنَ كُلَّ عجيبِ.

لقد خابت أحلامُ (**مايكل واطا**) ووقع في شر أعماله، حيث طالته يدُ العدالة التي كاد أن يخفيها، وقُدِّمَ إلى محكمة القاضي (**حسن عبد الرحيم**) بوصفه مدنياً. ونُفِذَ فيه حكمُ الإعدام بعد عودة أوراقه من الحاكم العام. ووفقاً لذلك تمَّ التحقيق معي بسبب بُهتان (**مايكل واطا**)، فكيف كان ذلك؟ كان الزعيم (**إسماعيل الأزهري**) وهو رئيس الحكومة ووزير الدفاع والداخلية قد سمح لصحفيين محليين وعالميين بزيارة الجنوب، فجاء صحفيٌ بريطاني كبير إلى ياي، ولما كنتُ المسؤول عن السجن والمقبوضين والمحاكمين فقد طلب مني بواسطة قائدي أن أسمحَ له بزيارة (**مايكل واطا**) بالاسم. فوافقتُ على طلبه واصطحبتُه إلى زنزانته، حيث سأله أسئلة كثيرة كان آخرها سؤالهُ له: «**هل عذبوك يا مايكل؟**» فرد عليه مايكل: «**نعم عذبوني**».

واستطرد الصحفي: «**مَنْ الذي عذبك؟**» فرد مايكل: «**اسأل هذا الضابط**». ولما كنتُ قد أتيت حديثا لياي فهو لا يعرف اسمي، ووجدته بالسجن رهن المحاكمة. ولما عاد الصحفي المذكور للخرطوم قابل الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) وقال له: «**إنَّ الملازم (الفاتح بشارة) عذَّب مايكل واطا!!** » الأمر الذي لم يقله

مايكل صراحة. فطلبَ الرئيس الأزهري تحقيقاً عاجلاً ببرقية أرسلها للسيد مدير المديرية (**عبد العزيز عمر الأمين**) أطال الله عمره، وبدوره حولها لمفتش ياي السيد (**يوسف محمد سعيد**) ولقائدي البكباشا (**الزين حسن الطيب**)، فحقق معي القاضي النزيه (**حسن عبد الرحيم**) وحكم ببراءتي من ذلك الإفكِ والبُهتان. وأُرسلَت البراءةُ لمعالي رئيس الوزراء السيد (**إسماعيل الأزهري**) فطُويت تلك الصفحة.

وبعد أيامٍ من ذلك أعاد لنا الحاكم العام قضية (**مايكل واطا**) مؤيداً حكم الإعدام في حقه جزاء ما فعل من قتل حوالي أربعين شمالياً على رأسهم المفتش والملازم (**عصمت**) والتجار الجلابة وعائلاتهم بما فيهم آل (**منصور**) وعوائلهم، وبينهم أيضاً حرم الشهيد (**الفاضل**) وطفليه وضيفه من الخرطوم الخبير الزراعي (**علي البكري كيلاني**) شقيق أستاذنا بخورطقت السفير (**كمال البكري**) الذين لم يسلموا من تدبيره الشيطاني، حيثُ سبقهم بالمرور على القرى الواقعة على طريق يوغندا، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من دخولها آمنين لولا أن خذلهم وقودُ سيارتهم التي كان خزانها الثاني مليئاً به لكنهم لم يكونوا على دِراية بتحويل الجزرة من خزان إلى خزان.

وبمجرد أن ترجلوا تجمع عليهم أهل القري وانهالوا عليهم بالحراب والنشاب بلا رحمة ولاشفقة. ولكنَّ هؤلاء الخونة قد وقعوا في يد الجيش في نهاية المطاف بعد مطاردة شديدة، وتمّ القبضُ عليهم، واعترفوا جميعاً بجريمتهم النكراء، حيث شهد بعضهم على بعض. وكان من لم يقتل شخصاً كبيراً من المندكورو يدافع

عن نفسه بأنه قتلَ فقط (**ناركوك**) أي طفل صغير ظناً منهم أنَّ ذلك يعفيه من العقوبة لأن الطفل في نظرهم لا يُعتبر إنساناً كاملاً.

القضاء السوداني:

عندما تقلد مولانا (**محمد أحمد أبو رنات**) أبو القانون رئاسة القضاء في السودان استعان بقُضاةٍ من الشوام والباكستانيين ليقوموا بسد النقص الذي خلفه القضاة البريطانيون ويعملوا على فصل السلطات في مستهل فترة الحكم الوطني للسودان المستقل حديثاً. فلا مفتش أو مدير له سلطات قضائية، وقد تقلصت سلطات الإدارة الأهلية إلى أدنى حدٍ لها. وجيء بقاضٍ كبير اسمُه (**قُطران**) وهو فلسطيني الجذور فعينوه لرئاسة لجنة تقصي الحقائق عما حدث في جنوب السودان بأكمله. وسُميت اللجنة باسمه (**لجنة قطران**).

كان معه قومندان البوليس المعروف وأول من سودن وكيل حكومة السودان بلندن السيد (**خليفة محجوب**) وكان أول مدير سوداني لكلية الشرطة. كما كان معه كذلك القائمقام الشجاع (**محمد أحمد بك التجاني**) الذي أصبح لواءً فيما بعد وعضواً بالمجلس الأعلى في عهد الرئيس (**إبراهيم عبود**)، ثم قائداً متميزاً بالفرقة الجنوبية حتى قيام ثورة أكتوبر 1964م. كما كان من أعضاء (**لجنة قطران**) الزعيم (**لوليك لادو**)، والبكباشا المرحوم (**علي حسين شرفي**) الذي كان مستشاراً عسكرياً لها.

تعينتُ من قائدي المباشر البكباشا **(الزين حسن)** لأقود قُوة الحراسة وأُمهد لمن يريدون سماع شهادته من المقبوضين والطلقاء. وبحكم عملي كنتُ أحضر جميعَ الجلسات، مما أتاح لي فرصة معرفة أخطر شخصيات التمرد، والتي استعنتُ بها في كتابة هذه المذكرات. وذهبت معهم إلى **(واتوكا)** وهي تقع في المنطقة ذات المسؤولية حيث قضينا فيها أياما نعمنا فيها بضيافة السيد **(حجار)** الكبير في دياره العامرة التي تُشبه فنادق الخمس نجوم. حيث كانت تحيط بنا في داره العامرة مزارع البُن والشاي والتبغ، حيث كان بها أكبر مصنع للسجائر بالسودان مما أتاح توظيف الكثير من العمالة الجنوبية به.

ونحمد الله على أن يد المخربين في التمرد الأول لم تمتد إليه لاعتقادهم أنه خواجة أوروبي، ولم يكونوا يدركون أنه سوداني صميم وأصيل وأنَّ ذريته باقيةٌ بالسودان إلى يوم الدين. ويكفيه فخراً أنه أنجب ابن السودان البار السيد **(أنيس حجار)**.

لم تتعدَ عملياتُ المتمردين في عامي 55 و56 الأعمال الفردية مثل أعمال القناصة والسلب والنهب والكمين البسيط (Hit And Run). وكان كل العمل المضاد لهزم الكمين أو مقاومة حرب العصابات والتفتيش والقبض هي من واجبات الضباط الصغار برتبة ملاز. وتخرجت الدفعة رقم (6) والمترقون من الصفوف قبل التمرد وتلتها بعد 6 شهور الدفعة رقم (7) وهي أكبر دفعة تخرجها الكلية، حيث كان فيها ثمانية وأربعون (48) ضابطاً.

وتخرجت هذه الدفعة قبل إكمال عامين في الدراسة والتدريب كما هو مُتَّبَع، ولكنهم أكملوا مناهج التدريب بالضغط العنيف عليهم والذي استمر ليلاً

ونهاراً بحكم أن معظمهم إن لم يكن جميعهم قد التحقوا بمسرح العمليات بالجنوب. وقد خفف هذا علينا نحن الضباط كثيراً من الضغط الذي كان يقع على عاتقنا. ومن رموز الدفعة السادسة: المرحوم **(التاج حمد)**، و**(خالد الأمين الحاج)**، و**(تاج السر المقبول)**، و**(عبد الله الطاهر منور)**، و**(محمود الفكي)**. ومن رموز الدفعة السابعة **(عبد الماجد حامد خليل)**، و**(موسى عبد الحفيظ)**، و**(عمر محمد الطيب)** الذي أبلى بلاء حسنا عندما آلت إليه قيادة الفرقة الجنوبية لاحقاً في الجزء الثاني من التمرد.

أما **(عبد الماجد)** فقد صار نجماً ساطعاً من نجوم جيشنا الفتي. ومن حقه علينا وعلى التاريخ أن نقول إنه أول من خطط وأشرف على مناورة بمستوى فرقة المشاة وبمعركة **(جميع الأسلحة All Arms Battle)** وبالذخيرة الحية في عهد الرئيس المشير **(جعفر نميري)**. وقد استشهد في هذه المناورة واحدٌ من أميز ضباط المدفعية ألا وهو اللواء **(محمد باخريبة)** عليه رحمة الله بسبب دانة مدفع طائشة، فطبيعة الأشياء والتقاليد العسكرية تسمح للقائد بخسائر حتى 5% في التدريب لتوفير الكثير من الأرواح والدم في الحرب.

كنتُ قد تركتُ الجيش قبل هذه المناورة حيث أصبحت سفيراً للسودان بالمملكة العربية السعودية الشقيقة. وحسب علمي أن المناورة قد استمرت وانتهت في مكانها وموعدها المرسومين لها مسبقاً رغم هذا الحادث الأليم. وقد كانت الحادثة قضاءً وقدراً كما أكدت ذلك جميعُ لجانِ التحقيق. والتحقيق هنا إجراء عسكري بحت يتم في أية مناورة أو تمرين. كما لا يفوتني أن أذكر من رموزها **(يوسف أحمد يوسف)**، و**(خالد الصادق)**، و**(محمد يحيى منور)**، و**(ميرغني**

سليمان)، و(**كمال أبو حراز**)، و(**عبد الفتاح بابا توت**) وغيرهم. وفي الحلقة القادمة سنسرد حديثاً عن صحبة المفتش الشجاع حين دخل حدود يوغندا مخالفين بذلك أمر القائد العام. و(**ديوك**) يسمح لنا بالدخول ثم يعتقلنا ويهددنا ويجمع المتمردين حولنا، ولباقة المفتش وقوة حجته تنجينا من العواقب، وكاجو كاجي وماذا وجدنا فيها، ثم القبض على سلطان ياي القوي بعد اكتشاف جريمته البشعة.

الحلقة (8)

ملابسات قضية التاجر التي اهتزت لها مدينة ياي

* * *

كشفت التحقيقات عن ملابسات قضية التاجر التي اهتزت لها مدينة ياي.

توجيه الاتهام للسلطان لقيامه بدفن التاجر حيا والحكم بالإعدام شنقا على المتهم.

رغم تحذيرات القائد العام قمنا بزيارة المستر ديوك داخل يوغندا.

كانت محاكم السلاطين في جنوب السودان شبيهة بمحاكم النظار في الشمال. وهي درجات وتحاكم في الجرائم التي يحيلها لهم المفتشون بالأخص الجرائم غير الجسيمة. وكل سلطان له أعضاء محكمة وحراس. وكنا في مركز ياي نحيل جرائم السلب والنهب بعد أن تحقق فيها الشرطة إلى محكمة السلطان القوي. وما أن

يقف أي متهم أمامه إلا أن يبدأ المحاكمة بسؤاله: (**حكومة في؟**) فيرد المتهم قائلاً: (**حكومة في**). ثم يردفه بسؤالٍ آخر: (**حكومة قوي؟**) فيرد: (**حكومة قوي**). وعلى الفور يحكم عليه بأقصى عقوبة ممنوحة له ويردفها بالجلد بواسطة حراسه.

وكنا نحن صغار الضباط عندما نكون خالين من الخدمة نحرص على حضور جلسات محكمة السلطان. وفي ذات يوم عندما كانت الشرطة المحققة تحقق مع أحد المتهمين فاعترف قائلاً: (**ودوا أنا قدام ليه؟؟ هو سلطان دا ماكتلو تاجر بتاعنا وحفرو حفرة على طوله مع حراسه ونزلوا في حفرة حي حتى عمة بتاعو جقموا سلطان ودفنو حفرة فيه**).

هنا فجر هذا المتهم خبراً خطيراً. وبمراجعتنا لم نجد بكشف الشماليين المقيمين بمركز ياي اسم هذا التاجر ولا ضمن المفقودين. ولا أحد يعلم عنه شيئاً، فقد أتى حديثاً إلى مدينة ياي، وكان من تجار الغابة التي بها قرية السلطان. ولم نصدق في بداية الأمر، ولكنَّ كِبارَنا أشاروا علينا أولاً أن نتكتم على هذا الخبر تماماً، وأن نرسل قوةً معها المتهم المذكور ليدلنا على مكان الحفرة. وفعلاً تم الحفر وأخرجت الجثة وكانت واقفة. وعند العودة إلى المركز وضعنا خطة محكمة لعمل كردون على محكمة السلطان وقوة للقبض عليه حتى لا يستطيع الهروب.

وفي التحقيق معه بواسطة الشرطة اعترف بأن هذا التاجر صديقه ولما رأي قبيلة اللاتوكا تقتل الشماليين بالرصاص والحِراب فقد آثر أن يعمل هذه الحفرة لصديقه حتى لا يتعذب ولأنه لامحالة ميت وقال: (**أنا عملو ترتيب بتاع حفرة ده عشان هو موتو بشيش**). قدم لمحكمة القاضي (**حسن عبد الرحيم**) وحكم عليه بالإعدام، وأرسلت أوراقه لسعادة رئيس القضاء ومنه لمعالي الحاكم العام. وبعد

عودة الأوراق من الخرطوم نُفذ عليه حُكمُ الإعدام. وكان آخر حكم في ياي وآخر قضية اهتز لها وجداننا من هول فظاعتها.

كاجوكاجي ثم عبور الحدود بصحبة المفتش ومقابلة ديوك المثير للجدل

بعد أن انتهت المحاكمات تقريباً، وبعد السماح لي من قائدي المباشر أن أرافق المفتش (**يوسف محمد سعيد**) وبحراسة قوامها فصيل Troup في مروره وتفتيشه على آخر نقطة لمركز ياي وهي كاجوكاجي المجاورة لأول مركز في شمال يوغندا. وكان اسمه (**مركز موية**)، حيث كان (**المستر ديوك**) قد نُقل إليه بعد السودنة ليكون مفتشه، حيثُ لا يزال الاستعمار البريطاني يسود يوغندا حتى ذلك الحين.

وصلنا إلى (**كاجوكاجي**) عند المغيب، ونزلنا في استراحتها القائمة على مرتفع أخضر جميل يطل على وادٍ واسع به القرية. وكان يرافقنا جاويش مخلص من الشرطة لم يتمرد، بل حاول أن يوقف التمرد. وكاد أن يفقد حياته لأن المتمردين أعتبروه خائناً للقضية وعميلاً للمندكرو. وما أن وصلنا حتى هرع إلينا تاجر جلابي اسمه (**عثمان النعيم مهيد**) وهو من أبناء الجعليين.

وفي أول انتخابات برلمانية بعد الاستقلال انتُخِبَ نائباً عن دائرة كاجوكاجي. وهو شخصية مرحة يتمتع بالنكتة الحاضرة، مما ساعده على امتصاص أهوال التمرد. وكان محبوباً بين الناس، ومعه شابٌ في حوالي العشرين من عمره اسمه (**لطيف إسطمبولية**) ينحدر من عائلة إسطمبولية الشهيرة بالخرطوم. وقد سرد لنا كلاهما قصة قبضهما بواسطة المتمردين، وكادا أن يُقتلا لولا أن ساعدهما (**المستر ديوك**) على النجاة عند دخوله لحدود السودان حتى ياي. وهنا صارحني المفتش

الشجاع (**يوسف محمد سعيد**) بدخول يوغندا لأول مرة ومقابلة هذه الشخصية الأسطورية (**المستر ديوك**). ولعلمي بالصداقة الحميمة التي تربط المفتش (**بالجاموس**) أي (**أحمد عبد الوهاب**) وبالأسباب المقنعة للدخول وباندفاع ركوب المخاطر المحسوبة Calculated Risk في سن الشباب توكلت على الله وقبلت اقتراحه رغم تحذير القائد العام المخيف. وعندما وصلنا إلى نقطة الحدود وهي لا تبعد كثيراً وجدنا بها ضابطي شرطة شابين بريطانيين وجنود يوغنديين فأوقفونا وسألونا عن سبب نية دخولنا. فقال لهم المفتش: «**إننا نريد الاجتماع بالمستر ديوك لأن أعراضاً لمرض الطاعون قد ظهر في ياي، وقد جرت العادة أن يجتمع المفتشان المتجاوران لتنسيق الأمور. ثم إننا نريد أن نشكر المفتش على ماقام به من أعمال جليلة أثناء التمرد**».

وكان هذا الحديث بغرض التمويه فقط لأن حكاية الطاعون هذه لا أساس لها من الصحة. وعندها اتصلوا بجهازهم وأخبرونا بأن (**المستر ديوك**) قد أذن لنا بالدخول شريطة أن نسلم أسلحتنا لهم في الحدود. وتشاورنا في الأمر ملياً، حيثُ قررتُ أنا بعد ذلك أن تبقى القوة بحدود السودان بكامل أسلحتها بقيادة الجاويش السر.

وقام المفتش وشخصي بتسليم الطبنجات. ودخلنا ومعنا الجاويش المخلص والنعيم وإسطمبولية بمجرد وصولنا إلى مركز موية الذي لا يبعد كثيراً، وإذا بنا نلحظ تجمهراً غير عادي يزداد عدداً في كل لحظة. وأقعدونا في خارج المكتب في كنبة يحيط بنا عدد من الجنود اليوغنديين المدججين بالسلاح مع ضباطهم البريطانيين. وكان التجمهر يزداد والعيون كلها تنظر إلينا في شراسة.

بدأنا نتساءل: (**هل يا تُرى هذا اعتقال؟ أم احتقار؟ أم درس؟**) وكنتُ قد زودتُ (**السر**) بالكثير من التحوطات، ووجهته كيف يتصرف إذا لم نرجع حتى الفجر. كما حذرته ألا يدخل وجنوده الحدود بأي شكل من الأشكال، بل عليهم أن يرجعوا إلى ياي ليبلغوا حيث إنَّ ياي لا تعرف أين نحن. وبعد ساعتين أو ثلاث أذِن لنا (**المستر ديوك**) بالدخول عليه. ولم يقف لتحيتنا بالرغم من أننا أعطيناه التحية العسكرية، ولكنه اكتفى بقوله: (**يمكنكم الجلوس**). وفي صوت غاضب ولهجة تعنيف بدأ يكيل الانتقاد للسودان وصحافته. وأذكر مما ذكر أن الصحافة السودانية قد شنت عليه بالاسم حملة شعواء كأنما ديوك هو الاستعمار البريطاني كله وكأنه هو الذي صنع التمرد. واستطرد قائلاً إنه دخل حتى ياي لينقذ صديقه العزيز ومن يستطيع إنقاذهم من القتل، ولكنَّ القدر كان أسرع.

ثم أخرج لنا أعداداً هائلة من صحيفة الأيام وعليها صورته والهجوم اللاذع عليه في الصفحات الأولى. وكانت صحيفة الأيام في ذلك الوقت ومنذ صدورها في عام 1953م قد احتلت مكان الصدارة كصحيفة مستقلة تكتب فيها أقلام في مُنتهى القوة كقلم الأستاذ المرحوم (**بشير محمد سعيد**) مؤسسها ومعه الأستاذ (**محجوب محمد صالح**) أمد الله في عمره، ومعهم أقلام شابة كقلم الشاب (**الرشيد بحيري**) والنابغة (**محمد ميرغني**) الذي لمع نجمه حتى صار مسؤول الإعلام لهيئة الأمم المتحدة في كل الشرق الأوسط ومقره القاهرة ويرفرف علمها في سيارته إذ كان منصبه بدرجة سفير ومقره القاهرة. ورد عليه المفتش يوسف بقوله:

«إن الصحافة في السودان صحافة حرة ومستقلة، وهي تنتقد كما يحلو لها. وحتى الزعيم إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء هاجمته هذه الصحف

هجوماً لاذعاً. وهذه هي الديمقراطية التي ورثناها من وست منستر. وهذا ليس بالضرورة رأي الحكومة فيكم. ولو كان الأمر كذلك لما حضرنا للتشرف بمعرفتكم والتنسيق معكم ولشكركم على محاولتكم إنقاذ صديقكم الفاضل وشكركم لإنقاذ حياة النعيم وإسطمبولية اللذين أتيا معنا لتقديم هذا الشكر شخصياً».

بعد هذا الحديث لاحظنا تغييراً كبيراً في ملامح وجهه حيثُ انفرجت أساريره، وطلب لنا الشاي والقهوة، ثم بدأ يعطينا النصائح بألا نندفع في الانتقام وأخذ القانون بأيدينا. كما أوصانا ببعض الشخصيات الجنوبية المثقفة على ألا نشك فيهم وأن نعاملهم بالحسنى. وأخيراً طلب منا عند العودة أن نقول كلمة للذين هربوا ولجأوا إلى (**مركز موية**)، وقال إنه قد جمعهم لنا لنقنعهم بالعودة إلى وطنهم. وهنا ودَّعناه شاكرين.

وعند خروجنا وجدنا التجمهر قد فاض وملأ كل الأركان من جنود الفرقة المتمردة وجنود الشرطة والسجون والأهالي. وكان الشرر يتطاير من عيونهم. وخطب فيهم المفتش الشجاع وكنت أقف بجواره. وقال لهم: (**نحن كلنا إخوان**)، فصاحوا فيه بأبشع العبارات والأوصاف المؤلمة مستنكرين أن نكون كلنا إخوان. وما أن رأينا هذا الموقف حتى أسرعنا إلى ركوب العربة تحفنا الحراسة اليوغندية والضباط الإنجليز. ووصلنا إلى قوتنا بقيادة الجاويش (**السر**) فوجدناهم يحسبون الدقائق والثواني ويخشون أن يكون قد ألم بنا مكروهٌ لا سمح الله. وما أن أبصرونا عائدين سالمين حتى هتفوا بأعلى أصواتهم مهللين مكبرين.

عدنا إلى ياي في ذلك الليل بحصيلة وافرة من المعلومات خصوصاً عن عدد أفراد التمرد الذين لجأوا لهذا المركز، حيث كان الجاويش المخلص المرافق لنا قد سجل أسماءهم جميعاً في ذاكرته رغم كثرتهم.

اتفقت مع المفتش والقوة ألا نبوح لأحدٍ بهذه المهمة إطلاقاً. وربما يكون قائدي المباشر البكباشا (**الزين حسن**) قد ألم بها لأول مرة من خلال قراءته لهذه الحلقة فقط. والسبب هو أننا كنا نخشى تحذيرات سعادة القائد العام في تنويره ليلة 29- 30 أغسطس 1955م. وفي الحلقة القادمة نتطرق لمديرية بحر الغزال، وموقف القياديين بها. وكيف يدخلها (**أحمد عبد الوهاب**) فجراً بمفرده، وماذا في أعالي النيل؟ والشفرة التي لا يمكن حلها بين (**أحمد باشا محمد**) وضابط الشرطة المعروف (**عواض**).

* * *

الحلقة (9)

القبض على الكجور المشهور دال ديو

* * *

القبض على الكجور المشهور دال ديو بعد معركة مثيرة ومحاكمته بالسجن.

لماذا فر أفراد البلوك الرابع المتمرد بعد وصولهم إلى الخرطوم؟ وكيف تم إرجاعهم؟

القائد العام يستخدم لهجة الحلنقة في اتصاله مع قادة الشرطة بأعالي النيل خلال أيام التمرد.

كما هو معلوم عن الحكم الثنائي فإنه قَسَّمَ السودان إداريا إلى تسع مديريات على قمة الإدارة في كل مديرية مدير تعينه الخرطوم ليدير مديريته بالتفويض عنها. وقد اختير خالد الذكر أبو الدبلوماسية في السودان السيد (**محمد عثمان يس**) ليكون مديراً لمنطقة (**أعالي النيل**)، وهو من الشخصيات البارزة والمشهود لها بالكفاءة، فقد اختير أول وكيل دائم للوزارة الناشئة (**وزارة الخارجية**) في شهر يناير عام 1956م.

ولما كانت كلمة دائم قد ورثناها من البريطانيين فظل الرجل في منصبه طوال الفترة من 1956م إلى أكتوبر 1964م وبعدها عمل مندوباً لهيئة الأمم المتحدة بالأردن الشقيق. وعرفته وعرفت قدره في عهد حكومة نوفمبر. كان خارج مديريته عند إرهاصات التمرد. ولعله رافق الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) في زيارته التاريخية لبريطانيا والتي فجر فيها الأستاذ (**بشير محمد سعيد**) قنبلة خبرية هائلة من لندن وانعكس صداها في القاهرة والخرطوم ألا وهي نية انحياز الأزهري للاستقلال وإعلانه من داخل البرلمان. مما دفع الصحافة المصرية والسياسيين بها أن تتهمه بتنفيذه لمخططات بريطانية فلم يكن هذا الاتهام صحيحاً، بل كان مطلبا شعبيا شاملاً.

عاد السيد المدير إلى مديريته في يوم 1955/8/20م ليسيطر على قيادة الأمور في هذا الظرف العصيب، وكان بجواره نائبه السيد (**أحمد حسن الضو**) أمد الله في عمره وهو من الطراز الأول أيضاً ومن الإداريين الذين اختيروا اختيارا دقيقا

للعمل بالجنوب. ونسبةً لكفاءته وحسن سيرته فقد تمَّ اختيارُه رئيساً للديوان بالقصر الجمهوري واستمر بهذا المنصب طوال عهد (**عبود**)، وكان له الفضل الكثير عليَّ، حيثُ نَهلتُ من بحر خبراته الواسع. وكان يعاونه شبابٌ من مفتشي المراكز هم صفوة الإداريين في ذلك الزمان أمثال: السيد السفير لاحقاً (**عثمان عبد الله**)، والسفير (**فضل عبيد**)، والسفير الدكتور (**عبد الرحمن عبد الله**) أحد مهندسي اتفاقية السلام الأولى، والسيد (**النذير حمد**)، والسيد (**كرار أحمد كرار**)، والسيد (**حسن دفع الله**)، والسيد (**عز الدين شبيكة**). وفي جهاز الشرطة القمندان (**محمد أحمد عواض**)، والملاحظ (**إبراهيم خورشيد**)، وكلاهما من قبيلة الحلنقة بشرق السودان والتي ينحدر منها سعادة القائد العام (**أحمد محمد**) من جهة والدته. وجميعهم خدموا السودان في أعلى المناصب وأهمها.

أما القوات بأعالي النيل فقد كان بها البلوك الرابع (ناقص بلتونين) في فرقة خط الاستواء وقائده البكباشا (**الكمالي**)، ومعه الملازم (**عبد الرحمن فرح**). وكان باشجاويش (رقيب أول) البلوك شخصية من أكبر الضالعين في التخطيط للتمرد واسمه (**ميزان**) حسب المستندات التي وجدت في منزل العريف كاتب (**سترلينو**) بعد حادث النشاب على مكتب البوستة بتوريت. وكانوا ينوون قتل القائد الثاني القائمقام (**الطاهر بك عبد الرحمن**).

بعد اندلاع شرارة التمرد من توريت في 1955/8/18م أرسل سعادة القائد العام إشارة من الخرطوم للبكباشا (**الكمالي**) ليتحرك البلوك الرابع فوراً إلى الخرطوم في نفس يوم التمرد يوم 9/18 بدلاً عن 10 أغسطس كما كان مقرراً

سابقاً. وذلك بغرض الاشتراك في الاستعراضات العسكرية. وكانت الذخيرة قد سحبت منه مما أعطى مجالاً للشكوك، فدخلوا الباخرة ونزلوا منها عدة مرات. وبعد جهد جهيد من قائدهم ومن الملازم (**عبد الرحمن فرح**) ومن المدير شخصياً. وبعد أن شكلت حولهم شرطة السوتري كردوناً بأسلحتهم وكلهم في الشمال (عربا ونوبة) ودخلوا جميعهم الباخرة عند منتصف الليل فأبحرت بهم صوب الشمال. وحتى قيامهم لم يكونوا على علم ببداية التمرد بتوريت ولم ترتكب أي جريمة قتل أو نهب أو تمرد وكل الذي وقع هو تردد في الأمر (Hesitation of Orders). ولم يتطور والحمد لله إلى عصيان الأوامر بل العكس فقد تم تنفيذ الأوامر في آخر الأمر.

أهمية ملكال الاستراتيجية

كان لزاما على الطائرات تهبط بمطار ملكال في رحلتها لجوبا وفي عمق الجنوب وكان لا بد للبواخر النهرية الناقل الأول للعتاد الحربي من ذخيرة وتعيينات وعربات أن تمر بمرفأ ملكال. حيثُ لم تكن السكة الحديد قد امتدت إلى السودان غرباً وجنوباً وما أوسعه من عمق في كل القارة الإفريقية. وخلاصة القول:

«إنَّ مَنْ تَكُنْ مَلكالُ تحتَ سيطرتِهِ تكونُ له حرية الحركة في الجنوب كُلِه، ومن فَقَدها يصيرُ أمرُه بالغ الخطورة ويفقدُ عاملاً آخر مُهماً في العمليات وهو عامل الزمن».

لماذا لم يشمل التمرد ملكال؟

تتكون قبائل أعالي النيل من (**الشلك**)، و(**النوير**)، و(**الدينكا**)، ويقال لها (**القبائل النيلية**)، وهي قبائل محاربة وشديدة البأس، وصعبة الانقياد، مما لم يمكن الإنجليز من حكمهم حكماً مباشراً فحكموهم بواسطة زعمائهم وسلاطينهم. ففي ثلاثينات القرن العشرين قطعوا يد المفتش المتعجرف (**مستر فارجسون**)، وضربوا بها النقارة. وكادت أن تندلع ثورة لولا أن هزمهم الإنجليز بضربهم من الجو بطائرات سلاح الطيران الملكي (F.R.A).

لهذه الأسباب لم يتم تجنيدهم للجندية إلا بأعداد قليلة جداً. ولهذه الأسباب كانت فرقة خط الاستواء كلها إلا قليلا من قبائل الاستوائية، وهي تربو على الأربعين قبيلة معروفة بانصياعها للبريطانيين. وبينهم وبين القبائل النيلية حروبٌ قديمة وكثيرة. وهم أي القبائل النيلية سماسرة في تجارة الرقيق كما يؤكد ذلك التاريخ. والبلوك الرابع بملكال كان أغلبه من قبائل الاستوائية الذين يُسمون (**الفرتيت**). والرقيب أول للبلوك الرابع واسمه (**ميزان**) هو واحدٌ منهم. وقد كان هو حلقة الوصل مع توريت بؤرة التمرد والقبائل النيلية لا ترضى لهم بزعامة أبداً.

وسببٌ آخر وجيه أن القبائل النيلية تعتبر قبائل رعوية وتملك ثروة هائلة من الأبقار، الشيء الذي ينعدم في الاستوائية بسبب الذبابة الفتاكة. وفي تقديرهم للموقف أن الأبقار لن تهرب معهم إذا فشل التمرد، ثم إلى أين سيكونُ الهروب؟ إذا كان جنوباً فهناك ذبابة التسي تسي، ولو كان شمالاً فهناك القبائل التي ليست على وفاقٍ معهم خصوصاً المسيرية الذين لهم معهم تاريخٌ طويل. كما أن سكان أعالي النيل نسبة لقربهم الجغرافي واحتكاكهم بقبائل الشمال فقد خبروا عاداتهم وتأثروا بها

إذ يلبسون الجلابية والعمامة ونساؤهم يلبسن الثوب السوداني وبعضهم يُسمَونَ بأسماء أهل الشمال، ومائدتهم هي نفس مائدة الشماليين، وهناك فئةٌ كبيرةٌ منهم تدين بالإسلام، ولم تستطع الكنائسُ أن تؤثر فيهم كما فعلت بالاستوائية.

هبوط سرية من الشمال في الوقت المناسب:

لاستشعار الجميع بملكال والخرطوم للأهمية الاستراتيجية لملكال ولما تذخر به من صفوة القياديين من ذوي التفكير السليم وتقدير المواقف والاستعداد المبكر لمجريات الأمور ولمواكبتهم لما يجري في عمق الجنوب كانت تلح هذه الكوكبة على إرسال قواتٍ من الشمال لتأمين أعالي النيل بالأخص ملكال العاصمة ومطارها وميناءها فاستجابت الخرطوم بارسال سرية مسلحة بمدافع الفيكرز من الفرقة الشمالية شندي يقودها البكباشا (**سليمان إبراهيم**) يعاونه اليوزباشي عائد الخدمة (**علي جابر**) والملازم أول (**عبد الحليم شنان**) شقيق الأميرآلاي (**عبد الرحيم شنان**) المعروف في الجنوب بشجاعته في اصطياد الأفيال ووحيد القرن والجاموس. وقد قام بدور بطولي مشهود له بملكال. ومعه الملازم (**الفضلي**) و(**عثمان بكري**). كان لوصول هذه السرية بعد مغادرة الباخرة الرابعة المترددة التصرف الحكيم والتقدير السليم لأن إشاعات مدبري التمرد اعتمدت أساساً على مقولة: **«إنَّ الشماليين قادمون لقتلكم»**.

هبطت هذه السرية ليلة العشرين من اغسطس 1955 وكانت باخرة البوك المتردد قد غادرت منذ يوم 18 أغسطس مما سهل عليها الهبوط بسلام في

مدرج المطار حيثُ لم تجد أية رتبة عسكرية تنورهم وتزودهم بتقارير موقف غير أنها تصرفت في الحال لتأمين المطار والميناء والأماكن ذات الأهمية. وفي يوم 1955/8/22م علم الأهالي بالتمرد في الاستوائية. وعندما وصلت إشارة من القياديين بواو بأنهم على ظهر الباخرة (**دال**) في طريقهم إلى الخرطوم هنا قرر المدير وقمندان الشرطة تجريد قوة البوليس غير الراكبة وكلهم من قبائل الاستوائية ولديهم كميات وافرة من الذخيرة ومعهم أسلحتهم. فاستعان القومندان بقوة من الشمالية يقودها (**عبد الحليم شنان**) وأمرهم قومندانهم بتسليم أسلحتهم وذخيرتهم، ففي الحال اتخذوا مواقع ضرب النار وفتحوا النيران. وفي الحال رد عليهم (**شنان**) فمات خمسة منهم وسلم بعضهم وهرب الآخرون.

شمل الهروب جنود السجانة والمساجين، الذين كان أخطرهم الكجور المشهور والمسجون (**دال ديو**)، وهو معروفٌ بمعاركه التاريخية ضد السلطة البريطانية وضد الدينكا وله أتباعٌ كثيرون. وقد استطاع (**شنان**) أن يطارده ويقبض عليه بعد معركة مثيرة وحامية الوطيس في منطقة (**بانتيو**). وقُدمَ للمحاكمة فصدر الحكم عليه بالسجن الطويل، ولكن سرعان ما شمله عفو الرئيس (**إبراهيم عبود**). ومن أكثر الأسباب التي أدت لانتشار التمرد بالاستوائية، وإزهاق الأرواح، وعدم سرية المعلومات الصادرة من والي القادة في جميع المستويات، وتسريبها لقادة التمرد، هم عُمال اللاسلكي الذين كانوا جميعاً من قبائل الاستوائية ومن المتمردين. حيثُ كان استعمالُ الشفرة وحلُها في المعارك السيالة يأخذ كثيراً من الوقت مما جعلها عديمة الجدوى. أما في أعالي النيل فقد استُعمِلت شفرةٌ لا يمكنُ فكُ رموزها، ولا تقبل الخطأ أبداً لأنَّ من يتصنتُ عليها بأجهزة الراديو لا يستطيع أن يعرف كنهها

مطلقاً!! ألا وهي **(لغةُ الحلنقة)** التي كان يتكلم بها سعادةُ القائد العام مع **(عواض)**، أو **(خورشيد)** وكذلك نائب مدير الشرطة في تلك الأيام الحرجة. بقي أن نعلم أن البلوك الرابع المتمرد قد وصل إلى العاصمة بسلام وانزلته القيادة بتكتيكات سلاح المهندسيين وفي الصباح الباكر عندما هم الملازم **(عبد الرحمن فرح)** بجمعهم للتمام الصباحي، فلم يجد منهم ولا جندياً واحداً، حيثُ فروا جميعاً من المعسكر وتشتتوا في أطراف العاصمة. وقد أتاهم ليلاً زائرٌ من قبيلتهم أشَاعَ فيهم أنَّ الشماليين أتوا بهم لقتلهم. وبالتشاور العاجل مع السلطة العسكرية العليا للسلطة الساسية العليا ورجعوا جميعهم مرة أخرى بعد أن قام الوزراء والنواب الجنوبيون بإقناعهم وتسليمهم حقائق الأشياء. ولاحقاً إنها فقدان الثقة وكل الثقة.

* * *

الحلقة (10)

سيطرة اللواء أحمد عبد الوهاب على الأوضاع بواو

* * *

اللواء أحمد عبد الوهاب يستخدم عنصر المفاجأة ويسيطر على الأوضاع بمدينة واو

كيف نجا مدير المديرية داؤد عبد اللطيف وقائد القوات عروة من القتل أيام التمرد

لماذا لم ترسل القيادة العامة قوات عسكرية لمواجهة الأحداث في الأيام الأولي؟

لويس من قبيلة الفرتيت يحتل سيارة المدير الإداري ونافسه الملازم الدينكاوى نيانق

كنا نحن معشر صغار الضباط في المديرية الاستوائية - أصل التمرد - نتابع ما كان يجري في ملكال، وحمدنا الله بقيام البلوك الرابع من الفرقة خط الاستواء في يوم 18اغسطس 1955م متقدماً عن موعده الذي كان في 19 أغسطس. وهو غير عالم باندلاع التمرد صباحاً بتوريت وبدون أي خسائر في أعالي النيل. غير أن بالنا كان مشغولا جداً بما يجري في واو عاصمة الدنيكا وهي أكبر قبيلة بالجنوب.

كانت القيادة العسكرية العليا بطلب من قائد القوات في الجنوب كله اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) ترسل كثيراً من القوات الشمالية وكثيراً من العتاد الحربي ومن ذخيرة وسلاح وناقلات وتعيينات. وبدأت شركة شل ذات الخدمات الممتازة في ذلك الوقت تشون الكثير من الوقود في جوبا ثم إلى مخازنها بالمراكز المختلفة. وكنا نتساءل عندما نصل إلى جوبا في الأطواف عن سر هذا التجميع علماً بأن قوات الحكومة من جيش وشرطة وسجون وإداريين قدبسطت قبضتها على كل الاستوائية وأعالي النيل.

لقد كون القائد المقتدر (**الجاموس**) هيئة أركانه بجوبا من أكفأ الضباط مثل الأميرآلاي (**حسن بشير نصر**)، والبكباشا أ.ج (**حسن فحل**)، واليوزباشي (**شداد**)، والملازمين (**عبد الرحيم سعيد**)، و(**محمد عبد القادر**)، و(**علاء الدين محمد عثمان**)، وللإمداد الصاغ (**أمين جوهر**)، وغيرهم. وبفضل هذه الهيئة من ضباط الأركان انتظم العمل بين القيادة والوحدات، وأصبحت تقارير الموقف تصل

بانتظام. وصرحوا لنا أن اللواء (**أحمد**) ينوي إجراء مناوراتٍ تشمل الجنوب كله، والغرضُ من هذه المناورات هو إظهار قوة الحكومة (Show of Power)، وهذا إجراءٌ عسكري روتيني منذ عهد الإنجليز ومعروفٌ في جميع القيادات.

غير أن مراسلاً صحفياً سودانياً ألمح للخرطوم بأن الهدف هو مدينة واو، مما أثار غضب (**الجاموس**) فاتخذ قرارًا بإبعاد كل الصحفيين سودانيين أو أجانب من الجنوب. وقد نقلتهم طائرةٌ واحدة إلى الخرطوم. ولعله كان معتمدًا في ذلك القرار على قانون الطوارئ الذي أعلنته الحكومة في الجنوب. وعلى ما أذكر في أواخر شهر أكتوبر 1955م وبينما كنا ننعم بالأمن والأمان وهدوء الأحوال في ياي سمعنا ذاتَ مساءٍ أصوات ناقلاتٍ كثيرة العدد، وعند وصولهم قدرناهم (بكتيبة +) ومعهم عناصر دعم، وقضوا النصف الأول من الليل معنا يقودهم اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) بنفسه. وكان معهم ابن الدفعة وصديقي المرحوم الملازم (**أبو طيارة**) فأبي أن يجيب عل سؤالي: «**إلى أين أنتم ذاهبون؟**» ولكني كُنتُ أدركُ في قرارة نفسي أن الهدف هو (**مدينة واو**).

تحركوا منا بعد منتصف الليل، وكنا نتابع أخبارهم، وعلمنا أنهم وصلوا إلى مرفأ (**يسري**) حيث اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) قد سبقهم بتعدية النهر بمفرده إلى معسكر القوات بواو في تُكنات (**قرنتي**). وكان قد سبقهم إليها الأميرآلاي مهندس (**أحمد رضا فريد**) وأشرف على تعدية القوات. ووقف (**أحمد عبد الوهاب**) أمام الديدبان وأمره في صوت عالٍ أن ينادي (**غَفَرْ سِلاحْ**). فجمعت قوة الكركون وأدت التحية العسكرية بدون سلام اللواء، فصاح فيهم (**أحمد عبد الوهاب**) آمراً

حامل البروجي بنفخ موسيقى (**سلام اللواء**). وما أن سمع النائمون هذا العزف الذي طال عدم سماعهم له إلا وهرعوا مندهشين. وبعد أن فتشهم وأذل من كان لبسه غير منتظم ركب عربته وعليها بيرق القيادة وتوجه إلى مكتب المدير في المديرية.

وما أن رآه الملازم (**نيانق ديو**) حتى هبَّ قائماً وأدى التحية العسكرية.

هذا ما نقله لي مرافقه الملازم الشجاع (**فضل الله حماد**) بطل استلام مخزن الذخيرة من المتمردين بجوبا في يوم 18/ 8/ 1955م بمفرده. حيث أشار عليه اللواء (**أحمد**) بأن تدخل القوة لتحتل مدينة واو وكان احتلالا ممتازاً لم تحصل فيه أية مقاومة أو عصيان لأن عنصر المفاجأة الذي طبقه اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) كان ناجحاً مائة في المائة. بقي أن نعرف: 1/ ماهي القوات التي كانت بواو في يوم 18 أغسطس؟ و2/ من هم القادة؟ و3/ من الذي اتخذ قرار انسحاب القياديين منها؟ وما هي أسسه؟

كان أغلب سكان بحر الغزال وعاصمتها واو من قبيلة (**الدينكا**) التي تُعتبر أكبر قبائل الجنوب وأشدها مراساً. وهم أيضاً من رعاة البقر. ويوجد بها الكثير من الشماليين من موظفين وتجار. وكان مديرها السيد (**داؤد عبد اللطيف**) الذي ينحدر من شمال السودان من منطقة وادي حلفا. وهو أصغر المديرين التسعة سناً مما اضطره أن يتسنن لتكبير عمره، وبهذا تمكن من دخول السلك الإداري، غير أن هذا التسنين أحاله للمعاش قبل عمره الحقيقي الذي أبرزه عند الإحالة بشهادة ميلاد حقيقية، لكن النائب العام أفتى بالأخذ بالشهادة المتعاقد عليها، وهذه عرفت بسابقة داؤد في عهد عبود، وأصبح يُقاس عليها. وكان في ذلك الوقت مديراً

لمديرية كسلا. ومعروف بين أقرانه بحدة الذكاء وقوة الدهاء وبسخرية لاذعة. وفي عهد الاستعمار كان أميز ضابط إداري لحاضرة البلاد الخرطوم. ومنذ عهد الاستعمار كان يكتب مقالات وطنية قوية في الصحف وبالأخص في الأيام وله ركن معروف في دار الثقافة بالخرطوم. وكان من أخطر وزراء حكومة (**محمد أحمد محجوب**) بعد أن تقاعد في أكتوبر كوزير للثقافة والإعلام. وبعد الوزارة برز في دنيا المال والأعمال وله ذكرى حسنة في الصحف العالمية.

ونعود لسيرته في مديرية بحر الغزال باكتشاف وثائق التمرد في منزل العريف كاتب (**سترلينو**) بتوريت وجدت أسماء ضباط الصف الضالعين في التدبير للتمرد في مديرية بحر الغزال فعاد في التاسع من أغسطس المدير إذ كان في إجازته السنوية حيث كان هذا هو موسم الإجازات بالجنوب. كما عاد معه القائد السابق لحامية بحر الغزال القائمقام (**محمد أحمد عروة**) والذي كان قد نقل منها للقيادة العامة ليحتل منصباً رفيعاً بها (مديراً لإدارة الجيش) لأن خلفه البكباشا أ.ج (**حسين علي كرار**) حديث عهد بمعرفة جنودها.

ومنذ وصولهما عكف الاثنان على دراسة الموقف وتمحيص مجريات الأمور، وقاما بإجراءات وقائية إذ أرسلا أخطر ضباط الصف المتآمرين في مأموريات إلى جوبا. وأرسلا في أيام 19- 20-21 أغسطس أي بعد اندلاع التمرد في الاستوائية سيلاً من الرسائل إلى معالي رئيس الحكومة ووزير الدفاع والداخلية مطالبين بإرسال قوات شمالية. وكانت الخرطوم ترد على رسائلهم بعبارة: (**الطلب قيدُ النظر**). ويشاع أن آخر رد من الأزهري لداؤد كان: «**لا توجد قوات شمالية، استعملوا الحكمة**» فرد عليه داؤد رسالة يقول فيها: «**يا معالي**

الرئيس نَفدَتْ حكمتُنا، أرسلوا لنا حكمة!!». بدأت المناوشات تزداد رويداً رويداً إلى أن وصلت بتصويب أحد الأمباشية بندقيته وكاد أن يقتل (**عروة بك**) لولا أن حال بينهما البتشاويش المخلص (**أكج**). ولم يترك السيد (**داؤد عبد اللطيف**) حكمة إلا ولجأ إليها، فقد طلب من رئيس الحكومة أن يرسل الوزير (**سانتينو دينج**) وهو من أكبر بيوت الزعامة من قبيلة الدينكا وشخصيةٌ محترمة وهادئ الطباع مما شجع الرئيس (**عبود**) فيما بعد لتعيينه وزيراً في حكومته طوال عهده. وكان يجاوره في السكن بالخرطوم شرق قبل ارتحاله إلى القصر الجمهوري. وهو أيضاً يمت بصلة القرابة مع الملازم (**نيانق ديو**) صاحب الدور الكبير في مدينة واو.

وعند وصوله إلى واو جواً في يوم 20 أغسطس ظل (**سانتينو دينج**) يبذل قصارى جهده ليلاً ونهاراً مع الجنود والأهالي وزعماء الدينكا ألا يلتحقوا بالتمرد مطلقاً. وبهذا استطاع أن يمتص الكثير من الشكوك والريبة والإشاعات. وبوصول القادمين من يامبيو وأنزارا انتشرت أخبار التمرد وتفاصيله في واو. وحضر الملازم الشجاع (**أمين نمر**) حاملاً جثمان قائده المباشر المرحوم البكباشا (**حسن محمود**) ثاني الشهداء، حيثُ دُفن في مدينة واو. كما حضر أول ضابط صف دينكاوي اسمه (**نيانق ديو**) وكان يعمل بمنطقة الزاندي. وأصدر القائمقام (**محمد أحمد عروة بك**) أمراً بتحريك بلتونين إلى رمبيك (ذات الأهمية) لتأمينها. فلم ينصع الجنود في بادئ الأمر وأخيراً أطاعوا الأمر وقادهم متطوعاً الملازم (**أمين نمر**) وذهبوا إلى رمبيك. وفي يوم 20 أغسطس 1955م أشيع بواو أن الشماليين قادمون

بالطائرات فبدأ التشاور بين جنود الجيش والشرطة والسجون بأن يحتلوا المطار ليمنعوا النزول فيه. وبالفعل أخذوا مواقع دفاعية حول المطار فأرسل **(داؤد)** و**(عروة)** برقيات إلى الخرطوم بألا تحاول إرسال أي قوات لأن المطار غير مُؤَمَّن.

إذن كيف كان تقدير الموقف الجيد؟

استناداً على مجريات الأحوال وتداعيات الحوادث وجمع المعلومات من أوثق مصادرها كالوزير **(سانتينو دينج)** والملازم **(نيانق)** ومن المخبرين الذين يعتمد عليهم **(داؤد)** جمع كل القياديين لاجتماعٍ خطير بمنزله. وكان في هذا الاجتماع معه **(عروة بك)** ونائب المدير **(التجاني سعد)** والقائد الجديد لقوات واو البكباشا أ.ح **(حسين علي كرار)**، وهو أيضاً من أذكى وأشجع ضباط قوة دفاع السودان وجُرِحَ في الحرب العالمية الثانية، ويحمل وساماً رفيعاً لشجاعته الفائقة. وبعد تقدير الموقف تقديراً دقيقاً من كل جوانبه استقر رأيهم بالإجماع على ما يلي:

1- إن السبب الذي يصطاد به الزعماء الجنوبيون بعضَ الناسِ البسطاء للتمرد هو إدعاءُ قدوم قواتٍ شمالية إلى الجنوب الشيء الذي حالت دون تحقيقه إشاراتُ **(داؤد)** و**(عروة)** الأخيرة.

2- يدعون أن السودنة لم تأت لهم بأي وظائف قيادية لذلك عزموا على أن يقتلوا القياديين بها فقط لينتزعوها لأنفسهم، والدليل على ذلك أنهم لم يتحرشوا بأي من الشماليين من موظفين وتجار وعوائل بل محاولتهم كلها كانت موجهة للقياديين فقط مثل: **(حادثة عروة)** و**(حادثة داؤد)** التي أتى فيها عريفٌ متهور إلى داره وتربص به

ليتمكن من اغتياله، وعندما علم أنَّ المدير قد غادر بيته إلى المرفأ اسرع إلى المرفأ فوجد أن الباخرة قد أبحرت نحو الشمال والحمد لله. وكان السؤال هنا: **(هل يبقون بواو أم لا يبقون؟ وإن بقوا فما هي قوتهم التي يعتمدون عليها؟!)** وسبب هذا السؤال هو أنهم لا يملكون أي قوة، ولا يمكن أن تحضر أي قوة لنجدتهم بحكم أن المطار قد أصبحَ في قبضتهم.

وحتماً فإن النتيجة الحتمية ستكون سفك دمائهم. وكما يُقال فإنَّ الدَّمَ إذا أُريق فلن يقف جريانه بعد ذلك، وهو حتماً سيمتد ليشمل كل الشماليين. وإذا هُمو رحلوا فبرحيلهم سيتحقق لذوي التطلع والطموح اللا مشروع استلامُ السلطة العسكرية والمدنية والتي سبق أن تخلخلت واهتزت وبدأت تحتضر. وبالفعل فقد تم لهم ما أرادوا بمجرد أن علموا بمغادرة الباخرة **(دال)**. ولكن ما كانوا يدركون أنَّ الاستيلاء على السلطة بهذه الطريقة غير الشرعية لن يدوم.

هدأت الأحوال تماماً في بحر الغزال كلها وعاد الهاربون بعد مغادرة القياديين وكان أكبر الشخصيات بها مساعد مفتش مركز اسمه **(لويس)**، وقد استغل عربة المدير بعلمها واستولى على مكتبه. ولما كان هو من أبناء قبيلة **(الفرتيت)** ولا يقبل به أبناء **(الدينكا)** فقد نافسه الملازم الدينكاوي **(نيانق ديو)**. ولعبت هذه الخلافات القبلية المتوارثة بين **(الدينكا)** و**(الفرتيت)** دوراً كبيراً في الحيلولة دون ارتكاب أي فريق لأي عمل، لأنه لن يجد أي موافقة أو مساندة من الطرف الآخر. ثم إن الأهالي لن ينصاعوا بأي حالٍ من الأحوال لرغبات الجنود **(اللاتوكا)** بحكم أن الأهالي جميعاً من **(الدينكا)**.

ولما رأت الخرطوم أن الأمور قد هدأت والتوتر قد زال وأن سلطة الحكومة قد انتظمت في كل الاستوائية وأعالي النيل، وبناءاً على مناشدة الملازم (**نيانق ديو**) بأن يعود المفتشون الشماليون والإداريون إلى مواقعهم، فقد أرسلت السيد (**خليل صابر**) في يوم 9 سبتمبر مديراً لها ومعه بعض الموظفين الشماليين. ولكنَّ المفتش (**لويس**) الذي هو من الفرتيت يري عكس ما يراه الملازم (**نيانق ديو**) الذي هو من الدينكا. ولا يحبذ عودة المفتشين بأي حال. ولكنَّ السلطة الفعلية ببحر الغزال عموماً وفي عاصمتها واو على وجه الخصوص لم تُسترد إلا بعد دخول القوات إليها بقيادة اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) في أكتوبر 1955م.

وفي رمبيك ذات الأهمية استطاع الملازم البطل (**أمين نمر**) وأشهر التعلمجية بالكلية الحربية عندما كان جاويشاً أن يحتوي إفرازات دعاة التمرد، يعاونه في ذلك ضابط البوليس المخلص (**جبريل طلبة كلام ساكت**) فلم يمس بسوء. وهذا في حد ذاته ينهض دليلاً على أن المتآمرين يريدون الرؤوس القيادية وليس من هم دونهم، وإلا لفتكوا بالملازم (**أمين نمر**) الذي كان هو الشمالي الوحيد الذي بقي من الضباط. وتقدير الموقف تحكم على صوابه النتيجةُ أو الحصيلةُ النهائيةُ التي تؤدي إليه، فماذا كانت نتيجة تقدير موقف (**داؤد**) و(**عروة**) وجماعتهم؟

كانت النتيجة لا تمرد، ولا سفك دماء، ولا نهب، ولا سلب. هذا هو رأيي الخاص ورأيُ لجان التحقيق التي شُكِلت للتحقيق في أحداث الجنوب، وأهمها (**لجنة قطران**) في كل من تقريريها المباح والسري. وكما ذكرنا سابقاً فإن (**داؤد عبد اللطيف**) قد وصل إلى أرقي المناصب، حيثُ أصبح وزيراً في حكومة (**محمد أحمد**

محجوب)، أما (**عروة**) فقد ترقى حتى وصل إلى رتبة اللواء، وأصبح عضواً بالمجلس الأعلى، ثم صار وزيراً للتجارة وبعدها وزيراً للداخلية في حكومة الفريق (**إبراهيم عبود**). وقد ورث عنه ابنُه السفير واللواء ركن (**الفاتح عروة**) كل هذه المواهب. أما (**حسين علي كرار**) فقد أصبح هو الآخر عضواً بالمجلس الأعلى في عهد الرئيس (**عبود**). وبرز في دنيا الأعمال الحرة التي حقق فيها أعظم النجاحات. نسألُ اللهَ لهم الرحمةَ جميعاً.

وبعد أن دخلت القوات إلى مدينة واو بسطت حكومة الخرطوم بسطت سيطرتها وأمنها ونظامها بشكلٍ كامل في كل ربوع الوطن طُولاً وعرضاً، جنوبا وشمالاً وشرقاً وغرباً. مما مكن لاحقاً من إجراء الانتخابات العامة لبرلمان ما بعد الاستقلال في جميع الدوائر بالبلاد. وعاشت السودانُ كله جنوباً وشمالاً آمناً مطمئناً تُرفرفُ عليه ألوية السلام.

والحوادث الصغيرةُ التأثير التي تحدث بين حين وآخر ولاتتعدي أعمال قطاع الطرق كان سَبَبُها الأساسي هو الحصول على لقمة العيش. لم يكن لها تأثير في سير الحياة المدنية بالجنوب، حيثُ فَتحتِ المدارسُ أبوابَها، وكذلك والمستشفيات والمتاجر. أما الحياةُ العسكرية فلم يجرؤ أحدٌ أن يَمَسَها بسوء. وظل الحال هكذا حتى عهد الرئيس (**إبراهيم عبود**). وجاء حِينٌ من انتكست فيه الأمور، وهو ما بعد أكتوبر 64، حيثُ تمت إحالةُ أكثر الضباط خبرةً بالجنوب إلى المعاش، وكذلك رجال الخدمة المدنية الممتازين أحيلوا إلى المعاش المبكر. وانقلب ميزان القوى لصالح فلول المتمردين بفضل السلاح الحديث الذي غنموه من المعسكر الاشتراكي، فكانت النكسة الكبري.

الحلقة (11)

قرار عبود بترحيل المبشرين من الجنوب عقب التمرد

* * *

كيف واجه فلمون ماجوك آخر سكرتير بريطاني حكم السودان أثناء زيارة عبود للندن؟

عبود رفض قطع زيارته لأسكتلندة رغم تحذيرات مدير الشرطة

كنيدي يشيد بالأمة السودانية لدى ترحيبه بعبود بمطار واشنطن

ذكرت سابقاً حكمة السيد (**داؤد عبد اللطيف**) المتمثلة في طلبه السيد رئيس الحكومة (**إسماعيل الأزهري**) ليرسل ابن الدينكا الأول وابن السودان البار السيد (**سانتينو دينج**) والذي يُعتبر أحد المعمرين في المناصب الوزارية فقد كان زيرا للمخازن والمهمات وفي عهد عبود وزيراً للثروة الحيوانية. وقد زامله في قدومه لواو في يوم 1955/8/20م السيد (**فيلمون مجوك**) عضو مجلس النواب وشخصية مرموقة لها وزنها القبلي المتميز من طليعة المثقفين. وقد بذل الرجلان لحظة وصولهما لواو جهودا جبارة وواصلا الليل بالنهار مع الزعماء والسلاطين ومع الأهالي والجنود لدحض الإشاعات التي كثرت في تلك الفترة الدقيقة، والتي كان يبثها المغرضون والضالعون في الفتنة الكبري من قبائل الاستوائية المقيمين ببحر الغزال بالأخص.

وكان رجالُ الفرقة الجنوبية والبوليس والسجون وإن لم يكن كلهم فمعظمهم من (**الفرتيت**)، يساندهم في التضليل والضلال رجال الكنائس بتمويهٍ

لموقفهم الذي كان في غاية الدهاء والمكر، فكانوا يلعبون دور (**دكتور جكل وهايد**)، وأكثرهم أذىً ومضرة في تلك المرحلة أصحاب الكنائس الكاثوليكية. وتشاء الأقدار بعد أن التفت الحبال كلها حولَ أعناقهم أن اتخذت حكومة الفريق (**إبراهيم عبود**) قرارها التاريخي الخطير بإبعادهم جميعاً بعد تجميعهم سِراً في صعيد واحد وبطائرةٍ عملاقة حطت بهم في سلامٍ وأمان في رحاب (**بابا الفاتيكان**) دون أي مساسٍ أو إضرار بأحد منهم أو بالكنيسة. وكان مهندس هذه العملية بالدقة المطلوبة وزير الداخلية في حكومة عبود اللواء (**محمد أحمد عروة**).

وقد أسعدني القدر أن أرافق خالد الذكر الرئيس الفريق (إبراهيم عبود) في كل زياراته التاريخية والتي كان كلما يعود من إحداها وتهبط طائرته في مطار الخرطوم يقول خطبة قصيرة يوجهها للأمة السودانية. وبعد أن يحمد الله ويصلي على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول جملته الخالدة: (**لقد جئتكم بصداقة الشعوب**). وفي زيارته لبريطانيا العظمى وقتذاك وكان وفده يضم بالإضافة إلى بعض أعضاء المجلس الأعلى والوزراء وأهمهم مهندس سياسته الخارجية السيد (**أحمد خير**) يضم السيد (**فيلمون ماجوك**)، والأميرآلاي (م) (**مأمون المرضي**)، وشيخ العرب (**أبو سن**)، والسيد (**سعد موسى مادبو**) ممثلين للمجلس المركزي الذي كان بمثابة البرلمان. وقد انضم للوفد بلندن السيد السفير (**أمين أحمد حسين**) أول من سودن مدير الشرطة البريطاني. وبدعوة عشاء واستقبال من نادي أرباب المعاشات البريطانيين الذين خدموا بالسودان الإنجليزي المصري وكان معظمهم أحياءً في تلك الفترة ولبوا دعوة العشاء. وجاء معظمهم برفقة زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم ممن ولدوا

بالسودان، حيثُ تقاطروا من كلِ فجٍ عميق بالمملكة المتحدة. وكانت سفارة السودان بلندن تقيم لهم حفلاً سنوياً بدارها في بلاط **(سينت جيمس)** الذي يُعتبرُ أعز وأغلى بقعة في لندن بأكملها.

والعمارة التي بها سفارة السودان تُعتبرُ من ممتلكات التاج البريطاني. ويدفع السودانيون أجراً رمزياً مقابل بقائهم فيها. وقد استمر هذا التقليد وهم يحرصون كل الحرص عليه حتى عهد السفير الأستاذ **(أمير الصاوي)** الذي بذكائه المتقد وعلاقاته الإنسانية الطيبة معهم استطاع أن يستكتبهم رسالة للملكة لتجديد عقد الإيجار بعد الرفض فاستجابت المملكة لطلبهم وفي هذا الحفل المقام خصيصاً تشريفا لعبود ووفده والذي أعقب حفل السفارة السنوي لهم وقف رئيس النادي **(سير جيمس روبرتسون)** آخر سكرتير إداري (وهي تعني رئيس الحكومة). وقال كلمة مؤثرة جداً عبر فيها عن شعوره وشعور جميع الأعضاء عن ذكرياتهم الخالدة بالسودان منذ أيام شبابهم وحتى شيخوختهم.

وفي ترحيبه بالرئيس عبود ووفده أشار إلى الظاهرة الحضارية التي انفرد بها السودان دون الآخرين من مستعمراتهم في العالم والتي تمثلت في هذا التقليد الحميد والعلاقات الإنسانية السامية. وأردف قائلاً: **«مما يؤسف له أننا نحن البريطانيين فشلنا في حل مشكلة الجنوب والتي ورثناها من العهد الماضي»**. فرد عليه عبود في كلمة شكر وتقدير مختصرة، وبعدها وقف وأستاذن الرئيس السيد **(فيلمون ماجوك)** ليقول كلمة، فقال رداً على **(سير جيمس)**: **«إن مشكلة الجنوب يؤسفني أن أقول لك وأنا أحد أبنائه وممثلهم في المجلس إنها من صنعكم وتدبيركم أنتم الإنجليز فقط!! وقد رحلتم عن السودان وتركتموها بلا حل**

كقنبلة موقوتة نحترق بنيرانها نحن جنوبيين وشماليين في المستقبل، مطبقين سياستكم الاستعمارية فرق تسد». وكانت شجاعةُ الرجل، ووطنيتُه، وقوميتُه، وأمانتُه وهو الوحيد من أبناء الجنوب بالوفد قد أبت عليه إلا أن يقول كلمة الحق. وبوصفي شاهداً على العصر رأيتُ أن أسطرها هنا للتاريخِ والأجيالِ القادمة.

وفي هذه الزيارة والتي عارضها المتشددون من الأمة البريطانية بإرسالهم رسائل للملكة (**أليزابيث**) وبالكتابة في الصحف ألا تدعو (**عبود**) لأنه طارد القساوسة. وفعلاً أتت الدعوة أولاً من رئيسِ الوزراء (**سير ألن دوقلاس هيوم**) فرفضها (**عبود**) مصمماً ألا يزور بريطانيا إلا إذا جاءته الدعوة من الملكة شخصياً. وبالفعل تبدلت الدعوة، وجاءت من الملكة (**أليزابيث**) شخصياً. وتحولت الدعوة إلى دعوة دولة State Visit. ونزل الرئيس عبود في قصر (**بكنجهام**) الشهير ونزلتُ أنا معه أيضاً في القصر.

وعند وصولنا إلى أسكتلندا قال لي أكبر شرطي بها برتبة فريق إنه تسلم رسائل من بعضهم ينوون اغتيال طارد القساوسة وينصح عبود بقطع الزيارة ويعود للندن ويريد أن أحادثه في الأمر وأمهد له مقابلة معه شخصياً. فحملتُ الخبر إلى الرئيس (**عبود**) فطلب مني أن أشكر مدير الشرطة وأنقل له أن عبود لن يقطع الزيارة، وهو لا يهاب الموت في هذه المرحلة المتقدمة من العمر. وقد رأى الكثير من الأهوال في حياته فما عساه أن يرى أكثر من ذلك؟! وقل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا. ثم قل له لا ضرورة لهذه المقابلة. فانصرف المدير، غير أنني طلبتُ منه تكثيف الحراسة والمراقبة خصوصاً ونحن في حمايتهم بحكم أن الرئيس (**عبود**) هو ضيف ملكة بريطانيا. وتقديراً منها لزيارة عبود قررت حكومة صاحبة الجلالة أن

تتحمل عبء نفقات معاشات البريطانيين موظفي الخدمة المدنية سابقاً على نفقتها مع معونات أخرى. أما الضباط البريطانيون فقد كانت معاشاتهم تصرف من خزينة الحكومة المصرية حسب اتفاقية الحكم الثنائي.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد سافرنا إليها مع سيادة الرئيس (**إبراهيم عبود**) بدعوة من رئيسها التاريخي (**جون كندي**). ولدى هبوط طائرة الرئيس عبود في مطار العاصمة الأمريكية بواشنطن كان في استقباله فخامة الرئيس الشاب (**جون كندي**) وكبار رجال إدارته. ووسط حفاوة الاستقبال البهيج ارتجل الرئيس (**كندي**) كلمة في أرض المطار مقدماً بها الرئيس عبود للأمة الأمريكية. وقال في تلك الكلمة التاريخية:

«باسمكم جميعاً أيها الشعب الأمريكي أرحب بزعيم أمة أعرق منا في الوجود، هذه الأمة تشابهنا في الكثير من الأمور في مساحتها وفي طول نيلها الذي ينافس المسيسبي طولاً وعرضاً، وفي اختلافات شعبها من عرب وأفارقة، مسلمين ومسيحيين وآخرين، وفي تعدد ألسنتهم. وهم يعيشون في بوتقة واحدة ووطن واحد اسمه السودان قلب إفريقيا النابض وأكبر أقطارها. وبمجهوداتهم الجبارة خلطوا ماء نيلهم في تربة صحرائهم فأوجدوا للعالم أكبر مشروع للري الصناعي هو مشروع الجزيرة. وكانت ألوان علمهم الأزرق والأصفر والأخضر ترمز لهذا المجهود الذي أنتج القطن والذي نحن من زارعيه». وختم كلمته بقوله:

«إنَّ هذا الرئيس الجنرال عبود هو رجل سلام إذ حال دون نشوب الحرب

الأهلية بين جيرانه». وهو يشير هنا إلى الحرب الأهلية في الكنغو والسلاح الأحمر وصراع لوممبا وتشومبي. وإلى هنا تنتهي حلقات التمرد بحمد الله تعالى.

* * *

تعقيب الفريق أول إبراهيم أحمد عبد الكريم مدير عام الشرطة:[4]

عند نهاية هذه الحلقات كتب الأستاذ الأديب المطبوع الفريق أول شرطة (**إبراهيم أحمد عبد الكريم**) تعقيباً عليها بصحيفة أخبار اليوم تحت عنوان: (**نافذة: بقلم إبراهيم أحمد عبد الكريم**) ما يلي:

لا بد أن يكون كل من اطلع على كتابة الفريق الركن (**الفاتح محمد بشارة**) وهو يروي تفاصيل الأحداث التي عاشها إبَّان التمرد الأول بالاستوائية عام1955م قد ظل مثلي مشدوداً لذلك السرد الرائع الذي لم يُغادر كبيرة ولا صغيرة إلا وجاء بها في أسلوب جزل وسلس وترتيب دقيق، ولظل مثلي معجباً بتلك الذاكرة الحافظة التي رصدت تلك الأحداث، وجاءت بها برغم تراكم السنين نابضة بالحياة بشخوصها وتفاصيلها كأنها كانت بالأمس القريب. ولو أن كل عناصر الأحداث قد وثقت لها وكتبت عنها كما فعل الفريق الركن (**الفاتح محمد بشارة**) لكانت أمامنا ثروة من المعلومات لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها ولما ظلت تفاصيل الأحداث حبيسة في صدور الرجال الذين عاشوها وخاضوا

---

4 نُشرت بصحيفة أخبار اليوم.

غمارها أو قُبرت مع من رحلوا لرحمة مولاهم تاركين علامات استفهام كثيرة حول مواضيع كبيرة وخطيرة لا نزال نستقي معلوماتنا عنها من غير مصادرها الأولية مما يعرضها للنقل السماعي والتأويل حسب هواه، وما آفة الأخبار إلا رواتها. وهنا تكمن علة كتابة تاريخ السودان.

لقد رصد **(الفاتح بشارة)** وهو في رتبة الملازم بدقة وترتيب وأسلوب المعلم والقائد لكلية القادة والأركان التي زانها فيما بعد بفكره الثاقب وعلمه الغزير وأسلوبه الجذاب. والأخ **(الفاتح بشارة)** من الشخصيات التي ظلت عالقة بذهني منذ أن عاصرته طالباً بمدرسة خوطقت الثانوية عطر الله ذكراها. فقد كان من الدفعة الرائدة التي كونت النواة الأولى لتلك المدرسة الشامخة التي بدأت بفصلين من حنتوب كان **(الفاتح بشارة)** من ضمنها، وفصلين من وادي سيدنا. وقد انبثقت مدرستا حنتوب ووادي سيدنا من كلية غردون، ثم أضيفت لها مدرسة خورطقت ليقوم لذلك صرح الشعاع الفكري للمدارس الثانوية العليا الثلاثة على نطاق القطر، والتي كانت بحق بوتقة للوحدة الوطنية الأصيلة. ولا أزال أذكر تلك الكلمات التي نرددها في مجالس السمر: **(حنتوب احتجت والوادي ضجت للشباب الودوهو طقت)**.

وبرغم تراكم السنين فقد ظلت صورة الطالب **(الفاتح بشارة)** مرسومة في خاطري، حيثُ كان مهذباً، ذا حضور باهر وشخصيةٍ قوية أهلته لأن يكون رئيس الرؤساء بمدرسة خورطقت. وكان **(الفاتح بشارة)** واضح الرؤية، محدد الهدف عندما التحق بالقوات المسلحة بعد إكمال الصف الثالث. وقد وجدت القوات المسلحة فيه بُغيتها، إذ تدرج فيها عن جدارة واقتدار من رتبة الملازم بسلاح المدفعية حتى

رتبة الفريق الركن نائباً لرئيس هيئة الأركان إدارة. ثم شاءت الدولة أن تستفيد من خبرته وكفاءته في موقع آخر فتم اختياره سفيراً لجمهورية السودان لدى المملكة العربية السعودية الشقيقة. وفي أثناء خدمته بالقوات المسلحة عمل مديراً لمكتب الرئيس الراحل الفريق (**إبرهيم عبود**) رحمه الله تعالى لسنواتٍ ست، هي فترة رئاسة الفريق عبود للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ولرئاسة الجمهورية من نوفمبر 1958م إلى أكتوبر 1964م. ولم أندهش عندما ترامى إلى مسمعي أن الرئيس عبود ظل دائماً يردد قوله: «**الفاتح بشارة عمل معي ست سنواتٍ لم يغلط فيها غلطة واحدة**».

في عام 1982م كنت ضمن الدفعة الأولى لكلية الدفاع الوطني بالأكاديمية العسكرية العليا عندما زارنا الفريق الركن (**الفاتح بشارة**) محاضراً عن تجربة الحكم الإقليمي بإقليم كردفان، وكان وقتها حاكم ولاية كردفان الكبرى. وكعادته لم يترك شاردة ولا واردة عن الحكم الإقليمي بالسودان، ولم يترك لنا ثغرة ننفذ من خلالها في النقاش. وبعد محاضرته القيمة أخذني جانباً وقال لي: «**أريدك أن تكتب لي أسماء من درسوا بمدرسة خورطقت من هذه الدفعة وأن توضح لي الداخليات التي كانوا بها**».

كانت دفعة الدفاع الوطني بالأكاديمية العسكرية العليا تتأهب لزيارة إقليم كردفان كنموذج للحكم الإقليمي. فعملت له ما أراد دون أن أسأل أحداً لعلمي أنه يرمي من وراء ذلك إلى هدف محدد. وكان ضمن تلك الدفعة من أبناء خورطقت الفريق طبيب (**عبد السلام صالح عيسى**) قائد السلاح الطبي، والفريق (**حسن حسين**) قائد سلاح البحرية، والسيد (**أحمد سالم**) وزير الدولة بوزارة

التجارة، واللواء (**بابكر عبد الرحيم**) مدير التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة، وشخصي الفريق (**إبراهيم أحمد عبد الكريم**) حيثُ كنت مديراً للمباحث الجنائية المركزية.

وعندما وصلنا إلى مدينة الأبيض حاضرة إقليم كردفان كان الاستقبال مُنسقاً ودقيقاً. كأنما أشرفت عليه مراسم القصر الجمهوري. وكان ضمن البرنامج زيارة مدرسة خورطقت الثانوية التي كنت أحضر إليها بشوقٍ وحنينٍ لا يبلى مع الأيام. وقلتُ وأنا في الطريق إليها: «**إنَّ هذه الرحلة ترجعني والزمان القهقري وتعيدني إلى أعلى مراتع الصبا**». وهنا التفتَ نحوي السائق قائلاً: «**جنابك إنتَ قريتْ في خورطقت؟**» فقلت له: «**نعم**»، فقال لي: «**وهل عرفتني؟**»، تَفرستُ في وجهه لحظةً وصحتُ من أعماقي بأعلى صوتي قائلاً: «**عُربان!!!** » فتهللتْ أساريرُه، وقال: «**نعم أنا عُربان!!**».

ويا لها من مصادفة مدهشة أن يكون السائق الذي يحملني من محطة السكة حديد بالأبيض إلى مدرسة خورطقت حينما جئتها للمرة الأولى طالباً بصفها الأول هو نفس السائق الذى يحملني إليها الآن بعد كل هذه السنوات التي تجاوزت ربع القرن من الزمان. وليس في الأمر عجب فإنها دقة إعداد وتنسيق الفريق الركن (**الفاتح بشارة**) التي لا تعرف الصدف.

وكانت المفاجأة الثانية أن قلدت كل داخلية وشاح وفاء وعرفان لأعضاء وفدنا الذين كانوا بها، وقد كُتبَ على اسم الداخلية المصورة على أعصابنا والمحفورة في وجداننا وذاكرتنا. ولا أزال احتفظ بوشاح داخلية (**الولي**) كأعز وسام. كما لا تزال ترن في أذني الآن كلمات (**الفاتح بشارة**) وهو يخاطب طلاب المدرسة المناكفة

قائلاً: **«لا تنسوا أنكم في مدرسة خورطقت تحت مظلتي حاكماً لإقليم كردفان، وسوف أبذل كل جهدي لتذليل كل العقبات أمامكم، وعندما تتخرجون فإنكم سوف تُصبحون تحت مظلتي رئيساً لرابطة خريجي خوطقت»** ودوت القاعة بالتصفيق.

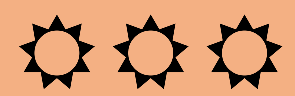
وعند زيارتنا لسوق المحاصيل بالأبيض كان لافتاً لانتباهنا تلك الخطوات المنسقة والأناشيد المنغمة للحمالين وهم يتقدمون في نشاط دافق يحملون جوالات المحصول من الميزان إلى عربات الشحن. وتساءلتُ في عفوية: **«أهل هذا يتم عادةً في سوق المحصول»** فضحك الضابط المرافق لنا وهو يقول: **«لقد حضر السيد الحاكم بروفة هذه اللقطة ثلاث مرات قبل مجيئكم»**.

هذا هو (الفاتح بشارة) الحاذق لدرجة الإتقان في كل عمل يقوم به.

والشكر والتقدير للأخ العميد **(عبد الوهاب البكري)** وهو يضع أحداث الجنوب المحزنة تحت المجهر بحثاً وتحليلاً فيحفز بذلك الفريق الركن (الفاتح بشارة) ليسلط عليها ضوءاً باهراً.

ولا يزال في كنانة الفريق الركن **(الفاتح بشارة)** الكثير الكثير، فقد تقلد الرجل مناصب رفيعة كسفير وكحاكم. وظل قبلها لمدة ستِ سنواتٍ يُصَرِّفُ أعباءَ أكثر مواقع الدولة تعقيداً كمدير تنفيذي لمكتب السيد رئيس الجمهورية. وإنا لنرجو منه المزيد توثيقاً للأحداث، وشهادةً للتاريخ، ومنفعةً للقارئ. وحبذا لو كتب كل من شاهدوا الأحداث شهاداتهم للتاريخ. حبذا لو كتب الصاغ **(عبد الرحمن كبيدة)** قائد أول محاولة انقلاب عسكري في السودان مذكراته، وحبذا لو كتب

القادة العسكريون مذكراتهم، خصوصاً وأن النشاط العسكري في الحياة السياسية والاقتصادية بالسودان يحتل مساحة كبيرة في تاريخنا المعاصر.



الفصل الثالث

❄❄❄❄❄

إفادات للتاريخ
خطها (الفاتح بشارة) بقلمه

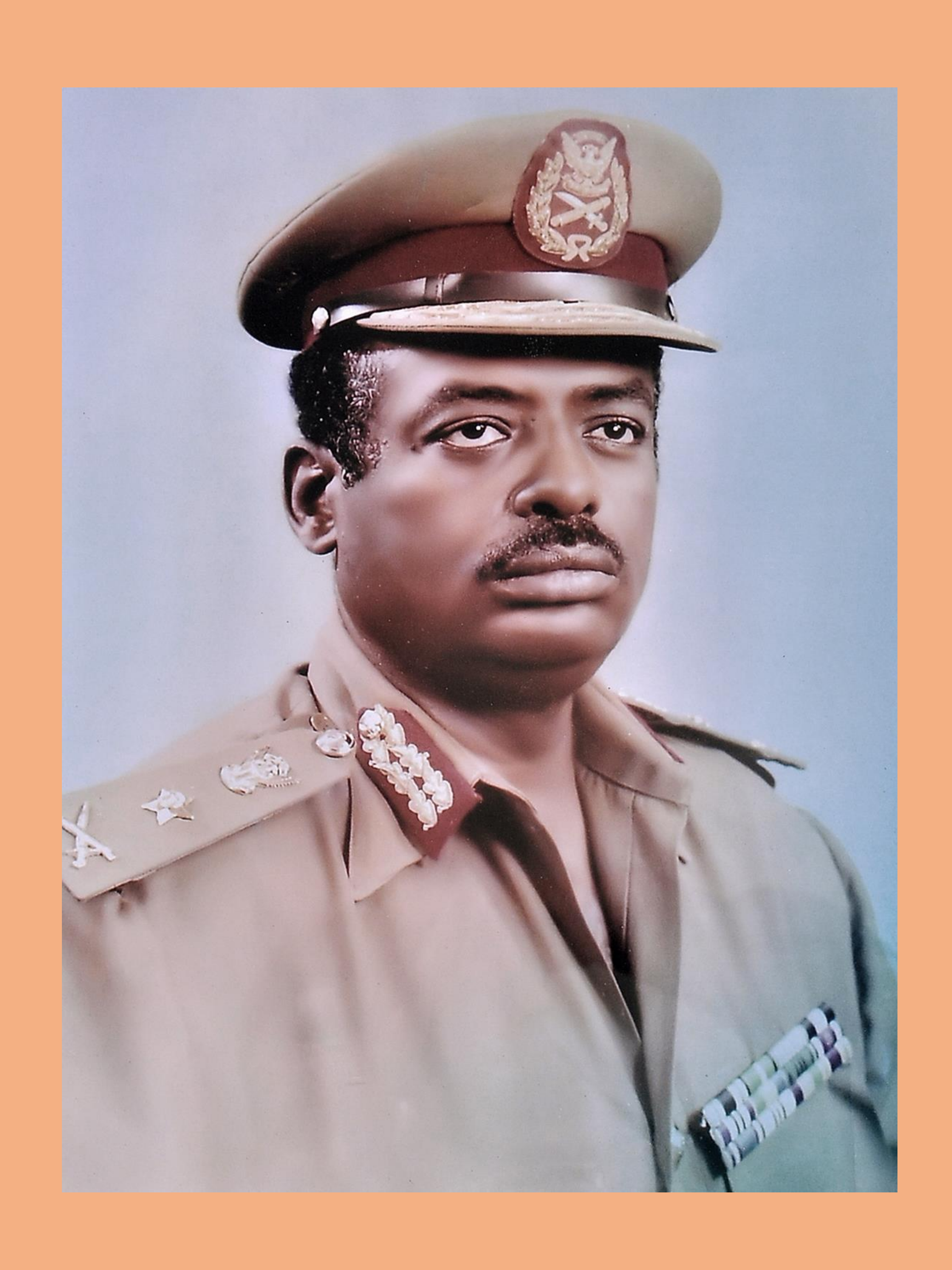
الفصل الثالث

﴿إفادات للتاريخ خطها الفاتح بشارة بقلمه﴾

◆◆◆

في هذا الفصل من الكتاب نُلقي الضوء على بعض الأحداث والأمور التي كتب عنها الفريق (**الفاتح بشارة**) بقلمه الرصين. ونحاول أن نستقرئ موهبة الرجل في السرد ومقدرته على تذكر الأحداث وربطها بدولاب الحياة المعاصرة له وجيله من صناع السياسة. وأول هذه المقالات ما صاغه يراعه عن شخصية القائد (**محمد نجيب**) قائد ثورة مصر الكبرى. ثم كتب عن استيلاء الفريق (**إبراهيم عبود**) على السلطة. وبعد ذلك تحدث عن العلاقات بين السودان والاتحاد السوفيتي من خلال ما أسماه دبلوماسية المانجو. وبعد ذلك كتب بدقة متناهية عن كلية القادة والأركان التي انتمى إليها نبضاً وروحاً. وأعقب ذلك بمقالة في غاية الأهمية عن ملكة بريطانيا الأم من خلال معايشته الشخصية لها في داخل قصرها Bukingham بلندن.

فماذا قال الفريق (**الفاتح بشارة**) في كل هذه المقالات المهمة؟ وما هي الإضافة للمعرفة التي يكون قد خطها بقلمه ولم يكن الناسُ يعرفونها؟ وهل هناك حقائق استطاع أن يجلي عنها غشاوات التهميش أو يزيل عنها غبار التعتيم لأنه استقاها، أو عايشها، أو سمعها من صُناعها الحقيقيين؟ هذا ما تجده عزيزي القارئ في السطور القادمة التي خصصنا لها هذا الفصل من الكتاب.



صورة للفاتح بشارة في تلك المرحلة التي عايش معظمها وخطها بقلمه
للتاريخ حتى تستفيد منها الأجيال اللاحقة

دور الرئيس اللواء محمد نجيب في استقلال السودان

كثيرٌ من النجوم يظلمهم التاريخ، ولكن يأتي حينٌ من الدهر يجدون الإنصاف. ومعلوم في التارخ أن اللواء (**محمد نجيب**) قد وُلدَ لأبٍ مصري وأمٍ سودانية من مدينة بربر. وشقيقته متزوجة من سوداني هو السيد (**علي عبد الله**) مدير حسابات مصلحة الزراعة. وفي طفولته كان والده يوزباشا في القوة المصرية بالسودان. وقد عاش في كل من بربر وعطبرة ومدني والخرطوم. ونشأ وتعلم في مدارس السودان حتى كلية غردون التذكارية، ولهذا فهو يجيد اللغة الإنجليزية إجادة تامة.

ومن أترابه في تلك الفترة الأستاذ الكبير ومربي الأجيال الشاعر الفحل (**أحمد محمد صالح**) عضو أول مجلس سيادة بالسودان بعد الاستقلال ومؤلف النشيد الوطني للسلام الجمهوري (**نحنُ جندُ الله جندُ الوطن**). ومن أترابه أيضاً الفريق (**أحمد باشا محمد**) والرئيس الفريق (**إبراهيم عبود**) والأميرآلاي (**مأمون بك المرضي**). وثلاثتهم خدموا بالجيش المصري حتى سنة 1925م عند تكوين قوة دفاع السودان لأول مرة، حيثُ انضموا إليها في ذلك الحين. أما شقيق اللواء (**محمد نجيب**) فهو القائم مقام (**علي نجيب**)، وقد كان الياور المصري لحاكم عام السودان. وكان البكباشا (**مأمون المرضي**) هو الياور السوداني، والثالث ياور بريطاني.

وتلك الفترة تعتبر من أدق فترات السودان وعنفوان نضاله الوطني. وعاد محمد نجيب إلى القاهرة وأكمل دراسته بها، وتخرج من الكلية الحربية المصرية بتفوق.

وانتسب لجامعة (**فؤاد الأول**) ونال ليسانس الحقوق ودرجات أخرى رفيعة. وقد ترقى حتى وصل إلى رتبة اللواء. ونال وسام النجمة العسكرية في فلسطين، إذ جُرِحَ بها في الميدان. وكانت سمعتُه طاغيةً، وثقافتُه مَشهودةً، ووطنيتُه معهودةً، ومواقفُه من السرايا أي (**الملك فاروق**) كانت مثار إعجاب كل المصريين. وفي انتخابات نادي الضباط 1951-1952م نافس اللواء (**حسين سري عامر**) مرشح وصهر (**الملك فاروق**) وهزمه بأغلبية ساحقة، مما اضطر الملك أن يجمد الانتخابات.

وفي العام 1952م وقع اختيار الضباط الأحرار عليه لكي يكون قائد ثورتهم ورمزها ودليلها للشعب المصري وبالأخص الجيش الذي هيأ للثورة، لأنَّ الكل يعرفه وهم من صغار السن لا يعرفهم أحد. فقبل نجيب القيادة بلا تردد. وكان البيانُ الأول للشعب المصري الذي تلاه أنور السادات كان ممهوراً باسم وإمضاء اللواء محمد نجيب.

وما دفعني للكتابة عن نجيب المظلوم من أهله وذوي القربى هو أنني شاهدت في مساء يوم الجمعة الموافق 2004/1/2م على التلفزيون السوداني حلقة شيقة وممتعة أدارها الإعلامي اللامع (**عمر الجزلي**) وضمت عدداً من المتحدثين المتميزين بينهم: الفنان المثقف (**عبد الكريم الكابلي**)، والأستاذ المفكر والكاتب الكبير (**محمود أبو العزائم**). ودار الحديثُ عن دور الزعيم (**جمال عبد الناصر**) في تقديم استقلال السودان قبل استقلال مصر. وتخللت الحلقة صورٌ لزعيم العروبة عند زيارته للخرطوم في عام 1967م بعد النكسة. ولما كنا نؤرخ للتاريخ خصوصاً وأنَّ مقدمة الأستاذ أبو العزائم كانت عن المؤرخين وصدقهم فكنت أتوقع ذكر (**اللواء**

محمد نجيب) [5] لأنه هو الذي قدم جلاء القوات المستعمرة عن السودان قبل مصر، وهو الذي جمع الأحزاب السودانية جميعها وما أكثرها في ذلك الوقت وما أكثر شتاتها. وهو الذي جمع رموز وأعيان البلاد في أرض الكنانة وعلى رأسهم: السيد

---

[5] وُلد اللواء أركان حرب محمد نجيب في يوم 19فبراير1901 م وتوفي في يوم 28 أغسطس عام 1984م. وهو سياسي وعسكري مصري، كان أول حاكم مصري يحكم مصر حكما جمهوريا بعد أن كان ملكيا بعد قيادته لثورة 23 يوليو1952 م التي انتهت بعزل الملك فاروق وحكومته خلال الفترة من 8مارس1954 م وحتى 18أبريل1954 م. ولم يستمر الرئيس محمد نجيب في سدة الحكم سوى فترة قليلة جداً بعد إعلان الجمهورية. حيث حكم من يوم 18يونيو عام 1953 م إلى يوم 14نوفمبر عام1954 م حيث عزله مجلس قيادة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر مما أغضب السودانيين كثيراً ونقموا على شخصية جمال عبد الناصر ورفاقه بحكم أن السودانيين يعتبرون اللواء نجيب واحداً من أبناء جلدتهم بحكم أن أمه سودانية عاشت في مدينة ود مدني. وقد برر جمال عبد الناصر عزله لمحمد نجيب بأنه طالب بعودة الجيش إلى ثكناته بعد نجاح الثورة وأصر على عودة الحياة النيابية لمصر. ونتيجةً لذلك تنكر مجلس الثورة للواء محمد نجيب ووضعوه تحت الإقامة الجبرية مع أسرته بعيدا عن الحياة السياسية لمدة 30 سنة. كما أصدروا قراراً بمنعه تماماً من الخروج أو مقابلة أي شخص من خارج أسرته. وظل على ذلك المنوال لسنوات طويلة. بل إنهم شطبوا اسمه من كتب التاريخ والكتب المدرسية التي تدرس للتلاميذ في مصر. وظل نجيب معزولاً عن كل أسباب الحياة العامة حتى نسي الكثير من المصريين أنه لا يزال على قيد الحياة. وقد فوجئ الكثيرون بوفاته في يوم 28أغسطس عام 1984م. وكانت له شخصيته المحبوبة بين الناس وفي صفوف الجيش المصري وكل أفراد الشعب من قبل أن يقود الثورة وذلك لدوره البطولي المشهود في حرب فلسطين. وأعلن محمد نجيب على جماهير الشعب المصري والعربي مباديء الثورة الستة التي راقت لكل المتعطشين للانعتاق من ربقة الملكية آنذاك، وكان على رأس تلك المبادئ تحديده لنظام الملكية الزراعية الذي أثلج به صدور كل الفلاحين والبسطاء في مصر.

(**علي الميرغني**) والسيد (**عبد الرحمن المهدي**) منفردين (**وبوث ديو، وبابو نمر، ومادبو، وحسن أبو، وتمساح الكدرو، وسرور رملي، وسلطان جامبو، وبونا لير**)، وغيرهم كثر في ذلك الوقت. وبذل من الجهد ما لم يبذله بشر حتى وفَّق بينهم جميعاً لإمضاء اتفاقية السودان التي تمخضت عنها كل الخطوات اللاحقة من حكمٍ ذاتي وسودنة وتُجت أخيراً بالاستقلال.

لقد حضر الرئيس اللواء (**محمد نجيب**) بنفسه إلى الخرطوم في أول مارس عام 1954م للمشاركة في افتتاح أول برلمان سوداني هو (**الجمعية التشريعية**)، ولتهنئة أهله السودانين بالحكم الذاتي الذي شارك في هندسته بحكمته وسعة صدره. واتصل في تلك الليلة الرهيبة بالسيد (**عبد الرحمن المهدي**) والسيد (**علي الميرغني**) والسيد (**إسماعيل الأزهري**) والحاكم العام.

وكان لروح التسامح التي تحلى بها دور كبير في دفع القادة السودانيين لتجاوز آثار أزمة (**حوادث مارس**) الشهيرة وتلافي تداعياتها. وبالتالي جنب البلاد استخدام مادة (**الانهيار الدستوري**) التي كان يمكن أن تُعيق استقلال السودان بحكم أن بعض الإنجليز كانوا يتربصون ويتحينون الفرص لتطبيق تلك المادة التي تصب في مصلحتهم وهي الإبقاء على الاستعمار لفترة أخرى قد تطول وقد تقصر. وبالطبع فإن أولئك المتربصين هُمْ مَنْ كانوا يشغلون وظائف رفيعة ويتمتعون فيها بنعيم السودان في ذلك الوقت. وبالصدقِ كُلِّهِ فإن اللواء (**محمد نجيب**) كان رجلاً متفرداً بين أترابه وأبناء جيله. بل وكان مميزاً حتى على الضباط الذين حملوا

معه لواء الثورة. ولذلك فقد استحق ما قاله فيه زميل دراسته الباكرة وصديقُه الأديب والشاعر (**أحمد محمد صالح**) من أبيات رائعة:

ماكُنْـــتَ غـــداراً ولا خـــوانا — كلا ولم تَكُ يا نجيبُ جبانا
ياصـــانعَ التـــاريخِ ألـــف تَحيـــةٍ — من أمةٍ أوليتَها إحسانا
عرفتــك منــذ صــباك حــرا نافعــا — فوفَتْ إليكَ وآمنَتْ إيمانا
الثــورةُ الحمقــاءُ كُنــتَ صِــمَامها — من كل شائبةٍ وكُنتَ ضَمانا
حتى إذا مـا اشـتدَّ سـاعدُها رَمَتْ — عَشواء كانَ نصيبُها الخُسرانا
لم تـرعَ للشـعبِ الحقـوق وفرقـت — بينَ القلوبِ وأجَّجتْ نِيرانا
أكلـتْ فتـاةُ الحـرِّ رمـزَ بَقائهـا — ومَشتْ تُخيطُ لِنفسها الأكفانا
ومضـى كبـيرُهُمُ يُفَـاخرُ جَهْـرةً — بصنيعِهِ مُتبجِحاً مَنَّانا
نشـوانَ مـن خمـرِ الغـرورِ لَعلَـه — قد باتَ من خمرِ الهوى نشوانا
شـردتَ فاروقـاً ولم تَـكُ قاسـياً — فظا وكُنتَ مُهذَباً إنسانا
لـو أنصـفوا جعلـوكَ في آمـاقِهم — وتخيروك لِمَجدهم عُنوانا
أصـبحت بعـد القيـد أعظمَ حجـة — وأعز منزلة وأرفع شانا

وأثناء زيارته الأولى لمصر في عام 1959م طلب الرئيس (**إبراهيم عبود**) من الرئيس (**جمال عبد الناصر**) أن يسمح له بزيارة صديقه اللواء (**محمد نجيب**) وأن يطلق حريته أو يرسله له بالخرطوم. فوعده (**عبد الناصر**)، ولكنه لم يَفِ بوعده

حتى نهاية الزيارة. عِلماً بأن **(عبد الناصر)** يكن احتراماً شديداً لحكومة الرئيس **(عبود)** التي أزالت الجفوة المفتعلة وأبرمت مع مصر اتفاقية مياه النيل التي كان من نتاجها قيام السد العالي. وكان الذي شجع الرئيس عبود لتقديم ذلك الطلب للرئيس **(عبد الناصر)** هو سابقة السيد **(عبد الله خليل)** الذي توسط أثناء زيارته لمصر وهوه رئيس وزراء السودان وطلب من الحكومة المصرية أن تطلق سراح **(صلاح سالم)** وتوظفه، وبالفعل فقد وافقت الحكومة المصرية على ذلك وأطلقت سراحه وعينته رئيساً لتحرير جريدة **(المساء)** براتب وزير.

ولكني لم أزل محتاراً لماذا لم يستجب عبد الناصر لذلك الرجاء من الرئيس عبود؟!! وعلى كل حالٍ فقد تم أخيراً تكريم اللواء **(محمد نجيب)** حيث كرمه الرئيس المصري **(محمد حسني مبارك)** عند وفاته، حيثُ شيعه بالمراسم العسكرية التي تُجرى لرؤساء الدول. وقاد ذلك التشييع المهيب بنفسه, وسمى أكبر محطة من محطات مترو الأنفاق بالقاهرة باسمه وهي **(محطة اللواء محمد نجيب)**. كما كرمه رئيس السودان **(جعفر محمد نميري)** قبل ذلك حينما أطلق اسمه على واحدٍ من أشهر شوارع الخرطوم. وقد كان ذلك بتوصية كريمة من الأخ اللواء المهندس **(بابكر علي التوم)** معتمد العاصمه القومية وقتئذ. غير أن هذا التكريم جاء بعد وفاة البطل كما هي عادتنا نحن العرب.! ومن شدة حب السودانيين للواء **(محمد نجيب)** أن سموا عليه كثيراً من مواليدهم في ذلك الزمن. التحية للسودان والسودانيين بعيد استقلالهم المجيد، والرحمة وجنات الخلود للواء محمد نجيب، والتحيةُ والاحترام لأشقائنا بشمال الوادي.

استيلاء عبود على السلطة في 17 نوفمبر 1958م:

كان جيلاً فريداً في تاريخ السودان السياسي الحديث ذلك الذي تزعمه الفريق (**إبراهيم عبود**) ورفقاؤه. كان شديد الولاء لكل من عرف عن كثب ظالماً كان أم مظلوماً، بما في ذلك الاستعمار البريطاني نفسه. وذلك الجيل كان يُمثل كل التناقضات في الشخصية السودانية، حيث كان يشعر بالامتنان للاستعمار ويهادنه، إلا أنه يُبقي ولاءه التام للوطن.

كان الفريق (**إبراهيم عبود**) رجل دولة من الطراز الأول. وكان في نفس الوقت طيباً إلى أبعد الحدود. كان صارماً في هيبته، شغوفاً عطوفاً في دخليته. كان هياباً من التصرف في المال العام، وحازماً في النأي عن الشبهات. وعندما حملت إليه مراسم تنازله عن السلطة كان مطلبه الوحيد من الدولة الجديدة أن تطلب من سفير السودان لدى بريطانيا السماح لابنه للإقامة معه إلى حين فراغه من دراسته لأنه لم يكن يملك ثروة سوى معاشه التقاعدي.

لم تتقاعس حكومة الفريق (**إبراهيم عبود**) عن تنمية البلاد وتعزيز اقتصادها. وشهد عهده ازدهاراً في الفنون والرياضة لا يزال السودانيون يتحسرون على فقدانه ويتمنون عودته. وعندما كان أفراد الجمهور يلتقون الرئيس عبود بعد تنحيه وهو يتجول في الأسواق ليشتري حاجياته من سوق الخضار كانوا يهتفون أمامه (**ضيعناك وضعنا وراك**)، وذلك بعد بضع سنوات فقط من اندلاع ثورة أكتوبر الشعبية التي يتباهى كثيرٌ من السودانيين بها ويصفونها بأنها تأتي بعد الثورة البلشفية مباشرة. لقد بقيت هيبة الرئيس (**إبراهيم عبود**) طوال فترة حكمه واستمرت حتى بعد تنحيه. وبقي غُموضٌ غريبٌ يحيط بشخصيته وشخصيات رفاقه

من العسكريين والمدنيين الذين سيروا دفة البلاد طوال سنوات حكمه العسكري من 17 نوفمبر 1958م حتى 21 أكتوبر 1964م. ويزيد التجربة وأبطالها جدلاً أنهم وفي مقدمتهم الفريق عبود نفسه لم يكتبوا مذكرات ولا ذكريات. بل كانوا أشد عزوفاً عن الحديث بأي قدرٍ عن الدولة السودانية التي صنعوها والتنمية التي أقاموها والعلاقات الخارجية المتينة والازدهار الفني والرياضي والانتعاش الاقتصادي الذي برز في أيامهم.

دبلوماسية المانجو مع دهاقنة الشيوعية العالمية:[6]

في بداية الستينات وعندما تسلم **(نيكتا خروشوف)** سكرترتارية الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي بدلاً عن **(ستالين)** أصبح بهذا المنصب أقوى شخصية في المنظومة الشيوعية العالمية وداخل الاتحاد السوفيتي. وتربع على عرش الشيوعيين في الكرملين، وأعلن أنه لن يجمع أي منصب مع هذا المنصب. إلا أنه سرعان ما تنكر لذلك الوعد وأصبح زعيم الكرمين الأول في كل المناصب. وناطح الغرب بشراسة. ولولا شجاعة وحكمة خصمه الأمريكي الرئيس الشاب **(جون كنيدي)** لشهد العالم حرباً نووية يكون مصير البشرية فيها الدمار الشامل بلا شك. ولكنه انحنى أخيراً للعاصفة في أزمة خليج الخنازير. وفي ذات صباح حددت موعداً للسفير الروسي بالخرطوم وكان سفيراً من الدرجة الأولى لمقابلة الرئيس الفريق إبراهيم عبود.

---

6 نُشر هذا الموضوع بصحيفة أخبار اليوم.

وقد جرت عادة الرئيس عبود أن يُجري معظم مقابلاته مع السفراء وغيرهم في القيادة العامة، وكان نادراً ما يقابلهم في القصر الجمهوري. وقد حمل السفير السوفيتي توجيهاً من حكومته يقولون له فيه: «**إنَّ نظام الرئيس عبود ليس شيوعياً، ولكنه يعمل من أجل السلام العالمي، ولهذا فإننا نمد له يد الصداقة والتعاون، وندعوه لزيارة الاتحاد السوفيتي. وعلى رفقائنا السودانيين أن يعملوا من هذا المنطلق ويتعاونوا مع نظام الرئيس عبود**».

وبالفعل لم تمُرْ إلا أيام قليلة حتى طلب مني رئيسُ الحزب الشيوعي السوداني وأقوى شخصية شيوعية في قارة إفريقيا المرحوم (**عبد الخالق محجوب**) أن أحدد له موعداً لمقابلة الرئيس عبود. وبالفعل حددتُ له موعداً وجاء لزيارة الرئيس عبود. وكان ذلك اللقاء بين ثلاثتنا هو فاتحةَ لقاءاتٍ عديدة بعد ذلك. وبالفعل فقد شارك الحزب الشيوعي في مجالس المديريات والمجلس المركزي.

والآن فلنعد إلى موضوعنا وهو (**دبلوماسية المانجو**) التي أثمرت فيها زيارة المانجو الكثير للسودان من المشاريع والصوامع ومستشفى سوبا الجامعي فكيف كان ذلك؟ كانت للرئيس عبود رُؤىً ثاقبة وتجارب ثره في الحياة، ففي مرحلة التحضير لزيارته للاتحاد السوفيتي تلبيةً للدعوة التي أسلفنا الحديث عنها دعانا نحن أركان حربه: رئيس الديوان المقتدر والإداري المحنك (**أحمد حسن الضو**) والياور الأميرآلاي المتميز (**أحمد المرتضى فضل المولى**) وشخصي الضعيف الصاغ (**الفاتح بشارة**) للاجتماع به. وقال لنا في ذلك الاجتماع: «**أنا لا أريد هدايا جلود أو عاج، وإنما أريد هذه المرة أن تشحنوا طائرة الكوميت بأكبر كمية موجودة من**

أنواع المانجو التي لم يرها الروس بعد». فدبرتُ شحنة المانجو بواسطة رجال البساتين الأكفَاءْ الذين كان عملهم بحق ممتازاً لأبعد الحدود، فقد وضعوا في كل صندوق من الكرتون حوالي عشر دست من المانجو المشكلة من جميع الأصناف (**الهندية، والتيمور، والدبشة، وقلب الثور الخ..**). وقد طبعوا على كل صندوق باللغتين العربية والإنجليزية بخط واضح جمهورية السودان، وعليها شعار الجمهورية الذي كان (**وحيد القرن الأبيض**) في تلك الفترة. وكان وحيد القرن حيواناً نادراً، ولم يره الروس من قبل، وحتى أنا لم أره إلا عندما زار الرئيس (**جمال عبد الناصر**) جنوب السودان حيث ذهبنا معه إلى مدينة نمولي، وهناك رأينا وحيد القرن الأبيض لأول مرة. وهو من أقوى وأشرس مخلوقات الله على الإطلاق.

كان الزمان صيفاً في السودان، وكان يشرف على توقيتات الطائرة مدير الخطوط الجوية السودانية ومؤسسها الأول السيد (**عبد الباقي محمد**)، وكان الرئيس عبود بحسه وطبعه الهندسي والعسكري يشرف بنفسه ويراجع كل التوقيتات حتى لا تخسر المانجو. والحمد لله تم كل شيء كما خطط له ووصلت المانجو طازجةً وبحالة ممتازة.

استضافتنا الحكومة السوفيتية في مبنى (**الكرملين**) وما أدراك ما الكرملين!! لقد كان مَدينةً بحالها. به قصور الأباطرة والقياصرة السابقين، والآن يسكنه كل القادة السوفيت الشيوعيين والوزراء. وبداخل الكرملين بُني البرلمان وقصر الرئاسة. وما أن استقر بنا المقام حتى طلبتُ من مندوب المراسم الروسي المرافق لنا وبالمناسبة كلهم يجيدون التحدث باللغة العربية أن يجهزوا لي حجرة واسعة للمانجو. وقد تم ما أردت. وطلبت منه أن يمدني بكشوفات المراسم لأشرع في التوزيع لكراتين

المانجو. كانت المانجو السودانية رائعة وممتازة بكل المقاييس، حيثُ جلبناها من مروي وماجاورها. ففاحت رائحتها الجميلة وعبقها الشهي في كل أرجاء الكرملين بقصوره ودهاليزه العديدة. وبدأ الكل يتساءل عن هذه النكهة الذكية التي ما ألفوها من قبل ومن أين تجيء؟ وعرفوا أخيراً أنها مانجو السودان التي اشتهى كل واحد منهم أن يكون له منها نصيب.

ومن الأشياء التي أدهشتني من الناحية البروتكولية وأنا أتسلم كشوفات أسماء القادة الروس لأضع لكل منهم نصيبه من الهدية أن وجدتُ اسم الرفيق (**نيكيتا خروتشوف**) قبل اسم الرفيق الرئيس (**ليونيد برزنيف**) رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية، فسألت مديرَ المراسم بعفوية: «**هل هذا خطأ غير مقصود؟**» فأجابني بحزم قائلاً: «**إن خروتشوف هو قائدنا وزعيمنا الأول، وهو الذي يأتي بكل هؤلاء القادة، وأرجوك ألا تخوض في هذا الأمر مع أحد غيري بعد هذا**».

وعدتُ مدير المراسم أن ألتزم الصمت ولا أخوض في هذا الأمر بعد هذا. وأنجزت مهمتي في توزيع المانجو والحمد لله كأحسن ما يكون. وبالعودة إلى (**نيكيتا خورتشوف**) السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي وأقوى شخصية في الدولة فإننا لم نره ولم يظهر في برنامجنا إلا في نهايته حيث أخذونا إليه بقارب إلى جزيرة (**سوشي أدرد**) حيث يوجد مصيفه. وكانوا قد انتقوا منا مجموعة محددة من أعضاء الوفد للقيام بتلك الزيارة. ويا لها من نعمة يعيشها القادة الشيوعيون، حيث كان ذلك المصيف بتلك الجزيرة من أجمل ما رأيت. استمرت المقابلة حتى وقت الغداء ثم عدنا إلى موسكو. وفي اليوم التالي جاءني مدير المراسم، وأغلق الباب من خلفه

ليقول لي: «**إن زوجة الرفيق نيكيتا خروتشوف ترجو منك المزيد من المانجو**» فقلتُ له: «**جداً وسيصلُ إليها ما أرادت**». وكنت كعادتي احتاط لمثل هذه الأمور. وبالفعل أرسلتُ إليها خمسة صناديق من الاحتياطي الذي معي. وبعد ذلك طلبت مني زوجة الرئيس (**ليونيد برزنيف**) مزيداً من المانجو أيضاً. وبعدها مباشرة طلبت زوجة السيد (**ماكوين**) رئيس الوزراء. ولحسن الحظ فقد كانت معي كمية احتياطية فأرسلت لهن جميعاً ما أردن.

وبكل الصدق فإنني أقول: «**إنَّ هذه المانجو قد لعبت دوراً كبيراً وخطيراً وأساسياً في أنها بسطت سبل التعاون مع السوفيت. حيثُ تم في هذه الزيارة التصديق على الكثير من المشاريع ذات الأهمية القصوى للسودان، ومنها مشاريع الغلال، والصوامع، والتراكتورات، والألبان، ومستشفى سوبا الجامعي، ومصنع الكرتون الخ...**» والخلاصةُ أن زيارة الرئيس (**إبراهيم عبود**) كانت فاتحة خير وبركة للتعاون بين السودان والاتحاد السوفيتي. وبعد ذلك زار الرئيس السوفيتي (**ليونيد برزنيف**) بدعوة من الرئيس عبود رداً على تلك الزيارة.

ألا رحم الله الرئيس الفريق (**إبراهيم عبود**) ووزير خارجيته العظيم الأستاذ (**أحمد خير**) حيث تمكن كلاهما من صنع سياسة خارجية متوازنة للسودان في ظل مناخ استقطاب الحرب الباردة. وقد انعكست تلك السياسة في تنمية السودان، وخلقت له علاقات متينة ومتميزة مع شعوب ودول العالم. لهم الرحمة وجنات الخلد، وليحفظ الله السودان علما بين الأمم.

إنشاء وتطوير كلية القادة والأركان [7]

لم يفكر الإنجليز في تدريب السودانيين على واجبات الأركان، إذ لم يكن بينهم من يحمل شهادة ركن إلا البريقادير **(مالك وليم)** قائد القيادة الشرقية أخيراً وكما يُقال (فاقدُ الشيء لايُعطيه). كما أن قوة دفاع السودان كان التنظيم لها في شكل سرايا مستقلة تتعامل رأساً مع رئاسة القيادة.

وعندما لاحت بوادر الحكم الذاتي بُعث بعض النابهين من ضباط قوة دفاع السودان لنيل هذا النوع من التدريب بكلية القادة والأركان البريطانية **(كامبرلي)** بدءاً بالمرحوم البكباشا **(حمد النيل ضيف الله)** يليه المرحوم البكباشا **(المقبول الأمين الحاج)** والمرحوم البكباشا **(حسن فحل)** ثم الكليات الأخرى التي كانت جيوشها مكونةً على النظام البريطاني، فبعث المرحوم القائم مقام **(عبده حسين محروس)** إلى باكستان والقائم مقام **(أحمد مختار محمود)** إلى الهند و**(محمد إدريس عبد الله)** و**(حسين على كرار)** إلى مصر. وهكذا صار للجيش السوداني عددٌ لابأس به من ضباط الركن حتى جاء عهد **(إبراهيم عبود)**.

وفي زيارته التاريخية إلى بريطانيا ومعه اللواء **(حسن بشير نصر)** نائب القائد العام وكنتُ سكرتيراً له ومرافقاً عسكرياً زار الرئيس **(عبود)** كامبرلي وكان يدرس بها المرحوم البكباشا **(علاء الدين محمد عثمان)** منحت حكومة صاحبة

[7] كان هذا الحديث ضمن ورقة تحدث فيها الفاتح بشارة عن إنشاء كلية القادة والأركان والتطوير الذي صاحب فكرة مولدها منذ أن كانت فكرة على الورق. وقد أورد فيها ذكر أسماء الضباط الذين كان لهم شرف إنشائها من سودانيين وأجانب.

الجلالة معونة عسكرية متواضعة بمناسبة هذه الزيارة، ومنها إنشاء كلية الأركان، وتعيين ضابطٍ كبيرٍ مقتدر له خبرة لإنشائها. وبالفعل أتى إلى السودان بعد الزيارة مباشرة ضابطٌ برتبة بريقادير من هيئة التدريس بكامبرلي واختار المباني الواقعة غرب معسكر سلاح الإشارة والتي بها مقر السلاح الطبي بأمدرمان الآن لتكون مقراً لهذا المولود الجديد بعد إجراء بعض التعديلات عليه. وزود بالكوادر المساعدة وبكل اللوازم وقد تم له تعيين النقيب (**علي محمد الحسن**) ثم النقيب (**الخير عبد الجليل المشرف**) ثم النقيب (**عبد القادر علي عبد القادر**) ثم النقيب (**ميرغني بابكر**)، وكُلهم تقاعدوا في مُقتبل العمر برتبة اللواء ركن.

ثم بعد ذلك تم تعيين القائم مقام ركن المرحوم (**عبده حسن محروس**) ليكون قائداً لهذا المولود الجديد. وقد سُميت هذه الكلية (**مدرسة الأركان حرب**). ولا بد من الإشادة هنا بالمجهودات الجبارة التي بذلها هؤلاء الرجال المؤسسون ومعهم الطبعيون والرسامون وخمسون من الرتب الأخرى تحت حكمدارية الرقيب أول (**عبد الله أبو كرة**) والذين كانوا عصب الإدارة والإمداد للمدرسة الجديدة فبنوها لبنة لبنة، وكان أداؤهم مشهوداً ومعترفاً به من كل مَن رآه أو احتك بنتائجه المثمرة. وتلك هي عظمة الرجال التي تخلدهم في سجل التاريخ الناصع لأوطانهم عبر الدهور.

هيئة التدريس والقيادة:

أُختير عدد من ضباط الأركان الذين نالوا ذلك التدريب بالخارج ليكونوا هيئة التدريس مع البريقادير **(بلمر)** ومنهم البكباشا أ. ح **(أحمد خالد شرفي)** والبكباشا أ. ح **(مبارك عثمان رحمة)** والبكباشا أ. ح **(أنس عمر والبكباشا)** أ. ح **(علاء الدين عثمان)** والبكباشا أ. ح **(حسن الأمين صالح)** وتعيين القائم مقام أ. ح **(عبده حسين)** ليكون قائداً للمدرسة.

الدورات في عهد بلمر:

أجرى البريقادير **(بلمر)** منذ أن انضم إليه البريقادير **(استرات فيلد)** دورتين للضباط العظام (*بكباشا- عقيد*)، ودورتين للضباط الأصغر (*يوزباشي_ صاغ*). ودورة الضباط الأصغر استحدثها السودانيون بعد نجاحها الملحوظ. وكان ضمن الدارسين بالدورة الأولى المرحوم وزير الدفاع لاحقاً الأميرالي المعروف **(عمر الحاج موسى)**. كما كان ضمن الدورة الثانية الرئيس **(جعفر محمد نميري)** و**(الفاتح بشارة)**. وكانت الدورة تضم (20) دارساً. ولم يكن السودان يتكفل بنفقات هذا الخبير ولا الخبير البريطاني في سلاح الطيران أو الخبير الثالث في سلاح المدرعات، وإنما كانت رواتبهم ومخصصاتهم وعرباتهم على نفقة حكومة صاحبة الجلالة ضمن المعونة العسكرية.

وكانت كامبرلي هي أعرق كلية أركان في العالم. وتعتبر مدرسة الأركان بأمدرمان الوليد الشرعي لها لأنها كانت تمدها بجميع التمارين والأفلام والمراجع التي تأتي دورياً في حقيبة الملحق العسكري البريطاني بالخرطوم. وخلاصة القول كان

التعاون في أسمى صوره بلا أي تكلفة مالية يدفعها السودان. وكان السودان أول من يشتري السلاح الروسي في عهد حكومة أكتوبر بلا خبراء أو مستشارين. واستمرت مدرسة الأركان تؤدي رسالتها على النهج البريطاني تنظيماًوتدريباً وتكتيكاً باللغة الإنجليزية. ونُقِلَ البريقادير **(بلمر)** وأتى بعده الكولونيل **(شيتر)** الذي استمر بنفس رسالة **(بلمر)** وسكن في منزله بالحي الراقي بالشرقي وأكمل مدته حتى خلفه الكولنيل **(نوربري)**.

وبقيام ثورة مايو في عام 1969م نقل علاء الدين ليقود القيادة الشرقية وتعين العقيد أ.ح **(الفاتح بشارة)** قائداً للمدرسة. وكان ذلك في عهد المستشار البريطاني **(نوربري)**. وكان قد تخرج في كلية **(كامبرلي)** في عام 1967م وتعين معلماً ثم قائداً للمدرسة في عام 1970م.

النقل من مدرسة إلى كلية:

بناء على توجيهات القيادة والاستراتيجية المرسومة للمدرسة سلفاً بدأ **(الفاتح بشارة)** التحضير ومعه كل من المعلم المقدم ركن المرحوم **(محمد يحيى منور)** والمقدم المعلم **(محمد ميرغني حمو)** بالتحضير للارتقاء بالمدرسة إلى كلية القادة والأركان كما هو معلوم في سائر الدول. وبالفعل واصلوا الليل بالنهار لوضع المناهج والمقدرات وبدأوا في التعريب فوضعوا للكلية شعاراً ما زال معمولاً به إلى اليوم. كما أنشأوا شهادة لماجستير العلوم العسكرية وقانوناً أساسياً للكلية وتم إرسالُهما إلى القيادة العامة. وفي وقت وجيز جاء التصديق بالاسم والشعار وكل ذلك. ويقول

الفاتح بشارة: **«كنا نجري دورة الضباط العظام وقد شارفت نهايتها فإذا بنا نُفاجأ ومعنا المستشار البريطاني بحضور الجنرال الروسي وكبير المستشارين ومعه أربعة من الروس الذين قالوا إنهم جاءوا ليحلوا محل البريطاني ويأخذوا عربته ومسكنه»**، فقلتُ لهم: **«العربة والمسكن على حساب حكومة صاحبة الجلالة، وأنتم لن تدخلوا الكلية إلا بعد أن يُنهي المستشار هذه الدورة ونكرمه ويخرج معززاً مكرماً مثلما دخل»**.

واشتاط الجنرال الروسي غضباً فرفعت الأمر إلى القيادة العامة وحكيتُ لهم ما حدث وطلبت نقلي عندما يأتي الروس. وبالفعل تمَّ لي ما أردته. ومنح الرئيس (**جعفر محمد نميري**) بناءً على توصيتي وسام الجدارة للسيد (**نوبري**) الذي قلده إياه في حفلِ التخريج. وقد منحت الكلية لأول مرة خريجيها شهادة الماجستير. وليعلم الجيمع أن النفقات كانت معونة عسكرية من حكومة صاحبة الجلالة، أما الروس فكنا ندفع لهم جميع مخصصاتهم ورواتبهم وسكنهم، وقد تكالبوا علينا في كل وحدة حتى القيادة العامة. وكانوا يأخذون قطننا ليبيعوه بالعملة الصعبة في الأسواق التقليدية مثل الهند وهم في الأصل ما كانوا خبراء ولا مستشارين بل كانوا من رجال المخابرات ال KGB.

وبعد حين من الدهر انكشفت حقيقة الخبراء الروس تماماً إذ لم يطوروا شيئاً لا في الدفاع الجوي ولا البحرية ولا الطيران. ولم تكن لهم مناهج ولا مقدرات ولا تمارين لكلية القادة والأركان، فما كان من الرئيس نميري إلا أن اتخذ قراره الشجاع بطردهم الذي أعلنه في لقاء شعبي في مدينة أمدرمان بقوله: **«الآن**

اخرجوا من السودان». ولكن جاء هذا الطرد بعد خراب وتدمير العلاقات الحميمة مع أصدقاء الغرب وبالأخص بريطانيا.

نهاية عملي بكلية القادة والأركان:

بعد انتهاء الدورة وذهاب المستشار البريطاني لبلاده نُقلت إلى القيادة العامة قبل أن يدخل الروس الكلية، وسلمت مهام القيادة للزميل المرحوم (**محمد يحيى منور**) كبير المعلمين مؤقتاً لحين تعيين قائد لها. وكانت الكلية منذ إنشائها كمدرسة تستقبل الدارسين من الدول الصديقة والشقيقة مثل ليبيا والإمارات العربية المتحدة وإثيوبيا وحتى بريطانيا وذلك لتبادل الخبرات.

وكانت خدمتي بالكلية قد استمرت لمدة ست سنوات عملت فيها كمعلم وقائد. وللأسباب السابقة فإنني لا أعلم شيئاً عن المسيرة اللاحقة للكلية بحكم أنني لم أعاصرها، ولكن الأكيد عندي أنها قد انتقلت من حسن إلى أحسن بعد طرد الروس. وقد أصبحت عروساً بعد زفافها بمبانيها الجديدة العملاقة التي تتناسب بلا شك مع رسالتها السامية الرفيعة. ولعل انتقال الكلية إلى مبانيها الجديدة كان مناسبة سعيدة إذ دعت عدداً كبيراً ممن ذكرتُ سلفاً من المؤسسين لهذا الصرح العظيم من الوطنيين والبريطانيين.

وبذلك نكونُ قد حفظنا الفضل والجميل لمن شاركوا في بنائها منذ مولدها. فلا حاضر بلا ماضي، والماضي هو دليل الحاضر. وكانت لها سابقة وأسوة حسنة في الكلية الحربية التي دعت في يوبيلها الماسي كل من تقلد قيادتها من وطنيين وبريطانيين وحتى صول التعليم الشهير (**مستر هيمر**) مما جعل المجالات

العسكرية البريطانية تذكر ذلك وتشيد به كظاهرة حضارية. حيثُ كانت الكلية قد دعتهم ومعهم عقيلاتهم. وقد أسعدني القدر بأن أكون رئيس اللجنة العليا لذلك الاحتفال التاريخي انطلاقاً من موقعي كنائب لرئيس الأركان للإدارة. وأسأل الله التوفيق والنجاح دوماً لكل مؤسساتنا العسكرية، وسلام الله عليكم.

الملكة الأم التي عاشت مائة عام وعام وعلاقتها بالسودان:

في شهر مايو من عام 1963م زار الرئيس الفريق **(إبراهيم عبود)** المملكة المتحدة ملبياً دعوة رسمية ملكية وصلت إليه من ملكة بريطانيا **(أليزابيث الثانية)**. وكان وفده يضم كلاً من اللواء **(طلعت فريد)**، واللواء **(حسن بشير نصر)**، واللواء أ.ح **(المقبول الأمين الحاج)**، ومعالي السيد **(أحمد خير)** وزير الخارجية المقتدر، ومعالي السيد **(مأمون بحيري)** وزير المالية وأول سوداني تخرج من جامعة أوكسفورد بمرتبة الشرف، والسيد **(أحمد حسن الضو)** رئيس الديوان، وسعادة الأميرآلاي **(أحمد المرتضى)** كبير الياوران، والأميرآلاي طبيب **(محمود حسين)** قائد السلاح الطبي، وشخصي الصاغ **(الفاتح بشارة)**، وأربعة من المجلس المركزي (البرلمان) هم: المرحوم **(مأمون مرتضى)** والسيد **(سعد مادبو)** وابن شيخ العرب **(أبوسن)** والسيد **(فلمون ماجوك)** وعدد من رؤساء تحرير الصحف.

وكانت الخطوط الجوية السودانية في عهد الفريق **(إبراهيم عبود)** قد قفزت إلى مصاف الطائرات العملاقة. فهبطنا في مطار قاتوك بطائرتنا الكومت، وهي من أكبر الطائرات آنذاك. وكان في استقبالنا زوج الملكة **(الأمير فيليب)** دوك

أوف أدنبرة. وأخذونا بقطار الملكة الفخم إلى محطة فيكتوريا بقلب لندن، حيث كانت الملكة والملكة الأم وجميع أفراد العائلة المالكة البريطانية كباراً وصغاراً في استقبالنا. وكان عمر **(الأمير تشارلز)** ولي عهد بريطانيا آنذاك لايزيد عن ثماني سنوات. وكان معهم جنرال عجوز جداً قالوا لنا إنه قائد حامية لندن. وهو منصب تشريفي يناله أكبر الضباط المتقاعدين سناً حتى يموت. ومن الحكومة كان في وفد المسقبلين وزير الخارجية فقط وهذا هو البروتكول الملكي في بريطانيا.

أعدت لنا الملكة عربات مذهبة وكل عربة تجرها عدد من الخيول العاتية علواً وحجماً، وهي أشبه بالحناطير المكشوفة الغطاء وهي من عهد جدتها الملكة **(فيكتوريا)** وفرسان يلبسون الزي الفيكتوري. فاصطحبت الملكة **(أليزابيث)** ضيفها الرئيس **(إبراهيم عبود)** إلى العربة الأولى، وتوزع بقية أعضاء الوفد على العربات كل في عربة يصحبه أحد أفراد العائلة المالكة. وسار الركب المهيب شاقاً طريقه من المحطة إلى قصر باكينغهام الشهير تحف به على جانبي الطريق جموعٌ غفيرة من الشعب البريطاني رجالاً ونساء يلوحون بعلم السودان ذي الألوان الثلاثة الأزرق والأصفر والأخضر، وبالعلم البريطاني الذي يسمونه **(يونيون جاك)**.

وفي واجهة القصر ترجلنا جميعاً. وفتش الرئيس والملكة حرس الشرف، حيثُ عزفت الموسيقى السلامين السوداني والبريطاني. وكان جنود الحرس يشبهون تماماً جنود الهجانة في قامة أجسامهم الفارعة وغطاء رؤوسهم ذي الريش الأسود. كان اليوم صحواً، والشمس مشرقة لا رذاذ ولا مطر. حيثُ كانت الزيارة في فصل الصيف الجميل، مما ساعد جموع المواطنين لتخرج لرؤية ملكتها المحبوبة وضيفها الكبير الرئيس **(إبراهيم عبود)**. لقد كُنتُ محظوظاً جداً حيثُ أسكنني البروتكول

الملكي بالقصر مع الرئيس ووزير الخارجية. أما بقية أعضاء الوفد فقد سكنوا في فندق رائع وفخم بقلب لندن. وكثيراً ما حاول سفيرنا المرحوم **(أمين أحمد حسين)** قبل قدومنا أن يجعلهم يغيرون هذا النظام فرفضوا رفضاً باتاً وقالوا: **«هذا هو بروتوكولنا الذي درجنا عليه منذ مئات السنين»**. وبعد وضع إكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول دلفنا إلى قصر الملكة الأم لنتناول معها شاي المساء بحديقة قصرها الأنيقة على الهواء الطلق. وقصرها يقع شمال باكينغهام، وهو مطل على سفارتنا بلندن حيث يفصل بينهما شارع صغير.

وعمارة السفارة هي من ممتلكات التاج، وتقع في هذه المنطقة التي تسمى **(بلاط سينت جيمس)**. وهي أغلى وأفخر منطقة في بريطانيا كلها. وقد تم استئجارها بمبلغ اسمي منذ أن استقل السودان. وهناك دولة نفطية عرضت خمسة ملايين جنيه استرليني إيجاراً لها غير أن الملكة أشارت على المسؤولين برفض العرض عندما وصل إليها التماس رابطة البريطانيين المعاشيين الذي أفنوا زهرة شبابهم بالسودان ملتمسين من جلالتها التجديد للسودان بمبلغ ستين ألف جنيه إيجاراً سنوياً. وقد تم ذلك بحمد الله في عهد الرئيس **(جعفر نميري)** والسفير **(أمير الصاوي)** الذي يكن له البريطانيون وُداً واحتراماً شديداً.

وأثناء حفل الشاي الذي أقامته لنا الملكة الأم وكان قاصراً فقط على أعضاء الوفد السوداني والعائلة المالكة وصديقاتها حكت لنا الملكة عن زيارتها التاريخية للسودان في عام 1926م. وكان زوجها الراحل الملك **(جورج الخامس)** فيما بعد أميراً ووليًاً للعهد ويحمل لقب **(دوك أوف ويلز)**، إذ لم يكن قد خلف شقيقه **(الملك إدوارد)** الذي آثر فيما بعد الزواج من سيدة أمريكية مطلقة على

تاج الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. وكان في ذلك منصاعاً لدستور بلاده العُرفي غير المكتوب. وواصلت الملكة الأم حديثها قائلة:

«لقد كانت بديعةً تلك الجولة النيلية التي أتيحت لنا في قارب صغير على النيل الأزرق ثم الأبيض ثم على نهر النيل العظيم متجهاً شمالاً إلى مصر. وقد رأيت بوضوح التقاء اللون الأزرق مع اللون الأبيض. وقد بهرني منظر مقرن النيلين الذي أحسبه منظراً فريداً في العالم».

ثم ذكرت الملكة لنا كيف أظلمت سماء الخرطوم عندما اجتاحتها عاصفة رملية شديدة هي عاصفة الهبوب. وبعد ذلك حدثتنا عن رحلتها خارج الخرطوم والتي وصلت فيها إلى (**مدينة الدلنج**) في جبال النوبة. وقالت إنها قد أعجبت غاية الإعجاب بالرقصات القبلية التي قدمها لها أبناء النوبة، وكانت تنطق الأسماء صحيحة مائة بالمائة. وقالت إنها عندما زارت السودان كانت في ريعان الشباب وهي الآن تحكي لنا وهي في شيخوختها، رغم أنها لا تزالُ في غاية الأناقة والاحتشام في لبسها.

وأهم ما يميزها قبعتها الأنيقة التي تنسجم دائماً مع فستانها وحذائها.

وأخيراً قالت الملكة الأم إنها كانت سعيدة جداً وهي ملكة وكانت تجلس بجوار زوجها الملك في احتفال النصر المشهور عقب الحرب العالمية الثانية عام 1945م والذي أقيم بلندن واشتركت فيه جميع وحدات الحلفاء بوحدات رمزية عندما مرت قوة دفاع السودان بأجسامهم الطويلة الفارعة وانضباطهم الملحوظ. وكان السودانيون قد خاضوا الحرب ملحقين بالجيش البريطاني الثامن تحت قيادة الفيلد مارشال (**مونتجومري**) فاتح برلين وأكفأ قائد عرفته الحروب.

حفل الملكة أليزابيث:

أقامت الملكة (**أليزابيث**) حفل استقبال كبير أعقبه عشاء تكريماً للرئيس (**عبود**) والوفد المرافق له دعت إليه عدداً كبيراً من القادة البريطانيين. ولقصر باكينغهام حديقة أنيقة وفسيحة تقع في الجانب الخلفي. وهناك التقينا لأول مرة برئيس الوزراء البريطاني سير (**إليك دوغلاس هيوم**) ووزراء حكومته في حزب المحافظين. وشاهدنا قدامى السياسين البريطانيين أمثال: (**ونستون تشيرشل**) و (**مستر أتلي**)، وكان كلاهما يجلسُ على كرسي متحرك يدفعه رجال البروتكول. وفي نهاية الحفل جاءني (**الجنرال اسكونز**) تصحبه زوجته وسلم عليَّ وسألني: «**هل تذكرني أم لا؟**» فأجبته قائلاً: «**بالتأكيد أذكرك، فقد قابلتك بالمعاينة الأخيرة بالكلية الحربية السودانية**».

وهو للحقيقة والتاريخ لم يكن محبوباً إطلاقاً، وكنا نُطلق عليه لقب (**أبو حنبك**) لدمامة وجهه. وقد كان آخر قائد عام لقوة دفاع السودان. وطلب مني أن أسمح له بمصافحة الرئيس (**عبود**)، فطلبتُ منه أن ينتظر لحظةً.

وأسرعتُ للرئيس الذي كان في تلك اللحظة يقف بجوار الملكة مع آخرين يتجاذبون أطراف الحديث، فهمست له بطلب (**مستر اسكونز**) فقال لي: «**جداً أين هو؟**» وعندما حضر صافحه عبود بحرارة شديدة وبخلق سوداني أصيل، كما صافح بنفس الحرارة السيدة قرينته. وهنا قال مستر اسكونز: «**بصراحة كانت أمنية حياتي أن أدخل قصر باكينغهام وأصافح الملكة قبل رحيلي عن الدنيا،**

ولولا زيارتك الكريمة يا سيادة الرئيس عبود ما كانت هذه الأمنية ستتحقق على الإطلاق، فشكراً لك». وذكر لي الرئيس عبود فيما بعد بأن (**مستر اسكونز**) هذا يعتقد أنني حاقد عليه لأنه طلب مني عدم سودنته إلا بعد عام، وكنتُ في ذلك الوقت رئيساً للجنة سودنة الضباط البريطانيين، ولم أستجب لرجائه فرحل غاضباً. وعندما جِئتُ إلى بريطانيا لأول مرة كرئيس للجنة تسريح الجيش السوداني الوليد حرص الكثيرُ من الضباط البريطانيين في لقائنا على تحيتي والاحتفاء بي ومَن معي إلا هو حيث قال وقتَها: **«إنني لا أصافح من طردني من السودان»**. وحينها أدركت حقيقة القصة تماماً.

وبهذه المناسبة لم يُدع لحفل الملكة إلا آخر حاكم عام للسودان وهو سير (**نوكس هيلم**)، وآخر سكرتير إداري هو الذي أصبح رئيساً لرابطة المعاشيين وهو سير (**جيمس روبرتسون**). أما من زاوية البروتوكول البريطاني في حفلات الملوك فإن للمؤسسة البريطانية الملكية بروتكولاً صارماً يحدد للمدعوين الزي الذي يلبسونه في مثل هذه الاحتفالات. حيثُ يُفرَضُ على الضباط أن يلبسوا بدلة السهرة ذات الجاكيت الأبيض وعليها الأوسمة، والبنطال الأسود الذي على جانبيه شريطٌ أحمر. أما المدنيون فعليهم أن يلبسوا (**بدلة الفراك**)، وهي بدلةٌ سوداء ذاتُ ذيلٍ طويل من الخلف. ومَنْ لا يملكها عليه أن يستأجرها من أماكن مخصوصة في لندن. وهناك خطةٌ معدة للجلوس على موائد العشاء، حيثُ يجد الضيفُ المدعو خارطةً مرسومةً على بطاقة الدعوة توضح له مكان جلوسه بالتحديد الدقيق. كما يجد أمام مقعده بطاقة عليها اسمه والشعار الملكي. ولاحظتُ أن كثيراً من المدعوين قد أخذوا معهم

هذا الكارت بعد انتهاء الحفل من أجل الذكرى والافتخار بدخول هذا القصر المنيف.

وجَّهَ الرئيس **(عبود)** الدعوة للملكة **(أليزابيث)** وزوجها **(الأمير فيليب)** لزيارة السودان، وقد قبلتها شاكرةً على أن تلبيها في وقتٍ قريب. وبالفعل فقد حضرت لزيارة السودان، إلا أن الرئيس **(عبود)** كان خارج السلطة آنئذٍ، حيث تسلمت السلطة حكومةُ أكتوبر. ورفضت الملكة يومها أن تقبل نصيحة أجهزتها الأمنية بعدم الذهاب إلى السودان في ذلك الظرف. وأصرت أن تنفذ قرارها بزيارة السودان. ونزلت ضيفة على مجلس السيادة بالقصر الجمهوري، وكان رئيسه في ذلك الوقت نابغة الأطباء السودانيين الدكتور الراحل **(التجاني الماحي)**.

وفي حفل استقبال كبير بالقصر الجمهوري كُنت ضمن المدعوين له ورتبتي العسكرية كانت بكباشا حيثُ كنتُ أعمل وقتها في حامية الخرطوم. وكان ضباط الجيش في ذلك الزمان من رتبة ضابط عظيم يدعون لحفلات القصر الرسمية حيثُ كان عددهم قليلاً.

وأطلت الملكة علينا يرافقها مضيفها الدكتور **(التجاني الماحي)** وزوجها ويتبعهما أعضاء حكومة أكتوبر. ولكثرة المستقبلين كانت لا تصافح باليد وإنما اكتفت بالإيماء برأسها. وعندما مرَّت أمامي وقفت بُرهةً وسألتني عن الرئيس عبود وقالت لي: **«إنني سأكتب له خطاباً»**. وهنا علق الطبيب الإنسان الدكتور **(التجاني الماحي)** على قولها بسرعة: **«يشرفني أن آخذ خطابك هذا بنفسي للفريق إبراهيم عبود فهو صديقي منذ عهد الشباب»**. وأحسب أن ذلك الكلام من الدكتور **(التجاني الماحي)** قد ترك أثراً وانطباعاً عظيماً عن أخلاق وسمو

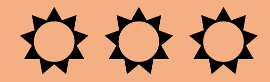
السودانيين. وفي ذات اليوم وبعد الزيارة مباشرة استدعاني سعادة القائد العام المرحوم **(الفريق خواض)** وطلب مني أن أذهب إلى القصر الجمهوري لمقابلة فخامة رئيس مجلس السيادة، فذهبت وتشرفت بلقائه وهو يعرفني معرفة شخصية. ثم ذهبتُ إلى الفريق **(إبراهيم عبود)** بمسكنه المتواضع بشارع سبعة وأربعين بالعمارات. وفي الموعد المحدد بعد الغد ذهبت للقصر ورافقت الرئيس **(التجاني الماحي)** بالعربة الرولزرويس الحمراء، ولعله قد اختارها بشكلٍ مخصوص حيثُ إنه أبو الطب النفسي بالسودان ليُري سكان العمارات أن **(عبود)** لا يزال يتبوأ مكان التجلة والاحترام. ولا بد أن يسموا الكبار فوق السياسة. وسلم خطاب الملكة الذي كان بخط يدها للفريق عبود، وكانت عباراته مؤثرةً للغاية. وقالت له في الخطاب:

[لو كان البروتوكول يسمح لزرتك في بيتك وأنت الذي دعوتني لزيارة السودان. ولو كان هناك شيئ واحد كدّر زيارتي للسودان فهو أنني لم أجدك، ولكن هذه هي السياسة].

وهنا يجدر بالذكر أن الدكتور **(التجاني الماحي)** والفريق **(إبراهيم عبود)** والسيد **(أحمد محمد إبراهيم المقبول)** عليهم جميعاً رحمة الله كانوا يسكنون متجاورين متحابين في **(عِزبة الأملاك)** بمدينة الخرطوم بحري في منازلهم الخاصة أيام أن كانوا في ريعان الشباب. وظلت تربطهم عُرى الصداقة القوية حتى رحلوا عن هذه الدنيا الفانية إلى عالم الخلود.

كان اللواء **(أحمد باشا محمد)** وقتها قد أصبح أول رئيس لمجلس بلدية الخرطوم بحري عند ظهور الحكم المحلي بالسودان، وهو بالطبع كبير الضباط

السودانيين. ولعل التاريخ قد أعاد نفسه، حيث إنَّ نفس الرفاس الذي أقل الملكة الأم في جولتها على النيلين الأزرق والأبيض ونهر النيل العظيم هو نفس الرفاس الذي استقلته الملكة وزوجها مع أعضاء مجلس السيادة في زيارتها سنة 1965م وربما يكون نفس (الريس) هو الذي قاد المركب كما قيل لي. وكانت العاصفة التي هبت على السودان كله هذه المرة قد أتت على الأخضر واليابس ولم تكن رحيمة (كالهبوب) التي شهدتها الملكة الأم في عام 1926م فدمرت وخرجت وطهرت، وهذا هو التاريخ الذي يسجل كل شئ.



الفصل الرابع

❄❄❄❄❄

حوار مع
الفاتح بشارة
عن شخصية عبود

الفصل الرابع

﴿حوار مع الفاتح بشارة عن شخصية عبود﴾

◆◆◆

كان (**الفاتح بشارة**) طوال حياته مؤمناً بأهمية الإعلام. وكان أكثر قواد السودان الذين يحترمون الإعلاميين ويكرمون وفادتهم ويجزلون لهم العطاء. وطوال مسيرته الحافلة بالعمل الوطني في مواقعه المختلفة ظل يهتم بما تكتبه الصحف، وما تبثه الإذاعات، وما تتناوله المحطات التلفزيونية، ليس عن شخصه فحسب وإنما عن كل ما يجري حوله في الداخل والخارج. ولذلك كان الإعلاميون السودانيون أكثر حزنا على رحيله من غيرهم.

وفي أحد الأيام جاءه الصحفي المتميز (**معاوية حسن ياسين**)[8] وطلب منه إجراء حوار صحفي عن شخصية الفريق إبراهيم عبود كأحد زعماء السودان

---

[8] معاوية حسن ياسين صحفي سوداني متميز، عمل بصحيفة الصحافة السودانية في بدايات حياته الإعلامية، وبعد ذلك انتقل للعمل بالمملكة العربية السعودية التي عينته مديراً لمكتب الصحيفة بلندن. وهناك انخرط في العمل مع القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية إلى جانب عمله في مكتب الصحيفة السعودية. وله العديد من الكتابات التي وجدت رواجاً منقطع النظير وعلى رأسها كتابه المكون من ثلاث مجلدات ضخمة عن تاريخ الفن السوداني.

الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه. وكان معاوية يعرف تماماً أنه لا يوجد من يتحدث عن شخصية الرئيس **(عبود)** أكثر من **(الفاتح بشارة)**. ولما كان الطرفان متميزين فيما قالاه فقد رأينا أن تكون مادة هذا الحوار المهم إحدى فقرات هذا الكتاب الذي لا يسعى إلا إلى التوثيق وتثبيت الحقائق كما جاءت من أفواه صناعها من رجال السودان الأوفياء. وفي البدء سأله الأستاذ معاوية عن صلته بالفريق **(إبراهيم عبود)**، ثم دلف إلى الغوص في شخصية الرئيس الراحل عبود من خلال رؤية صديقه **(الفاتح بشارة)** الذي كان أقرب الناس إليه على الإطلاق وساعده الأيمن طوال سنوات حكمه للسودان. وفيما يلي نص الحوار الذي نشرته صحيفة الحياة اللندنية:

س/ كيف بدأت صلتك بالرئيس الراحل ولماذا وقع الاختيار عليك لتعمل مديراً لمكتبه؟

ج/ كان أول عهدي بالفريق عبود رحمه الله أثناء صباي الباكر. وقد رأيته مراراً مع الفريق **(أحمد محمد)** أول قائد عام للقوات المسلحة بعد السودنة التي مهدت للاستقلال في منزل صهره ووالد زميلي في الدراسة **(مأمون المرضي)**. وكان يعرف والدي وعمي. وكان تأثري به شديداً إثر تلك اللقاءات. وعندما وقع انقلاب نوفمبر عام 1958م عُين القائم مقام العميد **(عثمان نصر)** مديراً لمكتب الرئيس. وما لبث أن عُين قائداً لسلاح المدرعات، فخلفه السيد **(مزمل سلمان غندور)**، وأعقبه النائب السابق لرئيس الجمهورية في عهد الرئيس جعفر نميري اللواء **(عمر**

محمد الطيب) مديراً للمكتب حتى مايو 1959م حينما تقرر ابتعاثه إلى إنجلترا. وكلف المرحوم عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة اللواء (**حسن بشير نصر**) باختيار خلف للواء (**عمر**) فعهد بالمهمة إلى اللواء (**إبراهيم أحمد عمر**). ولما كان الأخير يعرفني معرفة جيدة إذ كنت تلميذه في الكلية الحربية فقد رشحني للعمل مديراً لمكتب الرئيس. ولم يكن الأخير يعرف أن المرشح للوظيفة هو ذاك الصبي الذي كان يصادفه مراراً في منزل صهره. وأذكر جيداً حين دخلت عليه في مكتبه للمرة الأولى أنه بادر في طيبة ومحبة إلى مُعانقتي على الطريقة التقليدية السودانية على الرغم من فارق الرتبة. وقال لي مُداعباً: «**الله هو ده إنتَ؟!**». وعملتُ في ذلك الموقع لستِ سنوات. وأعتبره أهم موقع شغلته خلال حياتي العملية بالقوات المسلحة ومجلس الوزراء.



كان الرئيس عبود معجباً إلى أبعد الحدود بشخصية الشاب الفاتح بشارة وذكائه لذا اختاره مديراً لمكتبه وكاتماً لأسراره طوال فترة رئاسته للسودان

س/ كيف وجدت الفريق عبود؟ هل كان هادئاً في عمله اليومي مثلما يبدو للآخرين؟ وهل كان يتمتع بأي امتيازات؟

ج/ كان الفريق عبود أباً رحيماً رقيقاً. لم يكن ينفعل مُطلقاً. وكان لماحاً وذكياً على عكس ما كان يعتقد الكثيرون. وكان يحظى باحترام زملائه الضباط الكبار وأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة الحاكم آنذاك. وكان أميناً إلى أقصى الدرجات، فقد زيدت في عهده رواتب الضباط ولكنه رفض أن تشمل الزيادة راتبه الذي بقي طوال سنوات حكمه 130جنيهاً سودانياً حتى قررت حكومة ثورة 1964م التي أطاحت به اعتماده راتباً ومعاشاً للرئيس مدى حياته.

وتتجلى أمانته في حرصه الشديد على المال العام خصوصاً إبَّان الزيارات الرسمية للخارج. فقد رافقته في (16) زيارة رسمية لمختلف الدول وكانت العملة السودانية تُضاهي العملات الأجنبية الرئيسية. وأذكر تعليماته لوزير المالية (**عبد الماجد أبو حسبو**) بأن يسترد ما يتبقى من بَدَلات السفر التي تُصرف له ولأعضاء الوفد الذي يرافقه على الرغم من أن القانون يبيح للمراقبين الاحتفاظ بما يتبقى لديهم من نثريات. وكان دائماً يقول في مثل هذه المواقف: (**إن الضمير أعلى من القانون**). وقال ذات مرة: (**إذا كان قراري في هذا الشأن لم يرق لأحدكم فليمتنع عن مرافقتي في زياراتي المقبلة**). ولأن راتبي كان ضعيفاً فقد طلب مني أن أرد بقية بدل السفر الذي صرف لي على ثلاثة أقساط.

س/ كان الرئيس الراحل يبدو صارماً ويتحدثُ الكثيرون عن دقة مواعيده، فما هي الحقيقة؟

ج/ كان الرئيس عبود دقيقاً في مواعيده، ولذلك ظللتُ طَوالَ عملي معه أحمل ساعتين في أن معاً حتى لا يحصل أي سبب يمكنه أن يؤخرني عن الالتزام بمواعيد الرئيس وارتباطاته. وأذكر اجتماعه الدوري لأعضاء مجلس الوزراء الذي كان يُعقد مرتين أسبوعياً، إذ كانت تعليماته تقضي بإغلاق الأبواب عند تمام العاشرة صباحاً. وكانت تلك الأبواب لا تُفتح لأي وزير إذا تأخر بإستثناء المرحوم المحامي (**أحمد خير**) وزير الخارجية الذي كان عقلاً عظيماً وذكياً وجباراً ومتجرداً يقدره عبود كثيراً. وكان عبود قوي الشخصية يلين ويشتد حسب مقتضيات الحال، ولم يكن سهلاً أو منقاداً كما يدعي البعض.

س/ المُتتبع لأداء حكومة عبود يلاحظ أنها ربما كانت تُعاني صراعاً داخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، فهل هذا صحيح؟

ج/ لقد تفجرت الصراعات مراراً، ولعل أهمها الصراع الذي أسفر عن تنحية اللواء (**أحمد عبد الله**) الرجل الثاني في النظام، فكيف استطاع عبود تجاوز تلك الصراعات؟ في الواقع كان من حسن حظي أنني قد عُينت مديراً لمكتبه خلال الأسبوع الذي اعتقل فيه ضباط من أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذين لم يكونوا أعضاء فيه بعد وقوع الانقلاب منذ بدايته.

ويمكنني أن أصف انقلاب الفريق عبود بأنه كان (كمالياً) نسبة إلى تجربة مصطفى كمال أتاتورك في تركيا. كما أنه مثل تجربة ثورة مايو 1969م التي تزعمها

المشير نميري. حيث تصرف عبود وفقاً لمنطوق الدستور حين قام بانقلابه لأن إحدى مواد الدستور تلزم القوات المسلحة بالتدخل لصون البلاد وحمايتها إذا كانت تواجه خطراً عظيماً. وكانت الحكومات والأحزاب تتصارع وتتناحر لتنفض والعكس صحيح حتى أن بعض الدول الأجنبية بدأ يحشر أنفه في شئون البلاد. ولم تكن هناك تنمية. وبدأ الوضع الاقتصادي يتدهور. عندئذ لبت القوات المسلحة نداء الواجب وتولى قادتها إدارة البلاد حسب أقدميتهم العسكرية.

س/ هل كان للفريق عبود أصدقاء؟ وأين كان يقيم؟

ج/ عندما تولى الحكم كان يقيم في حي السجانة (جنوبي الخرطوم). وفي وقت لاحق شيدت له الدولة مسكناً متواضعاً داخل القصر الجمهوري (مكتب النائب الأول للرئيس حالياً). وكان له صديقان اصطفاهما من دون الآخرين هما: السيد (**محمد أحمد أبو رنات**) رئيس القضاء السوداني السابق الذي يحمل اسمه أحد مدرجات كلية القانون جامعة الخرطوم، والسيد (**مأمون المرضي**).

س/ كنا أحياناً نقرأ اسم الفريق عبود مقروناً بلقب باشا، فلماذا؟

ج/ نال عبود لقب الباشوية وهي رتبة عسكرية وفقاً لتقليد الجيش المصري الذي كان أساساً للقوات المسلحة السودانية قبل ثورة عام 1924م. وكان ملك مصر ينعم على ضباطه من رتبتي القائمقام إلى الأميرآلاي بالبكوية، ومن رتبة لواء إلى فريق بالباشوية. ونال اللقب من السودانيين الفريق (**أحمد باشا محمد**) أول قائمقام عام سوداني والفريق (**إبراهيم باشا عبود**) و (**أحمد باشا عبود**).

س/ ولكن هل كانت لعبود أي صلة بمصر؟ هل درس هناك مثلاً؟

ج/ ينتمي الفريق عبود إلى قبيلة الشايقية المعروفة في شمال البلاد. ومازلت أذكر الشلوخ التي تتألق على جانبي وجه والده الذي كانت صورته الكبيرة تزين جدار منزل الرئيس الراحل. أما صلته بشرق السودان فهي جغرافية فقط. فقد كان عمه سر تجار سواكن التي ظلت خاضعة للسيادة التركية إبّان الثورة المهدية. وقد درس المرحلة الإبتدائية في مدرسة رفاعة بوسط السودان وأمدرمان التي تعتبر واحدةً من أقدم ثلاث مدارس أنشأها الأتراك في السودان.

وكان رفيق دربه الفريق (**أحمد باشا محمد**). ويبدو أن والد المطرب السوداني الكبير (**عبد الكريم الكابلي**) كان أيضاً رفيقاً لدراسته، إذ طالما حدثني عن مهارة والد الكابلي في العزف على المزمار. وأذكر أنه فرح للغاية حين التقى المطرب الكابلي واستمع إلى غنائه في إحدى المناسبات. وعلى رغم أن عبود ترعرع في شرق السودان فهو لم يحذق النطق بعامية أهل الشرق، على العكس من رفيق كفاحه الفريق (**أحمد باشا محمد**) الذي ربما ساعده في ذلك إنتماء والده إلى قبيلة الحلنقة المعروفة بشرق البلاد وتعززت الصلة بينهما بعدما اقترن الفريق أحمد باشا بشقيقة الرئيس الراحل عبود.

س/ ما هي حياة عبود الاجتماعية؟ هل تزوج أكثر من مرة؟

ج/ زف عبود أولاً إلى كريمة عمه وأنجب منها إبنه البكر العميد (**أحمد إبراهيم باشا عبود**) وبنتاً سُميت التومة (التوأم). ثم تزوج السيدة (**سكينة**) وهي من آل المرضي

المعروفين في الخرطوم. وأنجب منها إبنه المرحوم (**علي إبراهيم عبود**) ثم المهندس (**محمد إبراهيم عبود**) وطبيب أمراض الكلى المعروف الدكتور (**عمر إبراهيم عبود**) وهو يعمل في العاصمة القطرية الدوحة، والمهندس (**خالد إبراهيم عبود**) وبنته (**سلمى إبراهيم عبود**). وكان الرئيس عبود يعود إلى منزله كل يوم بعد انتهاء الدوام في الثانية بعد الظهر، ويكرس بقية يومه لأسرته. وكان حريصاً على أن يتلقى أولاده أفضل دروسٍ ممكنة. ولذلك كان يجلب لهم معلمين خصوصيين لتقويتهم في مادتي الحساب واللغة الإنجليزية. وقد درس ابنه محمد الهندسة في جامعة لندن، وتخرج ابنه عمر في كلية الطب بجامعة الخرطوم إبَّان مجدها العلمي الرفيع. ثم ابتعث إلى بريطانيا لتحصيل مزيد من المعارف الطبية حتى أصبح من أبرز الأطباء المختصين في علاج أمراض الكُلى في دولة قطر.

س/ كيف كان الرئيس عبود يبدأ يومه العملي؟

ج/ كان يستيقظ في الرابعة صباحاً ليتابع الإذاعات العالمية. وكان يملك عدداً من أجهزة الراديو يضبط مؤشر كل واحد على إحدى الإذاعات الكبيرة مثل هيئة الإذاعة البريطانية، وإذاعة القاهرة، وإذاعة أمدرمان الخ.. وقد كان أول سوداني يعلم بخبر اغتيال الرئيس الأمريكي (**جون كينيدي**) حيث اتصل بي فوراً على الخط الساخن وطلب مني إبلاغ الأستاذ (**أحمد خير**) وزير الخارجية آنذاك. وأخطر الأخير السفير الأمريكي لدى السودان الذي لم يكن قد عرف شيئاً عما حدث لرئيس دولته لأنه كان يمارس الرياضة مع مجموعة من أصدقائه السودانيين في ما يُسمى الآن (**مجمع اللواء طلعت فريد**) للألعاب الرياضية بالخرطوم.

س/ هل كان للفريق عبود أي إسهامات في الحياة المدنية العامة قبل استيلائه على السلطة في نوفمبر 1958م؟

ج/ بحكم تأهله الأساسي في الهندسة وعمله في الأشغال العسكرية فقد ذكر لي أنه كان ضمن المهندسين الذين شيدوا المباني الاستعمارية الفخمة التي لا تزال تشكل معلماً من معالم الخرطوم كمبنى وزارة المالية المطل على النيل الأزرق، ودار الحقانية (الهيئة القضائية حالياً)، ووزارة الزراعة على شارع الجامعة. وكان عبود وصهره الفريق (**أحمد باشا محمد**) من أوائل السودانيين الذين التحقوا بالحملة الميكانيكية (سلاح النقل حالياً). وهما اللذان دربا السودانيين على قيادة السيارات في أول عهدها، وكان ذلك في حوالي عام 1937م. ومن واقع التجارب الهندسية الكبيرة كانت له ملاحظات فنية على المشاريع الكبيرة التي أنجزت في عهده مثل مشروع السكر في خشم القربة وخزان الرصيرص.

س/ كثير من السودانيين يحارون في معرفة الدوافع التي أملت على الفريق عبود الاستيلاء على السلطة، فماذا تراها أنت؟

ج/ لم يكن عبود ساعياً إلى سلطة. وكان يدرك أنه سيتقاعد للمعاش بحكم بلوغه السن القانونية في شهر يونيو عام 1959م. وكان ينوي أن يفتتح لنفسه محلاً لبيع الدراجات وإصلاحها ليقتات منه. وكان يرأس الحكومة آنذاك (**عبد الله بك خليل**)، وكانت حكومته مكونة من ائتلاف بين حزب الأمة الذي كان عبد الله بك أميناً عاماً له وحزب الشعب الديمقراطي بزعامة الشيخ (**علي عبد الرحمن**).

وكان الحزب الوطني الاتحادي في المعارضة. سافر الشيخ على عبد الرحمن إلى مصر وأجرى محادثات هناك أسفرت عن اتفاقية مع السيد **(علي الميرغني)** على فض الائتلاف بين حزبي الشعب الديمقراطي والأمة والتحالف مع الحزب الوطني الاتحادي لإسقاط حكومة **(عبد الله بك خليل)**. وبما أن الأخير كان عسكرياً في الأصل قبل تحوله إلى العمل السياسي فقد رأى بحسه العسكري ضرورة أن يتولى الجيش السلطة حتى تستقيم الأوضاع السياسية، ولذلك تلقى الفريق عبود القائد العام للقوات المسلحة أمراً من رئيس الوزراء بتولي السلطة. وهذه الواقعة أكدها لي الفريق عبود بنفسه، مما يؤكد ما يُقال بأن الأمر لم يكن انقلاباً وإنما كان تسليماً وتسلماً.

كان عبود ومساعدوه وأعمارهم متقاربة يرومون الإصلاح. وقد تجلى ذلك في المعنى العام لبيانهم الأول الذي تلاه عبود بنفسه. ولعل أكبر دلالة على زهدهم في السلطة أنهم لم يسعوا طوال سنوات حكومهم إلى تكوين حزب سياسي، بل ركزوا بدلاً عن ذلك على تطوير نظام الحكم المحلي والإقليمي، وبدأوا بتكوين مجلس مركزي ليتطور إلى مجلسٍ تشريعيٍ ودستوري. ثم أقاموا مجلس المديريات المنتخب. وجعلوا لكل مديرية موازنة مستقلة وهيئة تشريعية إقليمية. صحيح أننا ورثنا الحكم المحلي من عهد الاستعمار البريطاني، إلا أنه كان في فترة البريطانيين أشبه بالمنتديات أو الجمعيات الأدبية. وكانت السلطة تتركز بيد المفتش الإداري البريطاني الذي كان هو المرجعية الوحيدة في مديريته إدارياً وقضائياً. وأعتقد أن اللجنة التي طلب منها الفريق عبود تطوير الحكم المحلي برئاسة رئيس القضاء الراحل

(محمد أحمد أبو رنات) قد وضعت اللبنة الأولى لإحداث نقلةٍ إدارية حقيقة. ولكن اندلاع ثورة أكتوبر 1964م ربما حرم السودان من الاستفادة من مجهوداتها.

س/ رعى الفريق عبود عدداً من مشاريع التنمية الكبرى مثل مشروع المناقل الزراعي العملاق، ولكن الرجل مع ذلك يوصف في أدبيات السوادنيين بأنه دكتاتور فماذا تقول في ذلك؟

ج/ لو كان كذلك حقاً لقمع ثورة 1964م في مهدها. وكان بإمكانه أن يأمر الجيش بالتدخل لعرقلة المظاهرات والاجتماعات الحاشدة. وفي واقع الأمر فإن للكثير من الناس مصلحة في إخفاء الحقائق لشيء في أنفسهم. نعم لقد كان هناك شيء من التململ وسط بعض القطاعات، وربما كان سببه اكتمال مشاريع التنمية الكبرى خصوصاً في المدن وعززته رغبة بعض الأحزاب السياسية في العودة إلى السلطة. ولكن من المؤكد أن عبود لم يكن معزولاً طوال سنوات حكمه. فقد شارك الشيوعيون في انتخابات المجلس المركزي، وأسهم حزب الشعب الديمقراطي وهو حركة اتحادية بإصدار المذكرة التي اشتهرت بمذكرة كرام المواطنين، وقد كنت شاهداً على كل ملابساتها ووقائعها. وأنا أقول للأمانة والتاريخ أن هناك ضابطاً في القوات المسلحة كان يرى أن يُصدر الفريق إبراهيم عبود قراراً بحل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ليس بغرض تسليم السلطة إلى الشعب وإنما لتهيئة المسرح لقادم جديد بإيعاز من أحد الأحزاب السياسية المشار إليها. ولكن بعد استشارة زملائه أعضاء المجلس الأعلى وبالطريقة التقليدية السودانية الزاهدة في السلطة عدل عن ذلك. والمدهش أن الحزب الذي أشرت إليه غَيَّر رأيه بعد صدور قرار الحل. وفجأةً

اندلعت المظاهرات تطالب برأس ذلك الضابط الذي اعتقل أسوة بزملائه من كبار الضباط، وتم نقله إلى سجن زالنجي في دارفور بغرب السودان. صحيح أنه كانت هناك نَواةٌ لما يسمى حركة الضباط الأحرار، ولكني لا أعتقد أنهم كانوا المحرك الأساسي لثورة أكتوبر 1964م كما يدعون. وأستطيع أن أؤكد أنهم كانوا وراء رفض عودة الضباط إلى الحكم بعد حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

س/ تردد كثيراً أن استشراء الفساد في المنظومة العسكرية العليا كان وراء ثورة الشعب على الجنرالات، فكيف كان الفساد يومذاك؟

ج/ عقب تغيير كل نظام يتداول الناس حكايات غريبة عنه وعن رجاله وبعد ثورة أكتوبر 1964م راجت أحاديث وحكايات كثيرة عن الفساد. ولعل أبرزها ما قيل عن أن عضو المجلس الأعلى اللواء (**حسن بشير نصر**) كان يعلف جياده الزبيب. ووصم قادة ثورة أكتوبر 1964م أسلافهم بكل ما هو معيب ومشين. ورغم أن المحاكم قد نصبت إلا أنها لم تثبت أي تهمة فساد على الضباط الكبار. ولم يظهر أي دليل على فساد ذمم أولئك الضباط. وخلاصةُ القول أن الفريق (**إبراهيم عبود**) توفي فقيراً في منزله في شارع (45) بحي العمارات بالخرطوم، ومات اللواء (**حسن بشير نصر**) فقيراً، ومات اللواء (**محمد مجذوب البحاري**) في مسكنه بحي المساكن الشعبية بالخرطوم بحري وهي قطع الأرض نفسها التي وزعت للمواطنين الفقراء في عهده. ولعل الهدف من تداول تلك الشائعات والحكايات الملفقة لم يكن إلا لتشويه صورة أولئك القادة والضباط في أذهان الآخرين. وقد أطلت هذه

الممارسات مرة أخرى إثر سقوط نظام الرئيس (**جعفر محمد نميري**) وهي بلا شك ظاهرة مؤسفة نتمنى أن تبرأ منها أجيالنا المقبلة.

س/ هل كان هناك جهاز أمن في نظام الرئيس عبود؟

ج/ كلا، فقد كان السيد (**محمود أبارو**) وهو ضابط شرطة رفيع المستوى قد عُين مسؤولاً عن القسم الخاص التابع لرئاسة الشرطة، واختير لمعاونته عددٌ من ضباط الشرطة الأكفاء وهم: (**عبد القادر الأمين**) و(**زيادة ساتي**) و(**التهامي مدني**). وكان هؤلاء يأتون بتقرير يومي للرئيس عبود في مكتبه عن حالة الأمن في جميع أرجاء البلاد. ليس معنى ذلك أن الرئيس عبود كان معزولاً عما يجري في المدن السودانية على الصعيد الشعبي، بل أن أجهزة أخرى كانت تطلع الرئيس بانتظام على مايدور في البلاد كوحدة الاستخبارات العسكرية وقسم المباحث الجنائية التابعة لوزارة الداخلية.

س/ تعرض حكم عبود لمحاولتي انقلاب الأولى لم تنته بأحكام قاسية والثانية انتهت بإعدام الضباط الذين حوكموا، فما هي أول ملابسات أو حكم إعدام نفذها النظام الجديد؟

ج/ تزعم محاولة الانقلاب الأولى الأخوان شنان (شنان إخوان) كما كان يُطلق عليهما في السودان. وقد أمر الفريق عبود الضباط بالانضباط الذي تتطلبه ظروف البلاد. وحوكم الأخوان شنان ورفاقهما علناً أمام أجهزة الإعلام. أما المحاولة الثانية

فقد اتُهم فيها عددٌ من الضباط أبرزهم (**علي حامد**) و(**الصادق محمد الحسن**) و(**عبد البديع علي كرار**) بتدبيرها وتنفيذها.

وكانت المحاولة مرصودة، وقد وجه الرئيس عبود تحذيراً إلى (**علي حامد**) من خلال عمه السيد (**الدرديري محمد عثمان**) عضو لجنة الحاكم العام التي مهدت للاستقلال لكنه لم يرعو واتفق مع عدد من الضباط منهم (**عبد الحميد عبد الماجد**) صهر (**محي الدين شنان**) وضباط من خارج الخدمة العسكرية فُصلوا لارتباطهم بمجموعة انقلابية سابقة ومنهم الطيار الحربي (**الصادق محمد الحسن**) و(**عبد البديع علي كرار**) و(**يعقوب كبيدة**).

وقد خالف هؤلاء قانون القوات المسلحة بإرتداء البزة العسكرية وكسروا مستودعات الأسلحة في الكلية الحربية وقرروا تصفية القائد العام وأعضاء المجلس الأعلى، وقد تحركوا مع الموالين لهم صوب القيادة العامة لكن القائد العام اللواء (**حسن بشير نصر**) تصدى لهم بقوة سلاح الهجانة التي ردعتهم أثناء مراحل التنفيذ الأولى.

وشكل المجلس الأعلى للقوات المسلحة محكمةً عسكرية برئاسة اللواء (**محمد التجاني**)، وتقدم عددٌ من كبار المحامين في السودان للدفاع عنهم. وكانت جلسات المحاكمة تُبَثُ يومياً عبر الراديو. وحُكم عليهم بالإعدام، ووافق المجلس الأعلى في اجتماعٍ عُقدَ بكامل هيئته على الأحكام بالإجماع. ولكن الفريق عبود كان يشعر بأسفٍ شديد على قسوة القرار بحكم أبوته وكبر سنه. ولكنه كان يؤمن في نفس الوقت بأن الأقدار هي شاءت ذلك.

س/ كيف كان عبود ينظر إلى مهمة ضباط القوات المسلحة؟ هل كان يطالبهم بعدم ممارسة السياسة؟

ج/ كان الرئيس عبود شديد الانضباط. وكان إذا قرأ شئياً في الصحف كتبه أحد الضباط يوجه بإبلاغه بأن عليه الالتفات إلى مهماته العسكرية. وتجربة عبود أشبه ما تكون بتجربة (**مصطفى كمال أتاتورك**) في تركيا. وليت ما حدث بالسودان بعد نجاح ثورة أبريل 1985م كان شبيهاً بتلك التجربة التي وضعت قانوناً صارماً لتنظيم عمل الأحزاب السياسية وضبط الممارسة السياسية برمتها ومراقبة الموارد المالية للأحزاب ومنع اتصالها بجهات أجنبية، ووضع أسس للعمل الصحفي الحر. فلو حدث هذا ما كان السودان قد دخل فيما دخل فيه.

س/ شارك زعماء حزبي الأمة والوطني الاتحادي في الثورة التي أطاحت بعبود. لكن العلاقة بينه وبين عميدي بيتي المهدي والميرغني لم تكن بتلك الدرجة أليس كذلك؟

ج/ جاء عبود أصلاً من منطقة شرق السودان التي تقع تقليدياً ضمن معاقل الطائفة الختمية، ولكنه كان يعتبر نفسه شخصاً قومياً غير مُنحاز لأي فئة في البلاد. ولذلك كان يحترم آل المهدي. وربما تجلى احترامه للبيتين الكبيرين في سماحه للسيدين (**علي الميرغني**) و(**عبد الرحمن المهدي**) بمقابلة الرئيس اليوغلافسي (**جوزيف بروز تيتو**) عند زياته للسودان. كما سمح الرئيس عبود لكل من السيدين (**علي الميرغني**) و(**عبد الرحمن المهدي**) بإقامة حفل شاي في السرايا الخاصة بكل منهما عل شرف الرئيس (**جمال عبد الناصر**) لدى زيارته للسودان. ولا زلت أذكر

دوي هتاف آل المهدي حين قال الرئيس (**جمال عبد الناصر**) أمامهم في سرايا المهدي: «**إن مصر الحرة المستقلة سندٌ للسودان الحر المستقل**». وللأمانة والتاريخ لم يكن عبود خاضعاً لأي تدخلات مصرية طوال حكمه.



زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للسودان، ويظهر الصاغ الفاتح بشارة مدير مكتب الرئيس عبود وبجانبه صديقه الأميرآلاي الزين حسن الحاكم العسكري لكردفان آنذاك. ويظهر خلف الرئيسين اللواء حسن بشير نصر نائب الرئيس عبود.



الصاغ (الفاتح بشارة) في فندق هيلتون النيل، يدخل الزعيم جمال عبد الناصر على الرئيس عبود في جناحه بالفندق أيام مؤتمر القمة العربية عام 1962م

س/ يُحكَى أن خلافاً حصل بين الرئيس عبود والسيد على الميرغني في شأن طلب الأخير عدم نقل القائد المهدوي عثمان دقنة من حلفا (أقصى الشمال) إلى مسقط رأسه في شرق السودان الذي يُعد من معاقل نفوذ الميرغني.

ج/ كانت مسألة نقل رفات البطل (**عثمان دقنة**) الذي احتُجز بعد القضاء على الدولة المهدية ونُفيَ ومات بحلفا القديمة في عام 1926م مرتبطة بطلب أهل منطقة (**حلفا القديمة**) نقل كل متعلقاتهم وممتلكاتهم بعد قرار تهجيرهم إثر الاتفاق مع مصر في شأن تنفيذ خزان السد العالي. وقد أثار الموضوع الوزير (**زيادة أرباب**) بحكم أن مصلحة الآثار تتبع لوزارته. وتطور الأمر إلى جِدالٍ بين الأنصار والختمية كاد أن يُفْضِي إلى فتنة لولا حكمة الرئيس عبود.

س/ هل كان الرئيس عبود يلتقي بالسياسيين من زعماء العهد الديمقراطي الذي أطاح به انقلابه؟

ج/ لم يُمانع في مقابلة أي سياسي طلب مقابلته. وأذكر جيداً أنه التقى بوزير الخارجية السابق (**مبارك زروق**) والوزير السابق (**يحي الفضلي**) وكلاهما من قادة الحزب الوطني الاتحادي. إلا أن الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) لم يطلب مقابلة عبود.

س/ يتحدث السودانيون كثيراً عن رحلات الفريق عبود الخارجية ويضربون المثل بنجاحها، فكيف كان يأمر بتخطيط برامج رحلاته؟

ج/ لم يكن عبود يقبل دعوة رسمية إلى زيارة أي دولة مالم تكن ممهورة بتوقيع رئيس الدولة الداعية. وأذكر أنه رفض تلبية دعوة إلى زيارة إلى بريطانيا وقال لنا إنه لن يلبي الدعوة ما لم تكن صادرة عن الملكة (**أليزابيث الثانية**). وجرت اتصالات بين حكومتي البلدين، وعدل كتاب الدعوة باسم الملكة. وحين وصلنا إلى بريطانيا وجدنا الملكة وزوجها في استقبالنا بمحطة فكتوريا.

وأذكر أننا رافقناه إلى أسكتلندا، وهناك حذر أحد الضباط البريطانيين الفريق عبود عن ضرورة أن يقطع رحلته لأستكلندا بسبب خوف الشرطة من نية جماعات تبشيرية مسيحية في إغتياله. والسببُ أنه كان قد أصدر قرارات بإبعاد المبشرين من جنوب السودان بسبب تورط بعض القساوية في الحرب الأهلية هناك. ولكن الرئيس عبود رفض مُطلقا فكرة قطع الزيارة. وقد ناقشني الضابط البريطاني المسؤول في ذلك فقلتُ له: «**إن الفريق عبود رأى في حياته الكثير من الأهوال فماذا عساه سيرى أكثر مما رأى؟**» فأُعجب الضابط بشجاعة عبود. ومن الزيارات التي لاتنمحي عن الذاكرة زيارته ليوغسلافيا تلبية لدعوة الرئيس المارشال (**جوزيف بروز تيتو**).

وأعتقد أن عظمة الاستقبال وضخامة الحفاوة التي قُوبلنا بها هناك تعزى إلى رغبة تيتو في رد الحفاوة الكبيرة التي قُوبل بها في السودان بمثلها أو بأحسن منها. وقد حرص تيتو على توجيه دعوتين شخصيتين خلال تلك الزيارة إلى حاكم مديرية كردفان العميد (**الزين حسن**) وضابط بلدية مدينة الأبيض عاصمة كردفان (**محمد السيد الشعار**). أما الزيارة المميزة للرئيس الراحل عبود فقد كانت زيارته إلى مصر تلبية لدعوةِ الرئيس (**جمال عبد الناصر**). وكانت علاقتنا مع مصر منظمة وراسخة

آنذاك وربما كان ذلك عاملاً رئيسياً في التوصل إلى اتفاق مياه النيل مع مصر في عام 1959م.

س/ لكنَّ الكثيرين يتحدثون عن تفريط عبود في حقوق السودان في المياه وقبوله تعويضات ضئيلة في مقابل إغراق منطقة وادي حلفا. وأظنك تذكر مظاهرات أهالي حلفا الذين رفضوا بديلاً من منطقتهم حتى لو أعطوهم لبنان، فماذا تقول؟

ج/ للأمانة والتاريخ أقول أن تلك الاتفاقية لم تكن مُجحفة بحق السودان كما يقال الآن. والواقع أن ما أثاره أهالي حلفا من ضجة كان نابعاً من رغبة معظمهم في أن يُنقلوا إلى مواقع في جنوب الخرطوم حيث تصلح المنطقة للسكنى. وفي الوقت نفسه كان المزارعون يريدون المنطقة التي وقع عليها الاختيار أصلاً وهي منطقة خشم القربة لأنهم يريدون مشاريع زراعية وأراضي شاسعة. وقد شهدت الصحافة العالمية آنذاك بضخامة مشروع خشم القربة وملاءمته لإيواء أولئك المواطنين. وأنا لا أقر الانتقادات التي وجهت إلى التعويضات التي حصل عليها السودان من مصر ولا الحديث عن تفريط بمياهنا لأننا حسبما أعتقد لن نستطيع استغلال حصتنا الكاملة من مياه النيل حتى القرن المقبل. والواقع أن زيادة حصتنا المائية بموجب اتفاقية 1959م أدت إلى زيادة الرقعة الزراعية خصوصاً الأراضي المروية رياً اصطناعياً.

ومن المفارقات أن انتقادات مماثلة وجهت إلى الرئيس السابق (**جعفر نميري**) بعد التفكير في مشروع قناة جونقلي في جنوب السودان. ولو تمَّ تنفيذه لازدادت حصتنا وحصة مصر من المياه زيادة كبيرة، ولأمكننا الحصول على قدر

أكبر من الطاقة الكهربائية التي نحنُ في أشد الحاجة إليها. ومع أن أطروحة الدكتوراه التي حصل عليها زعيم الجيش الشعبي لتحرير السودان العقيد **(جون قرنق)** كانت عن مشروع القناة إلا أنه قد اختار مع ذلك أن يأمر قواته بقصف الحفارة الفرنسية التي صُنعت خصيصاً لهذا المشروع العملاق والتي دخلت موسوعة الأرقام القياسية باعتبارها الأكبر من نوعها في العالم.

س/ ألا تعتقد أن سياسة الفريق عبود تجاه الجنوب أدت إلى تأجيج نار التمرد والحرب الأهلية؟

ج/ كلا، على الرغم من اتهام الناس لعبود بانتهاج حل عسكري وما يسمى سياسة الأرض المحروقة إلا أن عبود رغبةً منه في إيجاد حلٍ سلميٍ للمشكلة فقد أمر بتكوين لجنةٍ اختار لرئاستها السيد **(سر الختم الخليفة)** وهو من أبرز المثقفين السودانيين، وقد ترأس الحكومة المدنية التي خلفت الفريق عبود وذلك بحكم خبرته بالجنوب حيث عمل نائباً لمدير المعارف (وزارة التربية)، وعلَّم صفوة المثقفين الجنوبيين. كلف الرئيس عبود تلك اللجنة ببحث أصول المشكلة من جذورها لإيجاد الحلول لها. وكان يمكن أن يصل إلى حل وفقاً لتوصيات تلك اللجنة، إلا أن اتحاد طلبة جامعة الخرطوم استبق تلك الترتيبات وأقام ندوة الأربعاء الشهيرة التي اندلعت بعدها الصدامات وواكبتها التظاهرات التي أصبحت سبباً في زوال حكم الفريق إبراهيم عبود. وبالطبع فإن التعليل الشائع هو أن قسوة النظام على حشد الطلبة في تلك الليلة كانت لا بد أن تدفع الجماهير إلى الانتفاضة. وما حدث تلك الليلة كان تصرفاً فردياً من ضابط شرطة صغير أمر أفراد قوته بدخول الحرم الجامعي

وهـو لا يعلـم شـيئاً عمـا يشـبه الحصـانة الـتي يحظـى بهـا الحـرم الجـامعي عـادة. ولمـا اقتحمت القوة الجامعة حاصر الطلبة الذين كانوا مسلحين بالحجارة والسيخ أحد عناصرها وكادوا يقتلونه فاضطر الشرطي إلى إطلاق عيار ناري لتخويف محاصريه ولم يحب حساباً لاتجاه الطلقة ولا مسارها فقد كان مرعوباً لأبعد الحدود. وتصادف أن كان الطالب (**أحمد القرشي طه**) وكان صغيراً وحديث عهد بالجامعة كان يمر من الغرفة المخصصة لسكناه إلى دورة المياه الملحقة بالداخلية في مجمع داخليات الطلبة الذي كان أصلاً ثكنات للقوات البريطانية التي استعمرت البلاد.

وللحقيقة والتاريخ فإن المرحوم (**أحمد القرشي**) لم يكن مشاركاً في تلك الندوة السياسية ولكنَّ زملاءه أعتبروه شهيداً واحتشدوا أمام مشرحة مستشفى الخرطوم احتجاجاً على مقتله. وفي الصباح التالي اتصل بي مدير جامعة الخرطوم آنذاك البروفسير (**النذير دفع الله**) طالباً باسم الجامعة الاستئذان من الرئيس للسماح للطلبة والأستاذة بالصلاة على جنازة القرشي في ميدان عبد المنعم (**نادي الأسرة حالياً**) بمنطقة الخرطوم جنوب، فوافق الرئيس عبود. وأعتقد أن الإمام الذي قاد صلاة الجنازة هو السيد (**الصادق المهدي**). وبعد ذلك خاطب صهره الدكتور (**حسن الترابي**) المصلين طالباً التفرق في هدوء مؤكداً أن له شأناً مع العسكر. وكان الحشد كبيراً وانطلقوا يتظاهرون ويهتفون، وأضرم بعضهم النيران في السيارات. تلك حقيقةً هي بداية ثورة أكتوبر على الرغم من أن الكثيرين قد أراقوا المداد مُدَّعين أنهم هم الذين خططوا لها، والواقع أنه لم يخطط أحدٌ مُطلقاً لما حدث في أكتوبر.

س/ هل كنتم تنقلون أنباء التظاهرات الغاضبة إلى الرئيس عبود؟

ج/ كنت غائباً عن مكتب الرئيس في الأيام الأولى للاضطرابات، وذلك لحضور دورة دراسية في كلية القادة والأركان التابعة للقوات المسلحة. غير أني سرعان ما قطعت دراستي بعد أن أبلغني أحد أعضاء المجلس الأعلى الحاكم بأن بعض التقارير الأمنية الواردة إلى الرئاسة من المدن الإقليمية الكبيرة كانت تنطوي على تضليل وتضمن بعضها صوراً سيئة للاحتجاجات مما حدا بالرئيس عبود للخروج عن وقاره المعهود ليقول: «**طالما كان الشعب لا يريدنا فنحن كذلك لا نريد أن نحكمه، خلاص نمشي ومع السلامة**».

وبعد قليل جمع الفريق عبود أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة وتلى عليهم بياناً بذلك المعنى، ووافقوا عليه قبل توجيه الإذاعة ببثه. واعتقد أنه لو كان عضو المجلس المرحوم الأميرآلاي (**المقبول الأمين الحاج**) موجوداً في البلاد لتغير مسار الأمور تماماً، إلا أنه كان في زيارة خارج البلاد للملكة العربية السعودية. فقد كان رجلاً شجاعاً وذكياً وعلى علاقات طيبة مع جميع الفصائل السودانية على اختلاف توجهاتها.

س/ كيف يمكن أن تصف لنا تنحي الرئيس عبود عن الحكم؟

ج/ يمكن القول إن خروجه من السلطة كان تسليماً وتسلماً على مستوى رفيع. وكانت عملية التنحي أبرز مثال لرفعة أخلاق السودانيين، فقد تحقق وفاقٌ تام بين جبهة الهيئات التي تولت السلطة وبين لجنة الضباط الكبار. وظلَّ الفريق (**عبود**) رئيساً على رغم تنحيه إلى أن نجح أعضاء جبهات الهيئات في التوصل إلى اتفاق سياسي في شأن تكوين مجلس السيادة (القيادة الجماعية التي حكمت البلاد بعد

ذلك). وللحقيقة والتاريخ لا بد أن أقول: **«إنَّ عبود لم يقبل الاستمرار في الرئاسة حباً منه في المنصب ولا مزاياه، ولكنه تشاور مع عدد من زملائه وأصدقائه أذكر منهم اللواء أحمد عبد الوهاب ورئيس القضاء السابق السيد محمد أحمد أبو رنات»**.

س/ وما الذي حصل في آخر يوم له في الحكم؟

ج/ طلب مني وزراء حكومة السيد **(سر الختم الخليفة)** في آخر يوم للفريق عبود في القصر الجمهوري أن أعرف منه تحديداً أن كانت طلبات خاصة أو شخصية فأبلغني بأنه يتمنى على الحكومة الجديدة أن توافق على استمرار قيام بنك السودان (المصرف المركزي) بتحويل مصروفات ابنه محمد الذي كان يدرس الهندسة في إنجلترا. وقد اجتمعت الحكومة ووافقت على الطلب، وأصدرت قراراً بأن يتحول الراتب الشهري للفريق عبود وكان يبلغ (130) جنيهاً سودانياً معاشاً دائماً. ومن المفارقات أن حكومة أكتوبر التي أرغمت عبود على التنحي هي التي سمته رئيس دولة بينما كان هو يصف نفسه برئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وكان تلك الحكومة نفسها هي التي منحته سلطات رأس الدولة التي كانت موزعة في السابق على أعضاء المجلس الأعلى الحاكم.

س/ وهل تغيرت المعاملة التي لقيها الرئيس الراحل من جانب الحكومة بعد تقاعده؟

ج/ كل الحكومات التي أتت بعد تنحيه حرصت على احترامه والتعامل معه بما يحفظ له كرامته ومكانته لدى أبناء شعبه. وقد سعت جبهةُ الهيئات إلى اعتقال عدد من زملائه ووزير الخارجية المحامي (**أحمد خير**) ونُقلوا إلى سجن زالنجي في أقصى غرب البلاد، وهي من السلبيات التي تحسب على جبهة الهيئات. وبعد ذلك حصلت الجبهة على أمر قضائي يقضي باعتقال الرئيس (**إبراهيم عبود**) إلا أن القائد العام للجيش ونائبه تدخلا لمنع تنفيذ القرار. وهو حسب علمي ومتابعتي القرار القضائي الوحيد الذي لم ينفذ في السودان منذ استقلاله.

وأذكر أن عبود انتقل من القصر الجمهوري مقره الرسمي إلى منزل ابن أخيه (**الفاتح عبود**)، ثم انتقل إلى منزله في شارع (45) في حي امتداد الدرجة الأولى في الخرطوم. وقد تفضل الرئيس السابق (**جعفر محمد نميري**) فأمر بحراسة دائمة للفريق عبود وذلك في أعقاب حادثة تهجم لص على منزله وتهديده بسكين معتقداً أن عبود يملك ثروة طائلة. وقد اتصلت حرمه السيدة سكينة بالرئيس نميري وأبلغته بالحادثة فأمر فوراً بوضع حراسة دائمة أمام منزله.

وللتاريخ أيضاً أذكر أنني اتصلت بالرئيس (**جعفر نميري**) في أحد الأيام وأبلغته بأن قرينة الفريق عبود مريضة فأمر بأن تتحمل الدولة نفقات علاجها في بريطانيا مع مرافق. وأصدر لاحقاً قراراً آخر بتعديل معاش الفريق عبود. ومن الأشياء التي لا بد من أن تُحمد لنميري أذكر أنني أثناء عملي كحاكم لإقليم كردفان في 1983م كنت في منزلي بالخرطوم وهو لايبعد كثيراً عن منزل الفريق عبود فطرق باب منزلي أحد أبناء الرئيس عبود ليبلغني بأن والده أسلم الروح لبارئها قبل لحظات. وذهبت على الفور لمنزل الرئيس نميري في القيادة العامة للجيش نحو الرابعة

صباحاً فاستيقظ واستقبلني باشاً، فرجوته أن يأمر بتنظيم جنازة عسكرية لعبود وفقاً للتقاليد بوصفه قائداً سابقاً للجيش السوداني. فأمر نميري بإعلان فترة حداد رسمي، ووجه بنقل النعش إلى نادي ضباط قوات الشعب المسلحة، وتقدم بنفسه المشيعين رغم معارضة مسؤولي الأمن. وشارك معنا في مسيرة الجنازة من منزل الراحل الفريق **(إبراهيم عبود)** إلى مثواه الأخير عند ضريح السيد **(علي الميرغني)** في الخرطوم بحري. وكان موكباً مهيباً، وقد هزني على وجه الخصوص الوفاء الذي أبداه المواطنون الذين يسكنون في المساكن الشعبية التي كان عبود وراء إنشائها وتوزيعها عليهم.

س/ هل كان عبود يقوم بأي نشاط بعد تنحيه وقبل وفاته؟

ج/ كنت أحرص على زيارته أسبوعياً في داره. وكان الرئيس الراحل يحرص على شراء حاجات منزله من الخضر والفواكه بنفسه، وعندما انتبه المواطنون إلى وجوده بينهم بدأوا يلتفون حوله ويهتفون في حسرة قائلين: **[ضيعناك وضعنا وراك]**، فتضايق جداً من ذلك الاهتمام وقرر الامتناع عن ارتياد الأسواق العمومية. ولكنه ظلَّ حاضر الذهن، متوقداً، وفي أفضل لياقة بدنية على رغم تعديه الثمانين. وكان حتى وفاته يقود سيارته بنفسه. وكانت حرمه السيدة سكينة عليها رحمة الله امرأة سودانية فاضلة ووقورة. ولم تكن تطيق البروتوكول ومتطلبات الزيارات الرسمية للرئيس. وقد أوقعنا هذا الأمر في إشكالات كثيرة مع البروتوكول أذكر منها أن السيدة **(جاكلين كينيدي)** حرم الرئيس الأمريكي الأسبق **(جون كنيدي)** رفضت حضور مأدبة غداء رسمية أقامها زوجها في البيت الأبيض على شرف الرئيس عبود ما لم تحضرها زوجة ضيفها السيدة سكينة فأسقط في يدنا لأن قرينة الرئيس بقيت

في الخرطوم فاضررنا إلى استعارة زوجة سفير السودان لدى الولايات المتحدة لتقف بجوار عبود.

س/ هل هجر إبراهيم عبود السياسة تماماً بعد تنحيه؟

ج/ كنت حين أزوره نتحدث لماما عن الأوضاع السياسية فكان يقول: «**حكام البلاد يتكلمون كثيراً فمتى يعملون؟**». والواقع أن الرئيس الراحل كان يمقت الاسترسال في الخُطب والتصريحات المسهبة. ولم يكن أطول خطاب له يتعدى صفحة واحدة.

وكان يحرص على ضبط الكلمات وشكلها عند الإلقاء. وكان في سنواته الأخيرة يخلد إلى التعبد حيثُ كان متديناً بطبعه. وقد ذكر لي يوماً أنه أدى شعائر الحج والعمرة في عام 1918م حينما كان ضابطاً برتبة ملازم، وكان الحج آنذاك شاقاً جداً لأنه يتم بالسفر عل ظهور الجمال ثم السفن عبر البحر الأحمر.

وحكى لي كيف أنه قد اضطر للسير على قدميه من مكة إلى عرفات وإلى منى. ولم ينقطع الفريق عبود عن زيارة زميله وجاره القديم اللواء (**محمد نصر عثمان**). كما كان يستقبل صديقه اللواء (**أحمد عبد الوهاب**) الذي يأتي لزيارة مسقط رأسه بمدينة الدامر التي التزمها منذ إعفائه من عضوية المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وفي بقية الأوقات كان عبود يحب رياضة المشي. ولم يكن مدخناً ولم يشرب الخمر في حياته مطلقاً. وكان قليل الأكل للحفاظ على وزنه خصوصاً أنه كان ذا قامة قصيرة.

س/ ألم تؤثر مسؤوليتك عن مكتب الرئيس الراحل على مستقبلك في الجيش؟

ج/ لم يحل عملي في القصر الرئاسي دون متابعة الفرق الحتمية والدورات التدريبية المخصصة للضباط لذلك لم يتأثر عملي في القوات المسلحة حتى رتبة فريق.

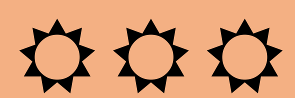
س/ هل تأثرت بالفريق عبود في مناصبك العسكرية والمدنية اللاحقة؟

ج/ يمكنني القول أن كل ماقمت به كان فيه صدى مما غرسه في الرئيس الراحل وحين كلفت منصب حاكم إقليم كردفان حرصت مثلما تعلمت من الفريق عبود على عدم التدخل مطلقاً في شئون وزرائي مُكتفياً بالتوجيه والرقابة. كذلك تعلمت منه الدقة والنظام والانضباط في المواعيد رغم أني لم اتلق دورات في البروتوكول إلا أن عملي مع الرئيس الراحل علمني أدق التفاصيل.

س/ لماذا كان الرئيس السابق جعفر نميري عطوفاً على عبود رغم أنه قام بدور في الثورة الشعبية التي أطاحت به في 1964م؟

ج/ كانت تسود العلاقات بيننا في القوات المسلحة روح تكافل اسري والتوقير المعهود بين السودانيين وقد زاملت نميري في مدرسة حنتوب الثانوية (وسط السودان)، وكان مبرزاً للغاية في المجال الرياضي وعلى رغم أنه كان يتقدمني في الكلية الحربية بدفعتين إلا أننا تزاملنا في الدفعة الخامسة في كلية القادة والأركان. وظلت علاقتنا قوية بعدما عملت تحت إمرته بوصفه قائداً عاماً للجيش. وظلت صداقتنا رغم فارق الرتب العسكرية. وكان الرئيس **(نميري)** نفسه معجباً بالفريق

(**عبود**) وبنائبه السابق اللواء (**أحمد عبد الوهاب**)، ولذلك لم يكن غريباً أن يسارع إلى مساعدة الرئيس الراحل وأسرته كلما بلغه شيء في هذا الخصوص.



الفصل الخامس

❄❄❄❄❄

الفاتح بشارة العسكري

الفصل الخامس

﴿الفاتح بشارة العسكري﴾

◆◆◆

تدرج (**الفاتح بشارة**) في سلك العسكرية السودانية من خلال المواقع المختلفة التي تبوأها بالقوات المسلحة التي عشقها حتى الثمالة. ولعل من أسباب حبه لها ما قرأه طوال حياته وعايشه من تاريخ الجيش السوداني الذي ترجع نشأته **إلى** ما قبل مملكة كوش 732 قبل الميلاد التي تنسب إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام. ولكنه بشكله الحديث قد نشأ قبل عام1955 م حيث كان يُعرف آنذاك باسم (**قوة دفاع السودان**) التي كانت تضم عدداً من الجنود السودانين تحت إمرة الجيش البريطاني المحتل.

وبعد استقلال السودان في عام1956 م تم تكوين الجيش السوداني تحت اسم (**القوات المسلحة**) بكل فرقه المختلفة ابتداء بفرقة المشاة ثم البحرية والجوية وغيرها. وقد تحول اسمه في عهد نميري إلى (**قوات الشعب المسلحة**).

ويعتبر الجيش السوداني جيشا قوياً بكل المقاييس العسكرية ليس بتفوقه تكنولوجياً أو مادياً وإنما بعقيدته القتالية الفريدة واستماتة رجالاته النادرة بحكم أنه ظل في وضعية قتالية منذ الحرب العالمية الثانية التي بدأت في عام 1939م وانتهت في عام 1945م مما زاده خبرةً وحنكة وسط الجيوش الإفريقية والعربية على السواء.

ولعل استدامة الحروب الداخلية لفترات طويلة بالسودان قد صقلت ضباط الجيش السودانيين أكثر وأكثر وأعطتهم خبراتٍ تراكمية عالية جداً، وهذا ما لم يتوفر لجيوش أخرى كثيرة تُعتبرُ أكبر تسليحا من الجيش السوداني. ومن أبرز مقولات الثقافة العسكرية في السودان هي مقولة: (**العَسْكَرِيَةْ تَصَرُّفْ**)، ومعنى ذلك أن الضابط العسكري عليه التصرفُ وإيجادُ الحلول لأي مشكلة تواجهه مهما كانت الظروف.

كما أن عليه أن يتحمل مسؤليته الكاملة ولا يتذرع بأي أسباب لتبرير الفشل. وأيضاً من مقولاتهم الطريفة الشائعة: (**إن أهم خمسة أشياء في العسكرية هي ثلاثة: الضبط والربط**) بمعنى أن العسكرية الحقة تقف على قدمين يتمثلان في الضبط والربط دون سواهما. فالعسكري المحترف يجب أن يكون منضبطاً رابط الجأش تحت أي ظرفٍ من الظروف.

ومن كل هذا الإرث كانت شراسة وبسالة المقاتلين السودانيين الذين عُرفوا عبر تاريخهم بأنهم أهل فراسة وفداء وتضحيات، وأنهم يُفضلون الموت والاستشهاد على الذل والهوان. وأنهم يدافعون عن شرف وطنهم ويستميتون في أداء واجباتهم في حماية العرض والدين والوطن. ويُعد الجيش السوداني من أميز الجيوش في المنطقة وهي إحدى السمات المعروفة عنه، وتشهد بذلك الحروب التي شارك فيها مثل حرب الجنوب والحرب العالمية الثانية حيث شاركت فرق سودانية في معارك بالمكسيك وذلك عندما كان السودان محتلا من قبل البريطانيين. وقد شارك في عدة عمليات خارجية وداخلية أثبت خلالها قوةً وتميزاً وكفاءة. ومن أهمها دحر

الإيطاليين من مدينة كسلا بشرق السودان. ذلك الانتصار الذي ألهم رئيس الوزراء البريطاني مستر (**ونستون تشرشل**) وجعله يعدل عن الاستسلام للألمان كما صرح بذلك لاحقا.

الفاتح هو الذي ضرب مدفع الاستقلال

من الأحداث المهمة التي أغفلها الكثيرون عن (**الفاتح بشارة**) رغماً عن أهميتها يأتي حدث ضرب مدفعية الاستقلال في اليوم الأول من عام 1956م. وقد استوضح هذا الأمر ابنه (**محمد الفاتح بشارة**) حينما جاء لوالده في أحد أيام عام 2003م مندهشاً وقال له: «**لقد استمعت يا أبي لحوار إذاعي أجرته إذاعة أمدرمان مع الراحل العظيم اللواء التاج حمد مدير الإذاعة الأسبق كشاهدِ للعصر، وتحدث عن استقلال السودان ومراسم ذلك اليوم التاريخي المهيب، فذكر من ضمن ما ذكر أن الملازم أول مدفعية الفاتح محمد بشير بشارة، هو من قاد طاقم المدفعية بجزيرة توتي يوم الاستقلال، فهل هذا صحيح؟**». فرد الفاتح بشارة قائلاً: «**نعم أنا ضربت مدفعية الاستقلال**»،

فقال له ابنُهُ محمد متعجباً: «**إذن لماذا لم تخبرنا بذلك أبداً؟!**» فرد الفاتح بشارة باللغة الإنجليزية: «And so What?». كان ذلك الحديث في آخريات أيام (**الفاتح بشارة**). وهنا يتضح ارتباط الواجب الوطني لديه بنكران الذات. وعند شرحه لملابسات ذلك الأمر أوضح (**الفاتح بشارة**) أن الصُدفة لعبت دوراً في ذلك الآمر، حيثُ لم يكن هو الضابط المكلف بضرب مدفعية

الاستقلال في أول الأمر بحكم أن القائد الذي يُصدر الأوامر للضابط المكلف بهذا العمل كان اتحادي الهوى شديد الإيمان بفكرة وحدة وادي النيل والاندماج مع مصر. ولذلك عندما علم هذا القائد بأن الزعيم (**إسماعيل الأزهري**) قد غير رأيه في مسألة الوحدة مع مصر وأعلن الاستقلال من داخل البرلمان، غضب هذا القائد غضباً شديداً وأصدر أوامر صارمة للضابط المكلف بضرب مدفعية الاستقلال بالانصراف وإلغاء الأمر. وهذا الفعل أحدث إزعاجاً وأزمةً حادة داخل القيادة العامة للقوات المسلحة.

وفي اللحظات الأخيرة من يوم 1955/12/31م صدرت التعليمات العليا مع ساعة الصفر للملازم أول مدفعية (**الفاتح محمد بشير بشارة**) بأن يتوجه مع طاقم الطُبجية إلى (**جزيرة توتي**). وبالفعل فقد ذهب (**الفاتح بشارة**) مع طاقمه للجزيرة وتشرف بضرب 21 طلقة هي التي أعلنت استقلال السودان متزامنةً مع رفع الزعيم (**إسماعيل الأزهري**) لعلم السودان فوق سارية القصر الجمهوري. وكانت صرخة الميلاد لدولة السودان الحر المستقل الأبي.

شارك (**الفاتح بشارة**) أيضاً في عمليات تحرير سيناء في عام1973 م من العدو الصهيوني. كما اشترك أيضاً في الحرب ضد إسرائيل انطلاقا من جنوب لبنان. وكان جزء من قوات الردع العربية في جنوب لبنان. وقد خاض معارك لمدة تزيد عن خمسين عاماً هي عمر الحرب الأهلية في الجنوب، حيث بدأت من أغسطس عام 1955 واستمرت حتى عام2005 م. وتتكون البنية التحتية للجيش السوداني من قوة عسكرية ضخمة تتمثل في مصانع للمدرعات والآليات

الثقيلة، ومصانع للأسلحة والذخائر. كما لديه أفراد مدربون على أفضل الأساليب القتالية مما شهد به الأشقاء العرب عندما انتشر ضباط الجيش السوداني في مختلف الجيوش العربية في وظائف استشارية وتدريبية أثبتوا من خلالها أنهم يتمتعون بنظام عسكري صارم ومتقدم. ومن خلال كل ذلك ظل الجندي السوداني بعزيمته وإصراره وبسالته وتضحياته يقف أمام أحلك المخاطر والمواجهات، مما برز عبر التاريخ في مواقف المهدي وعثمان دقنة وعلي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين وعبد الفضيل الماظ وغيرهم. هكذا كانت قناعات **(الفاتح بشارة)** التي تشربها منذ أيام الكديت عندما كان تلميذاً بمدرسة خورطقت الثانوية. وظلت تلازمه طوال سنوات دراسته بالكلية الحربية. ثم مارسها كضابط صغير وكقائد في كل المواقع التي تبوأها في القوات المسلحة حتى نال فيها أعلى الرتب العسكرية.

إذن فقد انضم **(الفاتح بشارة)** لهذا الجيش وهو عاشق لتاريخه ومفتون بصلابة رجاله. وتقول بطاقة **(الفاتح بشارة)** العسكرية أنه قد التحق بالكلية الحربية عام 1952م وتخرج بدرجة التفوق في الدفعة الخامسة. وبعد التخرج من الكلية الحربية عمل بسلاح المدفعية، ثم ذهب إلى جنوب السودان إبَّان التمرد الأول وكان برتبة الملازم ثان،ي وقد واكب هناك عملية التمرد الأولى في توريت، ووصفها فيما بعد وصفاً دقيقاً اعتمد عليه كثير من المحللين والباحثين وطلبة الدراسات العليا بحكم أنها كانت معايشة ضابط نابه ومحلل قدير. وقد أبلى بلاءاً حسناً حتى وجد الثناء من القائد العام الفريق **(أحمد محمد)**. ثم عاد إلى الشمال وعمل بحامية الخرطوم، ثم مرة أخرى ذهب إلى الجنوب كقائد لحامية ياي برتبة المقدم في سنين

التمرد الثاني بعد حركة الضباط المشهورة بالجنوب وقد تعرض للموت مرتين. وكانت تلك بداية حرب الألغام. وفي عام 1955م والسودان على مشارف الاستقلال وقعت حوادث الحدود الشمالية الشرقية بين القطرين الشقيقين المعروفة بمشكلة حلايب فتم تعيينه قائداً للقطاع الشمالي (**منطقة حلفا**) وهذا القطاع هو الذي شهد المواجهة.

وبفضل تصرفه لم تطلق طلقة واحدة برغم الأوامر الصارمة التي وصلت إليه من رئيس الوزراء (**عبد الله بك خليل**) مباشرة بالتلفون بأن يضرب كل من تطأ قدمه أرض السودان. وقد مارس دور وزير الدفاع بذلك التصرف. وقد كان يعلم في قرارة نفسه أن تلك الحوادث لم تكن سوى مظاهرة سياسية وليست مواجهةً عسكرية، ولذلك لم يتعامل مع البندقية مطلقاً بل تعامل بالدبلوماسية. وكان ذلك التصرف حكيماً كما وصفه المحللون فيما بعد. وبالفعل فقد حُلَّت المشكلة بعد أسبوع واحد من ذلك الموقف حلاً سياسيا.

وكان المشهد الذي تابعه كل الناس بالدهشة والغبطة أنه هو وإخوانه من الضباط السودانيين والضباط والجنود المصريين كانوا يودعون بعضهم البعض بالأحضان وذرف بعضهم الدموع في لحظات الوداع مما دفع قائد المدفعية (**البحاري**) يوصي بترقيته (**الفاتح بشارة**) ترقية استثنائية لم تتم قبل ذلك في الجيش السوداني في مثل هذه المواقف. وهكذا كان نجم القائد (**الفاتح بشارة**) قد برز بشكل كبير في سماء العسكرية السودانيية عندما كان قائداً لحامية فرس، وتلقى خطاب إشادة من القائد العام الفريق أحمد محمد. وتم اختياره مديراً لمكتب رئيس

المجلس الأعلى للقوات المسلحة والقائد العام ورئيس الوزراء الفريق إبراهيم عبود في أوائل أبريل عام 1959م. وكان في ذلك الوقت لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره مكملاً كل الدورات الحتمية والمتوسطة (رتبة الصاغ – رائد حالياً). وقد أوفد **(الفاتح بشارة)** من القوات المسلحة إلى كلية الحرب البريطانية العليا (كامبرلي) عام 1966م ونال منها ماجستير العلوم العسكرية بتفوق، وانتظم بالقيادة العامة للقوات المسلحة. وقد ثمن القائد العام للجيش البريطاني **(المارشال بتلر)** مقدرات اليوزباشا (مقدم) **(الفاتح بشارة)** واصفاً إياه بأنه مفخرةٌ لوطنه وجيشه.



النقيب الفاتح بشارة عندما تسلم مكتب الرئيس
إبراهيم عبود بالقصر الجمهوري أبريل 1959م



المقدم الفاتح بشارة في أكاديمية الحرب العليا ببريطانيا 1966م وهي التي نال منها ماجستير العلوم العسكرية بتفوق، وهي أرفع أكاديمية عسكرية في العالم

وعمل (**الفاتح بشارة**) معلماً ثم قائداً لكلية القادة والأركان، وهو الذي رفعها من مدرسة إلى كلية. وقد عين في عام 1972م نائباً لرئيس هيئة الأركان للإدارة والإمداد، ورقي إلى رتبة اللواء وعُين مديراً لنادي الضباط. وترأس لجنة وضع قواعد البروتوكول والمراسم للدولة في عام 1970م. وأشرف على البروتوكول العسكري (السوداني الخليجي) في عام 1974م. كما أشرف على المنحة السعودية الضخمة للجيش السوداني فجلب بها طائرات الهير كليس وعربات المجروس والأسلحة الاتوماتيكية وأجهزة الاتصالات الحديثة والمباني الجاهزة للقوات المسلحة (1974-1975م).



القسم (ب) بفرقة الأركانحرب بكامبرلي ببريطانيا عام 1966م

وقام أيضاً بإنشاء نادي ضباط قوات الشعب المسلحة الذي تحمل أحدث وأكبر صالاته الآن اسمه **(صالة الفاتح بشارة)**، حيث قام ببلورة الفكرة ومتابعة وضع الخارطة والتمويل واختيار الموقع والتنفيذ حتى أصبح النادي بهذا الشموخ الذي يشهد به كل أهل السودان الذين ظلوا يتوافدون إليه ليل نهار في مناسباتهم وأيامهم السعيدة. كما ترأس الفريق **(الفاتح بشارة)** لجنة إعادة ترتيب وتسليح القوات المسلحة وأيضاً لجنة صياغة قوانين القوات المسلحة. وأنشأ أيضاً فرع الشؤون العامة. وترأس لجنة محكمة المجلس العسكري الإيجازي العالي لمحاكمة أحداث الجزيرة أبا عام 1970م والتي أبلى فيها بلاءاً حسناً فيما عُرف بالغزو

الليبي واستطاع أن يحرر مطار الخرطوم في وقت وجيز. وترقى إلى رتبة الفريق ركن في عام 1976م.



اللواء أ. ح الفاتح بشارة نائب رئيس أركان الجيش السوداني مع صاحب السمو ولي عهد الإمارات الشيخ خليفة بن زايد ورئيس الدولة حالياً 1974م.
وبهذه الزيارة تم توقيع بروتوكول التعاون العسكري بين السودان والإمارات



اللواء الفاتح بشارة نائب رئيس الأركان في ضيافة صاحب السمو

محمد بن راشد ولي عهد إمارةدبي ونائب رئيس الدولة

حالياً أيام تنفيذ البروتوكول العسكري 1974م



اللواء الفاتح بشارة يتبادل الهدايا مع صاحب السمو خليفة بن زايد آل نهيان

نائب رئيس الدولة وولي عهد إمارةأبو ظبي ورئيس الدولة حالياً 1974م

الأوسمة والنياشين:

نال الفاتح بشارة كثيراً من الأوسمة والأنواط والنياشين الوطنية والأجنبية طوال حياته العامرة بالإنجاز. ومنها ما يلي:

- وسام الخدمة الطويلة الممتازة.
- وسام الحكم الإقليمي الذهبي.
- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.
- وسام النيلين.
- وسام ثورة مايو.
- وسام الخدمة الوطنية.
- وسام النصر.
- نوط الجدارة من الطبقة الأولى.
- نوط الاستقلال (حيث كان له شرف قيادة طاقم الطبجية التي أطلقت مدفعية الاستقلال من جزيرة توتي في 1956/1/1م).
- وسام الصمود.
- نوط الجلاء.

أما الأوسمة الأجنبية التي نالها فهي:

- وسام الملكة فكتوريا من المملكة المتحدة.
- وسام الاستحقاق من مصر.
- وسام الضباط من ألمانيا.

- وسام نجمة الشرف الإثيوبية.
- وسام الاستحقاق اليوغسلافي.
- وسام الملك عبد العزيز (من الدرجة الممتازة) من المملكة العربية السعودية.



الرحمن الرحيم

جمهورية السودان الديمقراطية

رئاسة الجمهورية

إلى السيد الفاتح محمد بشير بشارة

تقديرًا لجهدك الذي تواصل إسهامًا مخلصًا منك في تركيز دعائم الحكم الإقليمي في البلاد وتكريمًا لبذلك الجاد ومشاركتك العظيمة التي واكبت جهد الآخرين من أبناء الوطن المخلصين الذين عملوا على تثبيت ركائز الحكم الإقليمي حتى جاء منهاجًا واضحًا للعمل الديمقراطي الذي بشرت به الثورة منذ اندلاعها.
وعرفانًا بدورك الرائد في هذا المجال قد منحناك

وسام الحكم الإقليمي الذهبي

وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذانًا بذلك.

تحرر بقصر الشعب - الخرطوم
في يوم ١٠ شهر رمضان سنة ١٤٠٢ هـ
الموافق يوم أول شهر يوليو سنة ١٩٨٢ م

وسام الحكم الإقليمي الذهبي



المملكة العربية السعودية

نحن خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

سعادة السفير الفاتح بشير بشارة

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة

فيحق له ابتداءً من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسم التكريم العائدة له

الرياض في ٢٠/٤/١٤٠١ هـ الموافق ٢٤/٢/١٩٨١م

بأمر جلالة الملك المعظم

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة من المملكة العربية السعودية

VERLEIHUNGSURKUNDE

IN ANERKENNUNG

DER UM DIE BUNDESREPUBLIK DEUTSCHLAND ERWORBENEN

BESONDEREN VERDIENSTE

VERLEIHE ICH

HERRN MAJOR

FATIH BESHIR

PERSÖNLICHER SEKRETÄR DES HERRN PRÄSIDENTEN

DER REPUBLIK SUDAN

DAS VERDIENSTKREUZ

ERSTER KLASSE

DES VERDIENSTORDENS DER BUNDESREPUBLIK DEUTSCHLAND

BONN, DEN 10. APRIL 1962

DER BUNDESPRÄSIDENT

Lübke


USIA
This is to certify that
El Fatih Mohamed Bushara
participated in the
International Visitor Program
of the
United States Information Agency



الفاتح بشارة يستقبل الزعيم الأزهري رائد الحرية ورافع علم استقلال السودان ليشرح له بعض الأمور العسكرية المتعلقة بالسلاح

وكان للفاتح بشارة فضل الاشتراك مع الوحدات في إعادة الأمن والنظام في العاصمة الخرطوم إبّان زيارة اللواء (**محمد نجيب**) المثيرة للجدل والتي عُرفت تاريخياً ب (**حوادث مارس**). حيث تحرك الأنصار بعد أسابيع قليلة من عودة وفدٍ برلماني سوداني كان قد زار بريطانيا للتفاكر حول أمر استقلال السودان المرتقب. وعند عودة هذا الوفد ظهر إعلانٌ في كلٍ من الخرطوم والقاهرة يقول إن اللواء (**محمد نجيب**) قائد الثورة المصرية قد قرر زيارة السودان في الأول من شهر مارس عام 1954م. وكثرت الشائعات حول مساعي اللواء نجيب لتنصيب قادة الحزب الاتحادي قادةً على السودان وضرب رجال الأنصار الموالين للسيد (**عبد الرحمن**

المهدي) وكل أعضاء حزب الأمة. فأهاج ذلك الحديث رجال الأنصار هياجاً شديداً وتنادوا للتجمهر في الخرطوم للتعبير عن رفضهم لتلك التحركات وإعلان استهجانهم ومعارضتهم الشديدة لنوايا (**محمد نجيب**) بمجرد وصوله إلى الخرطوم [9].

وتقاطرت جحافلهم من مختلف البقاع لاسيما الجزيرة أبا معقل الأنصار التقليدي. وطافوا بأرجاء الخرطوم يمتطون صهوات الخيول. وكانوا يهتفون بسقوط اللواء (**محمد نجيب**) وأعوانه. وعمت المظاهرات كل أرجاء العاصمة المثلثة التي امتلأت بمظاهر الفوضى والهلع التي أثارها التلويح بالأسلحة البيضاء والشعارات الداوية باستخدام القوة في حالة الضرورة.

أثار ذلك الأمر الذعر في نفوس البريطانيين الموجودين بالخرطوم، فاتصلوا بقيادتهم في لندن، وأشاروا على الحكومة البريطانية أن تعلن حالة الانهيار الدستوري في البلاد وتعود القوات البريطانية إلى السودان حسب ما تنص عليه قواعد دستور الحكم الذاتي. وفطن قادة القوات المسلحة وقادة الحركة الوطنية لتلك التحركات البريطانية فأرسل السيد (**إسماعيل الأزهري**) السيدين (**مبارك زروق**) و(**محمد أحمد أبو سن**) مندوبين عنه إلى السيد (**الصديق المهدي**) رئيس حزب الأمة وقد حملا رسالةً منه تقول: [**إنَّ وجود جحافل الأنصار بهذا الشكل المكثف داخل العاصمة ومشاركتهم في المظاهرات والحوادث المؤسفة سيستفيد منه الإنجليز الذين يدبرون الآن لإعلان الانهيار الدستوري والعودة لحكم البلاد**]. وردَّ السيد

[9] نوال عبد العزيز، (1989م)، مصر والسودان في مفترق الطرق 1953-1956م، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 76.

(**الصديق المهدي**) على مندوبي الزعيم الأزهري قائلاً: «**إنني متفهم تماماً للوضع. وإنني مقتنعٌ بما قاله السيد إسماعيل الأزهري. وسأعمل جاهداً على عودة الأنصار إلى أماكنهم خارج العاصمة درءاً للمشاكل وتفويتاً للفرصة على البريطانيين**». وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً طارئاً برئاسة الأزهري لمناقشة تلك الأحداث وكيفية احتوائها بأسرع فرصةٍ ممكنة. وكان الاجتماع مليئاً بالتوتر الذي فرضته طبيعة المرحلة وطبيعة الأحداث التي تلاحقت بشكلٍ سريع.

وفي بداية الاجتماع طالب بعض الوزراء [10] أن تقوم الحكومة باعتقال السيد (**عبد الرحمن المهدي**) راعي حزب الأمة وإمام طائفة الأنصار والسيد (**الصديق المهدي**) رئيس الحزب والسيد (**محمد أحمد محجوب**) زعيم المعارضة. وذلك لاعتقادهم بأن كل تلك الكوارث التي حدثت إنما كانت من تدبير هؤلاء النفر من قادة حزب الأمة.

وحاول الرئيس (**إسماعيل الأزهري**) جاهداً أن يُقنع الاجتماع بعدم جدوى هذا الاقتراح الذي سيقود البلاد حتماً إلى كارثة محققة، وقال: «**إن جماهير الأنصار وحزب الأمة لن تسكت إذا أقدمنا على مثل هذا الإجراء. ثم إننا لسنا دعاة فتنةٍ وفرقةٍ وانقسام حتى ندعو إلى مثل هذا التصرف**». ورغم حديث الأزهري كان الوزراء متحمسين لرأيهم، خاصةً وأنهم رأوا في قادة حزب الأمة المنافس الأول والأخير لهم في معركة الاستقلال ثم في معركة الفوز بمقاعد الحكم.

---

[10] أولئك الوزراء هم: خلف الله خالد وزير الدفاع، وميرغني حمزة وزير الأشغال، وأحمد جلي وزير الدولة بمجلس الوزراء.

وإنهم يعتبرون أن واجبهم أن يكيلوا الصاع صاعين لجماعة السيد **(عبد الرحمن المهدي)** التي لا تؤيد أي مساعٍ للاتحاد مع مصر حتى إذا تغيرت الأوضاع في المستقبل وحسنت النوايا.

ووسط ذلك الهلع السياسي والأمني والحزب تدخلت القوات المسلحة لحسم المسألة بإحكام قبضتها العسكرية على الشارع وفرض الأمن بشكل متميز أدى إلى تراجع كل تلك المظاهر المخيفة إلى أماكنها ودخول المتظاهرين في بيوتهم حتى لا ينفرط عقد الوطن ويحدث ما لا تُحمدُ عقباه. وكان **(الفاتح بشارة)** ورفاقه الحكماء هم الذين قد قاموا بذلك التصرف الوطني الكبير الذي شهد التاريخ بأنه قد جنب البلاد من أن تقع فريسة لتلك الفتنة التي إذا أفضت إلى الانهيار الدستوري فإن السودان لا محالة سيقع تحت الاستعمار من جديد. فكيف يقبلون بذلك والبلاد كلها كانت تقف بكل البهجة والسرور على أعتاب الاستقلال؟

الفاتح يعيد رئيسي السودان نميري وسوار الدهب للخدمة:

من المعروف عن الضابط **(جعفر محمد نميري)** أنه كان قد انتمى في وقتٍ مبكر لتنظيم **(الضباط الأحرار)**. وفي عام 1959م اتهم الصاغ جعفر نميري بالمشاركة في انقلاب كبيدة فأحيل للاستيداع. والاستيداع في القانون العسكري يعني الإيقاف عن العمل وحجب الترقية وصرف نصف مرتب إلى حين البت في الأمر العودة أو الرفد. وعندما طالت فترة الاستيداع على الضابط جعفر نميري وأثر ذلك على أوضاعه المعيشية والمعنوية ذهب إلى صديقه **(الفاتح بشارة)** في مكتبه

بالقصر الجمهورى قائلاً: «**يا فاتح أنا أعرف معزة الفريق عبود لك، ولذا أرجوك أن ترتب لي لقاءً معه عسى ولعل أن أرجع للخدمة فقد زهجتُ وتضايقتُ من هذا الاستيداع**».

وتأثر (**الفاتح بشارة**) بتلك العبارة، وقرر ألا يخذل صديقه وزميله نميري. وعلى الفور دلف إلى مكتب الرئيس عبود وأخبره بموضوع الضابط نميري فقال الرئيس عبود: «**اسمح له بالدخول**». ودخل الضابط نميري، فعانقه الرئيس عبود قائلاً له: «**فتح عينك يا نميري، وتاني مرة ما تتدخلش في الحاجات دي**». ورفع الرئيس عبود سماعة تلفونه السري متصلاً بنائبه اللواء (**حسن بشير نصر**) قائلاً له: «**الضابط الصاغ جعفر محمد نميري يعود الآن للخدمة العسكرية**».

وبالفعل عاد الصاغ جعفر نميري للخدمة العسكرية وتمَّ نقله لقيادة معسكر نائي في جنوب السودان. ويقول نميري إن القدر أسعفه مرة أخرى فزار الفريق (**إبراهيم عبود**) القائد العام في رحلة تفتيشية للمعسكر الذي يقوده. وذكر نميري لمحمد الفاتح نجل (**الفاتح بشارة**) أنه قام بتنظيم وتنظيف المعسكر جيداً مما أسعد القائد العام غاية السعادة فأطنب الفريق عبود في الثناء عليه. وكانت فرصةً لنميري أن يرد الجميل للفريق عبود، فقال له: «**شكراً سعادة القائد العام على زيارة معسكرنا النائي هذا. وشكرا لك على أنك أعدتني للخدمة. وأكون شاكراً ممتنا لو أرجعت سيادتك أقدميتى،فقد سبقني كل أبناء دفعتي**». وهنا ضحك الرئيس عبود وقال له: «**ما أنجزته في هذا المعسكر من تنظيم في مدة قصيرة يشفع لك يا ضابط نميري بعودة أقدميتك**». وما أن غادر القائد العام

أرض المعسكر إلا وأخرج (**جعفر نميري**) دبورة الأقدمية من جيبه ووضعها على كتفه. أما عن دور (**الفاتح بشارة**) في إعادة الرئيس (**سوار الدهب**) للخدمة فقد كان ذلك في أعقاب فشل انقلاب الرائد (**هاشم العطا**) سنة 1971م، حيث كان التوتر والغضب عاليا في قيادة وضباط وجنود القوات المسلحة فتم فصل مجموعة من الضباط الأكفاء ومنهم: (**عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب، وإبراهيم محجوب، ومصطفى صغيرون**).

وحكى الفريق أول (**عبد الماجد حامد خليل**) [11] نائب رئيس الجمهورية الأسبق أنه تحدث مع الرئيس نميري بخصوص زميله ودفعته (**عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب**)، ونتج عن ذلك أن شكل الرئيس نميري بصفته القائد العام للقوات المسلحة لجنة برئاسة اللواء (**الفاتح بشارة**) للنظر في عودة الضباط المفصولين تعسفياً، وكان عددهم ستة عشر ضابطاً. وقد رأت اللجنة إعادتهم جميعاً للخدمة بعد أن قال (**الفاتح بشارة**) و(**عبد الماجد حامد خليل**) لرئيس نميري: «**ياريس سوار الدهب دا خليفة خلفاء وهذا انقلاب شيوعي كامل الدسم فهل يُعقل أن يكون هناك خليفة أحمر؟!!**». فضحك الرئيس نميري من أعماقه ووافق على عودتهم جميعاً إلا واحداً فقط منهم، وهنا تدخل (**الفاتح بشارة**) بسرعة وقال لنميري: «**علي الطلاق يا ريس ترجع الواحد دا مع زملائه ولو إلى حين**». فوافق نميري وأعادهم جميعاً. وهكذا يكون التاريخ قد امتحن (**جعفر نميري**) في

---

[11] في حديث للفريق أول عبد الماجد حامد خليل نائب رئيس الجمهورية الأسبق في لقاء تلفزيوني مع الإعلامي الأستاذ الدكتور عمر الجزلي ضمن برنامجه أسماء في حياتنا.

عدالته وسماحته، ويكون (**الفاتح بشارة**) قد أعاد رئيسين سودانيين إلى الخدمة العسكرية دون أن يدري أنهما سيكونان من أخطر رؤساء السودان في مستقبل الأيام.

ومن المنجزات العسكرية أيضاً كان (**الفاتح بشارة**) قد نال شرف إنشاء ثلاث سرايا بالقيادة الشمالية الوليدة تجنيداً وتدريباً وإدارة. وبعد عودته من كامبرلي عين معلماً بمدرسة الأركان لأربع سنوات ثم قائداً لها لسنتين وتخرج على يده العديد من الدفعات. وكان في نفس الوقت يحاضر الطلبة في القانون الدولي كمعلم منتسب. وقد عمل على تطوير المدرسة حتى أصبحت كلية للقادة والأركان. ووضع لها مناهجها وعمل على تعريبها، ووضع لها مسودة قانونها وشهاداتها التي ما زال الجيش السوداني يعمل بها حتى الآن.

وفي عام 1966م بعث إلى كلية القادة والأركان الشهيرة ببريطانيا (كامبرلي) بعد منافسة من مدرسة الأركان السودانية، وتخرج بشهادة وتقدير لم يسبقه عليه أحد في ذلك الزمان. ونال خطاب شكر وتقدير القائد العام الخواض. وبعد عودته من كامبرلي عين معلما بمدرسة الأركان لأربع سنوات ثم قائداً لها لسنتين وتخرج على يده العديد من الدفعات، وفي نفس الوقت كان يحاضر الطلبة الحربيين في الكلية الحربية ويدرسهم مادة (**القانون الدولي**) كمعلم منتسب.



الفاتح بشارة يستعرض حرس الشرف لجيش دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1973م إبّان مساهمته في إنشاء الجيش الاتحادي الوليد لدولة الإمارات الشقيقة

ومن مهامه التاريخية كان يمثل وزير الدفاع في اجتماعات وزراء الدفاع العرب. وكان رئيساً لأكبر مجلس عسكري في تاريخ السودان (**محكمة الجزيرة أبا**) والحمد لله كانت محاكمة عادلة أشاد بها حتى المحكوم عليهم، كما كان رئيساً للجنة تقصى الحقائق فيما عرف ب (**الغزو الليبي**) وكانت توصياتها هي التي قادت للمصالحة الوطنية المشهورة 1977م. وتجدر الإشارة إلى أن كلية القادة تقوم بتخريج القادة الذين يدرسون لنيل درجة الأركانحرب، في حين تتولى الكلية الحربية

[12] مهمة التدريب والتعليم للطلبة الحربيين من السودانيين والضباط من البلاد العربية والإفريقية مثل: اليمن، والصومال، وكينيا، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وبوركينا فاسو، وتشاد، وإثيوبيا، وإرتريا، وأوغندا، وغيرها. وذلك لسمعتها العسكرية الجيدة حيث تخرج فيها في عام1982 م ستون (60) ضابطاً يوغنديا كمساهمة من السودان في إعادة بناء الجيش الأوغندي بعد الإطاحة بالجنرال **(عيدي أمين دادا)** رئيس جمهورية يوغندا الأسبق.

كان **(الفاتح بشارة)** الضابط الركن دقيقاً في كل شيء، وكان يعتبر المدفعجي الأقدر والقائد المتميز على أقرانه. وكان المعلم الكفء في كلية القادة والأركان. ولذلك اعتبره الذين كتبوا عنه على الشبكة العنكبوتية نجماً من نجوم القوات المسلحة الساطع. ومن مهامه التاريخية في المجال العسكري أنه كان يمثل وزير الدفاع في اجتماعات وزراء الدفاع العرب، حيث كان رئيساً لأكبر مجلس عسكري في تاريخ السودان **(محكمة الجزيرة أبا)** التي كانت من أعدل المحاكمات التي أشاد بها الجميع حتى المحكوم عليهم. كما كان رئيساً للجنة تقصي الحقائق فيما عرف ب **(الغزو الأجنبي)**، وكانت توصياتها هي التي قادت للمصالحة الوطنية المشهورة في عام 1977م.

---

[12] تقع الكلية الحربية في منطقة وادي سيدنا شمال مدينة أمدرمان. وقد تطورت لتصبح جزءاً من التعليم الجامعي في المجال العسكري عبر جامعة كرري للتقانة العسكرية.



الفاتح بشارة قائد مدرسة الأركان مع بعض الدارسين
من الضباط المبعوثين من بالدول العربية والشقيقة

وفي واقع الأمر كانت مؤهلاته العلمية في المجال العسكري التي نال من خلالها دبلوم الكلية الحربية عام 1954م، ثم ماجستير العلوم العسكرية من كلية القادة والأركان البريطانية في عام 1966م، ثم ماجستير مدرسة المدفعية بمصر بدرجة الامتياز قد أهلته بشكل كبير لتشرب الفكر العسكري من كل جوانبه. وقد

برز ذلك عندما دعته أكبر مؤسسة عسكرية في العالم وهي قيادة الجيش الأمريكي ليحاضر الضباط والجنود الأمريكيين في واشنطون. وقد أقر الكثيرون بأن هذا الشرف لم ينله كثير من القادة العسكريين في العالم. وكان لتمرس **(الفاتح بشارة)** العسكري في جميع مستويات القيادة العسكرية؛ فقد خرج في العديد من البعثات التدريبية العسكرية الفنية في السودان ومصر وبريطانيا. وحصل على جميع الفرق الحتمية داخلياً، وفيها كان الأول على زملائه في امتحان الترقي. وتحققت له طوال حياته العسكرية العديد من الزيارات الدراسية في القيادة العليا للجيش المصري والبريطاني. ومن خلال البحث الدؤوب عن إنجازات الفاتح بشارة في المجال العسكري ذهبتُ في زيارة خاصة لصديقه ورفيق دربه طوال فترة نميري اللواء **(عمر محقر)** [13] في منزله شرق مطار الخرطوم، وكان معي الصديق محمد الفاتح بشارة الذي تربطه هو الآخر علاقة طيبة باللواء محقر بحكم علاقته الوطيدة بأبيه. ورحب

---

[13] كان اللواء عمر علي محقر من الضباط النابهين في الجيش السوداني، وقد عينه الرئيس جعفر نميري مديراً لمكتبه. وبما أنه كان لصيقاً بالقرار السياسي وعارفاً ببواطن الأمور فقد ذهب إليه المؤلف في منزله برفقة الصديق محمد الفاتح بشارة، وحكى الكثير عن علاقة الرئيس نميري بالفاتح بشارة. ومن ضمن الطرائف التي حكاها في تلك الجلسة طرفة تؤكد حجم الصراعات والخلافات بين الإخوة الجنوبيين فيما بينهم، حيث قال أنه كان في معية الرئيس نميري بمدينة ملكال في عام 1975م. وعندما التقى الرئيس نميري بمندوب رث الشلك قال ذلك الرجل للرئيس: (الله خلق الشلك أول الناس ثم خلق لهم عبيداً هم الدينكا. ولو ما بتصدقوا هذا الكلام اسألوا العبدين الذين معكم الآن وهما أبيل ألير وبونا ملوال كوال وزير الإعلام).

بنا اللواء محقر أيما ترحيب. وعندما عرف بأنني أُعِدُّ كتاباً عن شخصية صديقه **(الفاتح بشارة)** تهللتْ أساريره وقال لي:

«إنَّ الفاتح بشارة يستحق الكتابة عنه بكل المقاييس، حيث إنَّ القوات المسلحة هي ضباط الصف والجنود وهؤلاء لا غرض لهم في الطائفية ولا في الجهوية بل عندهم الكاكي المليان مالي دبابيره». وأضاف قائلاً: **«كان الفاتح بشارة صديقاً لي كما كان صديقاً لكل ضباطه وعساكره الذين أحبوه حباً شديداً لأنه كان يعاملهم بشكل مختلف تماماً عما يفعله كثير من الضباط مع عساكرهم. وعنده انحياز شديد للرأي الشعبي ومقترحات البسطاء والمستضعفين عندما يجلس معهم. ولذا كان محبوباً ومحترماً بشكل شديد»**.

وسألته عن صلته بالفاتح بشارة فأجاب بأنه عندما جاء في يناير عام 1969م لكلية القادة والأركان كان **(الفاتح بشارة)** هو كبير المعلمين فيها. وكان قائدها خواجة وكذلك بقية الأساتذة الذين كانوا جميعاً من البريطانيين. وأضاف عمر محقر أنه جاء من جبيت وبعد ذلك رجع إليها، وكان قائد المدرسة هو العقيد **(جعفر محمد نميري)**. فتحدث معه عن شخصية **(الفاتح بشارة)** قائلاً: **«لقد لفت نظري في كلية القادة أسلوب الفاتح بشارة في التدريس ومناقشته للبحوث المقدمة وسلوكه الأخوي الواضح مع كل الضباط»**. فرد عليه جعفر نميري بقوله: **« إنت ما ذكرتَ غير القليل جداً مما لدى الفاتح بشارة؟»**.



صورة في مؤتمر القادة والأركان 1973م حيث يتوسط الصورة الفريق أول جعفر نميري رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وعلى يمينه الفريق طيار عوض خلف الله القائد العام، ثم اللواء أ. ح. الفاح بشارة نائب القائد العام، وعلى شمال القائد الأعلى اللواء أ.ح. فضل الله حماد قائد القيادة الجنوبية الذي أصبح نائباً لحاكم كردفان، ثم الشاعر اللواء عوض أحمد خليفة. ويظهر في الصورة اللواء محمد عثمان هاشم، واللواء بشير محمد علي، واللواء جوزيف لاقو، واللواء الشهيد الشلالي، واللواء صديق حمد.



صورة في مؤتمر القادة والأركان 1975م. حيث يتوسط الفريق أول جعفر نميري القائد العام والأعلى للقوات المسلحة. ويظهر الفريق بشير محمد علي رئيس هيئة الأركان بعد التشكيل الجديد للجيش الذي أصبح بموجبه اللواء أ. ح. الفاتح بشارة نائباً لرئيس هيئة الأركان إدارة واللواء محمد عثمان نائباً لرئيس هيئة الأركان عمليات

الفاتح بشارة وأحداث شعبان 1973م:

في أحداث شعبان كان (**الفاتح بشارة**) هو المحرك الأول للقوات المسلحة لضبط الأمن بوعيٍ وبدون خسائر. وكان هو نائب القائد العام (**خلف الله**). وكان اللواء (**محمد الباقر أحمد**) النائب الأول لرئيس الجمهورية والفريق طيار (**العوض خلف الله**) هو القائد العام. وسيادة اللواء (**محمد الباقر من العبابدة**) الذين تمتد منطقتهم من بربر إلى البطانة إلى ود الحليو إلى شرق الجزيرة ثم إلى مصر. وقد جاء اللواء الباقر من مجتمع يعتمد في عيشه على الشقاء وشظف العيش ومجابهة الطبيعة

القاسية. وعمل اللواء (**محمد الباقر**) في كل وحدات الجيش: القيادة الشرقية، وحامية الخرطوم، والقيادة الجنوبية بجوبا، والهجانة بالأبيض، والقيادة الغربية بالفاشر. وكان (**الفاتح بشارة**) مثله تماماً حيث عملَ في كل وحدات السودان باتجاهاته المختلفة. ولذلك فهو يعرف جغرافيته وثقافاته وأهله وناسه معرفة الخبير العالم بكل بواطن الأمور. وهكذا كانت التزاماته العسكرية وعدد من الضباط ونحن منهم قد جعلتنا في مواقع اتخاذ القرار طوال تلك الفترات المهمة من تاريخ الوطن.

أحداث غزو 2 يوليو1976م (المرتزقة) ورد الجيش

في صبيحة يوم الجمعة 2 يوليو1976م والرئيس نميري في سلم الطائرة الرئاسية عائداً من زيارة خارج السودان انهمر الرصاص من ناحية القيادة العامة للجيش، وكانت الطائرة الرئاسية قد حطت بمطار الخرطوم قبل موعدها المحدد بنصف ساعة من الوقت المعلن وهو الساعة الخامسة والنصف صباحاً. ولكن الرياح القوية دفعت بالطائرة التي كانت من طراز Valcon في تمام الساعة الخامسة صباحاً. ولعل هبوط الطائرة الرئاسية قبل ميعادها هو السبب الأكثر أهمية والرئيسي في فشل الغزو. حيثُ تصرف حرس الرئيس بالسرعة المطلوبة ولم يتركه يصافح مستقبليه، بل خفَّ به إلى حي العمارات القريب من مطار الخرطوم وعمل على تأمين الرئيس. وتأمين القائد الأعلى في مثل هذه الأوقات الخطيرة والحرجة يُعتبرُ شيئاً أساسياً ومهماً للغاية في الأعراف العسكرية. وكان تأمين الرئيس نميري هو الخطوة الأولى في إفشال الهجوم المباغت للغزو. والمنزل الذي تم تأمينه فيه هو منزل

السيد (**بشير نميري**) وهو تاجر وصديق حميم للرئيس نميري [14]. وكان هدف المهاجمين الأساسي هو ضرب طائرة الرئيس نميري أثناء هبوطها. وقد تم ذلك التأمين من قبل حراسة الرئيس (**المقدم حسين صالح**) وقائد الاستخبارات العسكرية العميد أ.ح (**محمد يحيى منور**). أما كبار مستقبلي الرئيس فقد أسرعوا بالخروج من المطار وهم: النائب الأول لرئيس الجمهورية اللواء (م) (**محمد الباقر أحمد**)، والفريق (**بشير محمد علي**) رئيس الأركان، واللواء (**محمد عثمان هاشم**) نائب رئيس الأركان عمليات. وقد قام هؤلاء القادة بتوجيههم جنوباً إلى حي العمارات شارع 61 بمقر كتيبة فرع الرياضة العسكرية، ولحق بهم الساعة 11 ظهراً اللواء (**الفاتح بشارة**) نائب رئيس هيئة الأركان إدارة وإمداد الذي لم يكن ضمن المستقبلين بالمطار. وكان قد خرج بأسرته من منزله بحي المطار عند الساعة 5 صباحاً، وتشاء الأقدار أن يصادف مولانا القاضي (**خلف الله الرشيد**) رئيس القضاء عائداً من المطار ويقود سيارته بمفرده، فجرى بينهما حوار قال فيه اللواء الفاتح البشارة لمولانا خلف الله الرشيد: «**طمئني يا مولانا هل وصل الرئيس؟**» فرد عليه مولانا خلف الله الرشيد: «**نعم وأسرع به حُراسه إلى خارج المطار**»، وهنا سأله الفاتح بشارة: «**هل بشير ومحمد عثمان كانوا في المطار؟**» فرد مولانا: «**نعم وقد خرجوا بسرعة خلف الرئيس ومعهم السيد اللواء محمد الباقر أحمد نائب الرئيس**». وسأل مولانا (**خلف الله الرشيد**) اللواء الفاتح: «**هل هذا**

---

[14] التاجر بشير نميري هذا لا يمت للرئيس نميري بأي صلة قرابة، ولكن هناك بشير نميري آخر يسكن في حي ود نوباوي بأمدرمان هو الذي يمت للرئيس نميري بصلة القرابة.

انقلاب يا سيد الفاتح؟»، فرد **(الفاتح بشارة)** قائلاً: **«اللهُ أعلم، آخر اجتماع لنا نحن هيئة القيادة كان ظُهر أمس الخميس اعتمدنا فيه تقرير مدير الاستخبارات العميد محمد يحيى منور بأن الأمور هادئة ويوصي بخفض الاستعداد، وفعلا خفضنا الاستعداد إلى 25% بقيادة العميد يوسف أحمد يوسف. هذا ما أعلمه ويا ريت يا مولانا توصلنا إلى أهلنا في الخرطوم ثلاثة، وأنصحك بالابتعاد من طريق القيادة العامة وأن تذهب إلى منزلك بطرق أكثر أماننا وكان الله في عون الوطن»**.

وبوصول اللواء **(الفاتح بشارة)** لمقر فرع الرياضة العسكرية شارع 61 الساعة 11 ظهراً رحب به الضباط والجنود بحفاوة شديدة لأن بذلك تكون هيئة قيادة القوات المسلحة قد اكتمل حضورها في مكان واحد وبحوزتهم موقعٌ عسكري، وضباطٌ، وجنودٌ، وسلاحٌ، وذخيرةٌ، وعربات. وهنا بدأت علاماتُ النصر تلوح، وارتفعت الروح المعنوية للمقاتلين ضباطاً وجنوداً، وذلك لوجود كل أعضاء هيئة القيادة في وسطهم.

وسأل اللواء **(الفاتح بشارة)** الفريق بشير واللواء محمد عثمان: **«ما هذا الأمر؟»** فردوا عليه: **«إننا لا نعرف شيئاً وكنا نعتقد بأن لديك معلومات أكثر منا»**. فرد الفاتح بشارة: **«ما هو تعداد القوة وكمية الذخيرة والعربات؟»** فقال الفريق بشير: **«متوفرة ولكن هناك نقص في الأفراد»**، فرد عليه اللواء الفاتح بأنه يعرف هذه المنطقة جيداً حيثُ إن له بها منزل في ش55 العمارات يستأجره أحدُ الأشخاص، وتحيط بها عدة أحياء (الامتداد، والعشش، والديوم). ويسكن في هذه

الأحياء كثيرٌ من الجنود وضباط القوات المسلحة والقوات النظامية الأخرى. وأضاف اللواء الفاتح بشارة قائلاً: **«ما علينا إلا أن نضرب الكبسة بصورة مستمرة وسوف يأتي العسكريون مسرعين»**. وبالفعل ما أن سمع الجنود صوت البروجي حتى توافدوا زُرافات ووحدانا من الجيش والبوليس والسجون والأمن القومي. وعلى الفور اجتمعت هيئة القيادة لوضع خطةٍ للتحرك لرد العدوان رغم أنهم كانت تنقصهم الكثير من المعلومات. وتم الاتفاق أن تكون هناك غرفة عمليات وإسناد في فرع الرياضة العسكرية، وتقوم الخطة التي وضعوها على ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: بقيادة رئيس الأركان الفريق (**بشير محمد علي**) يرافقه اللواء (**محمد الباقر أحمد**) النائب الأول لرئيس الجمهورية.

الهدف: تحرير القصر الجمهوري ومبنى الإذاعة والتلفزيون بأم درمان.

المحور الثاني: بقيادة اللواء (**محمد عثمان هاشم**) وقائد ثاني العميد (**محمد يحيى منور**) قائد فرع الاستخبارات العسكرية.

الهدف: تحرير القيادة العامة والالتحام مع القوات المسلحة التي مازالت تقاوم من داخل القيادة. وكانت هذه القوات الصامدة بقيادة العميد (**يوسف أحمد يوسف**) هنقر الطيران الحربي.

المحور الثالث: بقيادة اللواء (**الفاتح بشارة**).

الهدف: تحرير مطار الخرطوم بأسرع وقت ممكن، وذلك لاستقبال القوات السودانية الموجودة بكثرة في مصر والتي وُضِعت في حالة استعداد قصوى وجُمعت بسرعة في مطار القاهرة بانتظار إشارة القدوم.

كانت هيئة القيادة على قناعة تامة بأن الإسناد من القوات السودانية الموجودة في مصر سوف يكون أسرع من إسناد الداخل، وذلك لسرعة الطيران وقرب المسافة بين القاهرة والخرطوم التي تبلغ ساعتين وربع فقط. وبالنسبة للمحور الأول فقد كانت نسبة التنفيذ 100%، حيث استطاع اللواء (**محمد الباقر أحمد**) أن يوجه خطاباً للأمة السودانية من الإذاعة ودمغ المهاجمين بوصف المرتزقة. وقد كان ذكياً في استخدام ذلك اللفظ الذي يدل في كل الأعراف العسكرية والسياسية على الخيانة والارتزاق، الشيء الذي ألهب حماس الجماهير لمنازلة المعتدين والخروج للشارع لتأييد الجيش السوداني.

المحور الثاني أيضاً قاتل ببسالة منقطعة النظير. حيثُ شهد اللواء (**محمد عثمان هاشم**) النائب عمليات القتال الأشد لأن المعتدين كانت تتركز قوتهم الضاربة في القيادة العامة. وهنا سقط العميد (**محمد يحيى منور**) قائد الاستخبارات العسكرية وقائد ثاني هذا المحور قتيلاً. ويقول اللواء (**محمد عثمان هاشم**) واصفاً تلك اللحظات: «**إن محمد يحيى كان في غاية الحماس والاندفاع وعدم الاكتراث لندائاتي المتكررة له أثناء السير في المعركة بعمل ساتر، وكان يتقدم القوات راجلاً أمام مدرسة قديس فرانسيس مكان استشهاده. ومحمد يحي ضابط عظيم**

وشجاع بكل المقاييس، وربما كان اندفاعه بمثابة تأنيب الضمير لأنه هو الذي أوصى هيئة الأركان بتخفيض الاستعداد».

وبمقتل العميد (**محمد يحيى منور**) خسرت القوات المسلحة السودانية واحداً من أعظم وأكفأ وأشجع قادتها. وكان الحزن والألم بفقده عظيماً على أسرته وأطفاله وزملائه رفقاء السلاح. واستطاع اللواء (**محمد عثمان**) أن يحرر القيادة العامة بعد معركة شرسة سانده فيها من داخل القيادة العميد الصامد (**يوسف أحمد يوسف**).

أما في المحور الثالث فقد اقتحم اللواء (**الفاتح بشارة**) مطار الخرطوم من ناحية برى وحرره في وقت وجيز، وفك أسر المعتقلين داخل المطار من عمال وموظفي شركة الخطوط الجوية السودانية (**سودانير**) والطيران المدني والركاب وموظفي الأسواق الحرة. واعتقل قائد مجموعة المطار الذي أعطاه لدى استجوابه كل المعلومات قائلاً:

«نحن الجبهة الوطنية المكونة من الحزب الاتحادي، وحزب الأمة، والإخوان المسلمين، تدربنا وتسلحنا في معسكرات بالجماهيرية الليبية، وقائدنا هو العميد (م) محمد نور سعد، وهدفنا هو إسقاط نظام مايو. وقد قررنا تفجير طائرة الرئيس عند هبوطها». ولما كان اللواء (**الفاتح بشارة**) قد توفرت له كل أجهزة الاتصال من داخل غرفة كبار الزوار بمطار الخرطوم VIP فقد استطاع أن يُمَلِّكَ المعلوماتِ المفقودةَ عن المهاجمين للفريق (**بشير محمد علي**) واللواء (**محمد عثمان**). وهنا فقط عرفت هيئة قيادة الجيش مع من تتقاتل. وعندما عرف

الانقلابيون بخسران معركتهم كرروا ما فعله الشيوعيون في مجزرة بيت الضيافة فارتكبوا مجزرة في جراح منزل الفريق (**بشير محمد علي**) وأيضاً في جراح منزل العميد (**محمد يحيى منور**) وذبحوا شقيق اللواء (**محمد عثمان هاشم**). ووصلت القوات السودانية بالطائرات من القاهرة عصر يوم الجمعة وشاركت في تمشيط العاصمة بأكملها. ووصلت قواتٌ من الأبيض، والقضارف، ومدني، يقودها الرائد (**زين العابدين محمد أحمد عبد القادر**) والرائد (**أبو القاسم محمد إبراهيم**). وكان وصولها في الساعة العاشرة من مساء يوم الجمعة. وأمر الرئيس نميري أن تكون هذه القوات القادمة تحت إمرة اللواء (**الفاتح بشارة**).

وبطلوع فجر يوم السبت كانت المعركة قد انجلت تماماً، وقام الجيش بتمشيط كل الأماكن المشتبه فيها. وكانت القوات تتدفق من الأقاليم إلى الخرطوم. وقد ارتكبت القوات القادمة من الدمازين خطأ فادحاً حيث قتلت كابتن السودان في كرة السلة العملاق وفنان الجاز الكبير (**وليم أندريه**) تأثراً بالمناخ الذي أفرزته كلمة مرتزقة.

أما في صباح يوم الأحد فقد كان الهدوء والأمن قد سادا العاصمة المثلثة بشكلٍ كامل، وخاطب الرئيس (**جعفر محمد نميري**) الشعب السوداني مُشيداً بتلاحم الشعب مع الجيش، وزافاً البشرى لقوات الشعب المسلحة بالانتصار حِفاظاً على ثورة مايو ضد المعارضة العميلة والمرتزقة كما وصفها في خطابه. حَمَّلَ الرئيس نميري العقيد (**معمر القذافي**) حاكم ليبيا المسؤولية عن كل ما حدث ومتوعداً بالرد السريع على تلك الأحداث. وتم القبض على العقيد (**محمد نور سعد**) قائد المحاولة في ضواحي مدينة الدويم حيث كان قد تمكن من الانسحاب

من الخرطوم فاراً بعيداً عنها. واتخذ الرئيس نميري قراراً بتكليف اللواء (**الفاتح بشارة**) بعمل تحقيق استراتيجي مع محمد نور سعد قائلاً له: **«إنَّ هذا العمل خطير بمكان ووراءه دولة وتشارك فيه أكبر ثلاثة أحزابٍ في السودان، وكرامة الجيش السوداني كادت أن تُهدر لولا توفيق الله لنا وبسالة وشجاعة قواتكم المسلحة قيادة وضباطاً وجنود. ولذلك لا بد من الوصول إلى الحقائق كاملة لنضع خططنا الكافية حتى لا يتكرر مثل هذا الأمر مرةً ثانية»**.

وفور تسلمه ذلك الأمر الرئاسي عقد اللواء (**الفاتح بشارة**) جلسة التحقيق الاستراتيجي مع العميد (م) (**محمد نور سعد**). وفي البداية طلب (**الفاتح بشارة**) من (**محمد نور سعد**) أن يقول له الحقائق كاملة، فقال محمد نور سعد للفاتح بشارة: **«أنت يا سيادة اللواء الرجل الوحيد الذي وقف ضد تجريدي من القوات المسلحة لذلك أنا موافق على توثيق الأحداث معك بكامل تفاصيلها»**. وتم التحقيق والتوثيق لهذا الحدث الذي يُعتبر من أهم الأحداث في تاريخ السودان والقوات المسلحة. وختم اللواء (**الفاتح بشارة**) التحقيق بتوصيتين حتى لا يتكرر هذا الفعل مستقبلاً:

1- عمل مصالحة وطنية مع الأحزاب. وقد أوضح هذه النقطة بجلاء السيد اللواء (**عمر محمد الطيب**) النائب الأول لرئيس الجمهورية في لقاء تلفزيوني حين قال: **«إن المصالحة الوطنية قد بُنيت على التحقيق الذي أجراه اللواء الفاتح بشارة مع العميد محمد نور سعد»**.

2- لا بد من عمل اتفاقية دفاع مشترك مع مصر لردع معمر القذافي.

كانت قوى اليمين واليسار والنقابات العمالية والاتحادات الطلابية والطائفية قد اتفقت في تلك المرحلة على إسقاط نظام مايو مستلهمين تجربة ثورة أكتوبر1964م التي أفرزت العصيان المدني. ولما كان رمز ثورة مايو الأول وقائدها الرئيس (**جعفر محمد نميري**) خارج السودان فقد شكل هذا الوقت المناسب للعصيان المدني. وكان الذي يدير شؤون البلاد في غياب الرئيس هو النائب الأول لرئيس الجمهورية اللواء (**محمد الباقر أحمد**).

وعندما علم الباقر بتحرك المعارضة ومخططها للعصيان المدني وهو ذو خبرة في هذا الشأن تعود إلى أيام ثورة أكتوبر 1964م التي أسقطت حكومة الفريق (**إبراهيم عبود**) فقد واجه مع غيره من القادة تلك المرحلة بكل إفرازاتها. واتخذ قراراً بإعلان حالة الطوارئ بوصفه النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائم بأعمال الرئيس. وبما أن عبء تنفيذ قانون الطوارئ يقع على الجيش كان لا بد له أن يجتمع بقيادة الجيش ليضمن التنفيذ. وفعلا اجتمع بالقيادة العامة بسعادة الفريق طيار (**عوض خلف الله**) القائد العام ونائبه الوحيد اللواء (**الفاتح بشارة**)، وعندما عرض الباقر الأمر اندهش لما سمعه من رد القائد العام (**عوض خلف الله**) إذ قال له: «**إن الرئيس نميري أصدر لي تعليمات مسبقة بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة في حالة غيابه أن يكون القرار العسكري في يد القائد العام فقط. وأنا أرى أن هذا الأمر سياسي وليس عسكري ولهذا أرفض قرار سيادتكم بتنفيذ**

حالة الطوارئ». وهنا أُسقِط في يد اللواء الباقر، فتدخل اللواء **(الفاتح بشارة)** بإيماءةٍ منه وحركة لم يلاحظها القائد العام أوحت للباقر بألا ينفعل وسوف يكون طلبه مُجاباً.

ولما كان اللواء (أ.ح) **(الفاتح بشارة)** يشرف أيضاً على نادي الضباط بوصفه مديراً له فقد كان طبيعياً أن يذهب ليلاً للنادي، وبهدوء شديد استطاع من داخل النادي أن يضع خطة إنزال للقوات Troops على جميع مداخل وطرق وجسور الخرطوم. وبما أن النادي يتوافد إليه الضباط في كل يوم من مختلف الرتب والوحدات العسكرية فقد استطاع بكل سهولة أن يُصدر الأوامر لضباطه الذين يثق فيهم مع تحديد ساعة الصفر وهي الرابعة صباحاً. كل هذا قام به اللواء **(الفاتح بشارة)** نائب القائد العام للقوات المسلحة دون علم القائد العام بل عكس إرادته تماماً.

وتحرك اللواء **(الفاتح بشارة)** لمنزله بحي المطار كالمعتاد في الساعة 12 ليلا. وفي تمام الساعة 2 صباحاً توجه إلى القيادة العامة في كامل زيه العسكري، ومن داخل هيئة القيادة أصدر أوامره الأخيرة بالتنفيذ. وفعلا غطت القوات بلبس (5) كل مداخل وطرق وجسور العاصمة. وعندما أصبح الصباح وتوجه العمال والطلاب لتنفيذ العصيان المدني تفاجأوا بالقوات المسلحة تأمرهم بلهجة صارمة وحاسمة بالعودة إلى منازلهم فوراً، وبذلك فشلت حركة شعبان. وهنا تنفس اللواء الباقر الصعداء وشكر اللواء **(الفاتح بشارة)** شكرا كثيراً، وذهب منشرحا إلى مطار الخرطوم لاستقبال الرئيس نميري. ولكن فرحة الباقر لم تدم طويلا فقد فاجأه نميري بقوله أن الأمر لم يكن يستدعي حالة طوارئ، فرد عليه اللواء الباقر بقوله: «**إنَّ**

الأمر كان خطيراً عليك يا سيادة الرئيس وعلى ثورة مايو ولولا الفاتح بشارة لانقضى أمرٌ كان مفعولاً، وأنا أتحمل مسؤولية القرار لوحدي وأتقدم إليكم باستقالتي كنائبٍ أول لرئيس الجمهورية). ورفض الرئيس نميري الاستقالة.

وبالعودة لإعلان (**الفاتح بشارة**) لحالة الطوارئ فإنَّ ذلك الموقف أدى في نهاية المطاف لخروج اللواء (**محمد الباقر أحمد**) من العمل كنائب أول لرئيس الجمهورية، فكيف كان ذلك؟ روى هذه القصة اللواء (**عمر محقر**) أثناء حديثه للمؤلف بمنزله حيث قال:

«جاءني اللواء الباقر بمكتبي بالقصر الجمهوري يحمل استقالته كي أقدمها للرئيس نميري. وكنا قد عملنا له موقعاً رئاسياً في القصر. وعلاقتي باللواء الباقر قديمة وأعرفه منذ زمن بعيد حيثُ كنا نطلق عليه لقب (أب أحمد). ورفض أن يتراجع عن قراره. فقلتُ له إنك تعرف الرئيس نميري ولو قلت له إنني أود الاستقالة فإنه لن يوافق لك على ذلك. ثم إن ذهابك خسارة للحكومة».

ورغم كل المحاولات التي جرت لإثناء سعاد اللواء الباقر عن هذه الاستقالة إلا أنه ظل على موقفه الذي لم يتزحزح عنه ورفض العدول عنها تماماً. ولذلك تسلمتُها منه لأرفعها للرئيس نميري، وكان نصها كما يلي:

السيد الأخ الرئيس القائد جعفر محمد نميري

رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعد

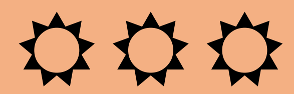
نسبةً لما عانيتُه من مرض خلال فترة السنوات الماضية فلقد أحسست بأن حالتي الصحية لم تعد تسمح لي بالاستمرار في أداء مسؤولياتي كنائب أول لرئيس الجمهورية مما يدفعني للكتابة لسيادتكم راجياً أن يتم إعفائي من مناصبي الرسمية تقديراً لظروفي الصحية. ولا شك أن سيادتكم تدركون أنني ما قصدت أن يجيء هذا الطلب مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لكم فلقد ظللت أتحمل مسؤوليات العمل رغم ظروفي المرضية وعلى حساب حالتي الصحية استشعاراً بالمسؤولية الوطنية وتقديراً للأمانة العظيمة التي طوقتموني بها باختياري نائباً أولاً لكم، ولكن وللأسف البالغ فإن تجاهلي لظروفي الصحية يبدو أمراً مستحيلاً مما يضطرني لتقديم استقالتي لسيادتكم من مناصبي الرسمية. لقد وضعت نفسي منذ قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو 1969م جندياً في صفوف الثورة، وتوليت عديداً من المسؤوليات في مختلف مواقع العمل وأديت واجبي حسب تقديري كاملاً في كل الظروف. وعزائي هو أن الثورة قد دخلت في عامها السادس واجتازت كل التجارب المريرة التي تعرضت لها وهي الآن وفي هذه المرحلة تعتبر أقوى عوداً وأكثر صلابةً. وفي الختام أرجو أن تتقبلوا صادق تحياتي وخالص ودادي وإخائي راجياً أن يوفقكم الله لخدمة البلاد وإسعاد شعبها ولقيادة الوطن في طريق التقدم، والله يعينكم ويهديكم سواء السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مخلصكم أبداً لواء أ ح. محمد الباقر أحمد، الخرطوم، 20/8/ 1974م

ومن الجانب العسكري أقال الرئيس نميري القائد العام الفريق طيار (**عوض خلف الله**)، وأعاد تشكيل قيادة الجيش، فعاد الفريق أول (**جعفر محمد نميري**) لشغل منصب القائد العام. وأتى بقائد المدرعات اللواء (**بشير محمد علي**)

وهو من الضباط الأحرار ورقاه لرتبة الفريق رئيساً لهيئة الأركان. وأصبح اللواء **(الفاتح بشارة)** نائباً لرئيس هيئة الأركان إدارة وإمداد. وهنا قال اللواء **(الفاتح بشارة)** ساخرا: **(عجيبٌ أمر مايو تدافع عنها تفطك)**. إذاً فشلت حركة شعبان في إسقاط مايو، ولكنها أوقعت كثيراً من التغيير داخل قيادة الجيش.

التعاون العسكري مع دول الخليج:

كان **(الفاتح بشارة)** هو الشخص الذي بسط آفاق التعاون العسكري مع دولة الإمارات العربية المتحدة وجيشها الوليد، وكذلك مع دولة قطر. وقام بخلق جسور قوية للتعاون مع دولة الكويت. وقد أشرف بنفسه على اختيار عدد من الضباط والرتب الأخرى للتدريب وجلب عدد من الأشقاء العرب للتدرب على إنشاء وقيادة الأسلحة والوحدات في شتى أفرع الأركان وفي الطيران والبحرية. وبعد أن أنشأ المعاهد والمدارس العسكرية فتح لهم أبواب هذه المعاهد السودانية لينهلوا منها العديد من العلوم العسكرية. وبالفعل فقد بعثت هذه الدول الشقيقة بالعديد من أبنائها الذين تعلموا أصول الضبط والربط في السودان. وكان **(الفاتح بشارة)** يزورهم بصفة دورية ومستديمة ليقف على أحوالهم وتنفيذ الخطط التي وضعها لتدريبهم بالسودان. وأبرم مع دولة الإمارات العربية المتحدة اتفاقية المبعوث الممتاز التي نظمت لهم واجباتهم وحقوقهم أثناء وبعد الخدمة.



الفصل السادس

❋❋❋❋❋

الفاتح بشارة السفير لبلاده

الفصل السادس

﴿الفاتح بشارة السفير لبلاده﴾

◆◆◆

سفير السودان بالسعودية:

تبوأ (**الفاتح بشارة**) منصب في أواخر عام 1976م منصب سفير جمهورية السودان الديموقراطية لدى المملكة العربية السعودية. وكانت الأسباب التي جعلت الرئيس (**نميري**) يتخذ قراره بتعيينه في ذلك المنصب قد أملتها إلى جانب أشياء كثيرة الموقف العربي الذي كان محتاجاً يومها لرجل ذي قامةٍ سامقة ليؤدي دوراً غايةً في الأهمية والخصوصية ويتحلى بالصبر والحنكة والحكمة والمثابرة أكثر من حاجته للدبلوماسية وحدها.

وكان (**الفاتح بشارة**) قد ترك الجيش وقتها ونزل برتبة فريق. وقد خيره الرئيس نميري في لقاء شخصي بين أن يُبقيه في موقع مرموقٍ بالسودان يتعلق بوضعه العسكري أو يعينه سفيراً بالمملكة العربية السعودية لأداء هذه المهمة الوطنية الحساسة في ذلك الوقت. فاختار (**الفاتح بشارة**) على الفور أن يكون سفيراً للسودان بالمملكة. وكانت أهمية ذلك التعيين أنه جاء بعد قطيعةٍ دامت أربع سنوات بين حكومتي السودان والمملكة السعودية.

جمع (**الفاتح بشارة**) متاعه وتوجه صوب المملكة السعودية وقدم أوراق اعتماده كسفير للملك (**خالد ابن عبد العزيز**). ولما كان الملك خالد قد عُرف

بحبه وتقديره الكبير لأهل السودان فقد أولى تقديراً خاصاً لذلك التعيين الذي جاء في مرحلة حساسة بكل المقاييس. وبدأ (**الفاتح بشارة**) من أول يوم في عمله كسفير يلعب على أوتار الدبلوماسية بشكلٍ دقيق، مستفيداً من ضبطه العسكري وحنكته الإدارية والسياسية التي تشربها منذ أيام عمله مع الفريق (**إبراهيم عبود**) بالقصر الجمهوري. حيث كان قد تمرس على البروتوكول ومقابلات الرؤساء والملوك والسفراء والوزراء وغيرهم من صناع السياسة حول العالم. ودخل عشرات القصور والبيوتات الكبيرة لزعماء العالم. فكيف لا يوظف كل هذا في عمله الدبلوماسي كسفيرٍ للسودان؟

بالفعل وجد (**الفاتح بشارة**) أنه قد وظف تلك الخبرات المتراكمة في عمله الدبلوماسي. وكان أول ما بدأ به أن خلق صداقة متينة مع الملك (**خالد بن عبد العزيز**) وحاشيته ووزرائه، ومعظم السفراء الذين يمثلون بلادهم في المملكة العربية السعودية. وأحس بأن فرصةً ذهبيةً قد واتته ولا بد له أن يستفيد منها غاية الاستفادة. ذلك الوضع المميز له والتقدير الخاص الذي لمسه بشدة لدى الملك لأن الفرصة الذهبية قد واتته بالفعل ليقوم بتمتين أواصر الصداقة بين حكومة المملكة السعودية وشعب السودان. وبالفعل فقد نجح نجاحاً منقطع النظير في ذلك، فكيف كان ذلك؟

وشهدت العلاقات السودانية السعودية (1976–1980م) قمة التطور والازدهار في عهده، حيث زار الملك (**خالد بن عبد العزيز**) السودان، وكان واحداً من أسباب نجاحه في ذلك العمل الكبير أنه قد تشرف بمعرفة الملك (**خالد بن عبد العزيز**) عندما كان أميراً لمنطقة مكة المكرمة، حين زار السودان في عهد الفريق

(**إبراهيم عبود**) ومكث بالسودان ثلاثة أشهرٍ للصيد. وكان (**الفاتح بشارة**) هو المشرف على برنامجه طوال تلك الفترة، مما وطد العلاقة والصداقة بينهما كثيراً.

ومن زاوية أخرى كان (**الفاتح بشارة**) قد نجح في تمتين علاقة السودان بمنظمة المؤتمر الإسلامي التي كان السودانُ قبله لا يعيرها اهتماماً كبيراً أو بالأصح لم يكن على صلةٍ وثيقة أو درايةٍ كافية بها. والسبب أن وزير الخارجية آنذاك الدكتور (**منصور خالد**) كان يبدو وكأنَّ ميوله الذاتية لا تتجه نحو مثل هذه المنظمات. ولذلك كان (**الفاتح بشارة**) أول سفيرٍ سوداني يقدم أوراق اعتماده لهذه المنظمة الإسلامية. ولهذا السبب اختارته المنظمة عضواً أساسياً في لجنة القدس برئاسة ملك المغرب الراحل الملك (**الحسن الثاني**).

وأنعم على (**الفاتح بشارة**) بواحدٍ من أرفع الأوسمة التي يمنحها ملوك السعودية وهو: (**وسام الملك عبد العزيز**) من الطبقة الممتازة، وذلك تقديراً لخدماته الكثيرة التي قدمها للبلدين الشقيقين.

ووسام الملك عبد العزيز يُمنح تقديراً لمن يؤدي خدمات كبرى للمملكة أو لأحد مؤسساتها أو يقوم بخدمات ذات قيمة معنوية مهمة، أو لمن يقدم تضحياتٍ كبيرة تدعم العلاقات بين المملكة وأصدقائها. ولذلك فقد تتوجت خدمة (**الفاتح بشارة**) بالمملكة السعودية بهذا الوسام الرفيع الذي لم ينله سفير سوداني ولا عربي قبله.


المملكة العربية السعودية

نحن خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

سعادة السفير الفاتح بشير بشارة

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة

... ابتداءً من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسيم التكريم العائدة

الرياض في ٢٠/٤/١٤٠١هـ الموافق ٢٤/٢/١٩٨١م

بأمر جلالة الملك المعظم

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

إذن لقد كان اختيار الرئيس نميري للفاتح بشارة ليكون سفيراً للسودان في المملكة العربية السعودية اختياراً صادف أهله. وكان نميري كثيراً ما أفصح عن قوله: **«إنَّ كاريزما الفريق الفاتح بشارة هي التي تشجعني دائماً على تكليفه بمثل هذه المهام الكبيرة، فهو الرجل المناسب لأداء كل ما أوكله إليه من مهام»**.

ماذا فعل الفاتح بشارة في المجال الدبلوماسي؟

لقد أفضت الحنكة الدبلوماسية لدى **(الفاتح بشارة)** أن أصبح عضواً مؤسساً لبنك التنمية الإسلامي، ومحافظاً مناوباً للسودان، ومندوباً للسودان برابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورئيساً لوفد السودان بلجنةِ القدس. واستطاع من خلال هذه المناصب أن يترجم شعار الدبلوماسية في خدمة التنمية

الداخلية، فجلب العديد من المشاريع والمنح للسودان. كما استطاع أن يوقع بروتوكولاً ثقافياً مع المملكة العربية السعودية أدخل بموجبه العشرات من الطلبة السودانيين في الجامعات السعودية خلال فترة عمله. وحل كثيراً من مشاكل وقضايا المغتربين.

وفي فترة تولي (**الفاتح بشارة**) لسفارة السودان بالسعودية وُلِد البنكُ الإسلامي للتنمية، فكان من المؤسسين الأوائل فيه. وقد تم تعيينه في منصب المحافظ المناوب بمجلس المحافظين.



الفاتح بشارة يشارك في مؤتمر المحافظين الثاني للبنك الإسلامي للتنمية
الذي انعقد بالعاصمة الماليزية كوالالمبور في مارس 1978م

ومن زاويةٍ أخرى فقد أدى عمل (**الفاتح بشارة**) في البنك الإسلامي إلى توثيق العلاقة بينه وبين رئيس البنك الدكتور (**محمد أحمد علي**). ونشأت صداقة شخصية متينةٌ وحميمة بينهما مما مكنه وهو في منصب السفير أن يوظف ستين من أبناء السودان في الوظائف القيادية والوسيطة والقاعدية بهذا البنك ذي الأهمية الخاصة جداً في تاريخ الصيرفة الإسلامية والعربية. واستطاع بذلك أن يحصل على (12) قرضاً ميسراً للسودان. كما استطاع أن يُقنع البنك بعقد أحد أهم مؤتمراته بالخرطوم ويقوم بتمويل كل مشاريع السودان التي قدمت له خلال ذلك المؤتمر.

ومن زاوية أخرى أثمرت مجهودات (**الفاتح بشارة**) كسفيرٍ للسودان في إقناع المملكة العربية السعودية بسد الفجوة التمويلية بالسودان من خلال إسهامها في أكبر مشروع للسكر شهده العالم آنذاك وهو مشروع (**سكر كنانة**) العملاق. وقد شهد على ذلك السيد (**عثمان النذير**) من خلال أحاديثه الكثيرة التي تواصلت بعد ذلك.

واستطاع (**الفاتح بشارة**) من خلال توظيفه لمنصبه المميز كسفير للسودان أن يُقنع الأشقاء في المملكة العربية السعودية بقبول المئات من الطلبة والطالبات السودانيين في الجامعات السعودية، خصوصاً عندما أدارَ السودان ظهره للكتلة الشرقية. وبذلك أصبحت السعودية هي البلد الثاني من حيثُ عددُ الطلاب السودانيين بعد جمهورية مصر العربية التي تعودت على قبول الطلبة السودانيين منذ عشرات السنين لاسيما في الأزهر الشريف الذي سَمَّى بعضَ أروقتِه بأسماءٍ سودانية مثل: (**رِواق السنارية**) و(**رِواق دارفور**) الخ...

الفاتح بشارة وراء إنشاء جهاز المغتربين

من خلال التصاقه الشديد بأبناء الجالية السودانية في المملكة السعودية فكر (**الفاتح بشارة**) في إنشاء كيانٍ يسهم في ربطهم بالسفارة وبالتالي بالوطن، فاتخذ قراراً بتكوين مجلس للشورى اختار من ضمن مؤسسيه السيد (**علي عبد الله يعقوب**) الذي كان خلية نحل في ذاته وكان مثابراً على لم شمل السودانيين وإشراكهم في كل ما يهم كيانهم كواحدة من أكبر الجاليات العربية بالسعودية. وكان من أكبر المشكلات التي تؤرق مضاجع السودانيين بالمملكة هي مشكلة استخراج الجوازات التي كانت لا تتم إلا بالسودان قبل مجيء (**الفاتح بشارة**) كسفير. وكان هذا الأمر يؤرق مضاجع السودانيين خصوصاً الذين يولد لهم أبناء في المملكة ويكونوا قد غابوا عن الوطن لسنواتٍ طويلة.

وما كان من السفير (**الفاتح بشارة**) إلا أن أصدر قراراً بأن يتم استخراج الجواز لأي مغترب سوداني من داخل سفارة السودان بالممكلة وكذلك يتم تجديد كل الجوازات وإضافة الأبناء وغيرها من الأمور التي كانت تمثل هاجساً للمغتربين جميعاً. وفي تلك الفترة كوَّن (**الفاتح بشارة**) لجنة قامت بحصر جميع السودانيين بالمملكة رجالاً ونساءاً وأطفالاً. وهو الذي أوعز في نهاية المطاف لحكومة السودان بتكوين (**جهاز المغتربين**) بالخرطوم الذي سُمي فيما بعد (**جهاز السودانيين العاملين بالخارج**).

وعندما تقرر نقل السفارات الأجنبية إلى الرياض قام السفير (**الفاتح بشارة**) بحجز قطعة أرض كبيرة للسفارة ولمنزل السفير والعاملين بالسفارة. ولم يبخل

الأشقاءُ السعوديون عليه بتلك الأرض الواسعة التي لم تزل شاهداً إلى اليوم على جهود السفير (**الفاتح بشارة**).

ممتلكات السودان بالسعودية

للسودان عدد من الأوقاف بالمملكة العربية السعودية خصوصاً أوقاف (**مملكة سنار**) و(سلاطين **الفور**) بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة. ولم يلتفت إليها سفراء السودان السابقون، ولذلك رأى (**الفاتح بشارة**) أن يبادر بحصرها وتسلم وثائقها. وبما أنها قد أصبحت في قلب هذه المدن وأصبحت قيمتها المادية والمعنوية لا تُضاهَى فقد قام بحصرها جميعاً. وطلب من الحكومة السعودية أن تسلمه الوثائق الثبوتية الخاصة بها. وبالفعل فقد تم تسليمه إياها، وأرسلها جميعاً إلى الخرطوم.

بنك المغتربين:

ولما كان أمر المال ذا أهمية في حياة أبناء السودان بالمملكة فقد أنشأ (**الفاتح بشارة**) فرعاً لبنك النيلين داخل السفارة ليحل مشاكل المغتربين المتعلقة بالتحويلات والإيداع. وقد جمع في فترة وجيزة مئات الملايين من الريالات وأراح المغتربين من عناء التحويل وتجارة السوق الأسود حتى أصبحت وزارة الخارجية تغذي من ذلك الفرع عدداً من سفارات السودان الأخرى في مختلف الدول. ومن خلال تلك الحنكة المالية حصل على تبرعات كثيرة لدرء أخطار الفيضانات التي

غمرت السودان في عام 1979م. وقام **(الفاتح بشارة)** بتسليمها لرئيس لجنة الإغاثة السيد **(أبيل ألير)** الذي أصبح نائباً لرئيس الجمهورية. أما في مجال الحج إلى بيت الله الحرام فقد قام **(الفاتح بشارة)** أثناء عمله كسفير بعدة أدوار قلل من خلالها حجم المعاناة التي كان يتكبدها السودانيون من ضيوف الرحمن. وكان الحجاج السودانيون قبل ذلك يعانون كثيراً من مشاق جمع الريالات من شارع الجمهورية فوفر لهم سعادة السفير **(الفاتح بشارة)** في كل عام مبلغ مائة مليون ريال سعودي من رجل البر والإحسان السعودي السيد **(سالم بن محفوظ)** صاحب **(البنك الأهلي السعودي)** الذي كان أكبر المصارف بالمملكة.

والذي فعله **(الفاتح بشارة)** مع هذا الرجل هو أنه أقنعه بأن يقوم بتقديم قرض حسن في كل عام استمر طوال سنوات عمل **(الفاتح بشارة)** بالمملكة السعودية. وقد شهد بذلك الجهد العظيم كل الذين تحدثوا عن تلك الفترة من حياة السودانيين بالمملكة السعودية وعلى رأسهم كبار موظفي بنك السودان ومنهم السيد **(صلاح أبو النجا)**، والسيد **(عبد الرحمن الصيني)**، ومحافظ بنك السودان **(السيد نمر)**. كما شهد على ذلك سعادة السفير **(عمر بريدو)** وسعادة السفير الدكتور **(علي يوسف)**، الذي كان الساعد الأيمن لصديقه **(لفاتح بشارة)** في تنفيذ ذلك العمل الإنساني الكبير وجعله واقعاً عاشه كل السودانيين بالمملكة. وللحقيقة فإن الذين يعملون بالمملكة الآن من أبناء السودان يشيدون بذلك العمل الجليل كلما ذهبوا لإجراء معاملاتهم الضرورية.



السفير الفاتح بشارة يتوسط قادة مايو في مناسك الحج وهم: خالد حسن عباس، الرشيد الطاهر بكر، مزمل سليمان غندور، بشير محمد علي، محمد عبد القادر عمر، يحي عبد المجيد، مصطفى جيش، صلاح عبد العال مبروك

الفاتح بشارة ومؤتمر فاس بالمغرب 1978م:

انعقد في مدينة فاس المغربية مؤتمر لوزراء خارجية الدول العربية في عام 1978م. وكان مؤتمراً خطيراً وشهيراً بكل المقاييس لأنه أعقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. وكان قد صدر قرارٌ من مجلس وزراء خارجية الدول العربية بتعليق عضوية مصر في الجامعة العربية ونقل المقر من القاهرة إلى تونس بالأغلبية. ولم يشأ (**الفاتح بشارة**) كتابة تقرير الواقعة بحكم

الصداقة القوية التي تربطه بمولانا (**الرشيد الطاهر بكر**). وقال: «**لم تنازعني نفسي في أكل عيش عن طريق صديقي العزيز الرشيد. وإنني على قناعة تامة بأن المخابرات المصرية قد أطلعت الرئيس السادات والرئيس نميري بما جرى في ذلك المؤتمر التاريخي**». وفي الفترة من 2 إلى 5 من شهر نوفمبر عام 1978م عُقِدَ مؤتمرُ القمة العربي التاسع في دورته العادية بالعاصمة العراقية بغداد، وأكد على دعم منظمة التحرير الفلسطينية وضرورة موافقة القمة العربية على أي حل مستقبلي للقضية الفلسطينية.

وقرر المؤتمر عدم الموافقة على اتفاقيتي كامب ديفيد الموقعة بين مصر وإسرائيل لتعارضهما مع قرارات مؤتمرات القمة العربية. وفي هذا المؤتمر تم نقل مقر الجامعة العربية من مصر ومقاطعتها وتعليق عضويتها في الجامعة مؤقتا لحين زوال الأسباب. وكان ذلك بدعوة من العراق إثر توقيع مصر على اتفاقية كامب ديفيد. وقد شاركت بها 10 دول عربية ومنظمة التحرير الفلسطينية لبحث آثار الاتفاقية على الأمة العربية. وقد عرفت هذه المجموعة بجبهة الرفض. وحظرت القمة على أية دولة عربية عقد أي شكل من أشكال الصلح مع دولة الكيان الصهيوني. ودعت مصر إلى العودة إلى الصف العربي.

وبعد ذلك جاءت قمة تونس العادية حيث إنعقدت في الفترة من 20-1979/11/22م، وأكدت هذه القمة أيضاً على تطبيق المقاطعة على مصر، ومنع تزويد إسرائيل بمياه النيل، وإدانة سياسة الولايات المتحدة وتأييدها لإسرائيل. وكان انعقاد هذه القمة بعد الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني مباشرةً، وشاركت

فيها تِسعُ (9) دول عربية أكدت بدورها على قرارات قمتي الرياض والقاهرة حول الأزمة اللبنانية. كما دعت إلى الضغط على إسرائيل من أجل وضع حد لعدوانها على جنوب لبنان، وتغيبت مصر عن القمة. وكذلك دعت القمة إلى تعزيز العلاقات مع منظمة (**المؤتمر الإسلامي**)، و(**منظمة الوحدة الإفريقية**)، و(**حركة عدم الانحياز**)، وغيرها من المنظمات والدول لما فيه تطوير مواقف هذه الدول والمنظمات لنصرة القضايا العربية. وأكد المؤتمر سيادة لبنان الكاملة على أراضيه، والحفاظ على استقلاله ووحدته الوطنية، ورفض محاولات الهيمنة الصهيونية على الجنوب اللبناني. وكان رئيس وفد السودان وزير الخارجية الأستاذ (**الرشيد الطاهر بكر**)، ونائب رئيس الوفد هو الفريق (**الفاتح بشارة**) سفير السودان بالمملكة العربية السعودية. وكانت أجندة هذا المؤتمر التاريخي الشهير هي:

1/ تعليق عضوية جمهورية مصر العربية في الجامعة العربية.

2/ ترحيل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس.

كان رئيس المؤتمر هو وزير خارجية المغرب الأستاذ (**محمد بو ستة**).

وكان موقف السودان الرسمي والمعلن من قبل الرئيس (**نميري**) هو تأييده للرئيس (**محمد أنور السادات**) مع التحفظ على بعض جوانب الاتفاقية. وكان بذلك ضمن ثلاث دول عربية فقط وقفت مع مصر بصور متفاتة هي: (**سلطنة عُمان**) بقيادة السلطان (**قابوس بن سعيد**)، و(**دولة الإمارات العربية المتحدة**) بقيادة (**الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان**)، و(**جمهورية السودان الديموقراطية**)، بقيادة

الرئيس (**جعفر محمد نميري**). شعر السيد (**الرشيد الطاهر بكر**) رئيسُ وفدِ السودان لذلك المؤتمر بالحرج الشديد والتنازع لأنه في غرارة نفسه لم يكن مؤيداً لاتفاقية كامب ديفيد، ولكن ماذا يفعل بعد أن شاءت المقادير أن يكون رئيساً لوفد السودان الذي يُفترضُ أن يدافع عن موقف بلاده المؤيد لهذه الاتفاقية وسط بقية الوفود؟!! وأخيراً وجد الحل الأمثل لتلك المشكلة بعد أن تشاور مع صديقه ونائب رئيس الوفد السفير الفاتح، حيثُ اتفقا بأن يترأس وفد السودان في جلسة التصويت السفير (**الفاتح بشارة**).

وبالفعل ترأس الفاتح بشارة وفد السودان في تلك الجلسة التاريخية وهي جلسة التصويت على إقصاء مصر. وبالطبعِ فقد صوَّت ضد تعليق عضوية مصر في الجامعة العربية، كما صوت ضدَّ نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس. وبعد الاجتماع الأول للجنة القدس بالرباط برئاسة الملك (**الحسن الثاني**) طلب سفير المملكة المغربية بالخرطوم السيد (**عبد اللطيف مولين**) من وزارة الخارجية توضيحاً على كسر السودان لقواعد البرتوكول والمراسم. وكانت الشكوى قد قامت على أنَّ السودان مُمَثل بدرجة سفير بينما كل الدول الإسلامية السبع الأعضاء بلجنة القدس كانت مُمثلة بوزراء خارجيتها ورئاسة الجلسة كانت للملك (**الحسن الثاني**) نفسه. وكان رد وزارة الخارجية السودانية بسيطاً جداً وهو: (**أن الملف الإسلامي بما فيه لجنة القدس يتبع لرئاسة الجمهورية وليس لوزارة الخارجية**). وهنا طلب السفير المغربي السيد (**عبد اللطيف مولين**) مقابلة الرئيس (**نميري**) وعرض الأمر عليه على جناح السرعة. واستقبل الرئيس نميري سفير المملكة المغربية، وبعد أن سمع شكواه ردَّ عليه رداً شفوياً مباشراً قائلاً: «**إنَّ الفاتح بشارة قبل أن**

يكون سفيراً فهو فريق أركان حرب بالقوات المسلحة السودانية، ودرجة الفريق لدينا بالسودان أعلى من درجة الوزير. ثانياً إن الفاتح بشارة هو المسؤول عن كل الملف الإسلامي بحكومة السودان، ولذلك فإننا نعتبره أنسب وأقدر شخصية لدينا لأداء هذه المهمة. والشيء الثالث هو أنني إذا سحبته من المشاركة في هذا المؤتمر فلن أبعث لكم بديلاً عنه».

هنا تأكد للسفير **(عبد اللطيف مولين)** أهمية الفريق **(الفاتح بشارة)** ومكانته لدى الرئيس **(نميري)**. وعلى جناح السرعة بعث بذلك القرار إلى الديوان الملكي في الرباط، وجاءه الرد بأسرع مما يتصور في نفس اليوم مكتوباً عليه عبارة: **[على الرحب والسعة، ومرحباً بالفريق الفاتح بشارة رئيساً لوفد السودان بلجنة القدس]**. وأصبح الملك **(الحسن الثاني)** بذكائه المعهود ينادي **(الفاتح بشارة)** طَوَال الجلسات بعبارة: **(معالي الفريق)**، وكأنه أراد أن يُوصِلَ رسالةٍ خاصة مفادُها أنه قد اقتنع تماماً باختيار الرئيس نميري.

من خلال ما سبق تتضح متانة العلاقة بين الملك **(الحسن الثاني)** والرئيس(**نميري)** بل السودان والمملكة المغربية، والتي تُرجِمَت بفتح الجامعات المغربية العريقة أبوابها للطلاب السودانيين وزيادة أعدادهم طوال السنوات. إذن كان السفير **(الفاتح بشارة)** قد حقق من خلال عمله الدبلوماسي الكثير من الأمور التي قلَّ أن تتحقق لسفير حتى الذين تدرجوا في السلك الدبلوماسي الذي لم يكن هو واحداً من أبنائه. وإنما جاء للدبلوماسية من خلفيته العسكرية والتنفيذية.

الفاتح بشارة يسهم في إنشاء مسجد النيلين:

كانت كل تلك المهام ذات الطابع الإسلامي قد أوعزت للرئيس (**جعفر نميري**) أن يوكل للفريق (**الفاتح بشارة**) مهمة التحدث مع الملك (**الحسن الثاني**) ملك المغرب أن يتفضل بمكرمةٍ ذات طابع فريد وهي إكمال مسجد النيلين بأمدرمان على الطريقة المغربية الإسلامية الأندلسية ذات الزخرفة المتفردة في العالم. وبالفعل ذهب (**الفاتح بشارة**) إلى الملك وأبلغه رغبة الرئيس نميري بعد أن شرح له بشكل وافٍ أهمية هذا المسجد وما يمكنه أن يؤديه للمصلين بحكم موقعه الاستراتيجي بعد مدخل العاصمة الوطنية بكل رمزيتها الدينية المعروفة [15]. كما شرح له كيف أن هذا المسجد سيبقى على مر التاريخ رمزاً للعلاقة المتينة بين المغرب والسودان، وسيشهد على التاريخ الإسلامي لفن العمارة المغربية. وأضاف (**الفاتح بشارة**) أن هذا المسجد سيشيعُ روح الأخوة الإسلامية لدى جميع الأجيال المتعاقبة من شباب المسلمين الذين يتقاطرون على السودان لاسيما من البلاد الإفريقية. وبعد ذلك الحديث المستفيض عن هذا المشروع الكبير أصدر الملك (**الحسن الثاني**) أوامره بتنفيذ ما اتخذه من مرسوم ملكي بشأن إكمال مسجد النيلين بأمدرمان. ومن ذلك اليوم انتظمت رحلاتٌ جوية بطائرات عسكرية سودانية ظلت تجلب

---

[15] تُعتبرُ أم درمان هي عاصمة الدولة الإسلامية التي أقامها محمد أحمد المهدي في عام 1885م بعد انتصار ثورته الإسلامية. وقد كان يسميها البقعة المباركة. ولم تكن هذه المدينة موجودة قبل ذلك، بل نشأت من اليوم الذي حل بأرضها الإمامُ المهدي مع جحافل جهاديته الذين زحفوا معه من كردفان بعد انتصاره في معركة شيكان الشهيرة. وعندما وصل إلى هذا المكان اتبع مهج المصطفى صلى الله عليه وسلم وترك لناقته أن تبرك حيثما تشاء، واتخذ من مكان مبركها داراً له، ومنها نشأت مدينة أم درماننشأة دينيةً إسلامية.

عمال المغرب المهرة والمواد التي يستعملونها في نقش الزخارف الإسلامية على جدران وسقف المسجد على الطراز الأندلسي القديم والتي ظلت عبر السنوات رمزاً لجمال المعمار الإسلامي وفن النقوش المغربية في ملتقى النيلين.

وكان (**الفاتح بشارة**) قد رتب مع الإدارة السودانية أفضل أنواع الضيافة والسكن للعمال المغاربة الذين أدوا واجبهم بإتقانٍ كامل بسبب تلك الضيافة السخية. وكان من حسن الصدف أن العشرات من الطلبة السودانيين بالمغرب لم يعودوا إلى ذويهم خلال العطلات السنوية فدفعت بهم السفارة بالمجان ليذهبوا ويعودوا بتلك الطائرات العسكرية التي خصصت للعمال المهرة المغاربة العاملين في نقوش مسجد النيلين.

وبعد ذلك الجهد العظيم تم افتتاح مسجد النيلين في يوم الجمعة 3 محرم 1405هـ الموافق 2 سبتمبر عام 1984م على يد الرئيس (**جعفر محمد نميري**). وقد أعتبره كل الذين شاهدوه معلماً من معالم السودان المميزة من حيث موقعه المتميز على ضفة النيل العظيم، وتصميمه البديع والمتفرد الذي أبدع فيه طالبُ جامعة الخرطوم آنذاك (**قمر الدولة عبد القادر الطاهر**). عُرض ضمن فعاليات تخريج بجامعة الخرطوم في منتصف السبعينيات، وحضره الرئيس (**جعفر محمد نميري**). وأثناء طوافه على جناح خريجي كلية المعمار بالمعرض السنوي الذي تقيمه الجامعة سنوياً في موسم التخريج وقف عند هذا التصميم طويلاً وأعجب به غاية الإعجاب فقرر أن ينفذه، وبالفعل أمر بذلك. وتصميم مسجد النيلين جاء مغايراً لكل تصميمات المساجد المعروفة في العالم، حيث وضعه المصمم على شكل صَدَفَةٍ عملاقة تقف على مقربة من ملتقى النيلين الأبيض والأزرق على شاطئ مدينة

أمدرمان. ويُعتبر هذا المسجد أول وأكبر مسجد يقام على النيل من منبعه إلى مصبه وهو إلى جانب موقعه على ضفة النيل الخالد فإنه يتميز بجواره للهيئة التشريعية العليا بالسودان وهي (**المجلس الوطني**). كما أنه يلتصق بكلية القرآن الكريم التابعة لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وكذلك يتداخل موقعه مع تلاقي أطراف العاصمة المثلثة التي تتكون من (**الخرطوم، وأم درمان، والخرطوم بحري**).

وكان مسجد النيلين أول مبنى يشيد في السودان من قواطع الألمنيوم، وبدون أعمدة رفع، إذ يتصل السقف بالأرض مباشرة تماماً كالصدف. وكان بطل الملاكمة العالمي المعروف (**محمد علي كلاي**) قد حضر حفل افتتاحه بدعوة من الرئيس (**نميري**). بعد ذلك النجاح الذي شهد به كل من شاهد افتتاح المسجد أو زاره في تلك الأيام أو صلى به أياً من الأوقات الخمس تلقى سيادة الفريق (**الفاتح بشارة**) خطاب شكر من الرئيس نميري لما بذله من جهد كبير في إتمام هذا المسجد الذي ظل جميع أهل السودان يعتزون به لمواصفاته العديدة وموقعه الاستراتيجي المميز وزخرفته الإسلامية الفريدة.

ويُقال إن الملك الحسن الثاني قد تأثر كثيراً بتصميم هذا المسجد وفكرته فقرر إنشاء مسجد الحسن الضخم على ساحل المحيط الأطلسي بمدينة الدار البيضاء. وبإيعاز من الرئيس نميري الذي أشاد بدور (**الفاتح بشارة**) في إنشاء هذا الصرح الجميل بعث الفريق (**عمر محقر**) مدير مكتب السيد رئيس الجمهورية رسالةً لصديقه وزميله (**الفاتح بشارة**) بالرسالة التالية:

سيادة الأخ الكريم الفريق الفاتح محمد بشير بشارة

حاكم إقليم كردفان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شرفني وكلفني السيد الرئيس القائد جعفر محمد نميري أن أنقل لسيادتكم عظيم شكره وفائق تقديره لجهدكم المقدر وتحرككم الواسع الأمين في دعم كل عمل ومساندة كل مشروع يتبناه سيادتكم في سبيل خدمة وإسعاد ورفاهية الإنسان السوداني وبناء الأمة السودانية حتى تتبوأ مكانها الطبيعي والطليعي كأمة عريقة وعظيمة والتي وإن أراد لها البعض في الداخل والخارج تشتيتاً وضياعاً إلا أن الله سبحانه وتعالى وهبها ابنا باراً ناضل وصادم وتصدى وانبرى وسكب الدم والدمع والشباب ووهب الفكر والروح ليجمع شملها ويوحد إرادتها وينتشلها من التيه والضياع إلى الوحدة والوجود في كبريائها المعهود وعظمتها الأصيلة بعون الله وتكاتف المخلصين الحادبين البررة من أبناء هذا الشعب الأبي وثمار هذا التراب الغالي.

وهكذا كان عهد القائد بكم ووفاؤكم له ونحن شهود عيانٍ. عرفناكم طوال حقبٍ ثلاثٍ سباقين أولين تدعمون كل عمل عظيم يزخر بالخير والنفع ورفعة وتقدم الإنسان في كل زمان ومكان. عرفناكم سيادة الأخ الكريم حفيظاً للود، حريصاً على خدمة الناس في إرادة حرة بعيدة عن الانتماءات إلا الانتماء للوطن والدين الحنيف. إن اقتطاعكم جزءاً من وقتكم الثمين وسعيكم الذي لا يفتر في الإسهام في تنفيذ مشروع مسجد النيلين، هذا المشروع الإسلامي الكبير الذي كان

فكرة في وجدان السيد الرئيس المؤمن وأصبح حقيقةً شامخة يعانق النيل العظيم ليعم إشعاعه كل بلاد الإسلام إنما هو جهد نسأل الله أن يضاعفه لكم، فيه الثواب بعدد كل حرفٍ من القرآن الكريم ينطق به لسان ويقر به قلب طالب علم من السنغال والكاميرون، من إندونيسيا وماليزيا، من جزر القمر وتنزانيا، من ناميبيا وزِمبابوي، من تونس والجزائر، من البحرين والباكستان، من كل طالب وعالم من كل مكان في رحاب مسجد النيلين بأمدرمان. أسعدني جداً أن أكتب لسيادتكم وبتكليف وتشريف من السيد الرئيس القائد ناقلاً إشادة سيادته بكم وبجهدكم الحثيث وسعيكم الدؤوب. بارك الله لكم فيما صنعتم وأجزل لكم الثواب فيما قدمتم. أرجو أن تقبلوا شكري وتقديري والمودة.

عقيد عمر علي محقر

مدير مكتب السيد رئيس الجمهورية

أمين خزينة مسجد النيلين

الخرطوم في 25 ربيع الأول 1401هـ

الموافق 3 فبراير 1981م

الفاتح بشارة يؤسس نادي الضباط:

لما كان (**الفاتح بشارة**) رئيساً لنادي الضباط ولسنوات عديدة ولما ناله من خبراتٍ في سنواته العملية بالقوات المسلحة والقصر فقد عبر عن حزنه العميق لأن يكون نادي الضباط عبارة عن منزلٍ قديم لأحد الموظفين الإنجليز، فتكلم مع

زملائه، ثم مع رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة وقال لهم: **«لقد آن الأوانُ لأن يكون للضباط نادٍ يُشرفهم ويسع أعدادهم المستقبلية، ويصبح مَعلماً من معالم الخرطوم، شأنهم في ذلك شأن الضباط في كل جيوش العالم»**.

وكانت المفاجأة أن وجدتْ هذه الكلماتُ صدىً كبيراً وتجاوباً تاماً من كل مَن تحدثَ إليهم **(الفاتح بشارة)**، لاسيما الرئيس **(جعفر نميري)** الذي طلب منه أن يشرع فوراً في المشروع. فقام **(الفاتح بشارة)** أولاً بحجز أرض مساحتها 40 ألف متر مربع، وهي مَيدان المضمار لوزارة الشباب. وبالفعل فقد تنازلت وزارة الشباب عن هذه الأرض على مضض بعد معركةٍ طويلة.

وفي اجتماع هيئة القيادة لمناقشة تمويل هذا النادي الجديد هاجم كثيرٌ من الضباط وعلى رأسهم القائد العام **(الفاتح بشارة)** وقالوا له: **«لا داعي لنادي عملاقٍ مثلِ هذا لا نستطيعُ تمويله من الخزينة العامة. وسوف يجلب لنا نقداً لاذعاً من المدنيين. ثم إن هذا النادي ليس أسبقيةً في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة»**. ووجد الفاتح بشارة نفسه مواجها بهذا الرفض المؤسس، وكان عليه إما أن يتصدى بالرد الحاسم أو يتخلى عن المشروع برمته. ولذلك آثر المواجهة وقال لمنتقديه: **«إنَّ هذا المشروع لن يُكلف خزينة الدولة مليماً واحداً، وذلك لأنَّ الدول الشقيقة التي منحناها عرق ودماء شبابِ ضباطنا لن تبخل علينا بتبرعاتها السخية المُجزية التي ستساعدنا على تنفيذ هذا المشروع من الألف إلى الياء»**. وهنا تغيرت نبرة القائد العام، وقال له: **«إذا كان الأمرُ هكذا فأنا موافق على هذا الاقتراح، ويمكنك الآن أخي الفاتح أن تشرع فوراً في التنفيذ»**.

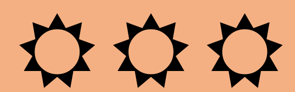
انفرجت أساريرُ (**الفاتح بشارة**) وبدأ أولى خطوات التنفيذ. ولكنه وجد منذ البداية أنه لا يملك خُرطاً ولا تصميمات ليأخذها للممولين. وبالطبع فإن تصميم الخرط يُكلف مالاً ليس باليسير لمشروع بهذه الضخامة. وخرينة النادي القديم ليس فيها مال بحكم أن اشتراك الضابط العضو كان 25 قرشاً فقط في الشهر، وهذا لا يفي بشيء.

وبعد تفكير عميق اهتدى (**الفاتح بشارة**) لأن يطرق باب شركةٍ إيطالية جاءت لتنال عطاءَ المطار الجديد بالخرطوم. وبواسطة أحد أصدقائه الذي عينته الشركة وكيلاً لها بالسودان طلب منهم أن يعملوا لنادي الضباط خُرطاً وتصميمات على سبيل الهدية. فرحبوا بالفكرة على الفور واعتبروها عربون صداقةٍ لهم مع السودان الذي يرجون منه الكثير. و

بالفعل عكف مصمموهم على عمل خرط لنادي الضباط، وأنجزوها خلال شهرٍ واحد وسلموها للفاتح بشارة الذي كان يجتمع بهم يومياً لتوضيح ما يجب أن يكون في هذا النادي الموعود. وكان هذ الشكل الدائري الذي يتمتع به النادي، والذي يُعتبرُ التصميمَ الوحيد في السودان من نوعه إلى اليوم. وبعد تسلم الخُرط سافر (**الفاتح بشارة**) ومعه أركان حربه الرائد (**علي عبد الكريم**) إلى أبوظبي ودولة قطر، ثم إلى دولة الكويت، وجمع ملايين الدولارات التي سخرها جميعاً لتنفيذ هذا النادي.

وبعد اكتمال المبنى اشترى بالمبلغ الذي يبقى أثاثاتٍ لكل غرف وأجنحة النادي هي التي جعلته آيةً في الجمال إلى يومنا هذا. وقد لعبت الأشغالُ العسكرية دوراً مهماً في التنفيذ بقيادة ربانها المهندس (**بابكر على التوم**)، والمهندس المقيم

(**العميد السر**). وأبلت لجنة النادي أيضاً بلاءً حسناً في وقفتها المتينة مع (**الفاتح بشارة**) وهو يشيد هذا الصرح الكبير، مما أقنع إدارته في المستقبل أن تُسمى إحدى أكبر صالاته باسم الفاتح وهي: (**صالة الفاتح بشارة**) التي تطل على الواجهة الشمالية للنادي، مؤكدةً عظمة الرجل ودوره الكبير في إنشاء هذا الصرح العظيم.



الفصل السابع

❄❄❄❄❄

الفاتح بشارة
حاكماً
لكردفان

الفصل السابع

﴿الفاتح بشارة حاكماً لكردفان﴾

◆◆◆

عُين (الفاتح بشارة) في أواخر عام 1980 حاكماً لإقليم كردفان الكبرى (مكلفاً، ثم معيناً، ثم منتخباً). وظل في هذا المنصب حتى شهر أبريل عام 1985. واستطاع أن يسخر مقدراته وخبراته المتعددة والمتنوعة وعلاقاته الواسعة في تنمية الإقليم. ووضع الأساس للحكم الإقليمي في كردفان.

وقام (**الفاتح بشارة**) خلال حكمه لكردفان بتطوير وتحديث (**مطار الأبيض**) بمنحة من المملكة العربية السعودية. أقام في عام 1984 أضخم احتفال تميز بالدقة بمناسبة الذكرى المئوية لمعركة شيكان الكبرى التي تعتبر أكبر انتصارٍ عسكري في تاريخ السودان. وقد اختير ممثلاً للسودان في سمنار الحكم الفدرالي (بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1983م. ونتيجةً لكل هذا فقد أصبحت الكفاءات والكوادر الوسيطة والعليا التي عملت تحت إدارته في كردفان الكبرى نجوماً في العمل العام على مستوى المركز والولايات لاحقاً.

كان السيد (**الفاتح بشارة**) قد تسلم أعباء منصبه كحاكم لإقليم كردفان بعد أن عمل لسنوات طويلة سفيراً للسودان بالمملكة العربية السعودية. وخلق علاقاتٍ كثيرة مع العائلة الحاكمة في المملكة وغيرها من دول الخليج العربي.

كما أتاح له انخراطه في سلك العمل العسكري كمعلم وقائد لكلية القادة والأركان، ومدير لمكتب الرئيس **(الفريق إبراهيم عبود)** بالقصر الجمهوري في عهد حكومة 17 نوفمبر، وفريق ركن، ونائب رئيس هيئة الأركان إدارة وإمداد أن يكون قريباً من صنع القرار الذي أصبح هو صانعه في نهاية المطاف.

وقد كان تعيينه كحاكم لكردفان قد تم في إطار الحكم الإقليمي عندما تم بسط اللامركزية بالسودان. وكان في البداية قد عُين حاكماً انتقالياً لمدة عامٍ ونصف، ثم بعد ذلك تم انتخابه كحاكم من قبل الجمهور في انتخابات شعبية عامة. وحسب الدستور فإن مدة ولايته قد استمرت لأربع سنوات. وعندما أصدر الرئيس نميري ذلك القرار بتعيينه في منصب حاكم إقليم كردفان وافق على ذلك بلا تردد بحكم علاقته القوية بالرئيس نميري وإحساسه بأن تلك الثقة الكبيرة لا بد أن يقابلها بالترحيب والاجتهاد المتزايد لإثبات أنها ثقة في محلها. وكان السبب الثاني هي إيمان **(الفاتح بشارة)** القوي بقيمة الحكم الإقليمي كصيغة أفضل لحكم بلد مترامي الأطراف كالسودان.

وبالطبع فإن منصب حاكم أو وزير هو من صميم العمل السياسي والتنفيذي والإداري. وليس بعيداً عن الجندي أن يمارس العمل السياسي، بل لقد كان أبناء الجيش في كثير من دول العالم هم قادة الدول وهم الرؤساء وهم الوزراء. والسودان ليس بعيداً عن ذلك حيث كانت المؤسسة العسكرية هي التي قادت حركة التغيير السياسي عندما استولت على السلطة في السودان أربع مرات كانت أولاها في يوم 17 نوفمبر عام1958 م حينما استولى الجيش بقيادة الفريق إبراهيم

عبود على مقاليد الحكم في حركة لم يسمها الناس انقلاباً وإنما كانت تسليماً للسلطة من قائدها السيد **(عبد الله خليل)** رئيس الوزراء آنذاك مقاليد الحكم للقيادة العسكرية بطوع إرادته. واستمر ذلك الحكم حتى يوم 21 من شهر أكتوبرعام 1964م.

ثم جاءت المؤسسة العسكرية بقيادة العقيد جعفر محمد نميري في يوم 25 مايو عام 1969م. واستمر حكم النميري حتى يوم 6 أبريل عام 1985م حيث تسلم المشير(**عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب)** مقاليد السلطة في السودان عقب الانتفاضة الشعبية، وهي الفترة الثالثة لحكم المؤسسة العسكرية بالسودان. ثم أعقبتها الفترة الرابعة في يوم 30 يونيو عام1989 م والتي جاءت بالعميد(**عمر حسن البشير)** لرئاسة السودان.

وهناك العديد من الانقلابات العسكرية التي لم تنجح في الاستيلاء على السلطة ومنها على سبيل المثال: انقلاب **(الصاغ كبيدة)** و**(عبد البديع علي كرار)** ضد نظام الفريق **(إبراهيم عبود)** في بداية الستينيات، وانقلاب الرائد **(هاشم العطا)** في يوليو1971 م ضد حكومة **(جعفر نميري)**، وحركة **(محمد نور سعد)** 1976م، وحركة28 رمضان ضد حكومة **(عمر البشير)** في أبريل 1990م. إذن كان تعامل أبناء القوات المسلحة مع الحكم والسياسة أمراً مألوفاً رغم أن الكثيرين ظلوا يعترضون عليه منادين الجيوش بالعودة إلى ثكناتها. ولكن تبقى الحقيقة التي لا مراء فيها أن العسكريين في كثير من الأحوال كانوا أكثر حنكة في التعامل مع أمور الحكم والسياسة. وربما صقلتهم الجندية من خلال ضبطها وربطها وحساباتها الدقيقة لأن يقودوا زمام العمل التنفيذي أو السياسي بشكل أكثر متانةً ودقة.

تكوين أول حكومة للفاتح بشارة

تسلم (**الفاتح بشارة**) مقاليد الأمور في ولايته كردفان التي بدأها بتكوين أول حكومة له في فترته الانتقالية من الآتية أسماؤهم:

1/ السيد الفريق (**الفاتح بشارة**) حاكماً للإقليم،

2/ السيد اللواء م. (**فضل الله حماد**) نائباً للحاكم،

3/ السيد (**حمد على التوم**)، وزيراً لشؤون الإقليم والإدارة،

4/ السيد المحامي (**دلدوم الختيم أشقر**) وزيراً للإسكان والمياه،

5/ السيد (**محمد أحمد جحا**) وزيراً للخدمات،

6/ السيد (**د. الفاتح التجاني**) وزيراً للمالية،

7/ السيد (**د. التاج فضل الله**) وزيراً للزراعة،

وقد بدا منذ الوهلة الأولى انسجام هذه الحكومة مع قائدها الذي تعلمت منه الكثير عبر السنوات. وكان (**الفاتح بشارة**) قد اختار شخصية متميزة من أبناء كردفان الاتحاديين وهو الشاب الذكي (**محمد يوسف الدقير**) ليكون مديراً لمكتبه. ولما كان (**محمد يوسف**) من الإداريين الشباب الأكفياء. فقد أبلى بلاء حسناً وعرف كيف يجاري فكر واحد من أكثر الحكام والزعماء حنكةً ونشاطاً في إدارة دفة الأمور. وظل (**الفاتح بشارة**) محباً لمدير مكتبه ومهتماً بتطوير ملكاته، وواثقاً في كفاءته وصبره على العمل الإداري. الأمر الذي قاد هذا المدير الهُمام في مقبل الأيام أن يكون واحداً من أنشط الوزراء الشباب عندما تقلد منصب وزير

الثقافة والإعلام والشباب والسياحة بحكومة ولاية الخرطوم. لقد قيلَ الكثير عن نشاط حكومة (**الفاتح بشارة**) وعن الضبط والربط الذي تحلى به كل أعضائها من وزرائه وأركان حربه الذين اختارهم بعناية فائقة وحنكة متناهية.



الفريق الفاتح بشارة يتوسط أعضاء حكومته من الوزراء: على يساره نائب الحاكم
اللواء فضل الله حماد، وعلى يمينه السيد محمد أحمد حسن جحا. الواقفون من اليمين:
د. التاج فضل الله، دلدوم الختيم أشقر، حمد علي التوم، ود. الفاتح التجاني

وكان من ضمن ما كتبه المقربون من الحاكم عن تلك المرحلة ما جاء في كتاب (**إفادات للذكرى والتاريخ**) الذي صدر في عام 2013م لمؤلفه الأستاذ (**دلدوم الختيم أشقر**) الذي صدر عن مطبعة جامعة الخرطوم. وكان من ضمن ما

جاء فيه على لسان الأستاذ دلدوم الذي كان وزيراً للإسكان والمياه في تلك الحكومة ما يلي: (**إنني عملتُ معظم عملي التنفيذي والوزاري في الولايات مع عدد من العسكرين والمدنيين، ولم يقابلني شخص يعتبر مستودعاً من الخبرات ودقة في العمل الإداري كالذي وجدته عند الأخ الفريق الفاتح بشارة. حيثُ لا يستطيع أحد من الذين عملوا مع الفريق الفاتح أن يكون اتكالياً، أو يسوس الأمور بطريقة فيها تراخي وخاصة في مسالة متابعة وتنفيذ التوجيهات والقرارات والسرعة التي يتطلبها هذا العمل**).

واستطرد الأستاذ (**دلدوم**) في وصفه قائلاً: كان الأخ الفريق الفاتح يحمل في جيب قميصه الأعلى أو بدلته أو جلبابه السوداني ورقة في حجم كفة اليد مسجل فيها البرنامج اليومي للمقابلات مع القيادات ومع الوزراء ومع بعض الشخصيات في الإقليم أو محادثات مع المسؤلين في الحكومة المركزية. وكل هذا البرنامج يسير بدقة كأنه محفوظ في جهاز حاسوب في عصرنا الحالي. ولا يجامل أركان حربه من الوزراء، فهو حريص كل الحرص، يعرف أين مكان الخلل من الساعي إلى الوزير.

هذا النمط من الحرص والدقة مطبق على الجهاز السياسي. وكذلك اكتشفت فيه ثقافة عالية في كل المجالات بعكس ما كان يفهم عن العسكريين وسط الإنتلجنسيا الأكاديميين. ولم تكن حيرتي كبيرة، ولا استغراب بعد ذلك حين عملت في الإنقاذ مع العقيد الجيلي أحمد الشريف عندما كان والياً لسنار ومن بعدها والياً لغرب كردفان والفريق الطيب عبد الرحمن مختار أيضاً عندما كان والياً

على غرب كردفان[16]. واقتربت نهاية عام 1980م واستعد الرئيس نميري لإلقاء خطابه في القصر الجمهوري في غرة يناير عام 1981م مساءً. جرت المشاورات بين قيادات وأمانات الاتحاد الاشتراكي. وفي حوالي 29-30 ديسمبر عام 1980م كما روى لي الأخ الفريق (الفاتح بشارة) فيما بعد، فبينما كان البحث يجري عن الرجل المناسب من أبناء كردفان ليتم تعيينه حاكماً لكردفان ورئيساً لأول حكومة فيها جاء الفريق (**الفاتح بشارة**) وكان سفيرنا بالمملكة العربية السعودية بجدة.

جاء لتوه من مؤتمر إسلامي بالدار البيضاء بالمغرب ليرفع تقريرا للرئيس نميري عن هذا المؤتمر ثم يعود لمقر عمله بجدة. وهنا داهمه إخوانه من قيادات الاتحادي الاشتراكي وعلى رأسهم أحد رفقاء السلاح لنميري هو (**زين العابدين محمد أحمد عبد القادر**) عضو مجلس قيادة الثورة والدكتور (**إسماعيل الحاج موسى**) فدخلا على الرئيس نميري ليخبراه بأنهما وجداً بديلاً للسيد (**بكري أحمد عديل**). وبعد أن أقنعا الفريق (**الفاتح بشارة**) بهذا الأمر فعلا تم إعلانه حاكماً لإقليم كردفان في مساء 31 ديسمبر 1980م بخطاب الرئيس نميري من داخل القصر الجمهوري بمناسبة عيد الاستقلال المجيد الرابع والعشرين. وبذلك التعيين بدأت في كردفان مرحلة جديدة من العمل السياسي والتنفيذي والإداري. وكان أمام (**الفاتح بشارة**) مهمة صعبة. صحيح أنه من أبناء حي القبة بالأبيض من قبيلة البدبرية

---

[16] دلدوم الختيم أشقر، (2013م)، إفادات للذكرى والتاريخ، مطبعغة جامعة الخرطوم، ص215.

الدهشمية، ولديه صلات رحم بأهل حي القبة خاصة الشيخ (**إسماعيل الولي**) من ناحية والدته. وأيضاً لديه علاقات واسعة بأحفاد الشيخ إسماعيل الولي، رغم أن والده كان من أقطاب الطريقة التيجانية. إلا أنه ابتعد عن كردفان لفترة لاتقل عن عقدين من الزمان، وبالتالي من الصعب عليه معرفة الكفاءات من أبناء كردفان ليكون منها حكومته، فبدأت الترشيحات ترد إليه من هنا وهناك ومعها عشرات السير الذاتية لأشخاص كي يشكل منهم حكومته. أما شخصي [17] فقد كنتُ آمل كإبن من أبناء منطقة أبي زبد ولقاوة أن يأتي (**بكري عديل**) للسلطة في كردفان ووقتها لا يستطيع أن يتجاوزني، إذ أنني كنت مقدرا لديه رغم اختلافنا السياسي. وعلى الرغم من أنني عرفت مؤخراً بأنه يحتفظ لي بمنصب رقيب المجلس أو منصب دستوريٍ آخر إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يولي السُلطةَ مَن يشاء من عباده.

وعند بداية المشاورات اتصل الأخ الفريق (**الفاتح بشارة**) بقيادات وأقطاب الحزب من شمال وجنوب وغرب وشرق كردفان مستفسراً عن الشخصيات المعروفة والمقبولة لدى الناس والكفاءة الأكاديمية والخبرات العلمية. وقد أسر لي بعض الذين لا أشك في صدقهم من أعضاء المجلس من الأقاليم الأخرى مثل الأخ المحامي (**عباس جمال الدين**) رئيس لجنة التشريع والقانون في مجلس الشعب القومي الرابع وكان صديقا للأستاذ (**الرشيد الطاهر بكر**)، كما أنني تربطني بالرشيد صداقة وعلاقة حزبية قديمة في الديمقراطية الثانية (65-1969م) والذي أيضاً سره عملي

---

[17] المصدر السابق، ص 196.

ومرافعتي في قضية تبعية أبيي إلى كردفان أو بحر الغزال. فقد أَسَرَّ لي كما قلت الأخ الأستاذ (**عباس جمال الدين**) بأن الأخ رئيس المجلس قد رشحني وزيراً أو نائباً للفريق (**الفاتح بشارة**). وعلمتُ فيما بعد أن الأخ (**زين العابدين محمد أحمد عبد القادر**) و(**عبد الباسط سبدرات**)، والدكتور (**إسماعيل الحاج موسى**) حفيد الشيخ (**إسماعيل الولي**) من جهة والدته والذي تربطه بالفريق (**الفاتح بشارة**) صلة رحم أيضاً قد رشحوني للأخ الحاكم لأكون نائباً له، وكذلك الإخوة قيادات جنوب كردفان وغرب كردفان ومنهم عمنا الشيخ الجليل الناظر (**بابو نمر**)، والأخ الكريم والصديق المرحوم (**أبو القاسم يعقوب آدم**)، والأخ (**عثمان مكي سندلوبة**)، وشقيقه (**مصباح المكي**)، وهؤلاء أيضاً تربطهم علاقة قرابة بالفاتح بشارة. وعلى مستوى قيادات جبال النوبة كان بعضهم يريدون المنصب لأنفسهم، ولكن للأسف لم يجدوا من يزكيهم كما تمت تزكيتي بفضل الله كثيراً من أهل كردفان شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً [18].

حكومة الفاتح بشارة الثانية

استمرت تلك الحكومة الأولى طوال الفترة التي ظل فيها الحاكم بحكم تعيينه من رئيس الجمهورية. ولكن بعد انتهاء الانتخابات التي فاز فيها بأغلبية الأصوات وأصبح حاكماً منتخباً من جماهير كردفان أعاد السيد (**الفاتح بشارة**) تكوين حكومته وأبقى على عدد من الوزراء وأدخل وجوها جديدة. حيث قام

---

[18] نفس المصدر السابق، ص 196.

بترفيع السيد (**ميرغني عبد الرحمن الحاج سليمان**) من محافظ لشمال كردفان ليصبح وزيراً للإسكان والمرافق العامة. وتم إعفاء السيد (**حمد علي التوم**) من منصبه الوزاري وعُين بدلاً عنه الأستاذ المحامي (دلدوم الختيم أشقر) وزيراً لشؤون الإقليم والإدارة، كما تم إعفاء السيد (**د. التاج فضل الله**) وحل محله السيد (**د. بشير الطاهر**) كوزيرٍ للزراعة، واستحدث الفريق (الفاتح بشارة) منصباً جديداً هو وزير الشؤون البرلمانية وعين فيه السيد (**محمد أحمد الطاهر أبو كلابيش**)، كما عين السيد (**حسن دينج مجوك**) وزيراً برئاسة الحكومة.

وكان مجيء (**الفاتح بشارة**) لقيادة الإقليم في تلك الفترة قد أثارت الكثير من التناقضات لدى القائمين على أمور العمل التنفيذي والسياسي من أبناء الإقليم وخارجه. ففي حين طرب لها واستبشر الكثيرون من أبناء كردفان الذين يعرفون قدر الرجل وعايشوه في شتى المراحل غضب آخرون أشد الغضب وانتقدوا (**الفاتح بشارة**) أشد الانقاد. وكان هو يسمع كل ما يقوله المادحون والقادحون في وقت واحد. وكان تعليقه في معظم الأحيان أن العمل العام هذا مدعاةٌ للحب والكراهية ومدعاةٌ للموالاة والتناحر، ومدعاةٌ للأخذ والرد على مر الأيام. ولعله في ذلك التقدير قد استقرأ تاريخ السودان المليء بالأفراح والأشجان. كما كانت في مخيلته كل الأحداث التي مرت منذ فترة التركية السابقة مروراً بفترة المهدية ثم حكم الإنجليز ثم العهد الوطني بعد الاستقلال الذي كان أحد صناعه. ولعل تلك الأريحية في النظر للمتناقضات في تقويم أقدار الرجال عبر التاريخ هي التي جعلته ينظر لكل الأحباب والأعداء من منظار واحد هو منظار الإنسان الذي يقضي ما عليه من واجب الوطن ثم يذهب ليفسح المجال لغيره. وهكذا رسم لنفسه طريق القيادة في

كردفان وظل عليه إلى أن غادر كرسي الحكم. وكان الكثير من أبناء الإقليم قد التفوا حول (**الفاتح بشارة**) عندما أصبح حاكماً منتخباً. كانوا يرون فيه المنقذ لهم من كثير من المظالم التي حاقت بهم عبر السنوات. حتى أن إحدى المواطنات الشاعرات واسمها (**ستنا التوم**) قد جاءت إليه تحمل قصيدة شعرية تفيض حباً وفرحاً بتقلده ذلك المنصب. وقرأت أمام الحاضرين قصيدة شعبية بديعة ألفتها خصيصاً لتمجيد الفاتح بشارة. وقد تابعها أبناء مدينة الأبيض بشغف شديد وحفظها الكثير من طلبة المدارس في تلك الأيام، وتقول أبيات القصيدة:

مبروك يا بشارة الصرت لينا زعيم
أيدك الرئيس وقراره ديمه حكيم
لي فوزك فرح واستبشر الإقليم
ثقته كبيرة فيكا وأمله فيكا عظيم
تكون نيل في الغرِب
خيرك كتير وعميم
تكون شعلة منارنا ورائد التعليم
تجمع للشَمِل رايك صواب وسليم
نعيش أحباب في وحدة وحولنا التنظيم
نعمر لي بلدنا نطور الإقليم
لا شللية لا حزبية لا رجعية
لا تضليل ولا تغشيم

نحن لمايو ومايو صلاح ومايو فلاح وخير ونعيم
مبروك النصُر يا الفارس المقدام
يا أمل البلاد سير بيها لي قدام
من حولك رجال صادقين دوام وعظام
اختاروك هم جعلوك إنت إمام
لأنك بالأمور دايماً خبير وهُمام
سيرتك سمحة تب ما فيها أي كلام
صدرك بي نياشين الشرف مليان
نلت الأوسمة ونوط الجدارة كمان
وسام إثيوبيا، يوغسلافيا، والألمانْ
وسام مصر الشقيقة وملكة البريطان
وسام الثورة وسام النصر وجمهورية السودان
وسام عبد العزيز ملكاً عظيم الشان
حقيت بي جدارة تمثل السودان
تكون لي كردفان نحيا ونعيش في أمان

* * *

لما تأسس الحكم اللامركزي بالسودان وبعد أن تعين **(الفاتح بشارة)** حاكماً انتقالياً لكردفان لمدة عام ونصف ثمَّ حاكماً منتخباً لمدة أربعة أعوام جاب إقليم كردفان على اتساعه طولاً وعرضاً بالسيارات وبالموتر ترولي والقطار. وظل

كثير الأسفار بين مدن وقرى الإقليم حتى ألم بكل المشاكل التي تواجهه. كما تعرف على كل قبائله ومشاكله ومنتجاته وخيراته وكل ما يخرج منه وما يدخل فيه. وأصبحت كردفان في عهده محط زيارات كبار الشخصيات العالمية وعلى رأسها الرئيس الأمريكي (**جورج بوش**) الأب عندما كان نائباً للرئيس. وكان الحاكم الوحيد الذي نال دورة دراسية في أنظمة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية.

ماذا فعل الفاتح بمطار الأبيض؟

كان مطار الأبيض عبارة عن مطار صغير لاتنزل به إلا الطائرات الصغيرة وهو غير مسفلت ويفتقر إلى وسائل الملاحة الجوية والتوجيه والإضاءة ليلاً ولا أحد يدري أهميته بالنسبة للعمليات والسفريات للجنوب والغرب. ولذلك وضعه (**الفاتح بشارة**) في أولى أولوياته. حيثُ سافر خصيصاً للمملكة العربية السعودية وقابل الملك وطلب منه أن يمده على وجه السرعة بمواد تأسيس المطار وعلى رأسها (**الأسفلت**).

ولم يخذله الملك للعلاقة التي بينهما فأرسل إليه في وقتٍ وجيز كل ما طلبه بلا أي مقابل غير العلاقة الحميمة. ووصلت المواد التي كانت تكلفتها (15) مليون دولار إلى بورتسودان ومنها للأبيض فأصبح المطار دولياً وبديلاً لمطار الخرطوم. ولما كان الأسفلت الذي بعثه الملك أكثر من حاجة المطار فقد أمر (**الفاتح بشارة**) باستخدام الفائض في سفلتة شوارع مدينة الأبيض. وبالفعل تم ذلك وسفلتت الطرق الجاهزة، وتبقى الكثير منه حتى أخذه رجال الانتفاضة إلى الخرطوم بعد أن انتهى عهد مايو. ولم يكتف (**الفاتح بشارة**) بذلك بل أمر بإضاءة

المطار وتزويده بوسائل الملاحة الجوية الحديثة التي أسهمت في أن تتسع خدماته بشكل كبير. وبدأت الطائرات تنطلق من مطار الأبيض إلى مدن الجنوب والغرب، بل إلى خارج السودان لنقل حجاج بيت الله والذاهبين إلى العمرة لأول مرة من الأبيض مباشرةً دون المرور بالخرطوم.

المجاعة والتصحر بكردفان:

في عام 1984م ضربت المجاعة والتصحر شمال كردفان مما اضطر حوالي نصف مليون من السكان للنزوح إلى شمال كردفان. وقام (**الفاتح بشارة**) بعمل مكثف لتجاوز تلك المحنة القاتلة فحفر مئات الآبار لتوفير المياه للإنسان والحيوان. كما قام بتشوين الذرة بمئات الملايين. واستقطب عوناً أجنبياً من الدول الشقيقة والصديقة والمنظمات الطوعية.

وكان قد ابتدع أمراً لم تكن له سابقة في تاريخ السودان حيث أمر وزراء حكومته أن يمكثوا بصورة ثابتة ولمدة شهور عديدة بين النازحين في معسكراتهم. ولما سُئل عن الحكمة من ذلك رد بقوله: **«أريد من وزراء حكومتي أن يخففوا عن أهلنا النازحين مخاطر هذا البلاء حتى ينجلي، حيثُ لا يمكننا أن نظل بمكاتبنا داخل الوزارات وأهلنا يقاسون مخاطر النزوح في هذه المعسكرات وحدهم»**. وبعد أن عادت الأمور إلى نصابها أشرف بنفسه على إعادة كل النازحين من معسكرات (**المويلح**) و(**الشيخ أبو زيد**) بالقُرب من أمدرمان وتابعهم حتى وصلوا إلى ديارهم بمدن وقرى كردفان.

أول جولة للفاتح بشارة كحاكم بربوع كردفان

كانت أول جولة قام بها السيد (**الفاتح بشارة**) كحاكم لإقليم كردفان في صيف عام 1982م. وقد شملت هذه الجولة الأولى معظم ربوع كردفان تقريباً حيث تفقد فيها كل مواطنيه وتعرف عليهم عن قرب. وكانت هذه الجولة هي سبب معرفتي بسعادة الحاكم التي توثقت فيما بعد وأثمرت هذا الكتاب. ومن خلال التصاقي بهذه الشخصية الفريدة رأيت أن أحكي في هذا الفصل ما تم بالضبط في تلك الفترة. حيثُ بدأت القصة بحكم عملي كمذيع بإذاعة أمدرمان، وقد كنتُ في أحد الأيام أسجلُ برنامجاً داخل أستوديو (E) بالإذاعة فجاءني كبير المذيعين يومها الأستاذ الراحل (**عبد الوهاب أحمد صالح**) وقال لي: «**لقد تم اختيارك للسفر إلى كردفان لتغطية أول جولة لحاكم الإقليم الجديد السيد (الفاتح بشارة) في عدد من مدن وأرياف جنوب وغرب كردفان**».

قلت لكبيرِ المذيعين على الفور: (**سمعاً وطاعة**). وشعرتُ أن هذه الرحلة ستعيدني إلى ربوع أهلي وأصدقائي بكردفان خصوصاً وأنني قد اشتقت إليهم كثيراً بعد عناء العمل المكثف بالإذاعة والدراسة بالجامعة. سافرتُ إلى مدينة الأبيض حاضرة إقليم كردفان ضمن وفد إعلامي ضم مصورين من وزارة الثقافة والإعلام ومحررين من وكالة السودان للأنباء والصحف وشخصي كممثل للإذاعة. وبدأت جولة الحاكم مع أعضاء حكومته. ولما كان الوزير (**أبو كلابيش**) صديقاً حميماً لي هو وابنه (**كمال**) فقد طلب مني أن أكون معه في سيارته الخاصة طوال تلك الرحلة فاعتذرت لأعضاء الوفد الإعلامي وامتطيتُ سيارة الوزير. كان أبو

كلابيش رجلاً على غير العادة في كرم الخلال وحلاوة اللسان ولطافة العشرة. لا تفوته شاردة ولا واردة، ولا يطرق بابه محتاجٌ إلا وقضى حوائجه. ولذلك كنتُ أحرص دائماً على البقاء معهم أطول فترة ممكنة بمنزلهم العامر بمدينة الأبيض كلما وجدتُ إلى ذلك سبيلا. ولما كانت رحلتنا مع الحاكم ستستغرق أياماً طويلة فقد سعدتُ أن أكون رفيقاً في السفر للأستاذ (**محمد أحمد الطاهر أبو كلابيش**).

اطَّلعتُ على جدول الرحلة فوجدته يحوي سبعةَ عشر مدينةً في جنوب وغرب كردفان. وبدأت رحلتنا من مدينة الأبيض بقافلة من السيارات فاقت العشرين. وقبيل تحرك الوفد بدقائق جاءنا (**يوسف كوة**) بعد أن نزل من سيارته التي أُعدت له لتقله طوال أيام الرحلة حيث كان يعمل رقيباً لمجلس الشعب بإقليم كردفان، وقال بدعابته المعهودة «**واللهِ الركوب معكم مُتعة**» وركب معنا في سيارة أبو كلابيش بعد أن ترك سيارته المخصصة له. ويوسف كوة مكى هو من أبناء قرية الأخوال فى منطقة ميري بجنوب كردفان، وهي تقعُ غرب مدينة كادقلي. وكان ميلاده في عام 1945م. ووالده هو (**كوة مكي**) ووالدته (**زينب سومي**) حيثُ ينتميان إلى قبيلة الميرى إحدى قبائل مجموعة كادقلى بجبال النوبة. له سبعة إخوان من والدته زينب وهم خمسة أولاد وبنتان. وكان والده ضمن الجنود الذين حاربوا فى الحرب العالمية الثانية أثناء الاستعمار البريطاني للسودان. وبعد إنتهاء الحرب عاد مع زملائه إلى البلاد ليعمل في مشروع الجزيرة بعد أن تم تسريحه من الجيش. وتنقَّل بين بورتسودان وكسلا وسنكات والخرطوم، حيث ظل يرافقه إبنه يوسف متنقلاً معه في كل تلك البقاع إلى أن توفي الوالد في عام 1992م. كانت هذه الفذلكة التاريخية لحياة يوسف كوة ذات أهمية بحكم ما آل إليه حاله في نهاية المطاف بعد انضمامه

لقوات التمرد بقيادة (**جون قرنق**). وعلى كل حال جلسنا ثلاثتُنا (**أبو كلابيش**)، و(**يوسف كوة**)، وشخصي (**عوض إبراهيم عوض**) داخل تلك السيارة الأنيقة الوثيرة والتي ظلت تتهادى بنا وهي نعبر الفيافي والوديان في سهول كردفان الخضراء وجبالها الوعرة ضمن وفد الحاكم (**الفاتح بشارة**). قطعنا كل تلك المسافات الشاسعة بالأنس والحوار الذي لم ينقطع طوال أيام الرحلة. لقد تحدثنا في كل شيء بدءاً بالسياسة ومروراً بالفن والأدب والتعليم وتاريخ السودان والمشاكل القبلية وغيرها.

كان أبو كلابيش مرجعاً في ثقافة قبيلة الحمر وبقية بطون البقارة والكبابيش في كردفان. وكان مولعاً بتاريخ كردفان السياسي الذي أسهم هو ووالده في صنع الكثير منه. وكان (**يوسف كوة**) نموذجاً نشطاً للشباب المثقف من أبناء الجبال يحمل في حناياه حب التراب ويقدس تاريخ القبيلة. وكان موسوعياً ولماحاً وشديد الصلة بتراث منطقته التي ظلمها الكتاب والأدباءُ والمؤرخون. كان يحفظ الكثير من أسماء المشائخ والقبائل والقرى عن ظهر قلب ويتحدث عن فنونها حديث العارف المعجب ببيئته وموطنه الصغير. حدثنا عن جماعة (**الغابة والصحراء**) التي اتخذت من مجلة (**الوازا**) ذائعة الصيت منبراً لها عبرت من خلاله عن آرائها في جذور الثقافة السودانية.

وتحدثنا عن (**محمد هارون كافي**) المحرر بمجلة الوازا والدور الكبير الذي لعبه في عكس التراث النوبي لأبناء السودان. وحكى يوسف كوة عن السلطان (**عجبنا**) وابنته ماندي التي غنَّت في مقتل أبيها أغنيتها الشهيرة التي أصبحت إحدى المارشات المحببة لدارسي الموسيقى بالسودان. وقال يوسف كوة: « **أنتم**

مدعوون إلى منزلي عندما ننزل في مدينة كاتشا». وهناك نزلنا إلى داره التي أحسسنا فيها بكرم الضيافة وحسن الاستقبال السوداني الأصيل. ركض نحونا أطفاله الصغار بمجرد وصولنا إلى بوابة المنزل، وجاءنا بعضٌ من أفراد أسرته وأصدقائه وجيرانه الذين رحبوا بنا بحفاوةٍ شديدة، إلا أننا بقينا معهم لأقل من ساعة ثم غادرنا لأن الوفد كان بانتظارنا.

أحسستُ من خلال الحديث الذي دار بين **(يوسف كوة)** والوزير **(أبو كلابيش)** أن هناك بوادر خلافات بينه وبين **(الفاتح بشارة)** حاكم الإقليم، وما أردتُ أن أدخل في تفاصيلها ولكنني قلتُ له بالحرف الواحد: **«يا يوسف أتمنى إلا تتطور هذه الخلافات بينكما إلى حد التمرد ودخول الغابة»**. كانت لهجتي في تلك اللحظة مازحة، لكنني كنتُ أشعرُ أن تحت الرمادِ وميضَ نار. وذلك لأن حديثنا قد تطرق إلى خلافات **(جوزيف لاقو)** مع الحكومة التي قادته في نهاية المطاف إلى الغابة مؤسساً وقائداً لفرقة **(أنانيا)** المتمردة على الجيش النظامي، ثم من بعده اختلف العقيد **(جون قرنق)** مع حكومة جعفر نميري فدخل الغابة مؤسساً وقائداً لحركة الجيش الشعبي لتحرير السودان. وضحكنا من التعليق الذي أنهاهُ يوسف كوة بقوله: **«هذا لا يكون لأن (الفاتح بشارة) رجل فكر وسياسة ودولة، ومهما اختلفت مع مثل هذا الرجل فالنهاية ستكون هي حكم العقل»**. ولكن سيرى القارئ عبر صفحات هذا الكتاب كيف تطورت الأحداث في المستقبل، حيث تمرد يوسف كوة بالفعل. وشهد **(الفاتح بشارة)** بنفسه على حقائق مذهلة لم تكن في حسباننا في تلك الرحلة الجميلة.

استمر الأنس بيننا نقطع به طول المسافات ووعورة الطريق بين أرتال الجبال وما زالت ترن في إذني عبارات يوسف كوة التي تشهد للفاتح بشارة بالحكمة والعدالة وعظمة القائد. وتمنيتُ بالفعل أن أجد الفرصةَ خلال هذه الرحلة لأتعرف على هذه الشخصية الفذة عن قُرب. بَقيتُ طوال الرحلة أراقب النشاط المكثف لحاكم كردفان السيد **(الفاتح بشارة)** الذي لم أتشرف بمعرفته قبل هذه الرحلة. ولاحظتُ أنه كان دقيقاً في كل شيء خصوصاً ما يتعلق بشئون البروتوكول والنظام وترتيب الأمور.

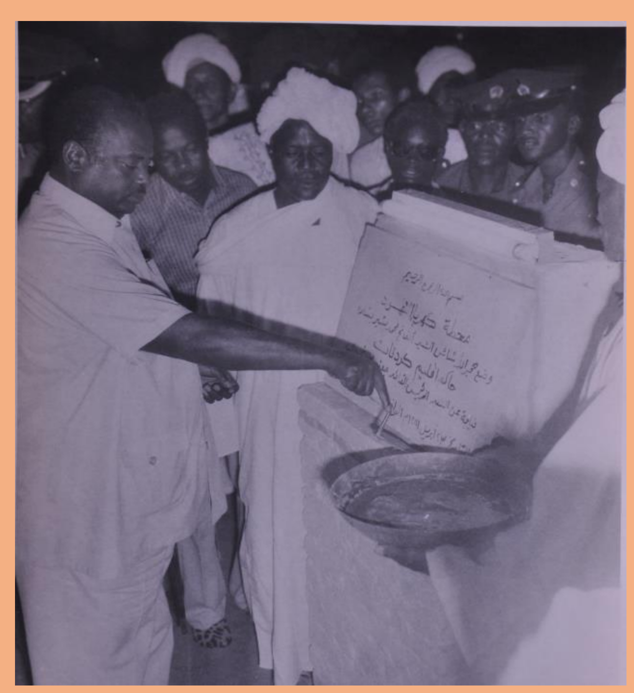
كان (الفاتح بشارة) مُلِماً بكل ما يدور في إقليمه لدرجة ملفتة للنظر، حيث كان يسأل ويستفسر عن أشياء ما كنت أحسب أن حاكماً لإقليم واسع مثل كردفان يهتم بها أو حتى يعرف عنها. وكنت اسمعه طوال الرحلة يسأل الضباط التنفيذيين والوزراء لماذا لم يتم هذا الأمر؟ أو كيف تمّ ذاك؟ ولماذا لم تفعلوا كذا وكذا؟ وأينَ فلان وعِلان؟ وكان ملاحظتي الثانية أن **(الفاتح بشارة)** هو أول مسؤول أسافر معه يهتم بتفاصيلِ ما نكتبه كإعلاميين بدقةٍ متناهية. حتى أنه كان يحرص على قراءة كل الأخبار والتقارير التي نصيغها ويطلع عليها قبل أن نرسلها إلى الإذاعة أو إلى الصحف لتقومَ بنشرها. وكان يتابع بعد ذلك نشرات الأخبار من خلال الترانزستور الصغير الذي حمله معه طوال أيام الرحلة. وكان عندما يسمع أخبار الرحلة من الراديو يقول لي: **(برافو يا عوض، أهو دا الشغل الإعلامي الصاح)**. وشيئاً فشيئاً بدأت تتكون لديه قناعةٌ راسخة بأهمية الدور الذي نقوم به خصوصاً وأنَّ تلك الجولة كانت الأولى بالنسبة له في حياته كحاكم إقليم.

وكانت تلك الرحلة سبباً في توطيد العلاقة بيني وبين الفريق (**الفاتح بشارة**) لسبب أساسي هو أنني لم أجد زعيماً قبله يهتم بالإعلاميين والمرافقين وحتى السائقين والحُراس بالشكل الذي فعله خلال تلك الرحلة وما تلاها. وشعرتُ بأنني إذا ما خلقتُ جسوراً للمودة والعلاقة مع مثل هذا الرجل فإنها ستنفعني في مستقبل الأيام خصوصاً وأنني مؤمنٌ بأهمية القدوة الحسنة في حياة الإنسان. وبالفعل تطورت تلك العلاقة حتى أصبحت صداقةً حقيقيةً وعميقة امتدت إلى أسرتينا في مستقبل الأيام.

لقد جعلني (**الفاتح بشارة**) واحداً من أصدقاء الأسرة الذين لا يغيبون عنها في أي مناسبة خاصة أو عامة سواء في كردفان أو في الخرطوم بحي العمارات الذي يقع فيه بيته العامر رقم 16 شارع 55. ومن زاوية العمل الرسمي ظلَّ يستدعيني للسفر إلى الأبيض كلما كان هناك ما يستدعي التغطية أو التسجيل أو المشاركة. وفي إحدى المرات بعث في طلبي من الخرطوم فوراً إلى الأبيض ولما لم تكن هناك طائرات متاحة للسفر استأجر طائرةً صغيرة تابعة للتاكسي الجوي حملتني إلى الأبيض لأكون حاضراً في موقع العمل وقت الحدث.



الفاتح بشارة يفتش حرس الشرف لدى استقباله بمدينة المجلد

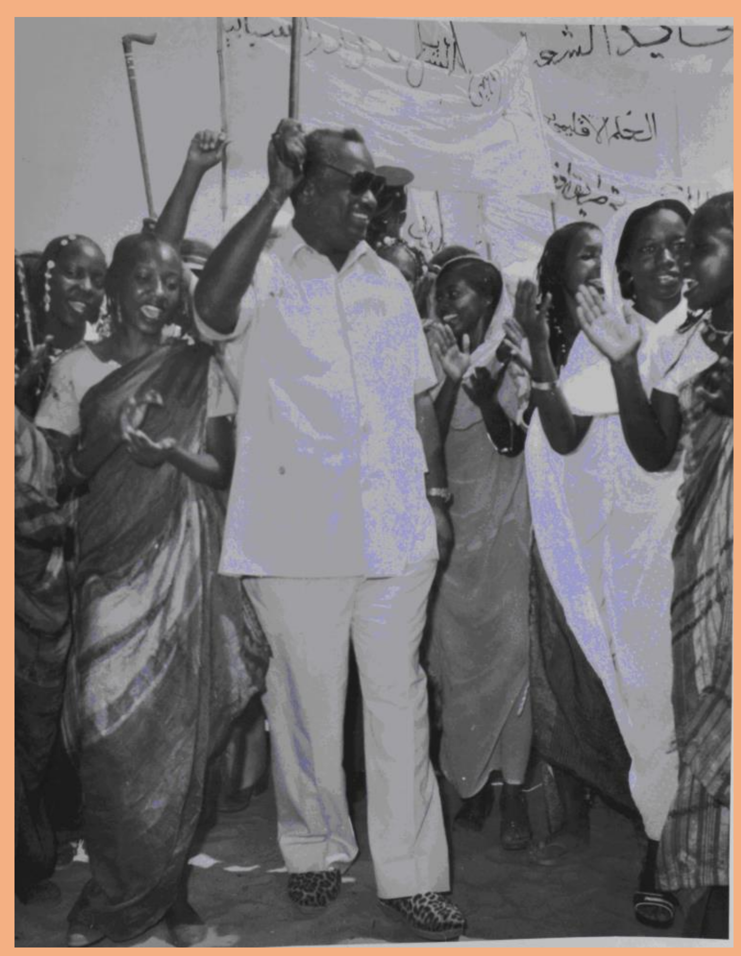


الفاتح بشارة يضع حجر الأساس لكهرباء مدينة النهود خلال زيارته لها

تواصلت رحلتنا في ربوع كردفان مع السيد الحاكم وأعضاء حكومته فشملت سبعة عشر مدينة هي: (**السِميْخْ، أبو جبيهة، رَشاد، الكُرْقُلْ، كَلُوقِيْ، كادُوقْلِي، الدَّلَنْجْ، تَبَسَةْ، تَلُودِي، كُنْجَارَةْ، النُهود، الأُضَيَّة، أم قَرناً جاك، رِجْل الفُولَة، أبو يَيْ، المُجْلَدْ، وبابَنُوسَة**).



وذُبحت الذبائح تكريماً لمقدم الفاتح بشارة حاكم الإقليم لمدينة الفولة
التي أصبحت فيما بعد عاصمة لولاية غرب كردفان



الحاكم الفاتح بشارة وسط بنات البقارة في مدينة بابنوسة بغرب كردفان



الفاتح بشارة مع مدير مكتب شركة شيفرون الأمريكية
التي استخرجت بترول السودان لأول مرة في كردفان



الفاتح بشارة مع نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عند زيارته
لمدينة الأبيض برفقة النائب الأول لرئيس الجمهورية اللواء عمر محمد الطيب

وكانت زيارة المجلد ومعسكرات شيفرون للبترول ذات أهمية خاصة في الزيارة. حيث كانت نهاية المطاف في مدينة بابنوسة التي حدث فيها موقفٌ أثارَ الكثير من الحرج، حيث ما أن وصل ركب الحاكم إلى المدينة حتى ثارت ثورته واستشاط غضباً، والسبب هو أن المحافظ لم يكن دقيقاً في رسم مسار الرحلة. حيث خرجت جماهير المستقبلين الغفيرة إلى ساحة خارج المدينة وجاء ركب الحاكم من طريق آخر مغاير تماماً لذلك الطريق الذي احتشد فيه أهل المنطقة للاستقبال، ولذلك لم نجد رجلاً واحداً في الاستقبال رغم أن المدينة كلها قد خرجت لتحية الحاكم من الجهة الأخرى.

وقفنا تحت ظل شجرة كبيرة حتى جاء المحافظ يلهث من التعب ويقول: **(يا سيادة الحاكم الناس ينتظرون وصولكم من الطريق الثاني)**. واشتعل الغضب في وجه الحاكم الذي صرخ في وجهه: **(أنت لا تعرف النظام، أما كان من الممكن أن تُنسق هذا الأمر مع قائد القافلة كما فعل كل مساعدي المحافظين في المدن التي زرناها؟)**.

ولم تشفع للمحافظ اعتذاراته العديدة التي صاغها لتبرير موقفه، حيث إنفرط عقد نظام الموكب تماماً ، وحدث هرجٌ شديد بين المستقبلين من الرسميين والشعبيين عندما علموا بأن وفد الحاكم قد دخل المدينة من اتجاه آخر، وثارت الكثير من الشائعات. وكان صعباً بعد ذلك أن تُنظم عملية الاستقبال وإبقاء الناس في أماكنهم ليخاطبهم الحاكم.

هذا الأمر قد يبدو عادياً للإنسان العادي ولكنه ليس كذلك في إقليم مثل كردفان حيث الناس يهتمون بأمر الضيوف ويحرصون على لقائهم خارج المدينة

حتى ولو لم يكونوا حكاماً. ثم أن التنافس كان على أشده بين المدن التي تتباهى بمثل هذه الأمور في كردفان وهذه هي فطرة إنسان الريف البسيط. لذلك كان لغضب الحاكم ما يبرره، خصوصاً وأنَّ بابنوسة تُعتبرُ من أهم مدن الإقليم بحكم توسطها لأكبر تجمع لأبناء البقارة ببطونهم المختلفة من مسيرية ورزيقات وحوازمة، وبحكم أنها ملتقىً لخطوط السكة الحديد التي تربط جنوب السودان بالشمال والغرب بالشرق.

وسط ذلك الجو المتوتر قرر السيد (الفاتح بشارة) إعفاء المحافظ من منصبه وعين بدلاً عنه السيد **(حسن كندة كربوس)** محافظاً لمديرية جنوب كردفان. كنت أتابع كل تلك المشاهد وأرقب قسمات الحاكم الذي كان في أشد الغضب وهو يوجه حديثه لذلك المحافظ. في تلك اللحظة تذكرت عبارةً قالها لي الصديق اللواء أ. ح **(أبو قرون عبد الله أبو قرون)** عندما كان قائداً لحامية واو ببحر الغزال في أوج عمليات التمرد العسكرية ضد القوات النظامية حيث قال لي يومها: **(هل تعلم مَنْ هُمْ أذكى ثلاثة ضباط مروا على الجيش السوداني منذ تأسيسه؟)** قلت له: **(كلا)**. فقال لي: **(هم عبد الماجد حامد خليل والفاتح بشارة و.)** وقاطعته قائلاً: **(وأبو قرون عبد الله أبو قرون)**، فضحك ولم يكمل لي الاسم الثالث إلى يومنا هذا.



الفاتح بشارة وبعض وزراء حكومته يمتطون الجمال
وسط أفراح الجماهير في احتفالات كردفان

مخمور يقود ترولي الحاكم:

كانت رحلة بابنوسة ناجحةً رغم التوتر الذي شابها، حيث استقبلت المدينة ضيوفها بكرمها المعهود وسماحة أهلها الطيبين وأريحيتهم في كل شيء. وبعد ذلك انتهت جولة الحاكم في ربوع جنوب وغرب كردفان. وحينها قال السيد الفاتح بشارة: (**لقد تعبنا لاحقاً من هذا السفر الطويل والأفضل أن نعود إلى الأبيض بالترولي بدلاً من هذه السيارات التي أرهقتنا بسفرها الطويل**). وكان الإعياء قد بدا فعلاً على الجميع بمن فيهم الحاكم الذي انكسرت يده أثناء الرحلة وظلّ يلفها بشريط أبيض ربطه على عنقه مما زاد من إعيائه خلال تلك الأسفار

المتصلة. شعرنا بالارتياح لقرار العودة بالتُرولي بدلاً من السيارات. وعلى الفور أَعد مدير السكة الحديد ببابنوسة تُرليين أحدهما للحاكم والوزراء وكبار أعضاء الوفد والثاني للوفد الإعلامي وبعض المرافقين. ومن الطرائف أنه بعد أن أخذ الحاكم مكانه في الترولي ومعه الوزراء جِيئَ برجلٍ سكران لا يكاد يقوى على الوقوف وكان يحمل في يده زجاجة عَرَقي ويقوده اثنان من موظفي السكة الحديد، ووُضِعَ هذا الرجل بهيئته العجيبة تلك على عجلة قيادة الترولي المخصص للسيد الحاكم والوزراء.

لم يصدق أحد ذلك المشهد، واشتاط الحاكم غضباً وصرخ في الجميع ما هذا العبث؟ فقال له مسؤولو السكة الحديد: «**هذا يا سيادة الحاكم هو سائق التُرولي الذي سيُوصلكم إلى الأبيض**». وكاد الحاكم أن يقلب الدنيا في وجوه الجميع من ذلك الشخص الذي أعتبر مجرد مجيئه بمثابة الاستخفاف بوفد الحكومة. وهنا قال الجميع: «**كلا يا سيادة الحاكم أن سلامتكم هي فوقَ كل شيء، وهذا الرجل هو أعظم قائد ترولي في السودان، وهو أن لم يكن في هذه الحالة لا يؤدي عمله، وسترى كيف أنه أمهر السائقين وأحرص الناس رغماً عن هذا السُكر**».

كان واضحاً أن السيد (**الفاتح بشارة**) لم يقتنع بذلك الحديث ولكنه ضحك من أعماقه لهذا الموقف الذي لا أخال أن أحداً في الوجود سيصدقه بهذه السهولة لأن كل قوانين الطبيعة ونظريات علم النفس والأديان والطب تقول أن الإنسان عندما يتعاطى الخمر يفقد وعيه ولن يتصرف بحكمةٍ وروية، وكل الناس يعرفون مضار الخمر التي حرمتها الأديان والأعراف والأخلاق قاطبةً وهجاها من

هجاها عبر التاريخ، فكيف يقتنع الحاكم ومرافقوه بهذا الحديث العجيب!!؟ عموماً لم يكن هناك مجالٌ للمزايدات أو الحوار حيث إنَّ الجميع كانوا مُنهكين ومُتعبين من جراء الرحلة التي استغرقت أياماً وليالي بين المدن والفُرقان والقرى. وكان مما زاد التعب أن كثيراً من سكان القرى التي على الطريق قد خرجوا في أفواج وقفت على جانبي الطريق لتحية الحاكم، مما اضطر الحاكم لمخاطبتهم وخلق برامج لم تكن في جدول الرحلة. وتوكل الحاكم ومرافقوه على الله وركبوا التُرولي بعد أن قال للجميع: **«سنُحملكم المسؤولية أن لم يؤد هذا الرجل السكران دوره بكفاءة»**.

تحرك ركب الحاكم والوزراء على ذلك الترولي يقودهم رجل فاقد الوعي حتى النخاع وزادُه في الحياة زُجاجةُ خمر. وانطلقنا خلفهم مع سائق عفيف ونظيف لم يبد عليه أثر السكر ولا حتى تعاطي الخمر. ومررنا على العديد من محطات السكة الحديد المتنأثرة على طول الطريق من بابنوسة إلى الأبيض. حيث توقفنا قليلاً في السميح وتزودنا بالماء والطعام ثم واصلنا رحلتنا.

وصلنا إلى مدينة الأبيض فوجدنا أن الحاكم ومرافقيه قد سبقونا بساعات طويلة وناموا ملء جفونهم بعد رحلة أقروا جميعاً بأنها أهدأ وأجمل رحلة سافروها في حياتهم. وعجبتُ لأمر (الفاتح بشارة) الذي احترم رأي الناسِ رغم أنه كان يشعر بهولِ المخاطرة من ذلك السلوك. وأحسستُ من خلال الرحلة أنني قد تعرفتُ على الرجل الذي أحتاجُ إليه في مُقبل الأيام.

الفاتح بشارة يُحي ذكرى شيكان بعد مئة عام

وزع الفريق (الفاتح بشارة) حاكم كردفان رقاع الدعوة لكل البعثات الدبلوماسية والسفارات والوزارات وكبار رجالات الدولة في العاصمة والأقاليم لحضور العيد المئوي لمعركة (**شيكان**) الشهيرة والذي يصادف يوم الإثنين الخامس من تشرين ثاني نوفمبر 1983م. لقد كانت معركة شيكان أول انتصار لجيوش جهادية المهدي على طغيان الاستعمار ممثلاً في القائد البريطاني هكس باشا وجيشه الذي قضت عليه جحافل المهدية منذ أول المعركة. وقد تقرر أن يكون الاحتفال بها بعد مائة عام بالضبط من وقوعها الذي كان في اليوم الخامس من تشرين ثاني نوفمبر عام 1883م.

وبدأت الطائرات في نقل المدعوين والمشاركين من الخرطوم إلى مدينة الأبيض التي امتلأ مطارها بالمدعويين والطائرات التي بلغت عند هبوطنا سبع طائرات بعضُها تابع لشركة الخطوط الجوية السودانية وبعضها طائرات حربية وبعضها من طراز السسنا التابعة لشركة التاكسي الجوي.

ركبنا الحافلات الضخمة من الأبيض متوجهين إلى غابة شيكان حيث مكان الاحتفال. وكانت الحافلة ممتلئةً بالدبلوماسيين والوزراء وبعض كبار المسؤولين. وكان يجلس بجانبي على المقعد رجل أبيض لم أتبين ملامحه عندما جلس لأني كنت أتحدث مع البروفيسور (**محمد إبراهيم أبو سليم**) والأستاذ (**عصمت حسن زلفو**) عن كتاب شيكان للرائد عصمت زلفو الذي صاغه في أسلوب أخاذ وسرد شيق. وبعد أن انتهينا من ذلك الحوار حول البركة وكرامة المهدي وكان البص قد قطع مسافةً طويلة في وديان كردفان المنبسطة على مد البصر التفتَ نحوي ذلك الرجل الذي يجلس بجواري وقال لي: (**تعرف أنا الآن لا ينقصني إلا السيف،**

لأضعه مع هذه الرُمح وهذا القلم)، نظرتُ إليه فإذا به السفير الأمريكي بالخرطوم السيد (**هيوم الكسندر هوران**). حييته ضاحكاً وقلتُ له: (**والله إنني لم أرك عند صعودك للبص لأننا كنا مشغولين بالأنس عن معركة شيكان، كيف حالك يا سعادة السفير**؟ قال: «**أنا بخير، وسعيدٌ جداً أن يُتيحَ لي السيد (الفاتح بشارة) اليوم زيارة مقر هزيمة أجدادي من الإنجليز والأتراك**».

كان مستر هيوم إحدى الشخصيات المهمة التي تَعرَّفْتُ عليها بواسطة صديقةٍ مشتركة هي (**ميري سريسيو إيرو**) حيث التقينا في حفل عشاء كانت قد إقامته لبعض الدبلوماسيين الغربيين بمناسبة وداع الملحق العسكري الأمريكي بالخرطوم قبل بضعة أشهر. وقد تعرفتُ في ذلك الحفل على عدد من أفراد السفارة الأمريكية بالخرطوم وبعض الفتيات اليابانيات اللائي يعملن بالسفارة إلى جانب بعض الدبلوماسيين من سفارات فرنسا وكينيا وبريطانيا. وقال لي مستر هيوم: «**أنا الآن أتقمص شخصية المتنبئ لولا أنني لا أملك سيفاً لأكمل به الهندام، ألم يقل المتنبئ**:

أنا الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

فهاهي بيداء كردفان الواسعة نقطع رمالها البيضاء، وهاهو الرمح، وهاهو القرطاس، وهاهو القلم». طربت لأبيات شعر المتنبئ عندما سمعتها بصوت ذلك الأمريكي العاشق لأدب اللغة العربية، وقلت له: «**لقد أذهلتني يا سعادة السفير بهذه اللغة السلسة وهذه الفصاحة النادرة فأين وكيف تعلمت**

العربية؟». قال لي: « **في الواقع أنا مولع حتى النخاع باللغة العربية التي بدأت تعلمها منذ سنوات طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية ثم أتقنتها في بعض بلاد الشرق الأوسط** ». قلت له: « **وهل تعلمتها لأنك قد أصبحت سفيراً لبلادك في العالم العربي؟»** قال لي: «**العكس هو الصحيح، لقد أصبحت سفيراً لبلادي في العالم العربي لأنني أعرف العربية، وكما تعلم فإنَّ الحكومة الأمريكية تحرص عند اختيار سفرائها على تعيين من يكونون في شاكلة الدول التي يُبعثون إليها، ويحرصون على اختيار من يعرف لغة البلاد أو يتطبع بطبائع أهلها أو حتى من تكون سحناته وشكله أشبه بأهل البلاد التي يمثل فيها دولته كسفير أو دبلوماسي»**. في تلك اللحظة وصلت القافلة التي تحوي أكثر من ثلاثين بصاً إلى مكان الاحتفال بالقرب من **(تبلدية البروجي)** الشهيرة وبالقرب من بِرْكَة **(المنهل)**. وأخذ كل واحدٍ من المدعويين مكانه في الصيوان المعد للاحتفال. كان في الصف الأول السيد رئيس الجمهورية وقادة القوات المسلحة وعدد من السفراء ومن خلفهم كبار المدعويين من مختلف أقاليم السودان.



الفاتح بشارة حاكم كردفان يستقبل الرئيس نميري بالأبيض ضمن احتفالات شيكان 1983م ويظهر الرئيس نميري وعلى يساره حاكم دارفور السيد أحمد إبراهيم دريج وعلى يمين الفاتح بشارة السيد بابكر علي التوم معتمد الخرطوم ويظهر الفريق طبيب عبد السلام صالح عيسى قائد السلاح الطبي والطبيب الخاص لرئيس الجمهورية

وعند البداية ضرب البروجي من فوق التبلدية الضخمة التي كنا نحتفل تحتها، ودارت معركة حية بين حاملي البنادق والجهادية. وقد أبدع أبناء كردفان في تمثيل تلك المعركة التاريخية العظيمة التي كانت الشرارة التي انطلقت منها دولة المهدية لإجلاء المستعمرين. وفي غمرة الاحتفالات والنشوة بتلك الذكرى العطرة ظهر من بعيد رجل طويل القامة اسمر اللون حافي القدمين حاسر الرأس يرتدي جُبة

دمورية قصيرة لا تكاد تغطي ساقيه النحيلتين وعليها رُقعٌ عديدة على نمط جُبَبِ الأنصار التي كانوا يلبسونها أيام المهدي وخليفته عبد الله. كان ذلك الرجل يمشي بخطىً ثابتة وكأنه جُزءٌ من ذلك الكرنفال. وكان يحمل في يده درقةً قديمةً ويمشي تجاه صيوان الاحتفال.

في الوهلة الأولى حسبه الناس جزءاً من الكرنفال ولكن سرعان ما تبين لرجال الأمن أنه مواطنٌ من أبناء تلك المنطقة. وذهب نحوه بعضهم وأمسكوه من يده بغرض إبعاده عن مكان الحفل مما لفت انتباه جميع الحاضرين. كان نميري يراقب ذلك المشهد ولعله قد لاحظ الزي الذي يلبسه ذلك الرجل وهو زي جهادية المهدي وأنه كان كبير السن ونحيل الجسم ولا يَقْوَ على الاعتداء أو القتال فصاح الرئيس في رجال الأمن قائلاً: «**اتركوه في حاله**».

ووقف (الفاتح بشارة) حاكم الإقليم ليقولَ لرجال الأمن الرئيس يقولُ لكم أتركوه ليقابله. وبالفعل ترك رجال الأمن ذلك الرجل الذي واصل سيره مباشرةً نحو الرئيس الذي كان يجلسُ بالقرب منه السيد الحاكم الفاتح بشارة. وكانت عيون الحاضرين ومراقبة رجال الحرس الذين التفوا حوله تراقبه بشدة.

وقف الرجل أمام نميري والفاتح بشارة وسلم عليهما ثم رفع يده بالتحية لكل الحاضرين، وقال بلهجة قبيلة البقارة: «**في الواقع أنا من أبناء هذه القرية القريبة وأشار بأصبعه نحوها، وهذه الدرقة التي أحملُها أخذتُها من هذا المكان قبل مائة سنة، حيث دارت معركة شيكان بين الكفر وجيش سيدي المهدي وكنا صبيان صغار، كان عمري تسع سنوات وبعد انتهاء المعركة وفرار جيش الكفر خرجنا كلنا مع صبيان الحِلة إلى مكان المعركة وخضنا بين عشرات الجثث**

وجمعنا عدداً كبيراً من السيوف والحراب والبنادق والدرقات. وبمرور الزمن ضاعت كل تلك الأشياء إلا هذه الدرقة التي ظللتُ محتفظاً بها لمدة مائة سنة، والآن جئت بها إليكم لأنكم تحتفلون بهذه الذكرى، وأريد أن أهديها لسيادة الرئيس».

كان مشهداً فريداً طربت له الآذان واقشعرت له الأبدان، حيث لم يتصور أحد من الحاضرين أن يرى في ساحة المعركة رجلاً من الذين عايشوها دماً ولحماً قبل قرن من الزمان. كان الرجل في السنة التاسعة بعد المائة من عمره ورغم ذلك كان قوياً متماسكاً ثابت الخُطا قوي العبارة وقد جاء ماشياً من قريته حتى مكان الاحتفال.

قام نميري من كرسيه وحياه بحرارة شديدة، وشدَّ على يده شاكراً له تلك الهدية التاريخية القيمة، وتحدث معه لبضع دقائق متفحصاً تلك الدرقة الأثرية العتيقة ثم سلمها لسكرتاريته بعد أن أجلس ذلك الرجل التاريخي بقربه يتابع وقائع الاحتفال حتى نهاية المطاف.

انتهت احتفالات العيد المئوي لشيكان، فعدنا أدراجنا إلى الخرطوم وفي معيتنا كَمٌّ هائل من تجارب التاريخ النابض بالحياة وفرحٌ غامرٌ باستعادة أنصع صفحات التاريخ البطولي لأبناء السودان خلال إرهاصات قيام دولة المهدية التي ما كان لها أن تسيطر على مقاليد الأمور لولا انتصار شيكان. حيث كانت تلك المعركة هي الحد الفاصل بين دولة التركية وقيام أول دولةٍ وطنية في السودان بقيادة الإمام (**محمد أحمد المهدي**).

الفاتح بشارة يؤسس أول إذاعة لكردفان:

بعد شهرين ونصف تقريباً من احتفالات شيكان اتصل بي السيد (الفاتح بشارة) حاكم كردفان وكان ذلك بالتحديد في شهر يناير 1984م وقال لي: (**إنني أريدك لمهمة كبيرة بالإقليم، فأرجو أن تكون مستعداً ومتفرغاً لي خلال الأسابيع القادمة**)، قلت له: (**أيُّ مهمةٍ هذه؟**) قال لي: (**إنني أريدك أن تُؤسس لنا إذاعة بحاضرة إقليم كردفان**).

قلت له: (**ولكن هذا الأمر ضدَّ القانون يا سيادة الحاكم، حيث ينص قانون الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون بشكل صريح على إلا تقوم أي محطة إذاعية أو تلفزيونية بالسودان إلا بقرار من مجلس إدارة الهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون وهي التي تباشر تنفيذ تلك المحطة الإذاعية أو المحطة التلفزيونية**. قال لي: «**هذا الأمر سأحسمه ولا تخف فقط أريدُ موافقتك على تنفيذ إنشاء المحطة**».

نظرتُ إليه كنتُ واثقاً أن مثل هذه القرارات لا تغلبه لأنه كان من القلائل جداً الذي يؤثرون في الرئيس نميري. وكان من النادرين الذين يستشيرهم نميري بشكلٍ مباشر ثم لا يتوانى في الاستجابة لما يقوله الفاتح بشارة. ولذلك كنتُ واثقاً أن القرار سيصدر. وسألته عن الخطوات الإدارية التي اتخذها حتى الآن، فقال لي: «**لقد تحدثت في هذا الأمر مع الأستاذ محمد سليمان مدير عام الإذاعة عندما أخبرته باختيارنا لك لوضع دراسة متكاملة بشأن هذه الإذاعة، وسأتحدث مع الأخ الفاتح التجاني رئيس مجلس الإدارة ومدير عام الهيئة**

القومية للإذاعة والتلفزيون». قلت له: «**وماذا قال لك مدير الإذاعة؟»** قال لي: «**لقد أخبرني عن نفس القانون الذي تتحدث عنه ولكني أقنعته بالفكرة»**. قلت له: «**وماذا قال عن اختيارك لي لتأسيسِ هذه الإذاعة؟»** قال السيد الفاتح بشارة: «**مدير الإذاعة مُقتنع بقُدرتك على القيام بهذا الدور ولكنه يتساءل عن سبب تجاوزنا لقدامي الإذاعيين الذين أرسوا دعائم هذا العمل طوال عقود من الزمان، ولكنني حسمتُ الأمرَ بأن قلتُ له أن عوض هذا رجلٌ ناصح ولا أريد غيره»**.

كان ذلك الجزء من الحديث مدعاةً لأن ألتصقَ أكثر بشخصية الراحل العظيم (الفاتح بشارة) الذي أحسستُ باحترامه لجهود الآخرين وتقديره لهم بغض النظر عن عامل السن أو الخبرة أو الجاه أو القرابة التي ما كان يضعُ لها بالاً في حياته. وقررتُ تقديراً لذلك أن أبذلَ قصارى جهدي في عمل دراسة ذات قيمة لتلك الإذاعة إكراماً له ولحكومته التي تكافئ على النجاح وتحاسبُ بميزانِ الذهب على الفشل أو الخنوع.

واسترسلتُ في حديثي مع الحاكم عن المقومات التي يحتاجها إنشاء الإذاعة وعلى رأسها إنشاء عدد من الأستوديوهات المجهزة بكل أجهزة التسجيل والمونتاج وإعادة التلعيب على الهواء، فقال لي: «**إنَّ هذا الأمر أيضاً محسومٌ لدينا حيث إننا نستطيع أن نستخدم أستوديوهات مكتب الإعلام الحالية»**، فقاطعتهُ بأن مكتب الإعلام لا يملك غير أستوديو واحد صغير أكل الدهر عليه وشرب فقال الحاكم: (**لا بأس، فلنبدأ به الآن وسنبني أستوديو آخر أكبر وأحدث**

خلال المرحلة القادمة». وشرحتُ له بعد ذلك كيف أن تأسيس إذاعة يحتاج إلى مقومات كثيرة على رأسها جهاز إرسال Transmiter ينقل البرامج من الأستوديوهات إلى أجهزة الاستقبال، فأجابني بأن هذا الأمر محسوم حيث تملك حكومة كردفان جهاز إرسال متحرك بالقيادة العسكرية بالأبيض يغطي إرساله معظم أنحاء الإقليم وهو يكفي في هذه المرحلة الأولى للمشروع [19]. قلت له: **«إنَّ تأسيس إذاعة يحتاج لكادر بشري مدرب يقوم بإعداد البرامج وتقديمهاوإعداد نشرات الأخبار وقراءتها وما إلى ذلك فضلاً عن الفنيين والمهندسين»**. قال لي: **« هذا ما نريدك أن تفعله، ونرجو أن تختار من تراه مناسباً لتنفيذ هذه المهمة التي أُدرك أنها ليست مهمةً سهلة، وستجدني مُعيناً لك في كل ما تطلب»**. قلت له:

«إذن فلنبدأ على بركة الله منذ الآن». وحزمت أمتعتي وتوجهت نحو مدينة الأبيض. كان الإذن بسفري قد صدر من إدارة الإذاعة بطلب خاص من الحاكم لذلك لم تكن مدة إقامتي مشروطةً بزمن محدد، مما أتاح لي أن أدرس الأمر من كل جوانبه بروية وتأني قبل أن أشرع في التنفيذ. وعكفتُ على المكتبة الصوتية

---

[19] توجد بمدينة الأبيض قيادة للجيش هي القيادة الوسطى للمشاة. وهي ضمن ستة قيادات إقليمية للجيش السوداني هي: القيادة المركزية في الخرطوم، والقيادة الشرقية في القضارف، والقيادة الغربية في الفاشر، والقيادة الشمالية في شندي، والقيادة الجنوبية التي كانت بمدينة جوبا قبل انفصال الجنوب في عام2011 م، إلى جانب هذه القيادة الوسطى بالأبيض.

لإعلام كردفان وراجعتها مادةً مادة، وتعرفتُ على جميع العاملين بمكتب الإعلام والذين يتعاونون معهم من أساتذة المدارس والطلبة وغيرهم، وتكونتْ لديَّ فكرةٌ كاملة عما أردتُ أن أقوم به. بعد ذلك أمضيت ما يزيد على الشهرين في غرفة صغيرة خصصت لي باستراحة المديرية التابعة لمحافظة كردفان، والتي أحمل لها الكثير من الذكريات الجميلة مع أبناء الأبيض الرائعين. وهذه الاستراحة قريبة جداً من وسط المدينة حيث إنها على مرمى حجر من منزل الحاكم مما جعلني على اتصال دائمٍ به في المنزل أو المكتب لمتابعة الأمر والإجابة على الاستفسارات المتلاحقة التي كنت أطرحها له فيما يتعلق بالإمكانيات وتعيين القوى البشرية وشراء المتطلبات وتدريب المذيعين وما إلى ذلك.

خلال تلك الفترة وضعت تصوراً متكاملاً بنيته على أساس طبيعة الإقليم وموروثاته الثقافية والاجتماعية والسياسية. وأجريتُ عدة اختبارات لقياس قدرات العاملين بمكتب إعلام الأبيض فوجدت بينهم خامات إذاعيةً مبشرة يمكن تدريبها وصقلها لتؤدي هذه المهمة الصعبة. واخترت خمسةً من الشباب الذين أجريتُ لهم الأختبارات اللأزمة كمذيعين، وعقدت لهم حلقةً للتدريب المكثف على قراءة الأخبار وإجراء الحوارات الإذاعية، وإعداد وتقديم البرامج، وعمل الربط بالأستوديو.

وأثناء أيام التدريب وضعنا هيكلاً للبرامج لا يزيد على الثلاث ساعات في اليوم تتخللها نشرات الأخبار وبعض المواد الترفيهية. وكان التركيز على برامج تخدم التراث الكردفاني بكل تنوعه. وتحاورت وتشاورت مع كل من وقعت عليه عيني من أهل الثقافة والفنون والتعليم في كردفان، وكان دافعي في كل الخطوات هو

عنصر التحدي وحب وطني الصغير كردفان لأنني أحسست أن إنشاء إذاعة لهذا الإقليم كانت من طموحات الطفولة لديَّ، وشاءت الأقدار أن أكون أنا مؤسسها بعد كل تلك السنوات. وبعد جلسات عديدة من التدريب المتواصل أحسست أن المذيعين الذين اخترتهم قد نالوا خبرةً لا بأس بها مما يمكننا من بدء العمل، فرفعتُ تقريري المتكامل للسيد (الفاتح بشارة) حاكم الإقليم في صباح يوم 15 شباط فبراير 1984م وقد حرصت أن يتضمن التقرير كشفاً كاملاً بأسماء البرامج التي اقترحتها وتلك التي اقترحها غيري أمثال الأستاذ عوض محمداني والأستاذ محمود أبو مية وغيرهم.

كما حرصتُ على وضع توصيةٍ بنقل بعض العاملين من مكتب إعلام الأبيض وعلى رأسهم المذيعان الشابان: **(حامد عثمان)** الذي كان قد تمَّ تعيينه حديثاً كموظف بمكتب الإعلام بالأبيض و**(حامد جاد الله)** الذي كان يعمل كفني لمكبرات الصوت المتجولة بمكتب الإعلام. وكانا أكثر المتدربين إجادةً وأسرعهم في استيعاب فكرة العمل الإذاعي خصوصاً قراءة المواد الجادة كنشرات الأخبار.

حوى التقرير الذي رفعته للحاكم كل تفاصيل الميزانية التي وضعناها للإذاعة. وكان هدفي من وضع تلك التفاصيل هو حسم الأمر بشكل قاطع لما لمسته من جدية الحاكم في إنشاء تلك الإذاعة. إلى جانب ذلك كان شعوري بالمسؤولية يتزايد يوماً بعد يوم، حيث لاحظتُ أن الإمكانات لم تكن بالحجم الذي يساعد على قيام الإذاعة ولذلك فلا بد من الإصرار على توفير الحد الأدنى حتى لا

تتعثر خطوات العمل. وقد رفعت إليه التقرير مشفوعاً بمذكرة إيضاحية قصيرة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد حاكم إقليم كردفان الموقر،

بواسطة السيد مدير مكتب الحاكم،

تحيةً واحتراماً، وبعد

حسب تكليف سيادتكم بخصوص وضع هيكل تفصيلي لإذاعة إقليم كردفان فإنني وبحمد الله أرفع لكم هذا التقرير المفصل الذي لا يتعارض مع مقترحات السيد وزير شئون الإقليم والإدارة بل هو هيكل تفصيلي لما أجمله سيادته، مع مراعاة إضافة شخص واحد للعاملين بالإذاعة هو الأخ حامد جاد الله الذي يعمل بالإعلام أساساً وذلك لأنه يتمتع بصوت إذاعي ومقدرة ممتازة ولذا أدرج اسمه ضمن مذيعي هذه الإذاعة. وأفيد سيادتكم علماً بأننا عملنا كورساً تدريبياً سريعاً لفريق مذيعي الإذاعة وكان موفقاً وسيظهر أن شاء الله من خلال العمل اليومي. وفيما يلي الهيكل التفصيلي لهذه الإذاعة.

عوض إبراهيم عوض

إذاعة جمهورية السودان الديمقراطية

15 / 2 / 1984م

وتم وضع هيكل برامجي كامل، على أن يكون الإرسال في يوم الجمعة من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً. وهناك بعض الخدمات تقدم بشكل ثابت في هيكل البرنامج وهي:

1/ القرآن الكريم: يقدم مرتان يومياً بالافتتاح 10 دقائق وبالختام 5 دقائق.
2/ نشرات الأخبار مرتان يومياً الساعة 4 م والساعة 5 م لمدة 10 دقائق.
3/ الغناء يذاع يومياً ويوزع خلال ساعات الإرسال (زمن حر).
4/ المدائح النبوية: تقدم مرتان في الأسبوع بدون تقييد زمني.
5/ الموسقى: مادة متحركة تقدم حسب الحاجة في الأستوديو.

* على مذيع النشرة الأولى أن يقوم بافتتاح الإذاعة في الساعة الثالثة مساءً ويعمل على ربط فقرات البرامج حتى الساعة الرابعة والنصف مساءً. وعلى مذيع النشرة الثانية استلام الأستوديو من الساعة الرابعة والنصف ويختتم الإرسال في الساعة السادسة أما في أيام الجمعة فيفتتح الإذاعة ويختتمها مذيع الأخبار.

* تكون برامج الجمعة لفترة إذاعية صباحية تبدأ كالعادة في الساعة التاسعة صباحاً وتستمر حتى الثانية عشرة منتصف النهار لتمكين المستمع الكريم من أصلاة الجمعة وشعائرها.

مذكرة توضيحية:

(أ) من خلال معايشة الظروف والملابسات والتجربة العملية أثناء فترة الإرسال التجريبي لإذاعة الأبيض فقد ثبتت فعالية الإذاعة وأمكن وصولها بصورة مرضية في الوقت الراهن إلى المستمعين.

(ب) لقد ثبت أيضاً أن هناك استحالة في الوقت الراهن أن تعمل الإذاعة لفترتين يومياً، وبالتالي فإننا نقترح لضمان استمرارها أن يقتصر الإرسال في مرحلة البداية على فترة إرسالٍ واحدة تستمر لمدة ثلاث ساعات وذلك للأسباب الآتية:

1/ الأستوديو الذي تعمل منه الإذاعة واحد يتم فيه التسجيل والبث المباشر، وبما أن كل البرامج ما عدا القليل جداً تحتاج إلى تسجيل قبل بثها على الهواء فلا بد من إعطاء فترة للراحة للأجهزة حتى يتمكن الفنيون من التسجيل ثم البث.

2/ عدد العاملين بالإذاعة حالياً يفرض تقليل ساعات الإرسال حتى يتمكنوا من الإعداد والاتصال بالأشخاص خارج الإذاعة وتنسيق العمل، مما يستدعي وجود زمن لا يتعارض مع الإرسال.

3/ من الناحية الفنية لا يحتمل الأستوديو الواحد إرسالاً لساعات طويلة خصوصاً وأن جهاز التكييف الوحيد به معطل وحتى في حالة صلاحه فإنه يحتاج إلى فتراتٍ للراحة.

(ج) تغطي نشرات الأخبار نشاط الحكومة الإقليمية والأخبار القومية والأخبار العالمية.

(د) تقوم الإذاعة بتغطية كل الأنشطة المهمة لحكومة الإقليم متضمنةً اللقاءات الرسمية للحاكم، وقد يتغير هيكل البرامج لتغطية الأحداث المهمة ولو استدعى ذلك مد فترة الإرسال.

(هـ) تقدم الإذاعة خدمات تثقيفية وتعليمية من خلال بعض البرامج المطاطة التي تستوعب مختلف الموضوعات مثل (استعلامات، شكوى، لقاء الأسبوع، حصة على الهواء) وذلك خدمةً للقطاعات المهمة في الإقليم كالعمال والطلبة والموظفين.

(و) يمكن إعادة النظر في أي برنامج يثبت فشله من خلال التجربة العملية مستعينين في ذلك بالمراقبة المباشرة وتوجيهات مجلس الإدارة واستنباط آراء المستمعين من خلال استبيان إذاعي مفتوح يتم إجراؤه من فترة لأخرى.

اقتراح بميزانية البرامج:

لتحقيق استمرارية العمل فإنني أقترح وضع ميزانية مفصلة للبرامج التي يقدمها أشخاص متعاونون مع الإذاعة، ويكون الأجر الكلي 165 جنيهاً أسبوعياً أي 660 + 85 = 745 جنيهاً شهرياً. وتُقدمُ هذه الحوافزُ بشكل أسبوعي أو وفقاً لما تراه إدارة الإذاعة بالتشاور مع مسؤولي الحسابات بحكومة الإقليم. كما نقترح رصد حافزٍ شهري للمشاركين بقراءة الأخبار وتنفيذ البرنامج، ويكون توزيع الحوافز على النحو التالي:

البرنامج	الأجر الأسبوعي	البرنامج	الأجر الأسبوعي
من هدى الإسلام	35 جنيهاً	شكوى على الهواء	5 جنيهات
شخصيات كردفانية	10 جنيهات	قولة خير	5 جنيهات
أضواء على كردفان	10 جنيهات	أخي المزارع	5 جنيهات
برنامج الرياضة	15 جنيهاً	برنامج الأطفال	10 جنيهات
دنيا المرأة	10 جنيهات	في مجلس الشعب	10 جنيهات
حصة على الهواء	20 جنيهاً	طبيب الإذاعة	10 جنيهات
زاوية الأدب	15 جنيهاً	لقاء الأسبوع	5 جنيهات

ثم اقترحتُ له وضع لائحة مالية مبسطة تساعد على تسيير العمل اليومي، ونقوم من خلالها بإعطاء العاملين حقوقهم الماتلية التي لا يستقيم الأمر بدونها.

حوافز قارئي الأخبار:

الاسم	الصفة	الحافز الشهري
محمود أبو مية	مذيع متعاون	150 جنيهاً
حامد عثمان	مذيع	50 جنيهاً
بهاء الدين الطيب	مذيع	50 جنيهاً
حامد جاد الله	مذيع	50 جنيهاً
مكي ميرغني	فني أستوديو	50 جنيهاً
أحمد خليل	م. فني أستوديو	50 جنيهاً
جمال أبو القاسم	م. فني أستوديو	50 جنيهاً
الجملة		550 جنيهاً

ملحوظة:

(1) يترك تقدير حافز مدير الإذاعة لمجلس الإدارة والجهات المسؤولة.

(2) نقترح الاستعانة بأشخاص إضافيين سواء بالانتداب من إذاعة أمدرمان أو بتعيين إذاعيين جدد لدعم العمل الذي يحتاج لكادر بشري مدرب.

(3) نقترح التعجيل بضم هذه الإذاعة للهيئة القومية للإذاعة والتلفزيون للاستفادة من إمكاناتها الكبيرة في مضمار العمل الإذاعي.

(4) نقترح تعيين سعاة بالإذاعة. وحسب علمنا أن الوظائف موجودة وتحتاج فقط لملئها.

مذكرة إضافية:

نسبةً لأن الإذاعة تحتاج للكثير من المواد المنوعة وتقديراً لظروف الإذاعة الأم (أمدرمان) التي قد لا تستطيع مد هذه الإذاعة الوليدة بحاجتها من الأشرطة في الوقت الراهن فإننا نقترح ما يلي:

- شراء أشرطة كاسيت مسجلة تسجيلاً ممتازاً لتنقل على أشرطة مغنطيسية ليسهل بثها من خلال الإذاعة. والمواد التي نقترح شراءها فوراً هي أغنيات للمطربين: [إبراهيم إدريس، إبراهيم الكاشف، إبراهيم عوض، إبراهيم عبد الجليل، إبراهيم حسين، إبراهيم موسى أبا، أبو عركي البخيت، أحمد الجابري، أحمد الطيب، أحمد المصطفى، إسماعيل حسب الدائم، إسماعيل عبد المعين، الأمين برهان، الأمين عبد الغفار، الأمين على سليمان، البلابل، التاج مصطفى، التاج مكي، التجاني مختار، الخير عثمان، الطيب عبد الله، العاقب محمد حسن، أم بلينة السنوسي، أولاد الموردة، بادي محمد الطيب، تريزا، ثنائي النغم، ثنائي كردفان، جيلاني الواثق، حسن خليفة العطبراوي، حسن سليمان، حسن عطية، حمد الريح، خضر بشير، خلف الله حمد، خليل إسماعيل، خليل فرح، خوجلي عثمان، رمضان حسن، رمضان زايد، زكي عبد الكريم، زنقار، زيدان إبراهيم، زينب خليفة، سمية حسن،

سيد خليفة، سيف الجامعة، شرحبيل أحمد، صالح الضي، صديق الكحلاوي، صديق عباس، صلاح إبن البادية، صلاح محمد الحسن، صلاح محمد عيسى، صلاح مصطفى، عائشة الفلاتية، عائشة متيانق، عبد التواب عبد الله، عبد الحميد يوسف، عبد الدافع عثمان، عبد الرحمن عبد الله، عبد العزيز العميري، عبد العزيز المبارك، عبد العزيز محمد داؤد، عبد العظيم حركة، عبد الفتاح عباس، عبد القادر سالم، عبد الكريم الكابلي، عبد الله البعيو، عبد الله الحاج، عبد الله الكردفاني، عبد الله الماحي، عبد الله دينج، عبد الله محمد، عبد المنعم الخالدي، عبد المنعم حسيب، عبد الوهاب الصادق، عبيد الطيب، عثمان الأطرش، عثمان الشفيع، عثمان حسين، عثمان حميدة، عثمان عوض الله، عثمان مصطفى، عز الدين مزمل، على إبراهيم، على العمرابي، عمر إحساس، عمر البنا، عمر الفحيل، عوض الجاك، عوض الكريم عبد الله، عوض وإبراهيم شمبات، فاطمة الحاج، كرومة، كمال ترباس، كمال كيلة، مبارك حسن بركات، محجوب عثمان، محجوب كبوشية، محمد أحمد سرور، محمد أحمد عوض، محمد الأمين، محمد الحسن قيقم، محمد حسنين، محمد ميرغني، محمد وردي، محمداني مدني، محمود الكنزي، محمود تاور، محمود على الحاج، محمود فلاح، محفوظ عليش، مصطفى سيد أحمد، مكي البغدادي، منى الخير، مهلة العبادية، ميرغني إلمأمون وأحمد حسن جمعة، نجم الدين الفاضل، نور الدائم الخضر، نور الجيلاني، هاشم بابنوسة، هاشم ميرغني، يوسف الموصلي، ويوسف فتاكي].

- شراء أشرطة مسجل عليها تلاوة القرآن الكريم بأصوات قارئين مختلفين تتضمن المصحف التعليمي والمصحف المرتل، وعدد 15 شريط مسجل عليها مواد غنائية وموسيقية عربية.
- توفير الصحف السودانية والعربية بصورة يومية لعمل برنامج **(ماذا تقول الصحف)** والاستعانة بموادها في تسيير العمل اليومي خاصةً الخدمات الأخبارية لعدم توفر مصادر أخبارية لدى الإذاعة في الوقت الراهن.
- تحتاج الإذاعة لعدد 100 شريط مغنطيسي من الحجم الكبير مقاس 1200 قدم، وعدد 25 شريط من المقاس المتوسط 900 قدم، و25 شريط من المقاس الصغير 600 قدم. كما تحتاج إلى 20 رزمة ورق رونيو و10 دفاتر بحجم الفولسكاب وعدد من أجهزة التسجيل المتحركة (كاسيت) لتسجيل المواد الخارجية والتغطيات واللقاءات اليومية المختلفة.
- تكون ميزانية الإذاعة وكل معاملاتها المالية في حساب منفصل ومحدد تحت مسؤولية شخص معروف يرفع تقريراً دورياً ببيان منصرفاته ومدخلاته وفق حسابات دقيقة ومعروفة وبغير ذلك سيختل ميزان العمل.

والله ولي التوفيق

عوض إبراهيم عوض

إذاعة جمهورية السودان الديمقراطية

الأربعاء 15 / 2 / 1984م

صورة للسيد: حاكم إقليم كردفان

صورة للسيد: وزير شئون الإقليم والإدارة

صورة للسيد: مدير الإعلام الإقليمي بكردفان

صورة للسيد: عوض إبراهيم عوض

وما أن سلمت هذا التقرير للسيد **(الفاتح بشارة)** حتى قال لي وهو ما زال ممسكاً بالتقرير قبل أن يتصفحه: **(هل احتفظت لنفسك بأي صورة من هذا التقرير؟)** قلت له: **(كلا)**، قال لي: **(يجب أن تحتفظ لنفسك بصورة منه للتاريخ، حيث إنَّ هذا هو حقك الذي يجب إلا يسلبك إياه أحد)**. قلت له: **(حاضر)**، وأخذت منه التقرير الذي لم يفتحه حتى تلك اللحظة وذهبت به إلى مكتب السكرتارية وأعطيته لسكرتيرته إيمان، حيث تم تصويره وأخذت منه نسخةً لنفسي بعد أن أضفت في ذيله عبارة (صورة للسيد: عوض إبراهيم عوض) ثم سلمت النسخة الأصلية وبقية الصور للسيد الحاكم الذي أمر سكرتيرته بتوزيعها على الجهات المختصة. في تلك اللحظة فاجأني الحاكم بما لم يكن في حُسباني مطلقاً حيث قال لي:

«الآن أنا أريد أن أصدر قراراً بتعيينك مديراً لهذه الإذاعة وسنوفر لك كل ما تحتاج إليه من سيارة ومنزل وخلافه فما رأيك؟» كان السؤال حقاً مفاجئاً لي ولكنني قلتُ بلا تردد: **«يا سيادة الحاكم أنا والله شاكر ومقدر لك هذه الثقة العظيمة، ولكنني أرجوك أن تقدر موقفي حيث إنَّ ظروفي الأسرية لا تسمح بالبقاء خارج الخرطوم في هذه الفترة لأنني مسؤول عن مراقبة أبناء خالي الذين توفي والدهم وهم في سن المدارس، ولكني أعد بأن أكون عوناً لهذه**

الإذاعة التي أصبحت جزءاً من كياني وسأكون رهن أشارتها في أي وقت أن شاء الله»، قال لي: **«هذا عذر مقبول لا محالة رغم أني كنت مصمماً على أن تكون أنت مديراً لهذه الإذاعة، ولكن قل لي إذن من هو في تقديرك الشخص المناسب للقيام بهذا الدور؟»** قلت له على الفور: **« أنا لا أرى أصلح من الأستاذ عوض محمداني، إنني أرشحه بلا تحفظ لإدارة هذه الإذاعة»**. قال لي: **«لماذا؟»** قلت له: **« أولاً أنه من الجيل الأول للإذاعيين والإعلاميين في هذا الإقليم، وكلنا تعلمنا حب كردفان من خلال رسالة كردفان العظيمة التي كان يعدها ويقدمها من مكاتب إعلام الأبيض لسنوات عديدة. وقد تدرب على فنون العمل الإذاعي بإذاعة أمدرمان ومصر، ويقيني أنه ينافس عمالقة الإذاعيين حضوراً وأداء وخبرةً. ولولا أنه يصر على البقاء في كردفان لكان له شأن عظيم على مستوى الإعلام القومي. ولكن يا سيادة الحاكم دعني أضيف شيئاً فإنني أعلم أنك عندما تصدر قراراً بتعيين الأستاذ عوض محمداني مديراً لهذه الإذاعة فإن ذلك سيثير زوابع لا يعلمها إلا الله في هذا الإقليم حيث إنني أعلم حجم الصراع الخفي الذي يدور بينه وبين مدير الإعلام الإقليمي الأستاذ عبد الرحمن رضوان. ولكن هذا في تقديري لا يجب أن يكون سبباً يحول دون تعيين عوض محمداني مديراً لهذه الإذاعة»**.

أنهيت حديثي ولم يعلق الحاكم بل ودعني بحرارة وقال لي: **«أشكرك على هذا الحديث الذي لن أنساه أبداً ووفقك الله»**. وفي صبيحة اليوم التالي صدر قرار حاكم إقليم كردفان بتعيين الأستاذ (**عوض محمداني**) مديراً لإذاعة

كردفان. وعرفت فيما بعد أن عوض كان هو المرشح الوحيد الذي اقترحه كل من تحدث معهم الحاكم في هذا الشأن، بل أن الحاكم نفسه كان يجد في نفسه ميلاً إليه حتى قبل أن أقترحه عليه. وكما توقعت فقد كثرت الصراعات بينه وبين مدير الإعلام الإقليمي حتى ذهب كل منهما إلى سبيله تاركاً إذاعة كردفان لوجوه أخرى من الشباب، حيث آلت إدارتها فيما بعد للإذاعة الأم وأصبحت هي التي تعين المدير من كادر إذاعة أمدرمان.

تقويم فترة حكم الفاتح بشارة:

تعامل (**الفاتح بشارة**) مع إقليم كردفان معامل الإبن مع أمه الرؤوم. وبعد أن أرسى دعائم الحكم اللا مركزي في الإقليم وضع الكثير من القرارات التي أرست قواعد العمل في الإقليم ومنها: بناء الأجهزة التنفيذية وعلى رأسها اختيار أعضاء حكومته الذين كان مجرداً في اختيارهم من أي نظرة عرقية أو طائفية أو حزبية أو جهوية. وقد شهد له التاريخ بأنه حرص على انتهاج أسلوب علمي وموضوعي في اختيار الكوادر على أساس الكفاءة والمقدرة على العطاء والخبرة الإدارية والإلمام بقضايا الإقليم والالتزام بالعمل والتجرد ونكران الذات دون الالتفات لأي شيء آخر.

ولعل التوفيق قد كان حليف تلك الحكومة التي جهزت كل مقومات ومستلزمات الإقليم والوزارات الإقليمية الخمسة من مباني وأثاثات ومعدات وهياكل وكوادر ونظم ولوائح وقنوات اتصال وغيرها مما تحتاجه أي حكومة. ومن بين ما أقامه هو تأسيس مجلس الشعب الإقليمي بالأبيض وبناء أجهزته التنفيذية. وقد بنى

له صرحاً كبيراً إبّان فترة الانتخابات حيث تم بناؤه وتكوين كوادره الإدارية والفنية وإصدار لائحة تنظيم أعماله حتى افتتحه الرئيس نميري في عام 1981م. وكذلك أكمل بناء مؤسسات الحكم الشعبي المحلي بحكم القانون الخاص بذلك والذي صدر في عام 1981م مكملاً بذلك بناء الهياكل الأساسية للحكم اللامركزي الذي بدأ بإصدار التعديل الثاني للدستور وإجازة قانون الحكم الإقليمي. وكانت حكومة كردفان قد شرعت في تطبيق ذلك القانون فور صدوره رغم ظرف الخريف القاسي مما دفع الحكومة المركزية لإعلان أن حكومة كردفان كانت هي الأولى في السودان التي طبقت بناء هياكل الحكم الشعبي المحلي على مستوى السودان كله. وكان ذلك الإعلان قد أثلج صدر **(الفاتح بشارة)** الذي سعى لأن يكون الأول في كل شيء حتى في إطار العمل التنفيذي الذي يخص الدولة.

اللامركزية في كردفان:

وابتكر **(الفاتح بشارة)** أسلوباً لحكم وإدارة كردفان استنبطه من واقع المنطقة وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وقد استنبط ذلك من خلال دستور 1980م الذي أصبح السودان بموجبه يدار على ثلاثة مستويات هي المستوى القومي والمستولى الإقليمي والمستوى المحلي. وبمقتضى التعديل الثاني للدستور تم تقسيم السودان إلى خمسة أقاليم هي: إقليم كردفان، وإقليم دارفور، والإقليم الشمالي، والإقليم الشرقي، والإقليم الجنوبي. ويضم كل إقليم عدداً من المديريات، ولكل إقليم أجهزته التشريعية والتنفيذية التي تشمل اختصاصاتها جميع المسائل المتعلقة وبالإقليم وإدارته وتنميته وتطويره ورعاية مصالحه ونظامه العام فيما

عدا ما يتعلق بالسيادة كالدفاع والشؤون الخارجية والجمارك والعملة والجنسية وما إلى ذلك من المسائل ذات الطبيعة القومية التي جاء تحديدها في المادة (6) من قانون الحكم الإقليمي.

منجزات الفترة الانتقالية:

ورغم أن ظروف الفترة الانتقالية كانت صعبة وقصيرة نسبياً إلا أن قيادة (الفاتح بشارة) قد أثمرت إنجاز العديد من الأمور ومنها:

- استقطاب رأس المال المحلي والعربي والأجنبي والحصول على معونات عدد من الهيئات والمنظمات الدولية والبلاد العربية للاستثمار في كردفان.
- ربط مناطق الإقليم بوسائل الاتصال اللاسلكية التي تم شراؤها وتركيبها في مختلف مدن كردفان.
- وضع الأسس لإنشاء جامعة كردفان التي كان يسميها (جامعة السودان) قبل نشأة جامعة السودان الحالية التي نشأت على قاعد معهد الكليات التكنولوجية السابق.
- إعادة إصدار صحيفة كردفان للدكتور الفاتح النور.
- تطبيق لائحة برنامج الإنعاش الاقتصادي.
- ترشيد استخدامات العون الذاتي.
- زيارة نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش للأبيض وبدء تدفق المعونة الأمريكية من خلال ما أطلق عليه الناس عيش ريقن.

وقد اتسمت حكومة (**الفاتح بشارة**) خلال المرحلتين الانتقالية والثالثة بسمات وخصائص أساسية لعلها كانت السبب الرئيسي في نجاحها ومنها:

- العمل من داخل المؤسسات
- تطبيق مبدأ الشورى
- روح الفريق الواحد المنسجم
- تفهم جوهر الحكم الإقليمي
- سيادة حكم القانون والنظام
- الالتصاق القوي بالجماهير.

وأذكر أنني كنتُ في جلسةٍ معه داخل منزله العامر بالضيوف بمدينة الأبيض والذي أطلق عليه (بيت كردفان) عندما زاره (**اللواء جوزيف لاقو**) نائب رئيس الجمهورية السابق ومكث معه بضعة أيام في الأبيض. كنا نتجاذب أطراف الحديث في شتى الأمور التي تهم السودان والولاية، وفجأةً سألتُهُ عن مدى صحة إحدى الشائعات التي ملأت الساحة السياسية في تلك الأيام وكانت فحواها أن الرئيس نميري سيُصدر قراراً بتعيينه نائباً أول لرئيس الجمهورية، فقال لي الفريق (**الفاتح بشارة**) بالحرف الواحد:

«هذه حقيقة وقد عرضها علي الرئيس نميري ولكنني اعتذرت له عن ذلك). فقلتُ له مندهشاً: «**يا سيادة الفريق كيف ترفض منصباً مثل هذا وهو أرفع منصب في الدولة يسعى إليه كل التنفيذيين ويتمناه كلُ إنسان؟**» فقال لي: «**واللهِ يا عوض أنا يهمني في المقام الأول أن أخدم أهلي البسطاء**

هؤلاء في كردفان لأنهم يحتاجون لي، وهم يستحقون الخدمة والوفاء لهم، وقد بادلوني حباً بحب، ووقفوا معي في أحلك الظروف، وأسهموا معي في بناء الإقليم، وما يزال عطاؤهم مستمراً، لذلك فأنا لا أريد أن أتخلى عنهم لأي منصب مهما كان».

زيارة وفد المستثمرين لكردفان

زار الأمير محمد الفيصل إقليم كردفان على رأس المستثمرين العرب والإسلاميين ولما وجده من حفاوة واستقبال وتكريم ولما لمسه من جهد كبير يبذله الحاكم الفاتح تجاه تنمية إقليم كردفان.



صورة لبعض أعضاء وفد المستثمرين العرب للأبيض حاضرة إقليم كردفان

يتوسطهم الحاكم الفاتح بشارة والأمير محمد الفيصل



بانتهاء مهرجان سباق الهجن أكرم حاكم كردفان الفاتح بشارة صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل ببعض الهدايا بينها هذا الجمل من فحول الإبل الكردفانية الأصيلة

وكان الوفد يتكون من عدد كبير من المستثمرين الذين أبدوا إعجابهم بإقليم كردفان ورحابته الواسعة وخصوبة أرضه. وقد أسهب الحاكم في شرح ما تبطنه أرض كردفان من خيرات وفيرة ومستقبل عظيم ينتظر من يستثمر فيه. ولأن **(الفاتح بشارة)** كان عالماً بطبيعة العرب واهتماماتهم فقد أجزل لهم العطاء السخي وأكرم وفادتهم. وكان في كل ذلك يتحدث عن طبيعة أهل كردفان وسماتهم العربية الأصيلة. وأقام الحاكم سباقاً للهجن تكريماً لأعضاء الوفد الذين أُعجبوا به غاية الإعجاب. ثم أعطاهم هدايا من نفس تلك الجِمال التي تابعوها بأنفسهم في ميدان

السباق. ولم تنقض أيام تلك الرحلة إلا بعد أن وُقعت الكثير من المشاريع بالإقليم مع عدد من أعضاء ذلك الوفد.

الفاتح بشارة والتيار الإسلامي:

ذكر الفريق الفاتح لابنه محمد بأنه كان طالباً بالسنة الأولى بمدرسة حنتوب الثانوية سنة 1949م اجتمع به ذات ليلة المحامي ميرغني النصري والقاضي أحمد البشير الشيخ بميدان (1) بحنتوب الساعة الثانية صباحاً. وقالا له بأن الإنجليز سوف يدشنون مدرسة جديدة خورطقت الثانوية بكردفان السنة القادمة 1950م وسوف يختارون مجموعة من طلاب أولى حنتوب ليشكلوا طلاب السنة الثانية بخورطقت (سناير). وعليه وقع اختيارنا نحن التيار التحرير الإسلامي المنادي بمكافحة الاستعمار على شخصك لتكون زعيما على الطلاب بخورطقت الثانوية وذلك لما لمسناه فيك من وطنية صادقة وهمه عالية وقوة شخصية، وتكون مهمتك دفع الطلاب للنضال ضد المستعمر وحسم أي تفلتات أخلاقية تمس الطلاب في عقيدتهم ومشاعرهم الإسلامية. فوافق الفاتح بكل سرور وفعلا أصبح الفاتح زعيما للطلاب برضاهم. كما يقول البروفيسور موسى عبد الله حامد في كتابه ثلاثية خورطقت. ولكن العلاقة بين الفاتح والتيار الإسلامي توقفت على فترة خورطقت فقط. وعندما اجتاز الفاتح السنة الثالثة بخورطقت بنجاح تام تقدم بطلب للكلية الحربية قبل أن يكمل السنة الرابعة، فقبل كطالب حربي في الدفعة الخامسة وتخرج ثاني الدفعة، وهنا أصبح ولاؤه للقوات المسلحة كضابط محترف ليس له أي علاقة ولا انتماء سياسي.

تجددت علاقته بهذا التيار سنة 1981م لما صار عضوا بالمكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني الذي ضم بعد المصالحة د.حسن الترابي وعندما شكل أول حكومة إقليمية بإقليم كردفان عين الإسلامي العالم د. التاج فضل الله وزيراً للزراعة، وفيما بعد الأستاذ المحامي المرموق أحمد إبراهيم الطاهر مستشارا قانونيا لحاكم وحكومة الإقليم. وكانت حكومته هذه مشكلة من تيارات سياسية مختلفة وراعى أيضاً جهويات الإقليم وتعدد القبائل. وفعلا حكومته كانت قومية.

اختلف مع د. الترابي في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي حول اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر. كان رأي د. الترابي والأستاذ بدر الدين سليمان أن هذه الاتفاقية سوف تكون خصما علينا مع دول الجوار الأخرى وتهدد سيادتنا على أرضنا. وكان رأي الفريق الفاتح أن هذه الاتفاقية مكسب كبير للسودان ولجيشه وذلك لاتساع الحدود مع دول الجوار الثمانية ومحدودية قواتنا وتجهيزها واستشهد بمقولة بطل الحرب العالمية الثانية المارشال مونتجومري: **(من السيئ أن يكون لك حليف ومن الأسوأ إلا يكون لك حليف)**. وكان الفريق الفاتح درسه كأستاذ زائر المارشال مونتجومري سنة 1966م في كلية القادة والأركان البريطانية (كامبرلي). كان يحاضرهم في مادة تقدير موقف (وهذه من العلوم العسكرية التي برع فيها الفريق فيما بعد). وبعد مداخلة الفريق الفاتح قال الرئيس نميري رئيس المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي أعلى سلطة سياسية الفاتح حسم الموضوع، نعم لاتفاقية الدفاع المشترك مع مصر.

والخلاف الثاني بين الحاكم (**الفاتح بشارة**) ود. الترابي مساعد الرئيس في مجلس الوزراء المركزي عندما اعترض د.الترابي على سلطات وصلاحيات حكام الأقاليم (كان حكام الأقاليم يحق لهم المشاركة في مجلس الوزراء المركزي) فنبرا له الفاتح إنابة عن الحكام قائلا: «**يا دكتور لماذا تحسدنا؟؟ عليك بمراجعة قانون الحكم الإقليمي ونظرية اللامركزية، وقد قال لنا الرئيس أداء القسم نحن الحكام الستة: كلما تجتهدون في عملكم سوف أتنازل لكم من سلطاتي وصلاحياتي وصولا لحكم إقليمي ذاتي كامل السلطة فيه من الشعب وإلى الشعب**».

هذا الاختلاف في وجهات النظر بين الفريق الفاتح ود. الترابي بعد الإعلان عن تطبيق الشريعة من قبل الرئيس نميري سبتمبر 1983م فازداد نفوذ الإسلاميين داخل دولاب الحكم المايوي (المسيرة المليونية)، وكانت كوادرهم ترفع شعار (**انتهى عهد الإمام المجاهد وليأتي عهد الإمام العالم**).

وشرع الصحفي الأستاذ جمال عنقرة وهو من أبناء التيار الإسلامي في مقالات صحفية راتبه يهاجم بشدة وقوة وبصورة راتبة حكام وحكومة كردفان. واستشعر الحاكم الخطر من مستشاره القانوني الأستاذ (**أحمد إبراهيم الطاهر**) فأبعده من منصبه. وهنا أصبح الصراع مكشوفا بين الحاكم الفريق (**الفاتح بشارة**) وتنظيم الإسلاميين بقيادة الدكتور حسن الترابي.

وقد ارتبطت خلافات الحاكم مع أبناء التيار الإسلامي أيضاً بزيارة المستثمرين العرب حيثُ كان الأمير (**محمد الفيصل**) قد أعلن للفريق (**الفاتح بشارة**) أثناء وجوده معه بالأبيض عن تبرعه بمبلغ 2 مليون دولار لإقليم كردفان تعبيراً عن امتنانه لحكومة وجماهير كردفان، فبشر الحاكم أعضاء حكومته بهذا التبرع

السخي من الأمير محمد الفيصل، فما الذي حدثَ بعد ذلك؟؟ وكان الحاكم **(الفاتح بشارة)** جالساً في مكتبه بالاتحاد الاشتراكي السوداني، حيث كان لكل إقليم مكتب متابعة خاص به داخل مبنى التنظيم، وفجأةً دخل عليه الأستاذ **(ياسين عمر الإمام)** ونقل إليه خبراً مفاده: **(إن الأمير محمد الفيصل قرر أن يتم تقسيم المكرمة التي تبرع بها والتي مقدارها 2 مليون دولار مناصفةً بين كل أقاليم السودان المختلفة وليس فقط على إقليم كردفان)**. وهنا اشتاط الحاكم غضباً وردَّ على الفور: **(إن الأمراء لا يغيرون تعهداتهم يا أخ ياسين بين ليلة وضحاها، وأظن أنكم أنتم الذين غيرتم قراره وأنا أعرف جيدا أن هذه مؤامرة ليس إلا. وعلى العموم قل للأمير شكراً إننا كحكومة لكردفان الكبرى لن نقبل منكم أي مليم)**.

ولم يمض على تلك الواقعة كثيرُ وقت حتى وردت لمكتب (الفاتح بشارة) تقارير من أربع جهات مختلفة هي: 1/ الأمن الاقتصادي، 2/ ووزير مالية إقليم كردفان (**د. الفاتح التجاني**)، 3/ ومحافظ شمال كردفان، 4/ ومحافظ جنوب كردفان تقول له: **(إن بنك فيصل ومعه جماعة الدكتور حسن عبد الله الترابي قد اشتروا كل مخزون الإقليم من الذرة بثمن رخيص وصدروه إلى الخارج دون التنسيق مع حكومة إقليم كردفان أو استشارتها أو طلب موافقتها)**.

وقرأ (**الفاتح بشارة**) تلك التقارير التي أغضبته غضباً شديداً ودعا إلى مؤتمرٍ صحفيٍ عاجل مع رئيس تحرير جريدة الأيام الذي كان وقتها الأستاذ (**حسن ساتي**). وفي ذلك المؤتمر الذي نقلته معظم الصحف ووسائل الإعلام أدلى السيد

(الفاتح بشارة) بحديث ساخن جاء فيه بالنص: **(إن الرئيس نميري عندما وافق على افتتاح بنك فيصل الإسلامي بالسودان كان يهدف إلى تكريم القائد الإسلامي الفذ وراعي النهضة الحديثة بالمملكة العربية السعودية جلالة الملك المفدى فيصل بن عبد العزيز وأيضاً تعزيزاً لمفهوم الصيرفة الإسلامية التي تواكب توجهات الدولة في هذا الوقت. وبما أن الذرة تشكل غذاء الإقليم بصورة أساسية فإن الأهالي يزرعونها بكدهم وعرقهم وينتظرون سقياها من السماء فيبرهم رب العباد بمحصول مبارك يقتاتون منه في سنته ويبيعون جزءاً منه لمقابلة احتياجاتهم الأخرى، ثم يحتفظون بما يتبقى تحسباً لنوائب الدهر إذا لم يأت غيثٌ يكفي في الخريف القادم. وبنك فيصل الإسلامي لم يُراعِ هذا العرف والإرث فهب في حملةٍ سريةٍ مدروسة يشتري كل إنتاج إقليم كردفان من الذرة دون تنسيق معنا أو موافقتنا نحن حاكم وحكومة كردفان. ومن هنا يتضح لنا أن هذا البنك (بنك عيش) تحركه وتدفعه أجندة سياسية لجهة معلومة لدينا ومشاركة في السلطة تهدف إلى خلق مجاعة واضطرابات في الإقليم)**. انتهى بيان الحاكم.

بعد ذلك تم رفع هذه التقارير مع ما دار في مؤتمر حاكم كردفان الصحفي للرئيس نميري وللنائب العام الذي كان وقتها الأستاذ **(الرشيد الطاهر بكر)**. وقد قدم النائبُ العام للرئيس نميري مذكرة قانونية عن أحكام العدالة الناجزة ذاكراً فيها الأخطاء القانونية الفادحة التي وقع فيها قضاة العدالة الناجزة متهماً إياهم بأنهم قد تناقضوا مع مقاصد الشريعة الإسلامية. وأورد في تقريره عبارة: **(إنني**

أرى تحتَ الرمادِ وميضَ نار). وكانت مذكرة الأستاذ **(الرشيد الطاهر)** بتلك الصياغة قد دعمت موقف حاكم كردفان الذي وصف القائمين بذلك الأمر بأنهم جماعةُ الإسلام السياسي. وعلى الفور اتخذ الرئيس نميري قراره الصعب بفك الائتلاف مع الإسلاميين بقيادة الدكتور **(حسن الترابي)** الذي أودعه سجن الأبيض، في حين أودع أفراد جماعته المتهمين في تلك الأحداث سجن شالا وذلك تمهيداً لمحاكمتهم لاحقاً ببلاغين هما بلاغ الرشيد الطاهر، وبلاغ الفاتح بشارة. وفي سجن الأبيض أمر الفريق **(الفاتح بشارة)** بوصفه حاكم الإقليم أن يُعامل الدكتور حسن الترابي معاملةً حسنة بوصفه مساعداً سابقاً لرئيس الجمهورية بحكم أن وظيفته تعتبرُ وظيفةً سيادية.

وأمر وزراء حكومته أن يزوروا الدكتور الترابي في سجنه بالأبيض. كما أمر أن تستجيب إدارة السجن لكل طلبات الدكتور الترابي وتسمح له بزيارة طبيب من أقربائه ليكشف عليه دورياً، وأن يؤتى له بالطعام من قصر الضيافة، وتزود غرفته بثلاجة وتلفزيون وراديو ومرتبة جديدة وسرير. وكان هدف **(الفاتح بشارة)** من ذلك التصرف كما صرح للمقربين منه هو أن يثبت للدكتور حسن الترابي أن الخلاف بينهما ليس شخصياً وإنما هو خلافٌ سياسي محض.

وبعد أن تم استعراضُ كل أبعاد القضية المرفوعة رأى الأستاذ **(جلال على لطفي)** والذي كان محامياً للطرفين: الفريق **(الفاتح بشارة)** و**(بنك فيصل الإسلامي)** أن يحل هذا النزاع ودياً حسب رؤيته الشخصية والقانونية. وقد أصر على أن توقف جميعُ إجراءات المحاكمة، على ألا يعتذرَ أيٌ من الطرفين، وبالتالي يتم تناسي هذا الموضوع نهائياً.

ولعل الأطراف المختلفة قد رأت في وجهة نظر الأستاذ (**جلال علي لُطفي**) حِكمةً يمكن أن تؤدي إلى خير. وبالفعل أوقفت القضية وتم تناسي الموضوع برمته. ولكنَّ السيد الدكتور (**عبد الرحيم حمدي**) وزير المالية الأسبق والناشط في الحركة الإسلامية تحدث في لقاء تلفزيوني بقناة النيل الأزرق ضمن برنامج (**مراجعات**) الذي استضافه فيه الإعلامي الأستاذ (**الطاهر حسن التوم**) وأدلى بحديث بعد وفاة الفريق (**الفاتح بشارة**) حين سُئل عن هذا الموضوع، وقد احتجت على ذلك الحديث أسرة الفريق الفاتح قائلة: «**إنه حديثٌ غير صحيح وجانبه الصواب. ولذلك فإنهم يعتبرونه عارياً من الصحة ولا ينطبق على ما حدث بالفعل في هذا الأمر**» [20].

قصة تمرد يوسف كوة

كنا قد ألمحنا في سياق حديثنا عن (**يوسف كوة**) الذي كان ضمن طاقم حكومة (**الفاتح بشارة**) كحاكم لكردفان عن خوفنا من أن يتمرد على الحكومة في يومٍ من الأيام، فما الذي حدث؟

أجرى الأستاذ الصحفي (**أحمد البلال الطيب**) حواراً صحفياً مع (**يوسف كوة**) بمدينة نيروبي، وقد نُشر ذلك الحوار بصحيفة أخبار اليوم اليومية التي يملكها أحمد البلال. وبعد أن نُشر الحوار وقرأه الكثيرون كتب الفريق (م) (الفاتح

[20] من حديث للأستاذ محمد الفاتح بشارة نجل الفريق الراحل الفاتح بشارة مع المؤلف عن رؤية الأسرة لتلك الأحداث.

بشارة) رسالة تعقيب على ذلك الحوار الذي نقلته أخبار اليوم في عددها الأسبوعي، وقد جاء في حديث الفريق ما يلي:

الأخ العزيز الأستاذ أحمد البلال الطيب رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير جريدة أخبار اليوم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أردت أن أوافيك بملف مبسط داخله الحقيقة العارية عن السيد (**يوسف كوة**). وما كنت سأفعل ما فعلت لولا أن يوسف كوة قد قال الحقيقة في بداية أمره والتي لم يكن يملك غيرها في ذلك الوقت، ثم نكص على عقبيه حين دارت به سراديبُ السياسةِ خارج الوطن، فأجبرته على أن يقول قولا لم يقله من قبل. ورأى أن يغازل بتبديل الحقائق وتلوين الأشياء بغير ألوانها. وإن صح قوله الأول ما كان له أن يعود ليكذب، وإن صحَّ قوله الأخير فيكون الرجل قد كذب أولاً وتكون قضيته قد ذهبت أدراج الرياح. فما هي حقيقة الخلاف؟

لأكثر من عقد من الزمان ولا يزال البعض لسبب أو لآخر يثير ذات الموضوع كلما التقى (**يوسف كوة**) وهو عما إذا كان سبب تمرده وخروجه من البلاد أيهما قبل الآخر نتيجةً لخلافه مع (**الفاتح بشارة**) حاكم إقليم كردفان وقتذاك؟ لربما كان مرد الشغف بهذا الموضوع التصريح الذي أطلقه سعادة اللواء (**إبراهيم نايل إيدام**) في بداية ثورة الإنقاذ وهو من طلائعها كما هو معروف، ولعل ذلك التصريح صار ولا يزال بسبب الدوار لذلك البعض الذي يظن أن الإجابة على هذا السؤال هي الفردوس المفقود الذي يضع النهاية لتمرد يوسف كوة. ولكنَّ يوسف

كوة نفسه والمطارد بهذا السؤال سبق أن صرح لصحفي سوداني في مجلة الوسط بأنْ لا علاقة لخروجه وتمرده بخلافٍ مع الفاتح بشارة، بل وأضاف أنه وبرغم خلافة إلا أنه أدلى بصوته لصالح **(الفاتح بشارة)** في انتخابات حكام الأقاليم، وهذا يكفي لأن يسدل الستار بصورة ختامية. وأذكر أنني كنت بالقاهرة، وفوجئت بيوسف كوة يطلب مقابلتي، وقد وَسَّطَ لذلك الأمر سعادة العقيد **(محمد المأمون)**. إلا أنني رفضتُ تلك المقابلة لعدم وجود أي مُبررٍ لها. وفوجئتُ للمرة الثانية باتصال هاتفي من **(يوسف كوة)**. وتحدث معي حديثا مطولاً في تلك المحادثة لم يخرج عن إطار المجاملات وعبارات الود الرقيقة. وهذا بالطبع يحدث بين أي سودانيين تجمع بينهما مشاوير العمل العام أو الخاص ولو لبعض الوقت. والآن وقد تفرقت بنا السبل ومضى كل منا لشأنه ما هي مزاعم يوسف كوة؟

إن الغريب والمريب في الأمر والذي دفعني لهذه الكتابة هو ما بلغني مؤخراً بأن يوسف كوة قد ساق حديثاً للأخ الصديق **(أحمد البلال الطيب)** رئيس تحرير صحيفة أخبار اليوم على هامش اجتماعات مؤتمر الإيقاد الذي انعقد أخيرا بنيروبي، ومفاد الحديث الذي قاله **(يوسف كوة)** أنَّ خلافاته مع **(الفاتح بشارة)** كانت وراء قرار خروجه وتمرده!! والغريبُ في الأمر أن يوسف كوة بنفسه قد سبق ونفى هذا الربط قبل عدة سنوات وكرر هذا النفي مراراً. وقال: **(إن الذين يثيرون هذا السؤال إنما يقصدون تحجيم وتقزيم قضية تمرده)**.

والغريب أن يوسف كوة وربما لحاجة في نفس يعقوب رأى أن يناقض نفسه ويبدل الحقائق وفق استراتيجيةٍ مُخططٍ لها. ولكنَّ الخير أن نضع النقاط على الحروف حتى لا تلتبس الأشياء أو تتداخل المعاني وتختلط الألوان. واليكم القصة

بتفاصيلها، خصوصاً وأن كل شُهودِها لا يزالون أحياءً أمدَّ اللهُ في أيامهم. لقد تم انتخابُ يوسف كوة نائباً لدائرة كادقلي لمجلس الشعب الإقليمي بكردفان، وكان وقتها يعمل معلما بمدرسة كادقلي الثانوية. وكنت حاكماً لإقليم كردفان وأمينا للاتحاد الاشتراكي كأعلى سلطة سياسية، فرأيتُ لضرورة خلق موازنات بين شقي الإقليم أن أعمل على مشاركة الأقليات وإفساح المجال لهم بغرض خلق قياداتٍ جديدة بجنوب الإقليم. ولقد بارك الناس هذا المسعى وساندوه بشكلٍ قوي. وتطبيقا لهذا المفهوم بدأت برفقة إخوةٍ آخرين جهداً كبيراً حتى تم انتخاب يوسف كوة نائباً لرئيس هيئة مجلس الشعب الإقليمي برغم حداثة سنه. ولقد أبدى إخلاصاً وتعاوناً، إلا أن الأيام القليلة التي أعقبت انتخابه نائباً لرئيس الهيئة كشفت أنه كان يضمر شيئاً ويظهر شيئاً آخر. وأكدت الأقوالُ والأفعال أنه يقود عملاً خطيراً في الخفاء لا يدركه أحد. واكتشفنا أنه يترأس تنظيماً سرياً يُسمى (**الصخرة السوداء**)، وهو تنظيمٌ غير واضح الأجندة والأهداف، ويتخذ من جنوب كردفان مقراً له.

وحدث ذات مرة أن أعلنتُ عن نيتي في زيارة كادقلي حاضرة جنوب الإقليم بحكم وضعي كحاكمٍ للإقليم. فسبقني يوسف كوة إلى مدينة كادقلي بزيارة خاطفة وسرية لم يستاذن فيها رئيس المجلس أو الهيئة، ولَم يُخطر أحداً بكادقلي رغم أنه نائبُ الدائرة ونائبُ رئيس هيئة مجلس الشعب الإقليمي. وعندما وصل إلى كادقلي اجتمع على الفور سراً بأبناء النوبة من طلاب مدرسة كادقلي الثانوية التي كان يعمل بها معلماً، وقام بتحريض أولئك الطلاب بذبح أبناء شمال الإقليم من الطلاب بالمدرسة. ثم واصل سعيه بين الطلاب ودعاهم أن يهتفوا هتافاتٍ عدائية

عند زيارتي المعلنة لكادقلي. وبعد أن رتب لذلك الأمرِ تماماً انسحب من كادقلي عائداً إلى الأبيض في عربة تجارية. وفي منتصف الطريق بين كادقلي والأبيض قابلتُ العربة التي كان بها، وحاول أن يُخفي نفسه حتى لا أراه، ولكن لسوء حظه فقد رأيته بالعربة وتأكدتُ تماماً أنه هو، فأوقفت العربة وطلبت منه أن يعود معي إلى كادقلي بحكم أنه نائب الدائرة. وفي بداية اللقاء الجماهيري طلبت منه أن يصعد إلى المنصة ويقدمني للجماهير. ولم يكن أمامه إلا أن يرضخ لذلك الأمر، وصعد إلى المنصة وقال حديثا لم يسبق له أن قال مثله من قبل. ودعا جميع المواطنين لضرورة الوقوف بصلابة خلف الفاتح بشارة باعتباره قائداً فذا للإقليم، وأنه مقتنعٌ تماماً بقيادة الفاتح بشارة لإقليم كردفان خاصة بالنسبة لهذا الجزء من الإقليم (وكان يقصد جنوب كردفان). واندهش جميعُ الحاضرين لهذا الحماس غير العادي، وسرت الدهشة بين أعضاء تنظيم (**الصخرة السوداء**)، وانعقدت ألسنة جميع طلاب الثانوية. وبذلك انقفل الطريق أمام التظاهرات التي أعد لها بعناية، وتبخرت كل مخططات الذبح التي دبرها لهم. وكفى الله الناس شر ما رتب له.

وأذكر شيئاًً آخر في هذا الإطار، حيثُ جاءني اثنان من أكبر تجار كادقلي هما: (**عثمان أزرق**) و (**أبو القاسم يعقوب**) وأبلغاني أن يوسف كوة قد دبر لإحراق متاجرهم عند اندلاع المظاهرات. وهنا واجهته بالمؤامرة فأنكرها جملةً وتفصيلا.

وهناك قضيةٌ أخرى تؤكد سابقتها وتكشف عن الألوان الحقيقية ليوسف كوة، وهي أنني كنت أستمع لإذاعة التمرد بقيادة (**جون قرنق**) كلما سنحت لي سانحة. ولكن شدني وأدهشني أثناء متابعتي أنني لاحظتُ أن اذاعة جون قرنق

كانت تذيع أدق تفاصيل وأسرار حكومة الإقليم في نفس اليوم الذي نناقش فيه تلك المواضيع. وبعد أن جمعتُ كل المعلومات عن يوسف كوة وطنت نفسي على استجلاء الأمر من كل جوانبه. وتابعت الأمر مع المسؤولين في الأجهزة المختصة وفق خطة سرعان ما آتت أُكلها. حيث تجمعت المعلومات وطابقَ بعضها بعضاً. وتأكد لنا أن (**يوسف كوة**) و (**القس دانيال**) هما اللذان يمدان إذاعة المتمردين بتلك المعلومات والتقارير المفصلة. وعلى الفور استدعيتُ يوسف كوة وواجهته بذلك فلم يستطع أن يدافع عن نفسه بكلمةٍ واحدة، بل ذُهلَ عندما واجهته بذلك الأمر. وكان من الطبيعي أن أدفع بالموضوع إلى جهاز الأمن القومي بصفته جهة الاختصاص.

وأدرك يوسف كوة أن واجبي يُملي عليَّ أن أصعد الأمر وأخابر الجهات المعنية، وهنا دبَّر مع القس دانيال خطة للهروب من البلاد عبر الحدود الإثيوبية. وبالفعل فقد هربا. وعندها توقفت تماماً إذاعة أخبار كردفان وأسرار اجتماعاتها من إذاعة جون قرنق.

هذا ملخص موجز لحقائق عن يوسف كوة دون أي رتوشٍ أو مساحيق. ولكن لا بد لي أن أقول في هذه المناسبة: إن الحكومة التي ترأستها في كردفان كانت على صغر حجمها ملتقى لجميع جهات وأبناء الإقليم. حيثُ كانت تضم أربعة من أبناء جبال النوبة في مواقع متقدمة وهم: (**حبيب سرنوب**) نائب رئيس مجلس الشعب الإقليمي، (**يوسف كوة**) نائب رئيس هيئة المجلس، (**دلدوم الختيم أشقر**) وزير الإسكان ومن ثم وزير شؤون الإدارة، و(**حسن كندة كربوس**) محافظ جنوب كردفان. وأذكر أيضاً أن دولاب الحكومة الإقليمية كان ممتلئاً بعدد من كوادر أبناء

النوبة الذين يعملون كوكلاء للوزارت، ومديري مصالح، وبالتنظيم السياسي الاتحاد الاشتراكي. عِلماً بأن أبناء النوبة وفقا للاحصائيات المتوفرة يمثلون خُمس سكان الإقليم فقط. وفوق هذا وذاك كانت توجيهاتي على الدوام بأن تكون مقررات المواد التموينية والدوائية ومعدات التنمية وبرامجها مناصفة بين شمال وجنوب كردفان، رغم أن شمال كردفان تضم ثلثي سكان الإقليم ويضم جنوب الإقليم الثلث فقط. ولا بد أن أذكر هنا وزيراً آخر من أبناء جنوب كردفان هو **(حسن دينق مجوك)** من أبناء دينكا أبيي وابن السلطان العظيم **(دينق مجوك)** وشقيق الدكتور **(فرانسيس دينق)** و **(زكريا دينق مجوك)**. وأنا ما قصدتُ بهذه الإشارة إلا إزالة الغشاوة التي تغشى عيون البعضِ من وقت لآخر والوساوس التي تراود النفوس. وذلك بغرض تهدئة خواطر المسافرين للتنقيب عن وهمٍ لا وجود له أصلاً. وفي ذات الوقت أردتُ أن أسد الطريق أمام اجتهادات يوسف كوة للتلاعب بعواطف من يسابقون الريح للوقوع في أخطاء شنيعة مضللة. وهذه هي شهادتي للتاريخ بكل الصدق والأمانة، وشهودُ أحداثها كثر وجلهم ما زالوا على قيد الحياة أطال الله في أعمارهم.

ملحوظة: بقى أن يدرك الناس من هو القس دانيال؟ هو عضوٌ في مجلس الشعب القومي عن دائرة كادقلي. وهو صاحب قصة كنيسة بابنوسة وبدايتها في عهد المرحوم محمود حسيب ونهايتها في عهدي وتلك واقعةٌ أخرى. والسلام، ودمتم في رعاية الله وحفظه. أخوكم الفريق متقاعد الفاتح محمد بشارة، حاكم إقليم كردفان من 1980م إلى 1985م.

الفاتح بشارة آخر قيادي سوداني يلتقي السادات

تشرف الفريق (الفاتح بشارة) عضو برلمان وادي النيل برئاسة وفد السودان لاجتماعات الحزب الوطني الحاكم الذي انعقد بالقاهرة في الفترة من 25سبتمبر إلى 4 أكتوبر من عام 1981م. وفي نهاية الزيارة التقى الفريق الفاتح وفي معيته وفد السودان بالرئيس أنور السادات الذي استقبلهم بترحاب شديد قائلاً مرحباً بأبناء خئولتي. ولما كانت احتفالات مصر بنصر 6 أكتوبر قد شارفت فقد قرر الرئيس نميري بأن يمثل السودان في هذه الاحتفالات الفريق (**الفاتح بشارة**) عضو المكتب السياسي ورئيس وفده لاجتماعات الحزب الوطني. ولكنَّ الفريق الفاتح اعتذر للخرطوم ولصديقه المشير أبو غزالة بأن له موعد محدد سلفاً مع طبيبه في بريطانيا لا يستطيع التأخر عنه وهو قد أخبر الرئاسة سلفاً بالخرطوم بهذه الزيارة ووافقت على منحه الإجازة للسفر للندن. ولذلك فقد اختار السيد نصر الدين السيد لينوب عنه في حضور احتفالات 6 أكتوبر 1981م التي استشهد فيها الرئيس السادات. وقد شاهد الفريق الفاتح حادثة الاغتيال للرئيس السادات عبر التلفزيون وهو في لندن.

وبذلك كان الفريق الفاتح آخر شخصية قيادية سودانية التقت الرئيس الراحل أنور السادات الذي وقع مع الرئيس نميري اتفاقية الدفاع المشترك واتفاقية التكامل. وفي عام 1987م ألغت حكومة رئيس الوزراء السيد الصادق المهدي اتفاقية الدفاع المشترك مما أعتبره عدد من المراقبين موقفاً كشف وأضعف الأمن القومي السوداني، وكانت من الأشياء التي أسهمت في انفصال الجنوب فيما بعد.

انتفاضة 6 أبريل 1985:

كانت قوى المعارضة قد خاضت صولات وجولات طويلة مع حكومة مايو طوال سنواتها التي ناهزت ال 16 عاماً. وكانت قوة النظام فضلاً عن عدم توحد المعارضة قد جعل أمر إنهاء نظام مايو هدفاً عسيراً على مناوئيه طوال تلك السنوات، ولكن لكل بدايةٍ نهاية. فبعد أن استفادت مايو من انقسام أعدائها وعدم توحدهم وعدم وجود برنامج محدد ومتفق عليه لضربها استطاع نميري ضرب كل جماعة من أولئك المناوئين له بشكلٍ منفرد.

وكانت المناوشات والانتفاضات قد تعددت عبر سنوات مايو الطويلة. ولعل أكثرها قوة كانت حركة (**الجبهة الوطنية**) التي وحدت نفسها لضرب النظام في شهر يوليو عام 1976م. ولكن بدأت حكومة مايو في شهر يناير الذي تلى ذلك مباشرة محادثات المصالحة الوطنية التي بدأها الرئيس نميري مع السيد (**الصادق المهدي**) مما أدى فعلياً لتمزيق الجبهة الوطنية وانضمام الإخوان المسلمين للحكومة وانخراط عدد من مناوئي الأمس لتنظيم مايو الأوحد الاتحاد الاشتراكي السوداني.

ورغم أن السيد (**الشريف حسين الهندي**) قد قاطع ذلك التوجه إلا أن المصالحة الوطنية قد حققت لنميري كثيراً من الاستقرار الذي أصبح بشكلٍ أو بآخر مخرجاً من الأزمة السياسية والاقتصادية التي برزت في تلك الآونة. وبدا أن حكومة نميري كانت على موعد مع إعادة النظر في (**اتفاقية أديس أبابا**) التي كانت قد وقعتها مع الجنوبيين بشأن إدارة الجنوب وإنهاء الحرب التي استمرت منذ عام 1955م عند تمرد توريت الأول.

وكان من نتائج ذلك التوجه تململ عدد من قيادات الجنوب التي خلقت كثيراً من الشروخ في الموازنات القبلية والسياسية. وبرزت في تلك المرحلة بوادر أزمة في الإنتاج تجاوزت بموجبها الديون الخارجية عشرين بليون دولار. ولم تكن الأسعار بمعزلٍ عما جرى في أروقة السياسة، حيث ازدادت أسعار السكر والرغيف مع انتشار نغمة الاحتجاج التي سرت في الشارع السوداني في تلك المرحلة. وغادر الرئيس نميري في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية تاركاً السيد اللواء (**عمر محمد الطيب**) نائب رئيس الجمهورية ليدير شؤون البلاد في غيابه.

ولكن لم تكن عجلات الزمن لتعطي فرصةً لنائب الرئيس ليحتوي الأمر، حيث استشرى أمرُ الشارع وتجاوز كل الحدود المتوقعة. ورفع الكثيرون راية التمرد على السلطة لاسيما وأن قادة الأحزاب التي حلتها مايو والتي كانت بالمرصاد طوال الوقت وجدت في تلك الفرصة سانحةً لها فانخرطت مع المتظاهرين رافعة الشعارات الرافضة لمايو. وبرزت على السطح قضية نقل (**يهود الفلاشا**) إلى إسرائيل. و

لم يكن بروز حركة (**جيش تحرير السودان**) بعيداً عن تلك الغضبة التي واكبتها في الشمال قضية قوانين سبتمبر التي قاومتها كثيرٌ من القوى الحديثة. في تلك الظروف تأسس (**التجمع النقابي**) الذي قاد محادثات مكثفة بين أحزاب المعارضة طارحاً أسلوب العمل المشترك لإسقاط النظام. كما كان إعدام الأستاذ (**محمود محمد طه**) أيضاً شعاراً رفعته القوى المناوئة حتى انفجر الشارع بالمظاهرات في أطراف العاصمة طوال الأسبوع الأخير من شهر مارس عام 1985م. وقد تزامن ذلك مع سفر الرئيس نميري إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان الفريق **(الفاتح بشارة)** قد نصح الرئيس نميري بعدم إعدام محمود محمد طه، وكذلك فعل اللواء عمر محمد الطيب. إلا أن الرئيس نميري لم يأخذ بتلك النصيحة، بل وتوعد كل مسؤول يحاول التدخل في هذا الموضوع بالمساءلة. وعلى كل حال انتشرت الانتفاضة بشكل سريع من خلال المظاهرات في أحياء العاصمة والمدن الأخرى، مما أنهك قوات الشرطة، لاسيما عندما كان المتظاهرون يدخلون البيوت ويحتمون بأزقة الأحياء الضيقة في أمدرمان وغيرها. وبدأ الصراع واضحاً عندما خرج الموكب الذي سيرته قيادات الاتحاد الاشتراكي فاصطدم بالموكب الذي سيره طلاب الجامعات. ثم خرج موكب النقابات الذي شاركت فيه العديد من النقابات بالعاصمة.

وتنادت قيادات التجمع الوطني والحزبي التي دعت إلى تنظيم عصيان مدني وإضرابٍ سياسي بدأ يوم السبت 6 أبريل 1985م لولا أن كبار ضباط القوات المسلحة قد استبقوا ذلك التاريخ بالبيان الذي أذاعه الفريق أول **(عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب)** وزير الدفاع والقائد العام لقوات الشعب المسلحة في صباح السبت 6 أبريل 1985م. وقد أعلن في ذلك البيان الاستيلاء على السلطة. وكان الرئيس نميري قد أصدر قراراً بتعيين سوار الذهب في هذه الوظائف الوزارية قبل ثلاثة أسابيع فقط من تلك الأحداث أي في يوم 16مارس عام 1985م. وجاء في البيان الذي أصدره سوار الذهب ما يلي:

بعد أن ظلت قوات الشعب المسلحة تراقب الموقف الأمني المتردي في أنحاء الوطن وما وصل إليه من أزمة سياسية بالغة التعقيد لذلك قررت القوات المسلحة بالإجماع أن تقف إلى جانب الشعب واختياره

وأن تستجيب إلى رغبته بالاستيلاء على السلطة ونقلها للشعب عبر فترة انتقالية محددة. وحوى بيان الجيش عدداً من القرارات التي توضح ملامح سياسته ونهجة وتمثلت فيما يلي:

- تعطيل الدستور وإعلان حالة الطوارئ في جميع أنحاء الجمهورية.
- إعفاء رئيس الجمهورية ونوابه ومساعديه ومستشاريه ووزرائه المركزيين ووزراء الدولة.
- حل الاتحاد الاشتراكي وجميع تنظيماته وروافده.
- حل مجلس الشعب القومي ومجالسه الإقليمية.
- إعفاء حكام الأقاليم ومعتمد العاصمة القومية والوزراء الإقليميين.
- يتولى قادة المناطق العسكرية في جميع أقاليم السودان سلطات حكام الأقاليم.
- يتولى وكلاء الوزارات المركزيون ورصفاؤهم في الأقاليم دفة العمل التنفيذي بالعاصمة والأقاليم حتى إشعار آخر.

كان ذلك الإعلان من القوات المسلحة بمثابة التهدئة للثائرين الذي رأوا فيه انتصاراً بحكم أن الرافضين لتنفيذ الإضراب السياسي والعصيان المدني كانوا يرون فيه مهدداً لأمن الوطن والمواطنين. وحاصر الكثيرون مباني جهاز الأمن، وقامت قوى الانتفاضة بحله في نهاية المطاف. وعندها صدر نداء باسم **(التجمع النقابي)** بإيقاف الإضراب الذي توقف بالفعل.

ولكن سرعان ما برزت الخلافات الحادة في نفس اليوم الذي تمكن فيه التجمع من الانتصار، وذلك لأن قوات التجمع كانت تعاني من ضعف القيادة،

وضعف التنظيم. ولم يجمعها إلا رابط الكراهية المفرطة لنظام مايو. وقد أدى وقف الإضراب قبل تكوين السلطة الانتقالية إلى إضعاف خطير في مواقف وتحركات التجمع الوطني، وبالمقابل أدى إلى تقوية موقف المجلس العسكري الانتقالي. لقد نجحت الانتفاضة بالفعل في إسقاط حكومة مايو وحل جهاز الأمن القومي والقضاء على الاتحاد الاشتراكي وكل المنظمات التابعة له. واستعادت الانتفاضة حرية العمل الحزبي الذي أوقفته مايو طوال سنواتها الست عشرة. إلا أن ذلك لم يُنقذ الانتفاضة من الضعف الشديد والوهن الذي اعترى قادتها منذ البداية، حيث لم يتمكن التجمع الوطني من الاتفاق على ميثاق إلا في ساعة متأخرة من صباح يوم 6 أبريل وهو يوم نجاح الانتفاضة.

وعندما بدأت المحادثات مع المجلس العسكري الانتقالي كان ممثلو التجمع ما يزالون مختلفين على برنامج الفترة الانتقالية، ومدتها، وصلاحيات السلطة الانتقالية، وكيفية علاقتهم بالمجلس العسكري الانتقالي الذي لم يكونوا يضعونه في حساباتهم.

وبذلك برزت على السطح سلطتان إحداهما (**سلطة المجلس العسكري**) الذي رأى فيه البعض ممثلاً لسلطة مايو، و(**سلطة التجمع الوطني**) بشقيه النقابي والحزبي، والذي رأى فيه العسكريون واجهة للشيوعيين وبقية قوى اليسار التي ضربتها مايو طوال عمرها. كانت تلك الخلافات بين أطراف الانتفاضة قد خلقت شرخاً كبيراً تقدم من خلاله العسكريون ليقودوا السلطة السيادية والتشريعية، تاركين ممثلي التجمع للتصارع حول المناصب التنفيذية التي لم تكن لها صلاحياتٌ ولا سلطات واضحة.

وكان طبيعياً مع تلك التناقضات أن تندلع الصراعات القديمة وصراعاتٌ أخرى جديدة حول القضايا التي طرحها الثوار، والتي تمثلت فيما يلي:

- تصفية آثار مايو وعلى رأسها قوانين سبتمبر ومؤسسات النظام.
- تصحيح مسار الاقتصاد ورفع الضائقة المعيشية.
- وقف الحرب الأهلية في الجنوب وحل المشاكل التي قادت إليها.

ورغم حساسية تلك المرحلة التي تلت الانتفاضة إلا أن التعاطف الجماهيري الواسع الذي وجدته لم يُنس الثائرين بهجتهم بإسقاط الدكتور حسن عبد الله الترابي في الانتخابات البرلمانية بدائرة الانتفاضة. ورفض الكثيرون من جماهير حزب الأمة وقياداته الوسيطة أي شكل من أشكال التحالف مع الجبهة الإسلامية القومية. وأشارت أهداف المرحلة الانتقالية بأنها لا تهدف الى استبدال نظام عسكري بآخر، وأنها تعمل من أجل احتواء كل الآثار المترتبة في ترة الحكم الماضي في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بالإضافة إلى إعداد ميثاق عمل سياسي وطني يقوم على مرتكزات أساسية هي:

(الاستقلال التام، الحفاظ على الوحدة الوطنية، استقلال القضاء، حرية النشر والتعبير، ضمان الحريات الأساسية للفرد حرية المعتقدات الدينية، ديمقراطية التنظيمات السياسية والتمثيل الحزبي، وتكريس الوحدة الوطنية، ووقف نزيف الدم الناتج عن الاقتتال في لجنوب عن طريق الحوار المباشر، وإعادة الحياة إلى جنوب الوطن، وفتح طرق المواصلات، وتنمية الأقاليم

الجنوبية، وإعادة قوات الشعب المسلحة والقوات النظامية الأخرى وأجهزة الأمن المختلفة، بالإضافة إلى الإشراف على مرحلة التحول الديمقراطي بالعمل على قيام التنظيمات الديمقراطية والسياسية والتعاونية، مع خلق المناخ الديمقراطي المحايد لضمان إجراء انتخابات حرة محايدة وتسليم لسلطة للشعب في إطار النظام الذي يعكس أصالة هذا الشعب وأهليته للحكم الديمقراطي).

وفي التاسع من أبريل 1985م تمَّ الإعلانُ عن تشكيل المجلس العسكري الانتقالي برئاسة الفريق أول (**عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب**)، والفريق أول (**تاج الدين عبد الله فضل**) نائباً له. ويختص المجلس العسكري الانتقالي بممارسة أعمال السيادة والسلطة التشريعية في المرحلة الانتقالية.

وفي الثاني والعشرين من أبريل عام 1985م أعلن التشكيل الوزاري للحكومة الانتقالية برئاسة الدكتور (**الجزولي دفع الله**) رئيساً للوزراء، والسيد (**صموئيل أرو**) نائباً له. واستطاعت الحكومة الانتقالية في فترة وجيزة أن تعيد العلاقات الخارجية مع عدد من الدول خاصة ليبيا التي ظلت العلاقات معها مقطوعة منذ عام 1976م.

وشهدت تلك الفترة خروج الدكتور (**حسن الترابي**) من محبسه بسجن الأبيض، وبالمقابل دخل حاكم إقليم كردفان الفريق (**الفاتح بشارة**) سجن كوبر بتعليمات من الفريق أول (**عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب**) رئيس المجلس العسكري الانتقالي الذي أصدر قراراً باعتقال جميع قيادات مايو تحفظياً. ولما كان (**الفاتح بشارة**) موجوداً وقتها بالخرطوم فقد تم اعتقاله وإيداعه سجن كوبر مع بقية

زملائه من العسكريين والمدنيين الذي قادوا حكومة مايو. وفي واقع الأمر كان تنفيذ أمر اعتقال الفريق **(الفاتح بشارة)** مهذباً إلى أبعد الحدود حيث نفذه النقيب شرطة **(سيد الحسين)** الذي أصبح فيما بعد نائباً لمدير عام الشرطة بالسودان، وترقى حتى وصل إلى رتبة الفريق شرطة. وكأن المقادير أبت إلا أن تجازي **(الفاتح بشارة)** على كرمه السابق، حيث كان هو الذي نفذ أمر اعتقال الأميرآلاي **(عبد الله بك خليل)** في عام 1958م عند تسلم الفريق **(إبراهيم عبود)** للسلطة. وكان عبد الله خليل هو نفسه الذي سلم السلطة للفريق عبود. حيث كان **(الفاتح بشارة)** لطيفاً إلى أبعد الحدود مع السيد عبد الله خليل عندما جاء لاعتقاله. وها هو التاريخ قد أعاد له ذلك اللطف مع النقيب سيد الحسين.

وروى الرائد **(مأمون عوض أبو زيد)** عن تلك الفترة قوله: إن المايويين داخل السجن أجمعوا على أن يكون الفريق **(الفاتح بشارة)** هو ممثلهم والناطق باسمهم أمام إدارة السجن بحكم أقدميته العسكرية وحنكته التفاوضية وإلمامه بالقوانين والنظم واللوائح التي تحكم السجون. وبالفعل قبل الفريق **(الفاتح بشارة)** ذلك التكليف من زملائه فرتب كل طلبات المحتجزين سياسياً والتي يمنحها لهم القانون وعمل على تنفيذها حرفياً مع إدارة السجن. وبذلك أصبح للمحتجزين حق التمتع بمزايا الأكل من الخارج، والزيارات، ثم السماح بممارسة الرياضة في الصباح الباكر عقب صلاة الفجر.

ومن الطرائف التي حدثت داخل المعتقل بسجن كوبر في تلك الفترة أن الأستاذ البروفيسور **(علي محمد شمو)** وزير الإعلام آنذاك والذي كان ضمن

المعتقلين من قيادات مايو قد نال حق ممارسة رياضة المشي الصباحية داخل سور السجن. وفي أحد الأيام وأثناء ممارسته لهذه الرياضة صاح فيه أحد الحُراس آمراً له بالتوقف، وأردف له قائلاً: (**إنت وزير بتاع رياضة دا بالذات ما تعمل رياضة**). ولم يكترث الأستاذ علي شمو لذلك الأمر الذي اعتبره سخيفاً جداً، واستمر في سيره ممارساً لرياضته المحببة. وهنا وجه ذلك الجندي بندقيته نحوه وواصل أوامره له بأن يتوقف، ولكنه لم يتوقف بل ولم يلتفت لذلك الجندي. وهنا تدخل الفريق (**الفاتح بشارة**) صائحاً بأعلى صوته للأستاذ علي شمو قائلاً له: (**يا علي الزول دا حيضربك اعمل ساتر بسرعة**).

وسمع الأستاذ علي شمو نداء الفاتح بشارة، وفي لمح البصر أطلق ذلك الجندي الرصاص من بندقيته التي طاشت بشعرة من صدر الأستاذ علي شمو الذي انصاع لنداء (الفاتح بشارة) وعمل ساترا بالنزول على الأرض، وبذلك نجا من الموت بأعجوبة. واتضح بعد ذلك أن ذلك الجندي وهو من أبناء جنوب السودان كان مخموراً وفاقداً للوعي تماماً. وأجريت له على الفور محاكمة عسكرية من قبل إدارة سجن كوبر بعد أن كتب اللهُ عمراً جديداً للأستاذ علي شمو حفظه الله ورعاه.

براءة الفريق و عدالة القضاء السوداني

بعد أن أعلن الفريق أول (**سوار الدهب**) حل كل أجهزة مايو الدستورية والسياسيه وإعلان المجلس العسكري برئاسته كسلطه انتقالية للسودان واكتمال اعتقال كل القادة الدستورين وبينهم الفريق (الفاتح بشارة) أصدر النائب العام للحكومه الانتقالية الأستاذ المحامي (**عمر عبد العاطي**) قراراً بإطلاق سراح كل

حكام الأقاليم بعد مضي ستة أشهر بالسجن مُستثنياً حاكم إقليم كردفان. وعندما جوُبه بسؤال من المجلس العسكري الانتقالي: **(لماذا أبقيتَ على (الفاتح بشارة) بالسجن؟)** أجاب بقوله: «**إن هناك لجان تحقيق لم تنته من عملها بعد**». وأنهت لجنة التحقيق عملها ورفعت تقريرها الذي جاء فيه: **(لا توجد تهمه على حاكم كردفان)**. وشكل **(عمر عبد العاطي)** لجنةً أخرى بدأت البحث والتقصي من أوله وبعد كل ذلك الجهد رفعت تقريرها مؤكدةً قرار اللجنة الأولى **(بأنه لا توجد تهمه ضد الفاتح بشارة)**. وشكل النائب العام لجنةً ثالثة برئاسة القاضي **(الحلو)**. واجتمع النائبُ العام بهذه اللجنة حاثاً إياهم على إثبات التهم التي لا بد من وجودها بحكم أن الفريق **(الفاتح بشارة)** يعتبر من أكبر رموز النظام المايوي ولا يُعقَل ألا تتم مُحاكمته في ظل هذه الانتفاضة والتجمع الديمقراطى الذي يمثله والذي كانت أولى مطالبه هي محاكمة سدنة مايو. وأكد على موقفه هذا بأنَّ هذا أمرُ سياسة وليس أمر قانون.

ولكن أصدر الفريق أول **(عبد الرحمن سوار الدهب)** رئيس المجلس العسكري الأعلى قراراً بإطلاق سراح الفريق **(الفاتح بشارة)** بكفالة ماليه قدرها عشره ألف جنيه سوداني. وكان هذا القرار قد صدر في آخر يوم لسوار الدهب في الحكم بعد أن أكمل **(الفاتح بشارة)** عاماً كاملاً في السجن التحفظي بكوبر.

خرج **(الفاتح بشارة)** من السجن منهوك القوى من الحزن والغبن الذي أصابه وهو داخل السجن لمدة عامٍ كامل دون جنايةٍ ارتكبها غير ما وصفه بلسانه بحديث الإفك والبهتان ونكران المعروف الذي قوبِلَ به من أُناسٍ يدعون تمثيل

كيانات الوطن، وهو الذي قدم لوطنه وجيشه ومواطنيه خير ما يقدم القائد لأهله من خدمةٍ طويلةٍ ممتازة في كل المجالات التي شهدت عليها الأوسمة الرفيعة التي نالها من داخل وخارج الوطن، فضلاً عن الإنجازات الكثيرة التي ما زالت باقية تشهد على وطنيته وإخلاصه ونزاهته التي عرفه بها معظمُ أهل السودان. وكان عزاؤه الوحيد أنَّ هذا هو حال السياسة في السودان عندما يتم تغيير الأنظمة. وكانت نتيجة الغُبن الشديد الذي انتابه والإحساس الكبير بالظلم الذي حاق به أن أصيبَ بضغط الدم وانسداد الشرايين التاجية، مما اضطره للسفر إلى بريطانيا مُستشفياً بمستشفيات لندن الشهيرة.

ولما حان الموعد الذي حُدد لمحاكمته في سنة 1987م عاد إلى الخرطوم وهو مملوء بالثقة في مواقفه وأفعاله. ولم يخشَ إلا الله الذي آمن بأنه يُدركُ أسرار النفوس وخبايا القلوب. وتم تشكيل هيئة الدفاع في قضيته من الأستاذ المحامي (**جلال على لطفي**)، وعضوية الفريق شرطة (**مكي حسن أبو**)، والأستاذ المحامي (**دلدوم الختيم أشقر**)، ومستشار هيئة الدفاع الأستاذ المحامي (**عمر الفاروق شمينا**). وكانت البلاغات المفتوحة في مواجهته كما يلي:

1- الحصول على قطعة أرض خالية في مدينة الأبيض حصل عليها في الخطة الإسكانية بوصفه حاكم الإقليم.
2- إجارته لمشروع زراعي من مشاريع الزراعة الآلية بجنوب كردفان امتداد كرتالا.
3- تذكرة طائرة لأحد أبنائه.
4- التاثير على سير العدالة في إحدى القضايا التي نُظرت أثناء فترة حكمه.

كانت هذه هي التُهم الأربع التي وجهت للفريق الفاتح بشارة. وبما أن دائرة الاختصاص قد كانت في مدينة الأبيض فقد توجه (الفاتح بشارة) وبرفقته فريق دفاعه بالطائرة من الخرطوم الى مدينة الأبيض، التي لم يأت إليها الآن حاكماً وإنما قد يُصبحُ مَحكوماً إذا رأى القضاءُ ذلك. وعند هبوط الطائرة التي أقلته في مطار الأبيض فوجئ الجميعُ بأن جماهير مدينة الأبيض قد هبت للمطار لاستقباله مع من معه استقبالاً حافلاً تقدمه أهله من الإسماعيلة وقطاعات كردفان التي تعاملت معه في كل المجالات أيام عمله كحاكم للإقليم. وهتف الكثيرون بأنهم يعرفون فضله ونزاهته. وعلت ضربات الطبول وطار المديح ونوبة الإسماعيلة التي دوت في أرض المطار ممتزجةً بترانيمهم الطروبة التي صدحت كما لم تصدح من قبل. وجاءت للمطار في ذلك الحشد مجموعة ضخمة من أبناء البديرية الدهمشيه الذين ينتمي نسبه إليهم. وظلوا يضربون النحاس (كأنه يوم لُقا). وكان هذا الاستقبال مزعجاً جداً لحاكم كردفان آنذاك الأستاذ المحامي (**محمد علي المرضي**) الذي رأى ضرورة الاتصال بالسيد (**الصادق المهدي**) رئيس الوزراء ورجاه أن يتم نقل محاكمة (**الفاتح بشارة**) إلى الخرطوم لدواعي أمنية.

وافق السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء على طلب الحاكم وأمر بنقل المحاكمة إلخرطوم. وعلى الفور رجع (**الفاتح بشارة**) وركبه من فريق دفاعه إلى الخرطوم في نفس الطائرة. وفي الخرطوم انعقدت المحكمة برئاسة مولانا القاضي (**عوض النور**). ومثل الاتهام فيها المستشار (**اللمعي**) إنابةً عن ديوان النائب العام. وبدأ القاضي جلسات المحكمة بمقدمة جاء فيها أن المحكمة تنبه الطرفين للآتي:

1- إن المحكمة تسمع كلام القانون فقط، فلا تُدخلوا كلام السياسة في القانون.
2- إن المحكمة على استعداد للعمل طول الوقت فرجاءً ألا تضيعوا الوقت.

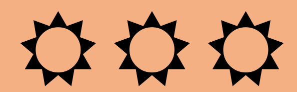
وفعلاً استمرت المحاكمة لأربع جلسات فقط أصدر القاضي **(عوض النور)** حكمه النهائي فيها، وتمثل في ثلاث نقاطٍ قصيرة هي:

1- البراءة الكاملة للسيد الفاتح محمد بشير بشارة.
2- إطلاق سراحه فوراً.
3- فك حظر كل ممتلكاته.

وكانت حيثياتُ الحكم التي أعلنها القاضي **(عوض النور)** هي أن جميع البلاغاتِ التي رُفعت ضد **(الفاتح بشارة)** لم يجد فيها بصيص قرينة أو بينة تدفعه لتوجيه أي اتهام، بل إنه قد رأى أن النائب العام قد صرف على لجانه من المال أكثر مما هو موجه للمتهم. وأردف قائلاً: **(إنني أعرف أن الكثير من المستشارين قد اعتذروا للنائب العام، ولكن جاءوا بك بك أنت يا لمعي في نهاية المطاف، وقد اجتهدتَ كثيراً ولكنكَ لم تُصِبْ)**.

لم يستأنف ديوانُ النائب العام هذا الحكم من محكمة الموضوع وذلك كما بدا للكثيرين لاقتناع الديوان بالحكم ومعرفته بأن هذه القضية مُختلقة من أساسها ولا توجد بها قرينة أو بينة تسندها.

وبعد ذلك استدعى السيد رئيس الوزراء (**الصادق المهدي**) السيد النائب العام (**عبد المحمود الحاج صالح**) وقال له: (**لماذا تدفع بقضية خاسرة يُهيننا فيها القضاء؟**) فرد السيد عبد المحمود بأنه يعرف بأن هذه القضية (**فشنك**) ولكنها قد تم ترحيلها له من النائب العام للفترة الانتقالية الأستاذ (**عمر عبد العاطي**). هنا أمر السيد رئيسُ الوزراء سيادة النائب العام بمراجعة كل البلاغات المفتوحة على المايويين حتى لا تُهزَأ الحكومةُ مرةً أخرى. وكانت النتيجة أن استفاد من هذا الأمر الكثير من المايويين الذين كانوا سيتعرضون للمحاكمة في تلك الفترة. وقد كتب العديدُ من المراقبين أن القضاء السوداني العادل قد توج أعمال وشخص (الفاتح بشارة) بوسام البراءة القضائية الذي كان لزاماً أن يضاف لأوسمته المتعددة التي نالها بالداخ والخارج.



الفصل الثامن

❄❄❄❄❄

قالوا عن
الفاتح بشارة
بعد رحيله

الفصل الثامن

قالوا عن الفاتح بشارة بعد رحيله

◆◆◆

حفل التأبين بنادي الضباط:

أقامت اللجنة العليا لتأبين الفقيد (**الفاتح بشارة**) حفلاً لتأبينه في يوم 2006/9/2م. وقد تقرر أن يكون ذلك الاحتفال بنادي ضباط قوات الشعب المسلحة لأنه هو الذي أسس هذا النادي الكبير. وقد تبارى المتحدثون في تدبيج عبارات الثناء والتقدير لشخصه العظيم. وفيما يلي نصوص الكلمات التي قدمها المؤبنون.



أعضاء اللجنة التنفيذية للتأبين أثناء الاحتفال بنادي الضباط

كلمة المشير جعفر محمد نميري
رئيس الجمهورية الأسبق

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ [21]، والقائل: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [22]، والقائل ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إلينا تُرْجَعُونَ**﴾ [23]، والقائل: ﴿**كُلُّ مَنْ عليْهَا فَانٍ**

[21] قرآن كريم، سورة الروم، الآية 40.

[22] قرآن كريم، سورة الزمر، الآية 42.

[23] قرآن كريم، سورة العنكبوت، الآية 57.

* **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإكرام﴾**[24]، والقائل: **﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾**[25]، والقائل: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[26]. صدق اللهُ العظيم.

والحمد لله خالق الحياة، باسط الأرض، رافع السماء، له ما يريد وما يشاء، كتب على الكائنات كلها والأحياء الموت والفناء. وتفرد وحده ذو الجلال والإكرام بالخلود والبقاء. الحمد لله الذي أنعم علينا وأكرمنا بالعزيز الراحل المقيم الفريق الركن (الفاتح بشارة) الذي عاش بيننا دهراً من الزمان مبعثا للبهجة والسرور والخير لكل من خالطه، أو عاشره، أو زامله، أو صاحبه، أو عمل معه، أو تعامل معه طفلاً وصبياً وشاباً ورجلاً وكهلاً. فقد كان آيةً في النقاء والصفاء والإخلاص والوفاء والبذل والعطاء. عشق العسكرية فنبغ فيها وبرع، وأعطاها كل ماعنده، وجاد ومابخل. قوةً وفتوة، صبراً وجلدا، رجولةً وبسالة، بطولةً وشجاعة، نخوةً وشهامة، جُرأةً وإقدام، زوداً رائعا عن الوطن ودفاعا، التزاماً وانضباطا، فناً ومدرسة في الإدارة. وعمل مع الراحل العظيم الرئيس الفريق إبراهيم عبود لفترة ست سنوات مديراً لمكتبه فكان قدوة ومثالا حتى قال عنه الرئيس عبود: **(لقد عمل معي الفاتح مدة ست سنوات لم يرتكب خلالها خطأ واحداً)** فأي ثناء أبلغ من هذا؟!

[24] قرآن كريم، سورة الرحمن، الآيتان 26 - 27.

[25] قرآن كريم، سورة النساء، الآية 78.

[26] قرآن كريم، سورة الملك، الآيتان 1 – 2.

عمل الراحل العزيز الفريق الركن (**الفاتح بشارة**) خلال عهد مايو الزاخر سفيراً للسودان لدى المملكة العربية السعودية فكان خير سفير بذلا خالصا مخلصا وعطاء وإنجازا موفقا ومباركا. ودعم وعمق العلاقات بين البلدين الشقيقين بحنكته وحكمته ورائع سلوكه وحسن سيرته ونقاء سريرته وصادق وطنيته ومضاء عزيمته. فأصبحت العلاقات بين البلدين والشعبين الشقيقين السودان والمملكة العربية السعودية أكثر قوةً ورسوخاً وصلابةً ومتانة وتوهجا و تألقاً وخيراً عميماً وبركة.

وشارك العزيز الفقيد في كل المؤسسات السياسية القيادية في مايو فكان راجح العقل، ثاقب الفكر، جريءَ الرأي، أمين النصيحة، صادق التوجه، خالص القصد. لا يهمه ولا يعنيه ولا يبتغي غير وجه الله الكريم ومصلحة هذا الوطن العظيم. وعين الفريق الفاتح حاكماً لكردفان الكبرى (مكلفا ثم معينا ثم منتخباً) فأبلى بلاءا حسناً. وكان قوةً ومثالاً جاداً ومخلصا في تسليم السلطة للمواطنيين، محققاً بذلك اسمى وأعظم أهداف وغايات الحكم الإقليمى. وأنجز إنجازات كثيرة وكبيرة منها: توفير المياه والكهرباء، وترقية وتعميم الخدمات، وإنشاء مطار الأبيض الدولي مستغلا علاقاته وصلاته الواسعة داخلياً وخارجياً. ووضع قانون سد الفراغ الإداري الذي حل به إشكالية الإدارة الأهلية. وقد أشاد به مواطنو كردفان الكبرى وأثنوا عليه، وتمسكوا به، وعولوا وراهنوا عليه، فاختاروه حاكماً لهم فكان عند حسن الظن به والثقة فيه بل وفوق ما كان يُرجَى منه. وننتهز هذه السانحة فنحيي رفاق السلاح الأعزاء من كل الرتب الذين جادوا ويجودون من أجل بلادهم بالنفس والنفيس.

ونهيب بالقادة والزعماء وبكل المواطنيين أيا كانت مواقعهم ومعتقداتهم ومعتنقاتهم وجهاتهم وتوجهاتهم وأفكارهم وقناعاتهم نناشدهم ونسألهم بالله أن يكونوا يداً واحدة، ووحدةً وطنيةً قويةً ومانعة ورادعة تتحطم عليها كل المكائد والمؤامرات. فبلادُنا الآن تمر بأقسى وأصعب وأشق وأعقد مراحلها. وهي مهددة إذا استمر النزاع والخلاف والصراع بالتمزق والتشرزم والضياع. وتهب عليها أعاصير عاتية تستهدف عزتها وكرامتها واستقلالها وحريتها بل وهويتها وعقيدتها.

فيجب على الجميع أن يكونوا أكثر حذراً وحيطةً وحكمةً وحنكةً ورويةً وتعقلاً وإخلاصاً وتجرداً وإيثاراً على الذات، وأن يعلوا ويرتقوا بأنفسهم على المكايدات والمزايدات وتصفية الحسابات، وأن يتناسوا الخلافات والمنازعات، وأن يكونوا ذَوداً وعوناً لوطنهم لا عوناً عليه. وأن يكون توجههم جميعاً ابتغاءً لوجه الله الكريم ومصلحة هذا الوطن العظيم الذي نسأل الله له دائماً وأبداً أن يكفيه شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن ينصره ويحميه، أنه نِعم المولى ونِعم النصير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير. اللهم أرحم عزيزنا الراحل المقيم الفريق الركن الفاتح بشارة، واجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



المشير جعفر محمد نميري رئيس الجمهورية الأسبق وبجانبه
محمد الفاتح بشارة نجل الفريق الراحل أثناء حفل التأبين

* * *

كلمة الفريق أول ركن عبد الماجد حامد خليل
النائب الأول الأسبق لرئيس الجمهورية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [27]. ماذا أقول عن الراحل المقيم العظيم الفاتح محمد بشير بشارة؟؟ وبماذا أبدأ؟؟ فهو الطالب النابغة، وهو الضابط الموهوب، وهو القائد الكُفؤ، وهو المعلم المقتدر، وهو السفير القدير، وهو الحاكم القدوة، وهو الإنسان بكل ما تعني هذه الكلمة. الفاتح الرجل الذي عرفته المؤسسةُ العسكريةُ ضابطاً وقائداً ومعلماً وإدارياً ومنظماً ومخططاً تميز بالعديد من الصفات.

والفاتح هو من الجيل الذي انتمى إلى أفضل ما في زماننا وإلى الماضي الزاهر بفضائله وخصائصه وسلوكياته ووفائه وعزته وكبريائه. وقد كان مهموماً بالعسكرية، وصار موسوعةً يضاهي قائده وصديقه المرحوم الزين حسن الطيب. وبفقده تكون القواتُ المسلحةُ قد فقدت عمودين أساسيين لا يعوضان رحمها الله. والفاتح بشارة الطالب المدني بمدرسة خورطقت الثانوية التي كانت اللبنة الأولى في بناء شخصيته ومسيرته المستقبلية، حيث ظهرت ملامحه وطموحه الاجتماعي، ساعد في ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفاه من بين رفقائه ببسطةٍ في الجسم ورجاحةٍ في العقل وسماحةٍ في التعامل. لهذا كان من ذوي القبول والألفة، فأصبح من قادة الطلاب برضائهم وقبولهم. وقد تقدم للكلية الحربية قبل عامٍ من إكمال المرحلة الثانوية لما كان يمتلك من متطلبات الطالب الحربي المثالي. وقد تخرج في دفعته الخامسة في الكلية الحربية عام 1954م ثاني الدفعة. ونقل لسلاح المدفعية

---

[27] قرآن كريم، سورة الأنبياء، الآية 35.

الذي غالباً ما يُعيَنُ له الضابطُ ذو المؤهلات العالية. وقد هيأ له الحظ أن يرافق القائد المشهور اللواء أحمد عبد الوهاب من الاستوائية لواو حيث فتح الطريق وتم تأمين المنطقة ودخلت القوة في مدينة واو وأعيد الأمن والنظام.

وقد ثمنت القيادة العامة دوره ثم عاد ليعمل بجامعة الخرطوم. وللمرة الثانية هيأ له حَظُّه أن يكون ضمن القوات المتوجهة إلى منطقة حلاليب إبَّان تفاقم المشكلة وكان في القطاع الشمالي **(حلفا)** وقد أحسن التصرف والحكمة خلال قيادته لقواته في منطقة **(فرس)**، فلم يطلق رصاصةً واحدة حتى انفرج الموقف وعادت المياه إلى مجاريها. وقد خلقَ صِلاتٍ وعلاقاتٍ أخويةً مع ضابط القوات المصرية المقابلة لقواته الأمر الذي أصبح مسجلاً وموثقاً لدى الإخوة المصريين، فكان ممن توثقت صلاتهم بالقادة المصريين الذين أُعجبوا به وبسلوكه العسكري الراقي إبَّان المشكلة.

وفيما بعد عُين النقب **(الفاتح بشارة)** سكرتيراً للرئيس الفريق إبراهيم عبود وعمل معه طوال فترة حكمه للسودان. ولم يتركه إلا بعد ثورة أكتوبر 1964م حيثُ كان وقتها برتبة المقدم. وطوال فترة عمله سكرتيراً للرئيس عبود فقد رافقه في جميع زياراته الداخلية والخارجية. وقد كرَّمه الرئيس بتعيينه عضواً ضمن وفد السودان في كل الزيارات التي قام بها لثقته به مما أكسبه خبرة إضافيةً ثرة لا تُقدر بثمن في مجالات السياسة الدولية والاقتصاد والعسكرية، الأمر الذي ساعده في مقبل أيام حياته على أداء مهامه والاضطلاع بكل ما يكلف به دون ترددٍ وباقتدار تام. وكان ينقل للرئيس عبود بعض الملاحظات والمقترحات التي ساعدته فيها علاقاتُه الممتدة مع أغلب أصحاب الرأي والمشورة، مما مكنه من طرح وجهات

النظر الأخرى للفريق عبود لاتخاذ ما يراه. وفي الغالب كانت القرارات معقولةً ومقبولة لدى معظم المواطنين.

ولقد ظلت علاقته وزيارته وتفقده للرئيس عبود مستمرة بعد حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولم ينقطع عنه طوال حياته. وكان أن أشرف على آخر جنازة عسكرية حضرها الرئيس نميري وكبار القادة عاملين ومتقاعدين. وظل وفياً لأسرة المرحوم الفريق عبود، ولم ينقطع عنها إلى أن انتقل هو الآخر لرحمة مولاه. أي وفاءٍ هذا؟؟! وأيُّ عِرفانٍ هذا؟؟! لقد حاز الراحلُ العظيم (**الفاتح بشارة**) في عام 1966م على ماجستير العلوم العسكرية من كامبرلى بتفوق.

وشارك مع فرع التدريب في وضع تنظيم لترفيع مدرسة الأركان إلى كلية أركان، حيث وضعت المناهج وامتحان الدخول وشروط القبول. وبدأت الكلية في فترة تحول القوات المسلحة من الأسلوب الغربي إلى الأسلوب الشرقي، وجيء بالخبرة السوفيتية. وهنا لا بد أن أذكر بأن المعلم البريطاني في مدرسة الأركان كان قد طلب أن يتسلم كل الوثائق والمراجع والمشروعات البريطانية. واتصلنا بالسفارة البريطانية وتعهد الفاتح بأن تبقى هذه الوثائق في حرز أمين حتى تنقشع تلك السحابة. وكان أغلب الضباط القدامى غير مستبشرين بالأسلوب الروسي لأسباب منطقية. وطلبنا السفير البريطاني والملحق العسكري آنذاك فوافقوا، وقام (الفاتح بشارة) بحفظ تلك الوثائق في مخزن أمين. وعند عودة المعلم البريطاني بعد إعادة العمل بالأسلوب الغربى وجد كل شيء كما سلمه للفاتح.

وتم نقل الفاتح للقيادة العامة وعُيِّنَ في لجانٍ عديدة نسبةً لإعادة تنظيم القوات المسلحة وهي: لجنة إعادة الترقيات الاستثنائية، ولجنة إعداد الميزانية، ولجان

مراجعة القوانين. وقد قامك بأداء كل ذلك ببراعة تامة، ثم تمَّ تعيينه نائباً لرئيس الأركان إدارة برتبة لواء. وهنا كان الضلع الأكبر في الإنجاز لأنه المجال الذي برع فيه وأحبه وأتقنه. ونذكر من ذلك أولاً: اضطلاع الهيئة بوضع بعض القوانين ومراجعة أخرى.

ثانياً: اضطلاع الهيئة بوضع وتنفيذ مشروع إعارة الضباط وضابط الصف لدول الخليج. وتم انتداب العديد من الضباط الأمر الذي فتح المجال للمتقاعدين لملء شواغر كثيرة في دول الخليج بعد أن تأكد لهم مستوى منتسبي القوات المسلحة وما تمتعوا به من كفاءة وخلق.

ثالثاً: تنظيم شئون العامة والشرطة العسكرية وتأهيل نوادي ومطاعم الضباط والجنود وكل ما يعود لهم بالنفع.

رابعاً: تنظيم الكثير من شئون الإدارة والترقيات والتقاعد، والعلاج بالداخل والخارج. وقد استطاع (الفاتح بشارة) باتصالاته الخاصة أن يوفر الكثير ويؤمن لزملائه العلاج في بعض الدول العربية بالمجان.

خامساً: اللبس، وكان ذلك من المشروعات التي نالت نصيباً كبيراً من وقته حتى تتماشى مع ما جد في عالم اللبس العسكري.

سادساً: كان أهم إنجاز للفاتح هو مشروع نادي ضباط القوات المسلحة الذي نسعد اليوم بتأبينه فيه والذي أصبح منارة وتحفةً معمارية تعكس المستوى المشرف للضابط السوداني. وما من زائر في كل أركان العالم من العسكريين زار السودان إلا وأثنى وأطنب على المستوى المشرف للنادي فضلاً عن أنه وفر للضابط السوداني وأسرته فرصةً لتقضية وقته بكلفةٍ زهيدة. ورغم ما صاحَبَ الفِكرَةَ والتي كان الفاتح

مبادرَها الأول من صُعوباتٍ في البداية والتخوف من عدم القدرة على إكمالها للكلفة العالية فقد ساعد الفاتح باتصالاته الواسعة بتوفير الجزء المقدر منها.

وقامت القيادة العامة والأشغال العسكرية بإكمال المشروع خلال ثلاث سنوات. واستمرت القيادة العامة والأشغال العسكرية من عام إلى آخر في إكمال الإضافات وعمل الصيانات مما حافظ على المشروع بوضعه الذي نراه حالياً رغم أن عمره يناهز ربع القرن من الزمان، وكل ذلك بفضل الأخ العزيز الفاتح بشارة. أما عن (**الفاتح بشارة**) السفير القدير فقد عُين سفيراً للسودان بالمملكة العربية السعودية، وكان السودان وقتها في حاجة ماسة لدعم المملكة لتوفير معدات للقوات المسلحة لتواجه الأخطار المحدقة بها وكذلك لبعض احتياجات الدولة. وقد رأى الرئيس نميري أن (**الفاتح بشارة**) هو الرجل الأنسب لتلك المهمة.

وبالفعل في عهده أصبحت العلاقات جد وثيقة وتطورت بدرجة فائقة لم يسبق لها مثيل حيث استطاع إقناع السعوديين على أعلى المستويات بسياسة السودان سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وأمنياً. ووظف كل ذلك لمصلحة البلدين، حيثُ دعمت المملكة العربية السعودية القوات المسلحة بأكثر من نصف مليار دولار اشترت بها معدات لا غنى عنها مطلقاً لرفع كفاءة القوات المسلحة. ومنها الطائرات من طراز C130 وعربات الماجروس التي تنقل الدبابات، والطائرات الهل B0105 ذات الصواريخ، ومعدات الإشارة من شركة راكال البريطانية، والمباني الجاهزة التي نراها اليوم في كل مواقع القوات النائية، والأسلحة الألمانية الصغيرة والمتوسطة، والأسلحة المضادة للدبابات 106 التي تُحملُ على مركبات. وكان

بوصول تلك المعدات أن ارتفعت كفاءة القوات المسلحة القتالية إلى أرفع مُستوىً لها في تاريخها الحديث.

لقد كانت أبواب المسؤولين السعوديين مفتوحةً دوماً أمام الراحل الفاتح بشارة. يصل إليهم في أي لحظة فيقابل من يشاء. وأستطيع القول أن ما كان يطلبه مجاباً دون مماطلةٍ أو معاناة، فضلاً عن صفقات الوقود أيام الأزمات وطلبات الأسفلت والتدفقات المالية عند الضرورة. ويكفي ما فعله (**الفاتح بشارة**) أيام السيول والأمطار في عام 1988م حيث أرسلت المملكة العربية السعودية خمسمائة وعشرين طائرة، وعشرين طائرة C130 تحمل الإغاثة بأنواعها المختلفة، وكذا المعدات والمؤن التي وصلت عن طريق البحر مما كان له أكبر الأثر في تجاوز المأساة. (**الفاتح بشارة**) المخرج والموثق والفنان وملحمة شيكان: دعوني هنا أتكلم عن الناحية العسكرية لما كان أخوناً الفاتح مسكوناً بحب كردفان وتاريخها النضالي ودورها الوطني في تحرير السودان ووقوفها ونصرتها للإمام المهدي. وما انتصار شيكان التي كانت بداية النصر والزحف نحو عاصمة السودان وانهزام قوى الشر والعدوان إلا تأكيدٌ لما قام به رجال كردفان من سحق حاميات الاستعمار وآخرها سقوط مدينة الأبيض.

وقد جسد الأخ الفاتح المعركة بتظاهرة سخر لها جميع الإمكانيات بحكم موقعه كحاكم لكردفان من رجال وخيول وسيوف وبعض الأسلحة العتيقة المستخدمة آنذاك واللبس الذي كان يرتديه الأنصار. وتم ذلك في عرضٍ صوره الفاتح بحسه الفني وخياله الخصب، فجاءت لوحةُ معركة شيكان عملاً فنياً سيبقى معلماً بارزاً ومساعداً لكل من يفكر مستقبلاً في إخراج فيلمٍ سينمائيٍ عن هذه

المعركة. حيث سيكون دور **(الفاتح بشارة)** هو الرائد وهو الأساس. ويكون الراحل العظيم **(الفاتح بشارة)** قد شارك في قدح زناد ذاكرة الشعب السوداني لتعرف الأجيال القادمة عظمة أجدادها، ولا يصبح دورها نسياً منسياً ويودع في أدراج النسيان والمخلفات. أما عن العيد الفضي لخورطقت 1950 – 1975م فقد تشكلت لجنة من خريجى خورطقت، ولحسن الحظ كان الفاتح نائب رئيس الأركان للإدارة حيث سخر كل ما يمكن لمساعدة رفاقه القائمين بأمر الاحتفال بالعيد. وبحكم خبرته التنظيمية واتصالاته بالداخل والخارج لم يدخر جهداً في إدارة ذلك الاحتفال الفخم باستنفار العديد من الجهات. وقد تم إخراج اليوم بصورة زاهية أسعدت الجميع وأعادت للخريجين ذكريات طيبة. وبمناسبة ذلك الاحتفال فقد تمت صيانة المدرسة صيانة كاملة وأكملت المعدات الناقصة بها حتى ظهرت بصورة قشيبة أعادتها لعهدها الأول عهد النصري حمزة والأساتذة السابقين من إنجلترا ومصر والمتقاعدين بالداخل حيثُ كانت أياماً مشهودةً وخالدة عبر التاريخ. وأختم حديثي بأن **(الفاتح بشارة)** ظل رقماً بارزاً تميز بسرعة البديهة. وكان ذرب اللسان، ويجذب أنظار المستمعين، وتميز بنشاطٍ وافر، وحركةٍ دائبة. لا يهدأ له بال إلا بعد إنجاز ما يسعى لتحقيقه. وكان سجله زاخراً بالعطاء والمبادرات والمشروعات.

ولولا أن داهمه المرض لكان بإمكانه أن يقدم الكثير الكثير لقواته المسلحة لأنه خزينة ومستودع لمسيرة هذه القوات في حقبها المختلفة بدءاً بقوة دفاع السودان، ثم الجيش السوداني، ثم قوات الشعب المسلحة، ثم القوات المسلحة السودانية. ويعد **(الفاتح بشارة)** ضمن قائمة الضباط القادة ذوي الأداء العالي المتميز عسكرياً. نسأل الله أن يتقبل أخانا الفاتح قبولاً حسناً وأن يجعله من

أصحاب اليمين جزاء ما قدم لوطنه ولقواته. ونسأل الله لأهله وزملائه وأصدقائه ومعارفه حسن العزاء وجميل الصبر، وأن يجعل البركة في عقبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[28].



المؤلف بروفيسور عوض إبراهيم عوض يتوسط اللواء التجاني آدم الطاهر عضو مجلس الثورة السابق والسيد بابكر علي التوم محافظ الخرطوم السابق في أحد اجتماعات لجنة التأبين بمنزل الراحل الفاتح بشارة، وثلاثتهم أعضاء فيها

كلمة اللواء جوزيف لاقو

[28] قرآن كريم، سورة الفجر، الآيات 27 – 28 – 29 – 30.

نائب رئيس الجمهورية الأسبق

سعادة الأخ المشير جعفر محمد نميري، سعادة السيد رئيس هيئة الأركان المشتركة الفريق أول حاج أحمد الجيلي، سعادة الأب فيلو ساوث، الإخوة رفقاء السلاح من المتقاعدين والذين ما يزالون في الخدمة العسكرية، أيها الإخوة الأعزاء والأخوات العزيزات إننا نلتقي اليوم في هذا المكان لنقدم واجب العزاء والتأبين والتقدير لواحد من أعظم قياداتنا العسكرية في السودان وهو الراحل العظيم الفريق الفاتح محمد بشير بشارة.

لقد تعرفتُ على الراحل العزيز (الفاتح بشارة) عقب التوقيع على اتفاقية أديس أبابا للسلام في مارس 1972م تلك الاتفاقية التي أنهت حرباً طويلة بين شمال وجنوب السودان. وقد رجعت بذاكرتي لسنوات طويلة تعود إلى بدايات تكوين الجيش السوداني عقب الاستقلال، حيث كان (**الفاتح بشارة**) ضابطاً صغيراً في مقر قيادة القوات المسلحة.

ولمست فيه رجلاً بِسماتٍ إنسانية حقيقية. وقد أهله لذلك إحساسه المرهف وتمتعه الفطري بروح المرح والبشاشة وشخصيته الصدوقة وتهذيبه الرفيع وأدبه الجم. وهذه هي المكونات الحقيقية لكل رجلٍ عظيم وفقاً لمقاييس الرجولة في كل أنحاء العالم. ولذلك فقد أحببته بمجرد أن تعرفتُ عليه. وأسعدني أنه قد أحبني أيضاً. ومن يومها أصبحنا صديقين حميمين. وبعد ذلك أصبحتُ واحداً من أقرب الأقربين إليه. وكان يدعوني كثيراً للعشاء معه بنادي ضباط قوات الشعب المسلحة كلما أجيء للخرطوم. وكان الفاتح يسعد كثيراً بأن يُمَتِّعَ الناس. وعندما تم

انضمامي للمؤسسة العسكرية كضابطٍ بقوات الشعب المسلحة في هيئة القيادة أصبحنا زميلين وأصبح نائباً للقائد الزين حسن إبَّان حوادث التمرد الأولى بجنوب السودان. وأحسستُ بترحيب كل العسكريين والعاملين معه بشخصيته الفذة بدءاً من القاعدة وحتى القيادة في رئاسة الجيش. ولما علموا بأنني أنوي بناء مزلي في جوبا بغرض الاستقرار والعمل من أجل الوطن بادروا جميعاً بالتبرع بمرتب يوم واحد لشخصي كي يساعدوني في بناء منزلي. و

أنا وأسرتي سنظل نذكر بالفخر والإعزار هذا الصنيع العظيم لهم جميعاً طوال حياتنا. ومن أعلى قيادتهم ممثلة في المشير جعفر محمد نميري إلى آخر جندي في القوات المسلحة أسهموا في ذلك التبرع السخي من رواتبهم الخاصة ليساعدوني في بناء منزلي بمدينة جوبا. فما أعظم أن يكون ديدن العاملين بالقوات المسلحة مؤازرة ومساعدة بعضهم البعض.

في حوالي 1974 1975م تم نقلي للجنوب كضابط مسؤول عن القيادة الجنوبية وبعدها تمت ترقيتي لرتبة اللواء وكذلك تمت ترقية (**الفاتح بشارة**) إلى رتبة اللواء أيضاً وقد تقاعد في رتبة الفريق. وبعد ذلك تحول إلى السلك الدبلوماسي وتم تعيينه سفيراً لدى المملكة العربية السعودية. وقد خدم وطنه هناك بكل الامتياز مما أهله لأن يتبوأ منصب الحاكم لإقليم كردفان بعد ذلك.

وفي تلك الفترة كنتُ أنا أشغل منصب نائب رئيس الجمهورية بالقصر الجمهوري في الخرطوم. وإبَّان خدمتي كنائب للرئيس حملتني مسؤولياتي القومية بحكم الوظيفة للسفر إلى مدينة الأبيض عاصمة كردفان، فوجدت صديقي العزيز الفريق الفاتح على رأس المستقبلين لي في مطار الأبيض. وأمام الطائرة الرئاسية الصغيرة التي

هبطت بها على أرض المطار تقدم ليحتضنني بنفس حفاوته العظيمة وكرمه الفياض ولطافته في استقبال الأصدقاء. كان جزء من المهمة التي ذهبت إليها أن أخذني صديقي الفريق الفاتح في جولة وطواف عام حول كل أحياء مدينة الأبيض، كما أخذني إلى مدرسة خور طقت الثانوية والتي ظل يفخر بها دوماً كواحد من أبنائها وتلاميذها القدامى.

وجدير بالإشارة أن مدرسة خور طقت بالطبع كانت واحدة من أربع مدارس ثانوية كانت تمتلكها حكومة السودان في الماضي. وكانت تلك المدارس الأربع تؤهل أبناء السودان ليتبوأوا المناصب الوظيفية في كل المجالات بالسودان. ومعها كلية غردون التذكارية والكلية الحربية ومعهد بخت الرضا لتدريب المعلمين. وكانت المدارس الأخرى هي حنتوب ووادي سيدنا ومدرسة رمبيك الثانوية.

لقد عُدتُ من تلك الرحلة يملؤني السرور والغبطة. ولكن المقادير لا تجري دوماً كما يريدها الإنسان. ففي السادس من شهر أبريل 1985م تلاشى ما كنا نؤديه أنا وصديقي فلم يعد هو حاكم كردفان ولم أعد أنا نائباً لرئيس الجمهورية. وصديق آخر لي هو اللواء خالد حسن عباس الذي كان نائباً أسبق لرئيس الجمهورية ووزيراً للدفاع وشخصي تم القبض علينا من منازلنا وأودعونا سجن كوبر في تلك الليلة. وكنا أول المعتقلين في تلك الليلة. ثم لحق بنا آخرون في نفس الليلة واليوم التالي.

وقد جيء بالفريق (**الفاتح بشارة**) في صبيحة اليوم التالي. وهناك أيضاً لم يترك (**الفاتح بشارة**) دعابته المعهودة وروح المرح التي تحلى بها، حيث جاء مع بعض الأصدقاء ليشاركوني الغرفة. وكان غرف السجن المخصصة لكبار

الشخصيات تسع أربعة أسرة للنوم فجاء الفاتح ومعه صديقان آخران ليشاركوني في الغرفة. والحظ دوماً يأتيك من حيث لا تحتسبه أو تتوقعه، حيث جاءت رسالة من قيادة القوات المسلحة تطلب إخلاء سبيلي وإعادتي إلى منزلي. وهكذا تأتي الأمور دون أن يكون لك يدٌ فيها على كل حال.

وجدتني أمام أحد الأصدقاء المحامين وأحد الأصدقاء وكان سفيراً للسودان فحييتهما بحرارة وأنا أغادر ساحة السجن. ووعدتهم جميعاً بأنني لن أتخلى عن أصدقائي داخل السجن وإنما سأعمل المستحيل من الخارج من أجل إخراجهم. وأنا أعرف تماماً من أولئك الذين كانوا في سدة الحكم أساساً ومن الذين جاءت بهم الانتخابات لاحقاً لينضموا إلى صفوف الحكومة. وخارج إطار السجن رغم الحرية الظاهرة إلا أنني واجهت مشاكل ومصاحب لا تحصى. فقد جاءوا ليخرجوني من البيت الذي أسكن فيه بوصفي نائباً سابقاً لرئيس الجمهورية. وبما أنني لم أكن أملك بيتاً في العاصمة فما عليَّ إلا البحث عن ملجأ أركن إليه. وعلى كل حال لم يكن أمامي إلا أن أطير إلى المملكة المتحدة التي كانت أنسب مكان أستقر فيه.

مضت مدة من الزمن وجاء الفريق (**الفاتح بشارة**) إلى لندن وبمساعدة أحد الأصدقاء استطاع التعرف على مكاني وجاء إليَّ. وظل الصديق العزيز يمارس نفس كرمه الفياض الذي ألفناه عنه فدعاني إلى تناول طعام العشاء معه في أحد المطاعم في حي كوينز وي بلندن. وأمضينا ليلةً من أجمل الليالي تناولنا فيها طعام العشاء الشهي وتذكرنا فيها كل ما كنا قد عايشناه مع الأصدقاء في داخل سجن كوبر. وكان معظم حديثنا عن مستقبل بلادنا وما قد تخبؤه المقادير لها في مقبل الأيام. في تلك الفترة حدث ما لا يسر أحداً حيث امتدت نيران الحرب الأهلية من

جنوب السودان لتعم أماكن في شمال السودان أيضاً. حيث إندلع القتال في جبال النوبة ومنطقة النيل الأزرق. واستدعى الأمر مزيداً من الحراك والعمل من أجل السلام. حتى جاءت اتفاقية نيفاشا للسلام في يناير 2005م.

وجئتُ مرةً أخرى للخرطوم لمتابعة اتفاقية السلام مع الآخرين الذي انخرطوا فيها. واتنصلت بصديقي **(الفاتح بشارة)** بمنزله في الامتداد الجديد، فوجدته بنفس تلك الحيوية والصداقة المعهودة فيه على مر الزمن. ولكنني شعرت بأن صحته لم تكن على ما يُرام. وفي زيارة لاحقة لي إليه في عام 2006م سكنت بمنزلٍ لي في حي العمارات وكان لا يبعد إلا قليلاً من منزل صديقي الفاتح بشارة.

وفي يوم الجمعة الموافق 14 يوليو سمعت رنين تلفوني الجوال وكان في الطرف الآخر صديقي العزيز اللواء بابكر عبد الرحيم الذي نقل لي النبأ الفاجعة بأن صديقنا وحبيبنا الفريق الفاتح محمد بشير بشارة قد انتقل للرفيق الأعلى في صباح ذلك اليوم الباكر. وقال لي معزياً لقد رحل أعز أصدقائنا ولم يعد بإمكاننا أن نراهم إلى الأبد. وأنا لا أملك أن أقول في هذا المصاب الجلل إلا شيئاً واحداً هو أنه قد عاد إلى ربه الرحيم، وهذا بلا شك هو طريق الأولين والآخرين، حيث إننا جميعاً إلى خالقنا عائدون، وهذا حال البشرية أجمعها في هذا الكون.

واجتمعنا في منزل الفقيد بعد ذلك في صبيحة أحد الأيام مع عدد كبير من أصدقائه وأقربائه نعزي أنفسنا وعائلته المكلومة. لقد رحل الرجل الطيب العظيم. ونسأل الله العلي القدير أن يتقبل روحه الطاهرة، ويحفظ أسرته الكريمة. وشكراً لكم أيها الأعزاء على حسن استماعكم.



صورة تذكارية لأعضاء لجنة التأبين في يوم الاحتفال بنادي الضباط بالخرطوم بالمسرح الذي أقيم للتأبين وتظهر من خلفهم اللوحة الرئيسية التي صممت خصيصاً لهذا الاحتفال 2/9/ 2006م

كلمة د. علي حسن تاج الدين

عضو مجلس رأس الدولة السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول عز من قائل في محكم تنزيله: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[29] ويقول جل شأنه: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ**

---

[29] قرآن كريم، سورة الملك، الآية 1.

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [30]. عِش ماشئتَ فإنك ميت وإنهم ميتون، وأحبب من تشاء فإنك مفارقهم وهم لك مفارقون. إخوتي وأحبابي في الله والوطن العزيز سلام من الله عليكم ورحمة منه تعالى وبركات. أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير للأخ الكريم كمال حمزة الحسن وللجنة التي جمعتنا في هذه الأمسية الحزينة لنؤبن أحد قادة هذه الأمة. قائد عسكري فذ وسياسي محبوب.

نتبارى الليلة في ذكر مآثره الصالحات الباقيات وروحه الطاهرة ترفرف في جنات الخلد. وقد قدم لوطنه جلائل الأعمال في غير أثرة أو أنانية وهي تجود بأنفاسها الأخيرة في إيمان بالله والوطن في صبر وجلد، ذلكم هو الفريق الركن الفاتح محمد بشير بشارة. ويقول رب العزة في محكم تنزيله: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾** [31].

إخوتي الأعزاء لكل إنسان منا في هذه الدنيا ثلاثة أصدقاء: صديقٌ يُفارقه لحظة أن تدركه المنية وهو المالُ زينة الحياةِ الدنيا، وقد قال فيه الشاعر: إذا المنيةُ أنشبت أظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفعُ. وصديقٌ ثانٍ يفارقه عندما يُوارَى الثرى وهو البنون والأهل والأصدقاء الذين يفارقونه بعيونٍ باكيه ودَمعٍ مُنهمر وهم يختبئون ويبتعدون بعد الممات، حيثُ قال فيهم الشاعر: طوى الردى عنا فأضحى مزاره قريباً عن بعيدٍ بعيداً عن قريبِ. وثالث الأصدقاء هو ماذكره الله في كتابه

---

30 قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 155.

31 قرآن كريم، سورة الكهف الآية 46.

العزيز بقوله: ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً**﴾ [32]. فالعملُ الصالح يظلُ باقياً وكذلك ذِكرُ اللهِ الذي يبقى خيراً لصاحبه في الدنيا وشفيعاً له في الآخرة ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [33]. وكلُ شيء في هذه الدنيا مصيره إلى الزوال إلا وجه اللهِ تعالى وصالح الأعمال. وترى الناسَ جميعاً منتظرين ليس لهم في ذلك خيار. لقد تشرفتُ بصداقة الفريق الركن (**الفاتح بشارة**) طيب الله ثراه طوال أكثر من (29) سنة عندما كنت بالبنك الإسلامي للتنمية وكان وقتها سفيراً للسودان في المملكة العربية السعودية ومحامياً مناوباً للبنك. ولقد تعلمت منه فن تطبيق الدبلوماسية الممزوجة بالخبرة السياسية والعسكرية، حيث كان رجل دولة منذ نعومة أظافره. في 1978م أرسل لي جوازاً دبلوماسياً قائلاً: «**أخي العزيز أن من يشغلون وظائف معينة في مؤسسة دولة يستحقون الجواز الدبلوماسي**».

لقد تعلمتُ منه الكثير، وعندما كنت مسافراً لبعض البلاد الآسيوية قال لي لا تكثر من الملابس وسيكونُ لك ما تريد خلال 24 ساعة. حدث ذلك عندما كنت في بهو فندق هيلتون بمدينة كوالمبور في شهر مارس من عام 1978م، حيثُ جاءني من يسألني عن جناح الجنرال (**الفاتح بشارة**) فطلبه جاهز الآن. وعندما فُتح باب الترشيح لمجلس المديرين التنفيذيين تنافس السودان والجزائر على المقعد، وكان السفير الفريق (**الفاتح بشارة**) هو مرشح السودان، وإذا تم إجراء

---

[32] قرآن كريم، سورة مريم، الآية 76.

[33] قرآن كريم، سورة عبس، الآيات 34 – 37.

التصويت فهو فائز لا محالة ولكنه آثر إلا يفوز السودان على الجزائر فتنازل بطوع إرادته للجزائر بلد المليون شهيد. كان ذلك في اجتماع مجلس المحافظين وسفيرنا كان ممثلاً للسودان في مجلس المحافظين بماليزيا في مارس عام 1978م فطلب مني أن أرافقه عند العودة بجدة.

مررنا بتايلاند وكان علينا أن نحط في كراتشي Stopover وإذا بقائد PK يحييه في أدب جم. وعندما هبطت الطائرة في كراتشي فإذا بمدير مراسم الدولة الباكستانية ومرافقيه بزيهم الزاهي يُحيطون بالجنرال **(الفاتح بشارة)** يرافقونه إلى صالة كبار الزوار وهو شامخ كالطود في مشيةٍ عسكريةٍ ممزوجةٍ بالدبلوماسية، إذا كان مستقبله أحد جنرالات باكستان الكبار، وعندئذٍ فهمت تحية قائد PK الذي أبلغ المراقبة في كراتشي ورجال المراسم بأن G. Bounce in On Board.

وفي مطار جدة عند ما حطت بنا الطائرة إذا بالأخ محمد عزاز مدير المراسم الملكية لدى الحكومة السعودية واقفاً عند سلم الطائرة الأمر الذي لا يحدث في المملكة إلا لمن كان له مقامٌ ملكي. كان فقيدنا العظيم سفيراً من العيار الثقيل عيار (24) المرصع بالماس والياقوت. لقد أحبه الملك خالد بن عبد العزيز طيب الله ثراه، وأقام علاقة شخصيةً متميزة مع أفراد الأسرة المالكة، حيثُ كانت تُفتح له الأبواب في كل مكان بالمملكة خلال سنوات معدودات فقط. وأذكر أنه حصل باتصال شخصيٍ فقط على تمويل من البنك الإسلامي للتنمية يقارب المائة مليون دولار للسودان، ومن البنك الأهلي التجاري على مبلغ 25 مليون دولار مما سما بالعلاقات السودانية السعودية إلى درجة قلَّ أن يوجد لها مثيل في العلاقات الثنائية بين الدول. لقد أحبه جميع الذين زاروا المملكة العربية السعودية، حيث كان بيته

مفتوحاً للجميع، ومكتبه كذلك كان مفتوحاً للجميع. تدخل عليه محتاجاً فيستقبلك باسماً مستبشراً وكأنك جِئتَ لتعطيه ما أنتَ سائِلُه. وقد مُنح وسامَ الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة. إخوتي الأعزاء أن المجال لا يسع لذكر مآثر راحلنا العظيم، ولكنا نقول: اللهم يا من بذكره تحل عقدة النوائب الشدائد، يا من إليه المشتكى، وإليه أمر الخلق عائد، يا حي ياقيوم، يابديع السموات والأرض، أنت في الملكوت واحد، وأنت المعز لمن أطاعك، والمذِلُ لكل جاحد، أنت العليم بما يلينا وأنت عليه شاهد، أنا دعوناك والهموم جيوشها لقلوبنا تطارد، ففرج عنا بلطفك يا من بلطفه يُستعانُ على الزمان المعاند. كُن ناصرنا يا إلهي لا تُباعد، أنا يئسنا من الأقارب والأباعد.

اللهم أرحم فقيدنا الفاتح بشارة، وأنزله مع الصديقين والشهداء، وأجعل البركة في ذريته وأهله وأصدقائه ما خَرَّ للرحمن ساجد. أهلي في دارفور المنكوبة الجريحة الحزينة، دارفور القرآن، دارفور كسوة الكعبة المشرفة يقولون في مثل هذه المناسبة: (كِلْوَانَا سَبَقَانا بيُومْ).

* * *

كلمة الدكتور فيصل حسن إبراهيم
والي ولاية شمال كردفان

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها الإخوة، نقف اليوم باسم كل أهلنا في ولاية شمال كردفان بمناسبة تأبين رجل من رجال الولاية كان قائداً فذا وفريداً. ونقول إن الأخ الفريق المرحوم الراحل المقيم الفاتح محمد بشير بشارة كان حاكماً لإقليم كردفان لفترتين كما تعلمون. كانت الفترة الأولى من 12 يناير 1981م إلى 1 يوليو 1982م، والفترة الثانية ابتدأت من 2 يوليو 1982م حتى 6 أبريل 1985م. وهو كما تعلمون كان يمتاز برجاحة العقل. وأنا أقول ذلك من واقع ما وجدته من سِجِل ولاية كردفان.

لقد كان راحلُنا العظيم شخصية عسكرية فذة، قوي الشكيمة. وكان سياسياً بارعاً ومحنكاً. كان يتابع بدقة كل شيء، وكان قيادياً تميز بقوة الشخصية، يخطط ويتابع التنفيذ بدقة. كان يكره التلكؤ والاتكالية ويحب الصراحة. كان يعطي بسخاء ويحاسب بقوة. وكانت له اهتماماتٌ شخصية بالبروتوكول، حيث يحب النظام والتنظيم مع التجويد والإتقان. كان يحب الفن والرياضة، ويشيد دوماً بالعاملين معه في أمانة الحكومة، أولئك الجنود المجهولين.

وتميزت حكومته بأنها جمعت أخيار المثقفين من الوزراء والمحافظين والسياسيين حتى تمكنوا من إرساء قواعد متينة حول أهداف ومقاصد الحكم الإقليمي، إذ كَوَّنَ العديدَ من اللجان التي أدت إلى نهضة إقليم كردفان وقتها. وكون

لجاناً لمراجعة سير التعليم بالإقليم، ووطَّدَ دعائم برنامج الإنعاش الاقتصادي، وشَكَّل لجنةً لمتابعة وإنشاء جامعة كردفان، وأنشأ جهازاً لمراقبة العربات الحكومية بالإقليم، وكَوَّنَ لجنة لدراسة الآثار المترتبة على اكتشاف البترول.

وأصدر قراراً بإنشاء إدارة عامة للشئون والمراسم بمقر حاكم الإقليم، وكانت أول إدارة خارج العاصمة القومية آنذاك، وهي الأولى بالولايات. وأسهم في إرساء قواعد الصلح والسلام. كما عمل على تمكين الإدارة الأهلية بالإقليم من أداء دورها الفاعل. وكان له اهتمام خاص بالتراث والموروثات التاريخية والآداب والفنون بكردفان. وأرسى دعائم الصناعات بالإقليم. وكان الراحل المقيم يعترف بالتباين وليس بالتطابق، حيث كان ذلك يمثلُ عنده القاعدة العامة. ولكل ذلك فقد ترك أثراً قوياً ومفيداً وخيراً وإيجابياً في حياة أهلنا في كردفان.

ودعوني أختم حديثي بالقول: أن الفعل وليس المعرفة هو الغاية العظمى من الحياة كما قال تومس هنري. والفعلُ أيها الإخوة الكرام هو سلعة القادة، والحقيقة تكمن في أن المعلومات وحدها لا تكفي حتى في عصر المعلوماتية. ولو كانت الأفكار والتفكير الإيجابي هو كل ما يحتاج إليه المرء لما تمتعنا جميعاً بالثراء منذ طفولتنا، ولكانت لنا الحياةُ التي طالما حلمنا بها، ولكِنَّ العمل هو العمل المشترك بين كل النجاحات الباهرة، وهو الذي يؤدي إلى تحقيق النتائج. فما المعرفةُ إلا طاقة كامنة، وتبقى كذلك حتى تصل إلى يد شخص يحمل نفسه على اتخاذ القرار والعمل الفعال. وقد كان الراحل المقيم هو كذلك. وأقول في ختام كلمتي: أن التفسير الحرفي لكلمة السلطة هو القدرة على الفعل والعمل والتصرف. وكان الراحل

المقيم كذلك. نسألُ الله أن يتقبله قبولاً حسناً، وأن يجعله في الصالحين، وأن يبارك في أهله وذريته.

* * *

كلمة السيد ميرغني عبد الرحمن الحاج سليمان الوزير في حكومة الفاتح بشارة بكردفان

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

نلتقي اليوم في هذه الساعة الحزينة لنؤبن رجلاً قلما تجود الديار بمثله. أنه الصديق والأخ والقائد المقدام الفريق الفاتح محمد بشير بشارة. لقد كانت أياديه البيضاء بلارزةً في كل ضروب الحياة منذ أن كان عسكرياً صغيراً إلى أن أصبح من كبار القادة. وقد أفاض الإخوة المتحدثون في رصد مآثره طوال تلك الحقب، ولكن دعوني أذكر شيئاً ظل في ذاكرة كل أهل السودان وهو أن فقيدنا العظيم **(الفاتح بشارة)** قد أقام أنجح دورة مدرسية في تاريخ الدورات بالسودان عندما كان حاكماً لإقليم كردفان. وذلك بشهادة الرئيس نميري الذي هو بيننا اليوم.

ولقد أكرمنا الله بأن حازت درة كردفان مدرسة السيد إسماعيل الولي بكأس الدورة. ولقد أفرزت هذه الدورة عدة مواهب رياضية وفنية كانت فائدتها عظيمة للسودان. قدمنا منها منصور بشير مصطفى تنقا للهلال، ومصباح للهلال، وكمال نُوار للمريخ ولاعبين آخرين في كل ضروب الرياضة المختلفة. أقام السيد

الحاكم أضخم احتفال في الذكرى المئوية لمعركة شيكان وقد تكلم عنه الإخوان قبلي. ومن المجهودات التي قام بها السيد الفريق الفاتح شارع الظلط الذي يربط كوستي الأبيض وهذا كان من المشروعات المهمة جداً. وعندما حضرنا للخرطوم وجدنا أن من الصعب جداً البدء في هذا الطريق. لأن مدير المعونة الأمريكية في ذلك الوقت مستر براون Mr. Brown قال أن السودان مطلوب 8.8 مليون دولار لو لم يتم دفعها فلا يمكن البدء في الطريق. لكن الفريق الفاتح استفاد من صداقته مع الأخ فاروق المقبول وزير المالية ومحافظ بنك السودان السابق وقال له أعطني فرصة. وخلال 48 ساعة سدد الأخ فاروق مبلغ 5 مليون دولار وبعدها بفترة وجيزة سدد الباقي وعلى ذلك بدأ بنماء الطريق في عهد الفاتح بشارة.

حكومة الفريق **(الفاتح بشارة)** أدخل الفريق الفاتح أثناء وجوده التنقل بين ربوع كردفان بالموتر ترولل حتى يوفر نفقات التنقل بالبنزين والجازولين. وأي منطقة بها سكة حديد داخل الإقليم كان يزورها **(الفاتح بشارة)** بالموتر ترولي ليوفر العدد الكبير من العربات العاملة بالجازولين أو البنزين ويتحسب لوعورة الطرق وأتعاب السفر. وفي عهد الفريق الفاتح كان إقليم كردفان هو أول إقليم ينشئ قوات احتياطي أو قوات مكافحة الشغب.

هذه تقريباً بعض الإنجازات التي أجملها في عجالةٍ سريعة. اهتم الفريق في عهده بالزيارات الداخلية والخارجية للمسؤولين بهدف تنمية الإقليم. زار الرئيس نميري إقليم كردفان مرات عديدة. ويكفي هنا مقولته المشهورة: **(زرنا كل الأقاليم ووجدنا كذا وكذا ولكن في كردفان وجدنا حكومة إقليمية مقتدرة حققت مسعانا في تسليم السلطة إلى الجماهير)**. وزار الإقليم في سنة 1990م رئيس

العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي وزار الرئيس بوش الأب الذي كان نائب الرئيس رونالد ريقان في ذلك الوقت. وقد أشاد بعمل حاكم وحكومة إقليم كردفان في مكافحة الجفاف والتصحر وإعادة النازحين في ظل إمكانات الحكومة الإقليمية المحدودة. وقال بوش: (**لقد استفدت كثيراً من فكر وتخطيط الحاكم الفريق الفاتح بشارة، ولو ترشح هذا الحاكم صاحب المواهب والمقدرات الفذة في أمريكا لفاز**).

وقد أردف حديثه هذا باتصال تلفوني من مكانه في غابة فلاتة بالأبيض بواشنطن وأمرهم بالإسراع في زيادة المعونة لكردفان (**عيش ريقن**). وهنا قال اللواء عمر محمد الطيب نائب رئيس الجمهورية لقد قدمتم مجهوداً كبيراً ومقدراً لشعبكم أثمر أن الحكومة الأمريكية قد وافقت على مضاعفة القرض المقدم للسودان. زار الإقليم وفد المستثمرين العرب والإسلاميين برئاسة الأمير (**محمد الفيصل**). ولقد أكرمهم الحاكم بكرم أهل كردفان، وأقام لهم سباقاً للهجن، وأعطاهم هدايا من الهجن نفسها.

أيضاً دعا السفير اليوغسلافي لزيارة عمل تتعلق بالمياه. وكذلك السفير الألماني والإنجليزي والفنلندي. وكلها دعوات تتعلق بمتابعة التصحر وإعادة التشجير لحزام الصمغ العربي. كما زار الإقليم الدكتور (**عبد الله النصيف**) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس مجلس الشورى السعودي الحالي. وهنا لا بد أن أذكر شيئاً طريفاً عن الفريق الفاتح: لقد صحوتُ مبكراً ووجدت إبني بملابس الكشافة وهو أصغر أبنائي وقال لي أنه ذاهب للمطار الساعة السادسة صباحاً. وسألته لماذا تذهب بملابس الكشافة؟ فقال لي: «**إنني ذاهب لاستقبال الدكتور عمر**

النصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وهو رجل كشاف». وكان أن استقبل الفريق الفاتح هذا الضيف بكل فرق الكشافة الموجودة في كل مدارس الأبيض. وكان منظراً فريداً التقى فيه الضيف الكبير بكل أبناء الكشافة حيث امتلأت كل أرض المطار بأبنائنا من الكشافة الأمر الذي لم يُتح لنا حتى نحن الوزراء الذي ما قابلناه إلا في الجلسات الرسمية. وكان لذلك الاستقبال الكشفي أوقع الأثر في نفس زائرنا الكبير. وهذا يؤكد أن (**الفاتح بشارة**) هو أدرى الناس بنفسية الآخرين خصوصاً المسؤولين الكبار في المملكة العربية السعودية، فأتاهم بشباب الكشافة الذين يؤثرون فيهم بدلاً من أن يأتيهم بسياسيين قد يخلقوا لهم كثيراً من المشاكل أو الاضطرابات.

زار الإقليم أيضاً مولانا (**محمد عثمان الميرغني**) زعيم الختمية ورئيس الحزب. وقد نظم له الحاكم استقبالات ضخمة. ورافقه حتى مدينة بارا موطن السيد الحسن. ثم أصدر قراراً بأن أكون الوزير المرافق له. ومنحني مجموعة كبيرة من الشنط عليها المصحف المرتل كي أقدمها لكل منطقة أزورها تخليداً لزيارة السيد محمد عثمان الميرغني لكردفان. وعندما تم تعيين الفريق (**الفاتح بشارة**) عضواً ببرلمان وادي النيل، وعند مغادرته للقاهرة رأيناه جميعاً في مطار القاهرة يحملُ فانوساً بيده واندهش الناس كيف يحمل الفريق (**الفاتح بشارة**) بكل طوله الفاره هذا فانوساً أشبه بفوانيس محولجية السكة حديد!!! وكل إنسان كان يتساءل عن سبب حمله لهذا الفانوس، وقد تقدمتُ إليه وسألته لماذا تحمل هذا الفانوس يا سعادة الفريق؟ فقال لي: (**يا أخ ميرغني هذا هو الدرس المستفاد من زيارة الفريق أول عبد الماجد حامد خليل**). كان الأخ عبد الماجد قد زار كردفان وأخذ طائرة هليكوبتر

ليتفقد بها القوات في الخطوط الأمامية أثناء التمرد في الجنوب. وانتظرنا حتى دخل الليل ولم تهبط الطائرة. وكان الفاتح منزعجاً وكلنا كنا موجودين بالمطار والناسُ في حالة تأهب قصوى فاستطاعوا بوسائل بدائية ومنها لمبات الفوانيس التي تعمل بالخيط والكيروسين وأناروا بها المدرج. فقال لي **(الفاتح بشارة)** أنا أحملها معي الآن لأقابل بها صديقي أبو غزالة وأطلب منه كميةً كبيرة منها لأن الجيش المصري كان مسلحاً بكميات كبيرة من الأسلحة الروسية، ومثل هذه الفوانيس تكون متوفرة لديهم بكمياتٍ كبيرة فأردتُ أن آتي بكميات منها على سبيل الاحتياط حتى نضمن أن نضمن سلامة الناس. وهذا لا يتأتى إلا من رجل يريد الخير في كل خطوة يخطوها.

ومن المواقف المشهودة للفريق أيضاً أثناء حكمه لكردفان كان أحد قضاة الهوس الديني قُدم له بعض الدكاترة قيل له إنهم كانوا يشربون ليلاً فحكم عليهم بالجلد وهي عقوبة شرعية لا اعتراض عليها. ولكن هذا القاضي قرر أن تُنفذَ هذه العقوبةُ في دار الرياضة يوم مباراة الهلال والمريخ التي لا يتغيب أي فرد عن الجماهير من حضورها. فاحتج اتحاد الكرة وقابل الوزير الذي نقلها بدوره للفريق الفاتح بشارة. فقال **(الفاتح بشارة)** داخل ساحات القضاء نعم، أما ساحة دار الرياضة هذه فإنها ساحةٌ اشتراها الناسُ بفلوسهم ليستمتعوا بمباراةٍ في كرةِ القدم فلا يمكن أن تفرض عليهم حاجةً لا تتناسب معهم في مثل هذا الجو. وأعطى تعليماتٍ واضحة لرئيس الجهاز أن هذا القاضي إذا جاء لدار الرياضة فيتم اعتقاله. وبالتالي لم يتم تنفيذ هذه العقوبة في دار الرياضة وقامت القضائية بمعالجة الأمر. كذلك من المواقف الوطنية للفقيد الراحل اهتمامه بالفن والفنانين وهنا الكثير من الأشياء التي

لا أريد سردها لضيق الوقت. لكن أوبريت كردفان والذي كنت أتمنى أن يُرض في هذا التأبين وصاغه الأخ الشاعر اللواء (**أبو قرون عبد الله أبو قرون**) ولحنه الأخ الدكتور (**عبد القادر سالم**) وقدمه مع مجموعته الغنائية والموسيقية كان به عطاء عظيم. وعُملت له العهديد من البروفات التي حضرها الأخ (الفاتح بشارة) وأصدر فيها توجيهاته المختلفة.

ومن مواقفه الوطنية كنا في نادي البنوك وكان هناك حفلٌ فني شارك فيه الفنان الكبير (**عبد الكريم الكابلي**) بأغنياته العذبة التي توقظ الحس والشعور المرهف وتحرك الوجدان، دلف فجأةً إلى أغنية وطنية ثم غنى القومة ليك يا وطني ووقف الناسُ جميعاً ورمق وسط هذا الحشد الفريق الفاتح وقفته العسكرية الشجاعة بزيه السوداني المميز وكانت بمثابة درس وطني يحمل رسالة مفادها أن الناس في ساحة الغناء يجب إلا تنسى واجب الوطن المقدس.

ولاحظ الفاتح في دار الرياضة أيضاً في مباراة مهمة فعندما عُزف السلام الجمهوري شاهد أن أحد الشبان لم يقف للسلام الجمهوري. وبمجرد انتهاء السلام الجمهوري أمر بأن يُخذ هذا الشخص للحراسة. وبالفعل تم إيداعه بالحراسة كنوع من التربية الوطنية له حتى أخذ درساً قاسياً. وهذه بعض المواقف الوطنية التي نحكيها عن الأخ الفريق الفاتح وهي كثيرة ومختلفة ولكن نكتفي بهذا القدر ونختم بأن الفريق الفاتح كان شسخصاً مرموقاً ومعروفاً في كطل ربوع السودان.

وزيادة على عمله كضابطٍ في القوات المسلحة عمل مديراً لمكتب الرئيس الفريق إبراهيم عبود، ثم صار سفيراً للسودان بالمملكة العربية السعودية، ثم حاكماً لإقليم كردفان الكبرى. وكان مفكراً كبيراً، وصاحب رؤيةٍ ثاقبة، بالإضافة إلى أنه

كان شخصاً جذاباً له حضورٌ واضح، وكان له شأن في الاجتماعات بأشكالها ومسمياتها المختلفة. وكان له أسلوب عجيب تميز به والذين يعرفونه يستعجبونه ويقبلون عليه بمتعةٍ كبيرة. كان الفاتح إنساناً بشوشاً على الدوام. منطلق أسارير الوجه.

وكان يصل الرحم، ويعود المرضى، ويتفقد الأهل والصحاب. وقام بدور كبير في العناية بالرواد الذين خدموا البلد خدمات جليلة لا تقدر بثمن. كان الفاتح رحمه الله رجلاً محظوظاً إلى حدٍ كبير. فقد أنعم الله عليه بهبات جمة. كان عذب الحديث، متوقد العقل، زكي النفس، إنساناً ذا قلبٍ كبير، عامر بالمحبة وسعة الصدر والصبر والحزم في غير قسوة.

وكان الفاتح يعرف مقادير الناس. وكان من الذين يُرسون قواعد متينة، لا يظلمُ أحداً ولا يتجنى على أحد. قاد ببصيرة نافذة الحكم في كردفان. ويُعتبرُ بذكائه المتوقد وفكره الثاقب واحداً من أعظم رجال الدولة في السودان. وأشدهم صراحةً، وأكثرهم حظوةً بالتوقير والاحترام. كان ناصحاً أميناً. وصديقاً صدوقاً يستحق الاحترام والتقدير. هذه وقفاتٌ عاجلة محكومة بالوقت المحدد الذي خُصص لي ولقد اختزلتُ الكثير، وآمل أن أتوسع في فرصةٍ أخرى. والسلامُ عليكم ورحمة الله.

* * *

كلمة الحاكم الأسبق والوزير الأسبق الأستاذ
عثمان عبد القادر عبد اللطيف

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله. سعادة المشير (**جعفر محمد نميري**)، التحية لك وعبرك لجمعنا الكريم عبركم. لقد استمعتم من الإخوة الذين سبقوني على هذا المنبر عن الفريق الراحل (**الفاتح محمد بشير بشارة**) الضابط في القوات المسلحة والفاتح الدبلوماسي والفاتح السياسي والفاتح الصديق والثقافي والاجتماعي وما إلى ذلك. ولكني سأتناول الأخ الفاتح رغم أنني لم أكن أعرفه قبل عام 1970م فهو يكبرني سناً حيث ولد بالأبيض وتربى بالخرطوم وأنا من أبناء الجزيرة. ولكن نشأت علاقتي معه في ظروف عادةً لا تقود إلى صداقة والمرجح أنها تقود إلى خصومة.

كان ذلك في أواخر عام 1970م كنا مجموعة تقارب ال 160 شخصاً في قاعة كبيرة تتقدمها منصة عليها المجلس العسكري الإيجازي العالي لمحاكمة متهمي أحداث الجزيرة أبا والذي كان يرأسه أن لم تخني الذاكرة سعادة اللواء الفاتح محمد بشير بشارة ومعه إخوةٌ آخرون، ولكنَّ المجال هنا هو مجال الأخ الفاتح عليه رحمة الله. نحن عندما تم إعلاننا للمحاكمة كان الطبيعي من كبشر أن نتوجس منها خيفةً. مجلس عسكري إيجازي عالي في ظروف أحداث الجزيرة أبا التي تعرفونها جميعاً يستطيع الإنسان أن يتنبأ كيف تكون تلك المحاكمة وما هو مسارها ونهاياتها. وقد كانت هناك محكمة أخرى شُكلت في نفس الظروف وكانت رديفة أو أخت

لهذه المحاكمة لأنها مشابهة لها في وقائعها وأحداثها وشكلها ومضمونها. حضرنا للمحكمة في الجلسة الأولى وبدأت الإجراءات. وأول ما بدأ به الأخ رئيس المحكمة سعادة الفريق الفاتح أن جعل لكل متهم نمرة. وقال كل متهم نندە اسمه يقف على حيله لنخبره بنمرته، وبعد ذلك سنتعامل بالنمر. وبالفعل طبق الفاتح هذه المسألة وبعد الانتهاء منها عمل مراجعة للتأكيد. وكان معنا أخ من المتهمين جاء من كردفان لم يقف عندما نده (**الفاتح بشارة**) نمرته. وناداه (**الفاتح بشارة**) باسمه يا المليح وكان اسمه (**المليح شاش**) فوقف، وقال له الفاتح لماذا لم تقف عندما نادينا على نمرتك؟ فأجابه الرجل قائلاً: «**أنا البطل المليح شاش ما بقيف بنمرة**».

طبعاً نحن قلنا في أنفسنا أن المليح هذا أمره قد انقضى ولن يعرف أحدٌ بعد هذا مكانه. فكانت أول مفاجأة أن ضحك (**الفاتح بشارة**) من أعماق قلبه ضحكة عالية وقال له: «**خلاص يا البطل مليح شاش تفضل إجلس وتاني ما حنناديك بالنمرة بل سنناديك باسمك المليح**».

كانت هذه أول بادرة. أما البادرة الثانية أننا وجدنا خيمة جيء منها من مصلحة المرطبات وبها عدد من عمال المرطبات قيل لهم أن يوفروا خدمات للمتهمين. كانت الأطعمة فيها بالقروش ولكن كوننا نجد خيمة من مصلحة المرطبات التي اشتهرت بخدماتها الجميدة وطعامها النظيف من سندوتشات وعصير فراولة فإن هذا قطعاً لا يوجد بالسجن مما جعلنا نضيف هذه الواقعة أيضاً لرصيد رئيس المحكمة واستمرينا. وأنا أريد أن أتكلم باختصار لأن الزمن محدود. وبصراحة إن (**الفاتح بشارة**) كل الذي قيل عنه الآن هو منه وإليه. وينقص ليس قليلاً بل كثيراً من أن يفيه حقه. ونحن في بدايات المحكمة أيضاً، وبعد أن يدلي أي شاهد

أو متحري بأقواله يكون هناك نقاش وتُعطى فرصة للمتهم أن يُناقش. وكان مع الأخ المرحوم خالد محمد إبراهيم وكان يشغل منصب أمين عام شؤون الأنصار وكان أي شيء متعلق بالسلاح يبدأ بخالدج وينتهي بخالد، فقام أحد المتحرين وسرد أقوال المتهمين. ونحن قلنا لخالد قم واطلب من رئيس المحكمة أن يؤجل لنا هذه المحاكمة لبضعة أيام حتى نستطيع أن نُحَضِّر أسئلتنا فرفع خالد يده طالباً الحديث وقال له رئيس المحكمة تفضل.

فقال خالد: «**سيدي الرئيس نرجو منكم أن تؤجلوا لنا جلسات هذه المحكمة لمدة يومين حتى نتمكن من تجهيز أسلحتنا**». فضحك **(الفاتح بشارة)** وخرج من المحكمة حيث كان ذلك الالتماس في نهاية الجلسة. فقلنا لمولانا عبد الرحمن النور: ياخي الراجل دا ما أخبرنا، فرد مولانا عبد الرحمن النور قائلاً: «**يا اخوانا الراجل دا ضحك وشال شنطته وخرج معناه وافق لكم على مهلة اليومين فامشوا وجهزوا أسلحتكم**».

مثل هذه الأشياء في محاكم عسكرية لا يتصورها بشر، بل وحتى إننا نعلم حتى في المحاكم المدنية كيف تتم معاملة المتهمين ولكن هذا يعكس إنسانية هذا الرجل ويعكس خُلُقَه وقلبه الكبير وعقله الأكبر. وفي الواقع أن الحادثة الأساسية التي أريد أن أقول عنها أننا في هذعه المسيرة جاء إلينا رجال الأمن وقالوا لنا رئيس المحكمة قال غداً لا توجد محكمة، وفي اليوم التالي جاؤونا وقالوا اليوم مافي محكمة، وفي اليوم الثالث جاؤونا وقالوا: رئيس المحكمة قال إنه يريد كل المتهمين صباح الغد في قاعة المحكمة. وحتى لو كان هناك مريض بالمستشفى يرقد على السرير وفي يده درب فليأت بسريره هذا والدرب لقاعة المحكمة. وبدأنا جميعاً في

التكهنات والتشريعات واحد يقول إعدام جماعي وواحد يقول سيكون الحكم قطع رأس، وعلى كل حال كان كل واحد يتخيل ما سيكون عليه حال الجلسة غداً. ولما جئنا في الصباح ودخلنا قاعة المحكمة دخل **(الفاتح بشارة)** رئيس المحكمة وتلى خطابه. واتضح أنه خلال تلك الفترة القصيرة أنه جلس مع الرئيس نميري وأقنعه بأن يُصدر عفواً عن 125 من المتهمين. وهو عندما عمل هذا الأمر كان لم يأخذ أقوال كل المتهمين. وكان تبريره للرئيس أن هناك أناس بسطاء وبينهم من يمكن اعتباره ساذجاً ليس إلا المهم كان ذلك هو موقفه من تبرئة المتهمين. ووافق الرئيس نميري أن يطلق سراح ال 125 بعفو عام.

ثم تجيء المبادرة الثانية التي توضح حقيقة كثير من الكلام الذي ذكره الإخوة عن مبادرات **(الفاتح بشارة)** وفنه في خلق المسائل، كيف يخلق القرار، وكيف يبادر بالمسائل. صدر قرار منفرد بالعفو عن الفاضل الهادي الإمام المهدي بوصفه كان إبناً مع والده حيث أخرجته هذه الصفة من أن يكون متهماً وتم اعتباره إبناً كان يرافق والده فلا بد أن تُحفظ له إنسانيته ومكانته وتم إطلاق سراحه مع ال 125 متهماً الآخرين. وبقينا نحن 29 متهماً فقط استمرت محاكمتنا حتى نهاية المطاف. وأنا أستطيع أن أقول عبر 176 جلسة علنية استمرت حوالي السبع أشهر، وكانت الجلسات يومية ما عدا أيام العطلات كان نادراً ونادراً جداً أن يضرب **(الفاتح بشارة)** شاكوش المحكمة في وجه متهم. لم يفعل ذلك سوى مرات نادرة جداً في حالة تفلت أحد المتحدثين. ولذلك كان جميع من في المحكمة يحرصون جداً أن يتكلموا بانضباط تام حتى لا يُحرجوا سيادة **(الفاتح بشارة)** رئيس المحكمة. إلى أن انتهت المحاكمة وصدرت الأحكام. وبعد 45 يوماً صدر عفو عام

شمل حتى الذين حُكم عليهم بالإعدام وتم إطلاق سراحهم. فحقيقةً كان **(الفاتح بشارة)** رجلاً غير عادي. أنا عرفته في هذه الواقعة، ومن يومها توطدت علاقتي به بشكل كبير. وأصبحت بيننا صداقة قوية. حتى بعد أن أحيل إلى المعاش وترك الخدمة كنا نتقابل. وعندما كنا بالخارج كنا نقابله في مواقع كثيرة. **(الفاتح بشارة)** شخصية نادرة وقد تحدث عنها الإخوان. ونحن الآن ليس لدينا ما نقوله لأن الموت حق. وكما قال تعالى: {**إنك ميت وإنهم ميتون**}. وهذا هو سبيل الأولين والآخرين.

وكل الذي أقوله: **(اللهم إنه أخونا الفاتح محمد بشير بشارة، جاء إليك يحمل هذا القلب الطاهر النقي والذي يحمل كل الأوصاف التي سمعتها من صدور أهلها قبل أن تصل إلى مسامعنا، اللهم يا ربي تقبله، وأحسن إليه. ونحن نشهد بأنه كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن كان محسناً فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته. اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتننا بعده، وسع مرقده، واجعل قبره روضةً من رياض الجنة، وضمه إلى الصالحين الطيبين الطاهرين يا رب العالمين. واجعل البركة في ذريته وفي أهله وفي إخوانه. وابرأ جرحنا نحن معشر أصدقائه إلى أن تلحقنا به)**. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة الفريق أول حاج أحمد الجيلي رئيس هيئة الأركان المشتركة بقوات الشعب المسلحة

كثيرون يرحلون عن هذه الفانية ولا يتركون أثراً، وكثيرون هم الذين يرحلون ولا يحس بهم أحد، ولكنَّ فقيدَنا أحس بفقده كل الوطن بكل أطيافه ومجتمعاته ومكوناته. فقد افتقده الوطن وافتقدته القوات المسلحة، تلك المؤسسة العامرة بالوفاء، والتي لا تعرف الجحود ولا التنكر والنكران.

المؤسسة التي تعز من يعزها وتحفظ من يحفظها وتعطى من يعطيها وتقدر من يبذل فيها وتعلي من يعلي شأنها. وتكتب أولئك في سجلاتها المحفوظة في صدور أبنائها والمنحوتة في وجدانهم أنهم أبناء بررة. حفظوا العهد، وبروا بالقسم. وكانوا رهن الإشارة في كل المواقع. لقد كان عطاؤهم جزيلاً وجهدهم كبيراً وإخلاصهم ظاهراً وتفانيهم مشهوداً. فكانوا أبناء القوات المسلحة البررة، وأبناء السودان البررة.

حملوا القوات المسلحة في حدقات عيونهم وحفظوها في قلوبهم، فاتصل جهدهم حتى عندما تركوا الخدمة العسكرية وولجوا ميادين الحياةِ الأخرى حيثُ حملوا معهم كل القيم السامية التي تذخر بها حياة الجندية ويتفرد بها المجتمع العسكري. حملوها معهم لتكون نبراساً وهادياً ودليلاً لهم في مسيرتهم الجديدة. وكانوا خير السفراء للقوات المسلحة في المجتمع المدني، فقد أثروا ذلك المجتمع عطاءاً وإبداعاً، وكان شعارهم شعار الراحل المقيم الرجل الأمة المرحوم الفريق إبراهيم باشا عبود: (**احكموا علينا بأعمالنا**). الإخوة الكرام يلتئم شملنا بهذه الأمسية عرفاناً

وإحياءاً لذكرى رجل من رجال السودان الأوفياء الذين عملوا في تجرد ونكران ذات، وكانوا نجوماً لا يخبو بريقها ولا ينقطع سناها. يلتئم شملنا في هذه الأمسية وفاءاً لرجل كان الوفاءُ بعضاً من طبعِه، إبناً باراً من أبناء القوات المسلحة وعلماً من إعلامها، تقلب في كثيرٍ من مواقعها وترك في كل موقع بصمات لا تخطئها العين ولا يمحوها الزمان.

وعندما غادر موقعه في القوات المسلحة واقتحم ميدان العمل الدبلوماسي وصار سفير السودان بالمملكة العربية السعودية سبقته سمعته إليها فقضى أياماً ما زال قُدامَى المهاجرين ومن التقاهم من السعوديين ومن زاملوه في الحقل الدبلوماسي يذكرونها بكل الخير. فقد كان سودانياً بكل ما تحمله هذه الكلمةُ من معانٍ في قاموس القيم والأخلاق السودانية.

كان عهده زاهراً ومفعماً بكل ما تقر به عين الوطن وتسعد به أمة السودان. ثم كانت له محطة أخرى في العمل السياسي التنفيذي كحاكمٍ لكردفان، بل كقائدٍ لكردفان بكل ما تحمل كلمة القيادة من معانٍ وصفات ومواصفات. وكان له باعٌ طويل في مجال البناء والإنجاز. وما زالت كردفان الكبرى تحكى حتى اليوم وتتباهى بما خلده فيها من إنجازات مادية ومعنوية وما خلفه من جليل الأعمال وشاهق البنيان، وفوق ذلك اهتمامه بالإنسان الذي كان محور تفكيره وسياساته. الإخوة الكرام.

نجتمع اليوم إجلالاً وتقديراً وعرفاناً لإبن السودان البار وإبن القوات المسلحة البار الفريق الفاتح محمد بشير بشارة ذلك الرجل القائد الإداري الناجح الذي امتاز بالخيال الخصب والقدرة على الخلق والإبداع والحماس في العمل والقدرة

على نقل الحماس إلى الآخرين، ودفعهم للعمل عن رضاء وقناعة. رجل قوي لا يعرف اليأس ولا يعتريه القنوط ولا تثنيه العوائق، وعنده لكل مشكلة حل، ولكل عقبةٍ مَعبر. الإخوة الكرام أن مآثر الفقيد كثيرة، وكلكم يعرفها، بل تعرفونها أكثر مني، ولكنني أقف عند اثنتين؛ إحداهما عرفتها باكراً أثناء خدمة الراحل المقيم بالخدمة العسكرية والأخرى عرفتها في أخريات أيامه. فالأولى أن الراحل المقيم كان إنساناً بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ وما تحويه من فضائل الجود والإحسان والإيثار والانفعال الصادق بمشاكل وهموم الآخرين بغض النظر عن أي فوارق، فقد كان رجلاً خيراً يعمل في صمت. ولعله من أولئك الذين لا تعرف شمالهم ما صنعت يمينهم.

أما الأخرى فقد كان الراحل المقيم موسوعة تسعى بين الناس، وكان حُجةً في تاريخ القوات المسلحة، يلم بالكثير عن ماضيها وأحداثها وسيرتها وسيرة رجالها وأبطالها. نسأل الله له المغفرة والرحمة وأن ينزله منزل صدق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من عباده، وأن يجزيه خير الجزاء لما قدم لبني وطنه ولكل من عرفه وعاشره وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة يتجاوز عن سيآته، ويضاعف من حسناته، وأن يجعل البركة في ذريته ويُلهم أهله وذويه وعارفي فضله الصبر والسلوان، وإنا لله وأنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

كلمة السفير د. علي يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

نلتقي اليوم أيها الأخوة الأعزاء والقلب يتفطر لفرتاق رجلٍ أمة، جاء إلى الدنيا كبلسم من جراح الحياة، وأطلّ بهيبته الشامخة إطلالة النسيم العليل على الدبلوماسية السودانية، مازجاً بتناغم فريد صفات العسكري الفذ بطباع الدبلوماسي العتيد، فاقتحم أعتى قلاع الدبلوماسية سفارة السودان بالمملكة العربية السعودية فأحالها بين عشية وضحاها من منفى لمحدودي الحظ إلى خلية نحل تقطر وفيرا للوطن وأبنائه.

لقدة شهدت علاقات السودان بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة التي تولى فيها الفريق زمام السفارة 1976م – 1980م طفرة نوعية غير مسبوقة بلغ إبانها التشاور السياسي بين قيادتي البلدين شأواً عظيماً توجته زيارة الملك **(خالد بن عبد العزيز)** للسودان وزيارات متعددة لرئيس البلاد وقيادتها للمملكة. لقد سخر الفريق عبقريته في فن الإدارة وفنون العلاقات العامة في تفعيل دور السودان حضورا ذكياً وفاعلاً في ساحات المؤتمر الإسلامي من صندوق التضامن الإسلامي إلى لجنة القدس إلى مؤتمرات وزراء الخارجيه وقمة الطائف.

وقد ربطت الفريق علاقة حميمة بالدكتور **(أحمد محمد علي)** رئيس البنك الإسلامي للتنميه جنى السودان ثمارها علاقة وطيدة وعضوية بالبنك تحقق من خلالها مشاريع عديده إفادة البلاد والعباد كما أتى ذكره في حديث الأخ **(علي حسن تاج الدين)** الذي عاصر تلك الفترة بجدة. ولعلي أذكر هنا مشروع المعهد

الإسلامي للترجمة الذي اجتهد الفريق في تنفيذه بالتعاون مع صندوق التضامن الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ولعل أهم إنجازات الفريق رحمه الله اهتمامه ورعايته للحجيج السوداني من خلال علاقته المتميزة مع أمير منطقة مكة المكرمة حينها ووزارة الحج والأوقاف السعودية وأسرة بن محفوظ المالكة للبنك الأهلي ومع إدارة الجوازات بجدة. وقد حققت تلك الشبكة من العلاقات العامة والرسمية أفضل الخدمات للحجيج السوداني ومن أفضل المواقع للحجيج بمنى وعرفات إلى أفضل الخدمات الطبية والإرشادية بالتعاون مع بعثة الحج السوداني.

وقد أحدث الفريق ثورة في مستوى الخدمات القنصلية التي تقدم للسودانيين العاملين بالمملكة فأدخل استخراج الجواز وكل الإجراءات المتعلقة بالإضافة والتوثيق وضاعف عدد ضباط الجوازات وموظفي القنصلية العاملين بالبعثة. وأدخل الطواف على مدن المملكة الأخرى لتقديم القنصلية. وابتكر الفريق نظام السجل لتسجيل السودانيين وأماكن عملهم وعناوين ذويهم بالسودان.

كما استطاع الفريق بمبادرة منه وبحكم علاقاته الحصول على إذن من السلطات السعودية بفتح أول فرع لبنك أجنبي بالمملكة بمقر السفارة بجدة هو فرع البنك الذي أسهم إلى حد كبير في حل مشكلة تحويلات المغتربين. وفوق هذا وذاك استطاع الفريق إنشاء أول مجلس لشورى الجاليات السودانية بالمملكة يتشكل من رؤساء فروع الجالية السودانية بمدن المملكة المختلفة يجتمع بصورة دورية تحت رعاية السفير مباشرة في حل مشاكل الجاليات وتقديم أفضل الخدمات. ومن جهة أخرى فقد فتحت اتفاقية التعاون الثقافي بين المملكة والسودان آفاقاً رحبة للدراسات الجامعية بالمملكة ولانتداب المعلمين على مختلف المستويات للعمل بمدارس

وجامعات المملكة. كما شهدت العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية نمواً مضطرداً. وفتحت أسواق المملكة للمنتجات السودانية من لحوم وحبوب زيتية. وأنشئت الهيئة السودانية السعودية لاستغلال ثروات البحر الأحمر كأول مشروع من نوعه بين الدول المطلة على البحر الأحمر. وقد منحت المملكة العربية السعودية (**وسام الملك عبد العزيز**) وهو أرفع أوسمة المملكة للفريق (**الفاتح بشارة**) تقديراً لإنجازاته وجهوده في تطوير العلاقات بين البلدين.

ومنحته بلاده أكبر تقدير بتعيينه حاكماً لإقليم كردفان الكبرى من موقع الإنجاز الدبلوماسي. ومنحه شعبه الحب والتقدير والاحترام والوفاء. وقد كان بحق تجسيداً حياً لكل هذه المعاني السامية الخيرة، فقد عرفته دبلوماسياً كيساً بارعاً لا يشق له غبار، حكيماً ذكياً لا تنقطع شعرةٌ بينه وبين خصمٍ أو صديق، حاسماً قاطعاً في قراراته، كريما حاتمي الكرم، وفيا صادق الود، جامعاً فاروقاً يفرق بين الحق والباطل.

وكان (**الفاتح بشارة**) إنساناً بكل ما تعرف الكلمة من معانٍ. وهو لذلك فَقْدٌ كبيرٌ للبلاد، وهو جُزء من تاريخها وتراثِ أهلها البسطاء الأوفياء. ونحن اليوم في هذا المكان المهيب نعدد مآثر الفقيد ودوره الريادي في خدمة الوطن الحبيب وأهله نتذكر أن الموت حق وذكرى الأحبة في الخاطر كشعلة ضوء سرمدي. وختاماً بقلبٍ دامٍ أقول:

وداعك يا فريق اليوم أبكانا

وألبسنا ثياب الصمت أحزانا

لقد كنتَ فينا الغيث يمطرنا

كراماتٍ وإحساناً وعِرفانا

وذي بسمتُكَ الغراء أبصِرها

تنسابُ على النعش تحنانا وتيجانا

إلى جنات الخلد يا عظيم ترتحل

يا أعظم الناس فينا كنت إنسانا



الفريق الفاتح بشارة يجلس مع مع الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية في تفاكر حول قضايا البلدين الشقيقين

* * *

كلمة السيد كمال حمزة رئيس بلدية دبي الأسبق
وأقرب أصدقاء الفقيد وزميله منذ الطفولة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله. فخامة الأخ المشير جعفر محمد نميري سعادة الفريق أول حاج أحمد الجيلي رئيس هيئة الأركان المشتركه أيها الجمع الكريم، بسم اللجنة العليا للتأبين نحييكم بتحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. الحمد لله انفرد بالبقاء والدوام، وكتب الموت على جميع الأنام إذ قال في محكم تنزيله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإليه تُرْجَعُونَ**﴾ [34]، وقال جلَّ مَن قائل: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً**﴾ [35] صدق الله العظيم.

في كل يوم إخوتي تشيع الإنسانية الكثير من الموتى إلى حيث المصير المحتوم، ووقع مصيبة الموت على أحبابهم وذويهم ومعارفهم ليس واحداً، فيختلف هذا الأثر على نفوس الناس. وبقدر ما كان للفقيد أثر في النفوس يكون حجم الخسارة والفقد عظيماً في فقد الرجل الطيب النافع، الرجل الفاضل، الرجل الذي يُصادِقُ ويُصادَق، الرجل الذي يعيش لأهله ولأصدقائه ومعارفه أكثر مما يعيش لنفسه. خسارة مثل هذا الرجل الطيب النافع خسارة للجميع. ومما يزيد ويضاعف هذا الشعور بالخسارة والفقد الأليمين أن الطيبين النافعين الخيرين قليلون في هذا

---

34 قرآن كريم، سورة القصص، الآية 88.

35 قرآن كريم، سورة آل عمران، الآية 145.

العالم. وأحسب إخوتي أنكم توافقونني أن الفقيد الراحل عليه رحمة الله الأخ الفاتح هو أحد هؤلاء القلة التي صادقت الجميع وعاشت للجميع فافتقدها الجميع. وديننا الحنيف يحتفي بالإخاء ويحيطه بسياج من تعاليمه وأوامره ويعمل على إشاعته بين الناس وإقامته على أواصر المحبة والمودة. وإن التحاب في الله والأخوة في دين الله من أفضل القربات، حيثُ حث الرسول عليه أصلاةُ الله وسلامه على الإخاء فقال في حديثه الشريف: **{إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويُؤلفون}**.

نعيش إخوتي في هذه الدنيا ونأمل كثيراً فيها، ونبني عليها آمالا كباراً ما نلبس أن نتبين أنها ليست كما تأملناها ورجوناها ولا هي بحجم تصورنا لها، فالحياة الدنيا ما هي إلا متاعُ الغرور الذي ينقضي سريعاً ويزول. وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى في محكم تنزيله حين قال: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** [36] كما وصفها سبحانه وتعالى بأنها متاعٌ زائل، وكل ما فيها من فتنة وبنين ومتاع إنما هي شهواتٌ زائلة. وقد أوضح ذلك في قوله تعالى: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** [37].

ومع الحياة خلق الله الموت وهو مصيرٌ محتومٌ على كل الأحياء، ولا يبقى إلا وجه الله الواحد الأحد حيث يقول تعالى: **﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ**

[36] قرآن كريم، سورة الأنعام، الآية 32.

[37] قرآن كريم، سورة القصص، الآية 60.

رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكرام﴾ [38]. والموت مكروهٌ ولو كان جِهاداً في سبيل الله. وقد أكد ذلك الحقُ سبحانه وتعالى في محكم تنزيله حيثُ قال: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أن تَكْرَهُواْ شيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّواْ شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** [39] إلا أن هذا الموت الذي نكرهه وننفر منه ولا نتمناه إنما فيه البشارة والهداية حيث بين ذلك الحقُ سبحانه وتعالى في محكم تنزيله بقوله: ﴿**الَّذِينَ إذا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ أنا لِلّهِ وَإِنَّا إليه رَاجِعونَ * أولئك عَلَيْهِمْ صلوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئك هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** [40].

وإننا نعلم يقيناً لأن لكل منا آجلاً لا مفر منه، وأن الموت الذي نفر منه هو مصير كل حي كما في قوله تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾** [41]. أن الدنيا تنقضي بأفراحها وأتراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار مع طولها وقصرها، ويعود الناس إلى ربهم الذي قال في كتابه العزيز: ﴿**قُلْ أمر رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾** [42].

وكلما ارتحل شخصٌ من هذه الدنيا الفانية يذكرنا أن الحياة تسير وتمضي، ولن تتوقف مسيرتها. وكلما ارتحل شخص يذكرنا أن هذه الحياة ما هي إلا

---

[38] قرآن كريم، سورة الرحمن، الآيتان 26-27.

[39] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 216.

[40] قرآن كريم سورة البقرة، الآية 156.

[41] قرآن كريم، سورة النساء، الآية 78.

[42] قرآن كريم، سورة الأعراف29، الآية.

طريقٌ ومعبر نسير عليه إلى حياة أخرى هي الباقية. وكثيرون هم الذين يغادرون هذه الحياة ولا يتركون أثراً ولا يُذكرون بعد موتهم، ولكن ليس من بين هؤلاء فقيدنا الراحل الأخ العزيز الفاتح عليه رحمة الله الذي ظلَّ صاحب خِصالٍ حميدة حملها في داخله كَبُرَ وكَبُرَت معه.

لقد زرع الراحلُ في أعماقنا واحة غناء تشبعت بأنفاس الإخاء والمحبة والصدق والحنان. وقد أكسبه إخاؤه وعلاقاته الطيبة بالآخرين حُب الجميع، ولهذا كان فقده جللاً وعظيماً على الجميع. والآن أقف نيابة عن إخوانكم في اللجنة العليا في هذه اللحظات الحزينة القاسية على القلب، وأجد صعوبة وألماً لرثائك أخي الحبيب الفاتح. أرثيك أخاً وصديقاً ورفيق درب، فماذا أقول؟ لقد رحلتَ وتركتَ مكانك شاغراً، وسيظل خالياً إلا من أثر ما تركته في القلوب ومن ذكريات طيبة، وهذا هو العزاء، وهذا هو الرثاء.

كيف أرثيك أيها الأخ الصديق العزيز والرفيق في دروب الصبا ومقاعد الدراسة؟ كيف أرثيك وقد عرفتك أكبر من المفردات، وأعظم من المشاعر؟ كيف أرثيك والكلمات باتت أعجز من أن تُصورَ ما تجيش به الخواطر وتختلج به المشاعر!! كيف أرثيك وأنا أعرف أن المشاعر والقيمَ النبيلةَ الساميةَ تسبقني لرثائك فتكفيك الطيبة، ويرثيك الصِدقُ والإيمان، ويرثيك النقاءُ والصفاءُ والوفاء، ويرثيك النُبْلُ والوطنية.

كيف أرثيك أخي وحولي أحباؤك وإخوانك، والكُلُ منهم يريد أن يدلو بدلوه في إبراز خصالٍ عرفك بها ضابطاً متميزاً تتجلى فيك الوطنية بروح الالتزام وروعة الانتماء إلى أن وصلت إلى أعلى المراتب، فلم تزدك رفعةُ الموقع إلا رفعةً في

الخُلُق، ولم تزدك الترقيةُ إلا رُقياً إنسانياً كان جديراً بك وكُنتَ جديراً به. كيف أرثيك والدبلوماسية ترثيك لأنك كُنتَ أحد فرسانها بالخارجية، وكنتَ نموذجاً للدأب والجد والكد من أجل تقديم صورة السودان المشرقة، سودان الوفاق والاتفاق، سودان المحبةِ والسلام. فتركتَ أخي العزيز في كل العواصم والأماكن التي عملت بها دفقةً من شمس السودان، وعطرت صباحاتها من ماءِ نيليه الدافقين. كيف أرثيك وهذه اسمى الخصال والمزايا وأرقى الصفات والسجايا ترثيك وتشهد أنك لها النموذج والمثال.

وإنني مهما حاولت أن أرثيك أخي العزيز الفاتح فإنني على يقين بأن الذكر الحسن والإرث الطيب سيرفان حول اسمك وملامحك في كل حديثٍ أو إشارة إليك. ودعناك أيها الأخ والصديق واستودعناك الله الذي لا تضيع ودائعهُ، فاهنأ بما تزودتَ به من حسنات وما خلفته من ذكرى طيبة فإنك بإذن الله من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. يا ربِّ هذا هو عبدُك الفقيرُ إلى رحمتك الفاتح محمد بشير بشارة قد نزل عليك وأنت خير منزولٍ عليه، وهو الفقير إلى رحمتك وأنت أغنى ما تكونُ عن عذابه، أنزل عليهِ رحمتَك ورِضاك، وقِهِ فتنة القبر، وآته برحمتك العفو من عذابك حتى تبعثه إلى جنتك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم إنَّ لك صفوةً من خلقك تدخلهم الجنة بلا عقاب ولا حساب اللهم اجعلنا جميعاً وفقيدنا الراحل ممن تُدخلهم في رحمتك بلا حساب يا أرحم الراحمين. والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



الفاتح بشارة يتوسط اثنين من أعز أصدقائه: حيث يظهر كمال حمزة على يمين الصورة وكان يومها قد أصبح ضابطاً إدارياً بمدينة عطبرة

{ رحيل البشارة }

قصيدة رثاء

للشاعر: أحمد عثمان البحيري

* * *

يا ابنَ البُشارَةِ والبشارةُ أينَعتْ ... جَبَلاً مِنْ الأفعال والأفْضَالِ

سَمُّوكَ بالفَاتِحْ وكُنْتَ مُوَفَقَاً ... فَفَتَحْتَ آفاقاً بِكُلِّ مَجَالِ

يا مَنْ تجودُ ولا تَمُنُّ علَى الوَرَى ... قَدْ صَارَ جُودُكَ مَضْرِبَ الأمثال

مَنْ للذينَ تَعَوَّدُوا إحسانكُمْ ... قَدْ كُنْتَ فيهِمْ مُرتَجَى الآمَالِ

تبكِي لفقدِكَ أمة مفجوعَةٌ　　قَدْ صالَ فيها الدهرُ بالأهوال

عرفَتْكَ ساحاتُ الحروبِ مُنافِحاً　　مُذْ يافِعاً قَدْ جُلتَ فِيْ الأدغَالِ

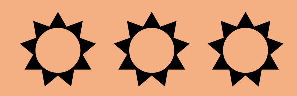
عرفَتْكَ ساحاتُ القيادَةِ موئلاً　　يحوي كتابَ جلائلِ الأعمال

يا مَنْ سَمَوتَ وما بَطِرْتَ تواضُعاً　　قدْ كُنْتَ محبوباً جميلَ خصالِ

قَدْ شيعَتْكَ مواكِبٌ وجَحافِلٌ　　حَتى بَدَتْ فِي نَفْرَةِ الأنْفَالِ

ما ماتَ من بكتِ الرجالُ لِفَقْدِهِ　　وكذا الربوعُ بِكُلِّ دَمْعٍ غالِ

فاهْنَاْ بسيرَتِكَ المضَمَخِ عِطْرُها　　تَضْوي الشموعَ لِقَادِمِ الأجيال



الملاحق

ملحق رقم (1)

شهادة ميلاد الفاتح بشارة الأصلية

PRICE 2 P.T.
الثمن غرشان

EXTRACT FROM BIRTH REGISTER*
مستخرج من سجل المواليد

№ 13470

Province .... Merkaz .... Omdieh .... مودية .... مركز .... مديرية ....

† Number in Register .... ٩١ .... × نمرة السجل

Date of Birth .... ١٩٢٤.١.١ .... تاريخ الميلاد

Name of Child .... الفاتح .... اسم المولود Sex .... ذكر .... النوع (ذكر او انثى)

Nationality or Tribe .... الجنسية او القبيلة

Name of Father .... محمد بشارة .... اسم الوالد

Name of Mother .... خديجة عبد المجيد .... اسم الوالدة

Place of Birth .... محل الميلاد

Date of Issue .... تاريخ استخراج الشهادة

Signature .... امضاء

* The letter and number of the Register must be invariably filled in here.
*— يجب دائماً وضع حرف ونمرة السجل باعلى هذا الاورنيك امام العلامة هكذا *—

† The consecutive number in the Register to be filled in here.
×— يجب وضع نمرة السجل المتسلسلة باعلى هذا الاورنيك امام العلامة هكذا × —

ملحق رقم (2)

الصحف السودانية تنشر خبر تبرئة المحكمة للفاتح بشارة

يونيو 1987م



في محكمة الفاتح بشارة:

الدفاع يطالب بشطب البلاغ لعدم وجود أدلة

شاهد المحكمة: مخصصات المحكمة غير مبوبة

كتب حسين عثمان:

واصلت محكمة جنايات الخرطوم شمال الاستماع لأقوال الشهود في البلاغ ... خير المتبقي في مواجهة المتهم الفاتح بشارة حاكم إقليم كردفان الاسبق ... كلابيش الوزير الاقليمي ... تحت المادة ٣٥١ - ا تبديد أموال الدولة بغير حيطة ... حيث استمعت ... محمد عبد الله فضل المولى المراجع باقليم ... الذي قام بتو... ...اجعة نثريات الحاكم.

المحكمة تبرئ بشارة!

اسدل الستار امس على اخر التهم الموجهة ضد حاكم كردفان السابق الفريق (م) الفاتح محمد بشاره. ذلك بعد انبرأته محكمة جنايات الخرطوم شمال برئاسة القاضي عوض الحسن النور من تهمة تبديد المال العام ... هذا وكان يدافع عن المتهم الاستاذ جلال علي لطفي المحامي

أوان - العدد ١٦٠ - ٦/٧/١٩٨٧م

تبرئة حاكم كردفان السابق واطلاق سراحه

الأسبوع - العدد ٢٨٦ - ١/٧/١٩٨٧م

براءة الفاتح بشارة من تهمة الثراء الحرام

البت في البلاغ الثالث بالاحد القادم

كتب حسين عثمان

قضت محكمة جنايات الخرطوم شمال برئاسة مولانا عوض حسن النور امس بشطب بلاغ الثراء الحرام ضد الفاتح بشارة حاكم كردفان الاسبق وآخرين بموجب المادة ١٦٥/د. كما قضت بشطب المادة ١٣٦ واطلاق سراح المتهمين ورفع الحظر عن المشروع وقطعة الارض.

وجاء في الحيثيات ان التحري افاد باستحقاق الحاكم لقطعة ارض درجة اولى. كما افاد ان المشروع يتم توزيعه حسب وجود المقدرة لمباشرة الزراعة والذين قدموا خدمات جليلة للاقليم. ورؤى ان المتهم يستحق المشروع. كما جاء ان قراري منح المشروع وقطعة الارض صدرا من موظف مختص ووزير الاسكان ويعدان قرارين اداريين وذلك حسب الاجراءات المتبعة فلا يعد هذا من الثراء الحرام في شيء.

كما ان الشاهد لم يكن مالكاً للارض بل كان مستاجراً والمتهم لم يستغل ويمارس سلطاته الا في الحدود التي رسمها له القانون وليس لاغراض شخصية.

والجدير بالذكر ان هذا البلاغ هو الثاني من نوعه الذي شطب من جملة اربعة بلاغات في مواجهة المتهمين حيث شطب الاول لعدم وجود اذن من رئيس المحكمة او قاضي المديرية لفتح البلاغ حسب نص المادة ١٤٦٠ - ٢٠. والثاني تم شطبه بناء على مذكرة الدفاع التي اوضحت ان افادات الشهود لا تكشف عن تهمة بينة. وطلبه بشطب البلاغ و... القطعة .. كما ان قرار... القادم في البلاغ الثالث... الرابع رهن التحقيق.

الأسبوع - العدد ٢٨٦ - ٢٦/٦/١٩٨٧م

محكمة جنايات الخرطوم تشطب بلاغا في مواجهة الفاتح بشاره

اصدرت محكمة جنايات الخرطوم شمال التي انعقدت برئاسة القاضي عوض حسن النور امس شطب البلاغ الموجه ضد الفاتح بشاره حاكم كردفان السابق ومدير عام الزراعة الالية..

وكان الحاكم السابق يواجه تهمة امتلاك مشروع زراعي دون وجه حق بالاضافة الي قطعة ارض درجة اولى بمدينة الابيض.

وتشير (الايام) الى ان المحكمة استندت في قرارها على ان لجنة التحقيق والتي تولت الاتهام فيما بعد عجزت عن تقديم ما يثبت عدم مشروعية الحيازة.. فيما افادت التحريات ان الحاكم يستحق امتلاك المشروع الزراعي وفقا لاسس توزيع المشاريع التي تقتضي توفر المقدرة لمباشرة العمل الزراعي.. هذا فضلا عن ان حاكم كردفان السابق يستحق ان يمنح قطعة ارض درجة اولى.

الأيام - العدد ٦٠٩٦ - ٢٦/٦/١٩٨٧م

ملحق رقم (3)

STAFF COLLEGE

CAMBERLEY

1966 COURSE

Report on T/Lt Col F.M. Beshir, SUDAN (Inf)

PES

AGE on 31 Dec 66 34

1. MILITARY AND PERSONAL QUALITIES.

Lt. Col Beshir is an experienced officer who has played a full part on the course. He initially suffered some handicap from language difficulties but his English is now fluent and he expresses himself clearly . logically and well both verbally and on paper. He is a sound tactician and has a firm grasp of the essentials of staff work. He should make a good instructor

He has a strong personality and is obviously a leader. He is a pleasant, cheerful and generous person with a good sense of humour who has made many friends for himself and for his country and who is well liked and respected by all. He has had a good year at Camberley and should have learnt much which will be of value to him in his military future. He has been a credit to his Army and to his country.

2. RECOMMENDATION FOR STAFF EMPLOYMENT.

a. For what type of staff employment is he most suitable ?
All types but particularly for employment at higher HQ, Staff College, or Ministry of Defence.

b. Is he recommended for psc ?
Yes.

..1..August...1966

(H ~~M.G~~ Bond)
Col
Colonel CS B Division

REMARKS BY COMMANDANT

I agree with this report on Lt.Col. Beshir.

He is a most likeable officer with a strong character who has not only learnt a lot during the year but has also contributed a good deal . His ability and enthusiasm have anabled him to do very well here. He has been a splendid representative of his country.

(M.A.H.Butler)
Major-General

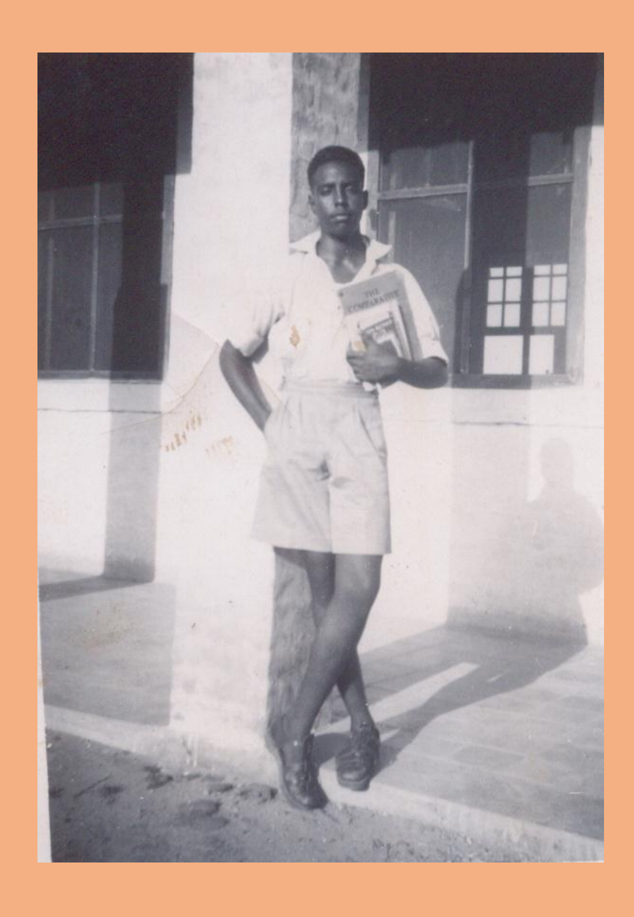
ملحق رقم (4)

إحدى صور الفاتح بشارة مع وفد المستثمرين الذي زار الأبيض بدعوة من الحاكم وقد أهدى فيه جملاً أصيلاً للأمير محمد الفيصل



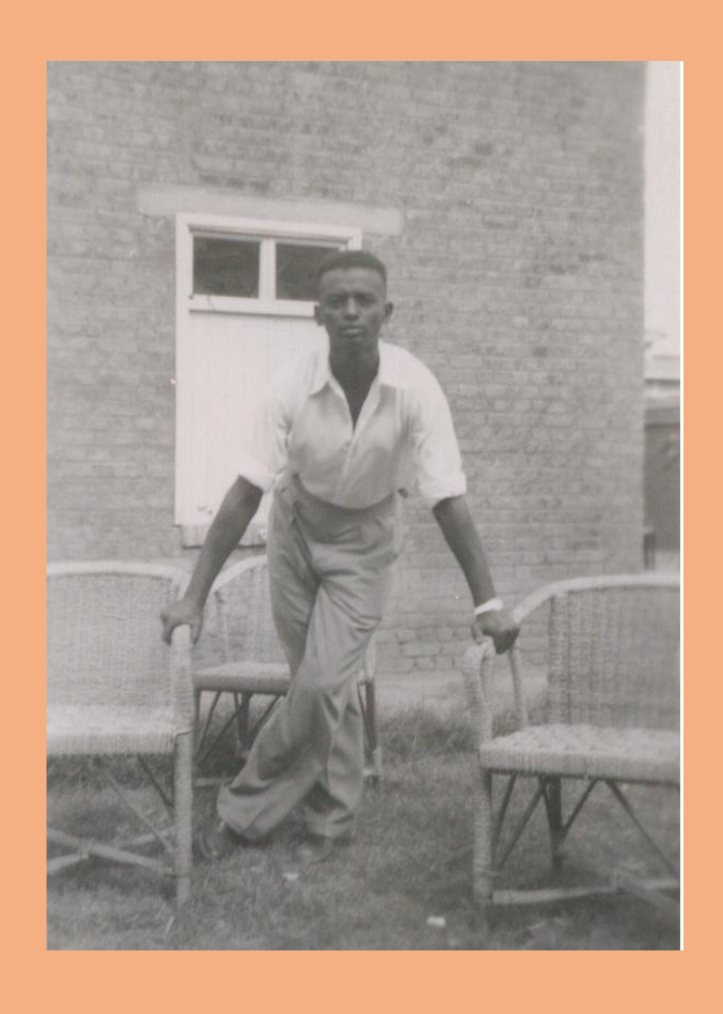
ملحق رقم (5)

الفاتح بشارة التلميذ بالمرحلة الثانوية



ملحق رقم (6)

الفاتح بشارة التلميذ بالمرحلة الثانوية



ملحق رقم (7)

كرت الدعوة الذي الذي قدمته لجنة تأبين الراحل المقيم

السبت 2 /9/ 2006م



بسم الله الرحمن الرحيم

الوفاء لأهل العطاء

لسيد/

يتشرف السيد / كمال حمزه الحسن

رئيس اللجنة العليا لتأبين فقيد البلاد الراحل المقيم الفريق الركن

الفاتح بشاره

أن يدعوكم لحضور حفل التأبين المقام بنادي ضباط قوات

الشعب المسلحة (القاعة الجديدة)وذلك يوم السبت 2006/9/2

وذلك بعد صلاة المغرب مباشرة

ولكم الشكر والتقدير

ملحق رقم (8)

صورة من الألبوم الخاص للفاتح بشارة حيث كان يحتفظ بمئات الصور لأصدقائه. وهذه تجمع بعض المبدعين في عام الطرب من أصدقائه يظهر على يسارها الفنان الراحل أحمد المصطفى وعلى يمينها الموسيقار الراحل علي ميرغني



ملحق رقم (9)



ملحق رقم (10)



ملحق رقم (11)



ملحق رقم (12)



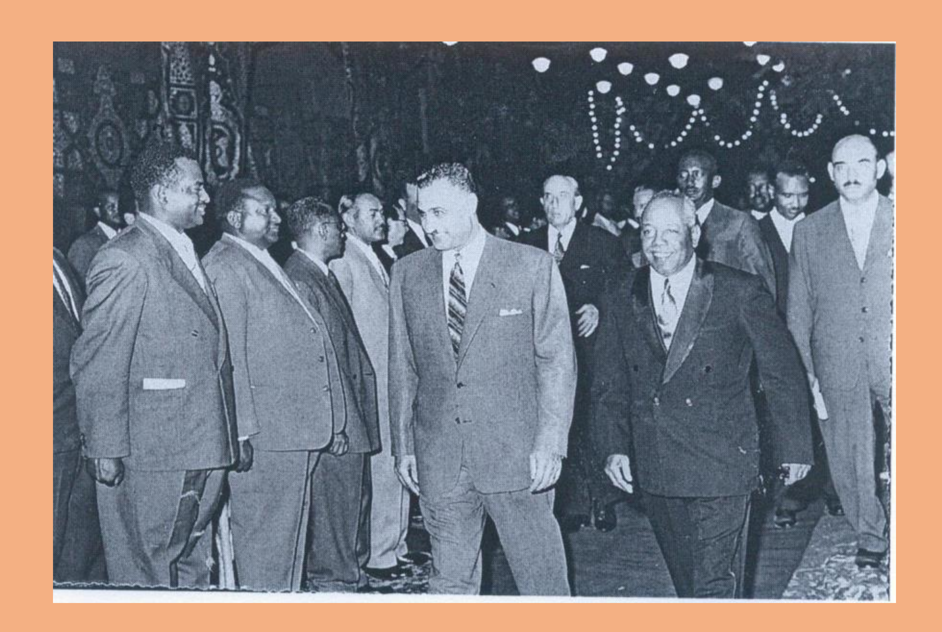
ملحق رقم (13)

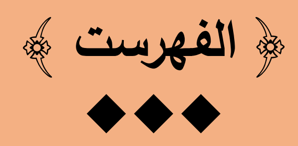


ملحق رقم (14)



ملحق رقم (15)





الفهرست



المؤلف في سطور

الاسم: بروفيسور عوض إبراهيم عوض

مكان الميلاد: النهود، كردفان، السودان.

الحالة الاجتماعية: متزوج، وأب لخمسة.

١/ بروفيسور بكلية الإعلام جامعة إفريقيا العالمية.

٢/ عميد كلية الإعلام بجامعة الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا.

٣/ عضو مجلس أمناء جامعة غرب كردفان.

٤/ عضو دائرة علوم الاتصال بمعهد إسلام المعرفة (إمام) بجامعة الجزيرة.

٥/ عضو هيئة المستشارين لمجلس الوزراء الموقر.

٦/ عضو الهيئة الاستشارية لوزير الثقافة والإعلام.

٧/ عضو مجلس الأمناء، ورئيس لجنة الإعلام لجائزة الشيخ البرعي برئاسة الجمهورية.

٨/ عضو مجلس الأمناء لعشر منظمات إنسانية.

٩/ مدير قناة الأمل التلفزيونية الفضائية.

١٠/ سفير النوايا الحسنة لدى منظمة الصحة العالمية لمكافحة الدرن بالسودان.

(١) نال درجة الدكتوراه الأولى في

وسائل الاتصال الجماهيرية واللغويات من جامعة الملايو بكوالالمبور، ماليزيا.

(٢) نال درجة الدكتوراه الثانية في

الإعلام، تخصص نظم الاتصال.

(٣) نال درجة الدكتوراه الثالثة في

العلوم السياسية.من جامعة الزعيم الأزهري ، السودان.

* له واحد وثلاثون مؤلفاً في شتى ضروب المعرفة
سبعة منها باللغة الإنجليزية والبقية باللغة العربية.